المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري
في الرد على الصوفية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إعـــداد :جمعة بن خالـــد بن عضيب العنزي

إشراف: أ٠د: محمد بن عبد الله السمهري
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الرياض ١٤٢٣هـ

المقـــــدمة

وتتضمن :

أسباب اختيار الموضوع ،وأهميته ، والدراسات السابقة ، ومنهج الدراسة ، وخطة البحث .

التمهيـــد

ويشمل :

١ـ التعريف بالسلف والقرن والصوفية .

٢- حالة الأمة في هذا القرن ، من الناحية السياسية ، والدينية والفكرية .

٣ـ مقارنـة هذا القــرن بالقرن الذي قبلـه ٠

٤ ـ نشأة التصوف ، وتطـــوره ٠

الباب الأول
موقف علماء السلف في القرن الثامن من منـهج التلقي
والاستدلال عند الصوفية ٠

الفصل الأول: موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من
منـهج التلقي عند الصوفيـة .

الفصل الثاني: موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من
منهج الاستدلال عند الصوفية.

الباب الثاني

جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه البدع
الاعتقادية عند الصوفية.

الفصل الأول: جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه الحلول والاتحاد ووحدة الوجود عند الصوفية .

الفصل الثاني: جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه الفناء عند الصوفية .

الفصل الثالث: جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه
البدع في العبادات عند الصوفية .

الفصل الرابع : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه
الغلو في الأولياء عند الصوفية .

الباب الثالث

جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه البدع في
السلوك والأحوال ، عند الصوفية

الفصل الأول : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه الأحوال والمقامات ، عند الصوفية ٠

الفصل الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه السـماع ، عند الصوفية ٠

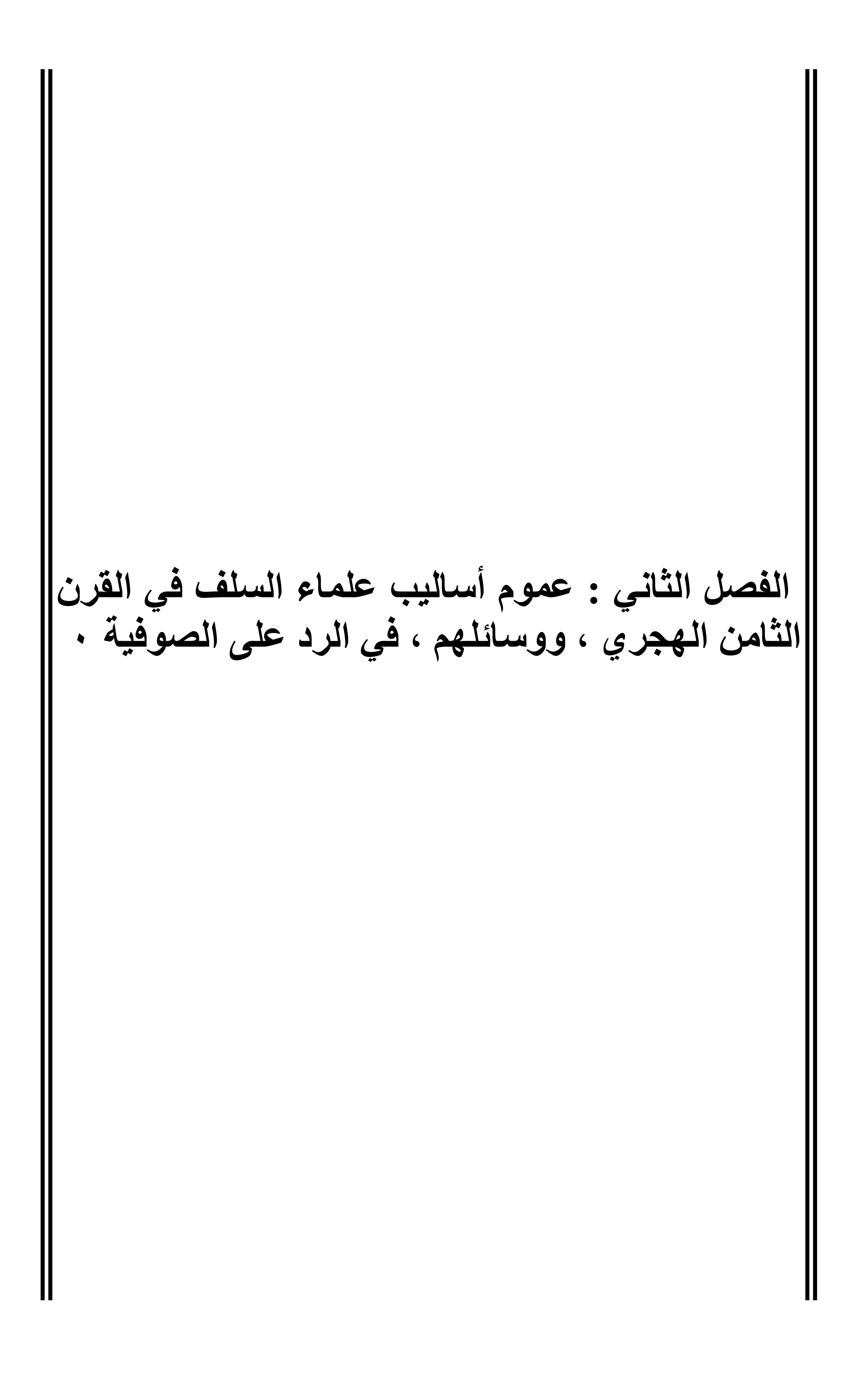
الفصل الثالث : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه اللباس والشعار ، عند الصوفية .

الفصل الرابع : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه
الغموض والرموز ، عند الصوفية .

الباب الرابع

علماء السلف في القرن الثامن الهجري، مواقفهم وأساليبهم في الرد على الصوفية .

الفصل الأول :علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، ومواقفهم ، العملية ، والقولية ، في الرد على الصوفية .



الفصل الثاني : عموم أساليب علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، ووسائلهم ، في الرد على الصوفية .

الخاتمـــــة

الفهارس العامة للرسالة



إن الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ، أما بعد :

فإن من أصول الإسلام ، ومعتقد أهل السنة والجماعة ، ومناهجهم المشهورة ، تقرير العقيدة ، والرد على أهل البدع ، بالسبل المتاحة ، وقد تأصل هذا المنهج ، منذ أن بزغ فجر الإسلام ، إذ بدأ تأصيل هذا العلم ، من خلال سور القرآن الكريم ، التي نزلت على الرسول –ﷺ– ، في العهد المكي المبارك ، ثم إن السنة المطهرة ، أكدت على هذا المنهج ، من خلال سيرة المصطفى –ﷺ– ، القولية والفعلية والتقريرية ، ثم سار على هذا المنهج ، الخلفاء الراشدون، وسلف الأمة ، من القرون المفضلة، وأتباعهم ، حتى جاءت العصور التالية ، لعصر الخلفاء ، فكثرت البدع وتنوعت الفتن؛

ولذلك سار علماء السلف الصالح ، في التصدي لهذه البدع و أهلها ، بالرد والمناقشة ، على ضوء منهج القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، من حيث الأصول والمناهج ٠

أما الأساليب ، فتنوعت ، باختلاف العصور وتنوع البدع ، وتمكن علماء السلف ، من هذا العلم ، بحيث أصبحت مناهجهم وجهودهم ، محل قبول من الأمة ٠

ومن أمثلة هذا الواقع ، والذي يبرز جوانبه المضيئة ، دراسة جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، في الرد على البدع، وبدع الصوفية على وجه الخصوص ، لما يمثله هذا القرن ، من وفرة الردود ، ووجود كوكبة فريدة ، من علماء السلف ، الذين أبدعوا في الرد والدفاع ، عن العقيدة والتصدي لبدع الصوفية ، من خلال القول العمل ٠

ولهذا اخترت – بعد الاستشارة ، ثم الاستخارة – ، أن يكون موضوع بحثي ، في مرحلة الدكتوراه ، حول هذا الموضوع ، فاخترت البحث في : " جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، في الرد على الصوفية "

وبعون الله وتوفيقه ، فإنه من أهم غايات هذه الدراسة ، الكشف عن جوانب مهمة ، من جهود علماء السلف، في القرن الثامن الهجري ، في الرد على الصوفية، وهو ما يتطلب تتبع واستقصاء ، جهودهم ومواقفهم من خلال مصنفاتهم ، أو المصنفات التي نقلت عنهم ، بهدف استخلاص مواقف واضحة لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري، من الصوفية ، وبدعها ٠

وأسأل الله العون والتوفيق والسداد ٠

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه :

يمثل القرن الثامن الهجري ، مرحلة مهمة من مراحل ، ردود علماء السلف على البدع الصوفية؛ بل وردودهم على أهل الأهواء جميعاً ، على اختلاف بدعهم؛ ولذلك اخترت هذا الموضوع للبحث ، ليكون موضوع هذا البحث امتداداً لدراستي السابقة ، في مرحلة الماجستير[١]، وإضافة إلى ذلك ، كان من الأسباب التي دفعتني ، لاختيار هذا الموضوع ، تميزه ووفرة مادته العلمية ، ولعل في العرض التالي ما يبين أهمية الموضوع ،إضافة إلى ما سبق :

١- إن الرد على المخالف من أصول الإسلام[٢] ، فقد قال بعض السلف : « الذب عن السنة أفضل الجهاد » [٣].

وقد استشهد بذلك ، شيخ الإسلام ابن تيميه[٤]، واعتبر أن الراد والمتصدي ، لأهل الأهواء والبدع ، والمخالفين للصراط المستقيم ، مجاهد[٥] .

٢- أهمية جمع وتتبع و دراسة ، جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، وتصديهم للبدع الصوفية ، لبيان جهودهم وأساليبهم ، في الدفاع عن العقيدة ، والرد على المخالف .

---

١ - رسالة الماجستير بعنوان : « التوكل عند الصوفية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، قدمت لقسم الدراسات الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، عام ١٤١٧ هـ »

٢-انظر : الرد على المخالف من أصول الإسلام ، بقلم بكر أبو زيد ، (دار الهجرة الطبعة الثانية ١٤١١هـ)

٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميه ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وساعده ابنه محمد ، (الرياض : دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ) ، ٤/ ١٣

٤ - شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيميه الحراني نزيل دمشق ،علم من أعلام العقيدة ، قامع المبتدعين ، محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، مجتهد ، مشارك في أنواع العلوم ،، ولد في ١٠ ربيع الأول٦٦١ بحران وتوفي ٢٠ ذي القعدة ٧٢٨هجرية بقلعة دمشق . من مصنفاته الكثيرة : الفتاوى ، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، والتدمرية ، والواسطية ، ودرء تعارض العقل والنقل . (انظر : في ترجمته العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميه تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، تحقيق محمد حامد الفقي ،الرياض : مكتبة المؤيد ، ص٢ ، ومعجم المؤلفين ، ٢٦١/١).

٥ - الفتاوى ، ١٣/٤

٣- بيان عدل وإنصاف ، علماء السلف تجاه الصوفية ، من خلال ربط ردودهم بالكتاب والسنة ، وبيان مالدى بعض الصوفية من حق ٠

٤- جدة هذا الموضوع ، من حيث طرحه ، حيث لم يسبق جمع جهود علماء السلف في القرن الثامن ، وردودهم على الصوفية بهذا الشكل - فيما أعلم - مما سيكون له أكبر الأثر ،في رد بدع الصوفية ، قديماً وحديثاً ، إن شاء الله ٠

٥- فيه ربط للباحث ، بالمصادر الأصلية ، لعقيدة السلف ، واتخاذها المعيار للحكم والترجيح ، مع العناية بآراء علماء السلف ، واجتهاداتهم في الرد على الصوفية ، في هذا القرن ٠

٦- يزخر القرن الثامن الهجري ، بكوكبة من علماء السلف الأفذاذ ، جدير بنا بيان جهودهم وآثارهم ، في قمع البدع ، لتستفيد الأمة الإسلامية ، من جهود علمائها ، المتمسكين بالمنهج الإسلامي الصحيح[١]٠

٧- في هذا البحث تأكيد ، على صحة منهج السلف ، وأنه صالح ، لكل زمان ومكان ، وأن هذا المنهج ، يوائم كل الظروف والأحداث ٠

٨- غزارة ردود السلف ، على بدع الصوفية ، في هذا القرن، ، مما يجعل أمام هذه الدراسة - بعون الله - مجالاً رحباً ، ومصدراً خصباً وغنياً ، للبحث ، وذلك لتوفر المادة العلمية المفيدة ، لجوانب الخطة كافة ٠

الدراسات السابقة :

لم يفرد الموضوع - على حد علمي - ببحث مستقل يجمع أطرافه ، ويفصل القول والمناقشة في مسائله وقضاياه ، ولم ينل علماء السلف في هذا القرن ، العناية والدراسة اللازمة ، لجهودهم وردودهم على بدع الصوفية ،

---

١ - أمثال : شيخ الإسلام ابن تيميه ، وابن القيم ، والذهبي ، وابن عبد الهادي ، وابن رجب ، وابن مفلح ، وابن كثير ، و ابن أبي العز ، والشاطبي ، وابن الإمام ، وابن قاضي الجبل ، وغيرهم من أعلام السلف في القرن الثامن الهجري ، كما سيأتي - إن شاء الله - أثناء الترجمة لهم ٠

وإنما اقتصرت الدراسات والبحوث ، على علمين وإمامين بارزين ، من أعلام السلف في القرن والثامن ؛ وهما شيخ الإسلام ابن تيميه ، وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله– ، فقد أفردا بالدراسة والبحث – أكثر من مرة – دون غيرهما من علماء السلف – فيما وقفت عليه – ، في القرن الثامن الهجري ، ولعل اهتمام الباحثين ، بهذين العلمين ، دليل على أهمية الفترة الزمنية ، التي عاشا فيها ، ولمكانتهما العلمية البارزة، عند الأمة ،

وكذلك يدل على أن هذا القرن – الثامن الهجري – ، من القرون التي اتسمت بكثافة التأليف ، والردود ، على أهل البدع عموماً، والصوفية خصوصاً ٠

ومن الدراسات التي اطلعت عليها ما يلي:

١– موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية (رسالة علمية ، لدرجة الماجستير) د: أحمد البناني جامعة أم القرى، وقد نشرت ، وطبعت مرتين ٠

٢– موقف ابن القيم من التصوف ، (رسالة علمية) ، إعداد عبد الرءوف محمد عثمان ، جامعة أم القرى ٠

٣– رسالة دكتوراه ضمن مشروع آراء شيخ الإسلام ابن تيميه في الفرق عن (الصوفية) تقدم بها الباحث محمد بن عبد الرحمن العريفي ، لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، عام ١٤٢٢هـ ٠

ولهذا سوف استثني هذين الإمامين ، من الدراسة والبحث ، لعدم التكرار – إلا في المسائل التي تتطلب ذلك ، حيث لا يمكن الاستغناء عن ردودهما ، لما فيها من الفائدة الجمة والشمولية ، لأنهما قد أحاطا بأكثر جزئيات التصوف –٠

وسوف أبرز جهود علماء السلف ، في هذا القرن ، الذين لم يسبق دراسة جهودهم ، في الرد على الصوفية ، بالرغم من شهرتهم ، ورسوخهم في العلم ، وشهرة مؤلفاتهم وقبولها من علماء الأمة ، خلفاً عن سلف ،

واعتمادهم عليها عبر القرون ، وحتى الوقت الراهن ؛ لما تتميز به من منهج أصيل ، واعتقاد صحيح ، وغزارة علمية واضحة ، و تأصيل لمسائل العقيدة ، والرد على المخالف من الصوفية وغيرهم ، وهي ردود متناثرة في ثنايا كتبهم ، تحتاج إلى الجمع ، والتتبع ، والاستقصاء ، والتأليف بينها .

منهج الدراســة :

سوف أتبع في هذه الدراسة ، منهجاً يعتمد على الوصف ، ويقوم على أساس الاستقراء التاريخي ، وتتبع أقوال السلف وردودهم، في هذا القرن ، وجمع أهم مقولاتهم ، ومواقفهم[١] ، من بدع الصوفية، من خلال

١ - لا أدعي الإحاطة بكل ما قالوا - لأن الفترة الزمنية للبحث قرن كامل ، والعلماء كثر ، ومؤلفاتهم كثيرة جداً وأقوالهم متفرقة - وإنما اجتهدت قدر طاقتي في تتبع أقوالهم وردودهم ومواقفهم من الصوفية ، وإبراز مواقفهم وردودهم بشكل واضح ، فما كان صواباً فمن الله تعالى ذكره ، وما كان من خلل أو تقصير فمن نفسي .

مؤلفاتهم، أو المؤلفات الناقلة لآرائهم ، وأقوالهم ، ثم إبراز هذه الجهود ، في الرد على بدع الصوفية – سوف أعتمد عند إيراد أقوال الصوفية وبدعهم ، على مصادرهم الأصلية ، قدر المستطاع– حتى تخرج هذه الدراسة ، في أدق صورة ممكنة ، إن شاء الله٠

ولقد قسمت علماء السلف ، الذين لهم جهود في الرد على الصوفية ، ثلاثة أقسام :

القسم الأول : العلماء الذين سبق وأن بُحثت جهودهم ، في الرد على الصوفية ، وهما : شيخ الإسلام ابن تيميه ، وتلميذة ابن القيم – رحمهما الله تعالى – ٠

فهذان الإمامان ، أبرزت جهودهما ، في الرد على الصوفية ، في بعض المسائل ، التي لا يمكن الاستغناء عن جهودهما فيها لأهميتها، وفي بعض المسائل ، اكتفيت بالإحالة فقط ٠

القسم الثاني : العلماء المكثرون[١] : وهم عمدة البحث ، فقد جمعت جهودهم ، من بطون الكتب ، في الرد على الصوفية ، حسب مباحث الرسالة ، وترجمت لهم ، ترجمة كاملة ، في الباب الرابع ، من الرسالة٠

واستعرضت مواقفهم مجملة ، في الباب ذاته ، إضافة إلى ما جاء في متن الرسالة ٠

---

١ – وهم : الإمام ابن عبد الهادي وترجمته ص٣٥٧ ، والإمام محمد ابن الإمام وترجمته ص٣٦٢ ،الإمام الذهبي ، وترجمته ص ٣٦٦، والإمام ابن مفلح ، وترجمته ص ٣٨١، والإمام ابن قاضي الجبل ، وترجمته ص٣٨٨ ، والإمام ابن كثير ، وترجمته ص ٤٠٥، والإمام الشاطبي ، وترجمته ص ٤٢٠، والإمام ابن أبي العز ، وترجمته ص ٤٤١، والإمام ابن رجب ، وترجمته ص٤٥٥ ٠

القسم الثالث : العلماء المقلون[1]في الردود : ترجمت لهم، عند أول ذكر لهم ، واكتفيت بذلك ، دون ذكرهم في الباب الرابع ، من الرسالة، وذلك لقلة ردودهم ٠

الآيات القرآنية : عزوتها إلى سورها ، بذكر رقم الآية ، واسم السورة٠

الحديث : ما جاء بالصحيحين – البخاري ومسلم – ، أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما فقط ، وما ورد في غيرهما ، حاولت أن أبين درجته ، من خلال أقوال أهل العلم ، دون توسع ٠

التعريف بالأعلام : عرفت الأعلام ، بشكل مختصر ، وأما المشهورون من الصحابة – رضي الله عنهم – فلم أترجم لهم لشهرتهم ٠

خطـة البحث :

المقدمة :وتتضمن أسباب اختيار الموضوع ، وأهميته ، والدراسات السابقة ، ومنهج الدراسة ٠

التمهيـد: ويشمل:

١- تعريف السلف :

تعريف السلف لغة٠

١ – وهم : الإمام الزركشي ، وترجمته ص ١٤٩، والإمام أبو حيان ، وترجمته ص١٥٧، والإمام الأدفوي وترجمته ص ٣٤٠،والإمام محمد الحنبلي وترجمته ص ٣٤٠ ، والإمام الشبلي وترجمته ص١١٤ ، والقاضي برهان الدين الحنفي ، وترجمته ص ٣٢٥

إضافة لبعض علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، الذين كفروا ابن عربي ٠انظر : ص١٩٦

تعريف السلف في القرآن الكريم ٠
تعريف السلف في السنة النبوية الشريفة ٠
السلف في اصطلاح العلماء ٠
٢- تعريف القرن :
تعريف القرن لغة ٠
تعريف القرن في القرآن الكريم ٠
تعريف القرن في السنة النبوية الشريفة ٠
٣- تعريف التصوف :
تعريف التصوف لغة ٠
التصوف في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ٠
تعريف التصوف اصطلاحاً ٠
٤- حالة الأمة في هذا القرن - الثامن الهجري - من الناحية السياسية، والدينية ، والفكرية ، والاجتماعية ٠
حالة الأمة في القرن الثامن الهجري ، من الناحية السياسية ٠
الخلفاء والسلاطين والحكام في العالم الإسلامي ، خلال هذا القرن ٠
الصراع الداخلي ٠
الحروب الصليبية ٠
هجوم التتار ٠
حالة الأمة في هذا القرن ، من الناحية الاجتماعية ٠
مقارنة هذا القرن بالقرن الذي قبله ٠
نشأة التصوف ٠
تطور التصوف ٠

الباب الأول : موقف علماء السلف في القرن الثامن من منهج التلقي والاستدلال عند الصوفية ٠
ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : موقف علماء السلف في القرن الثامن من منهج التلقي عند الصوفية ٠

تعريف المنهج لغة ٠

تعريف المنهج اصطلاحاً ٠

تعريف التلقي لغة ٠

تعريف التلقي اصطلاحاً ٠

المبحث الأول : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري، من منهج الصوفية في الكشف ٠

المطلب الأول: منهج الصوفية في الكشف ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الصوفية في الكشف ٠

المبحث الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

المطلب الأول: منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

الفصل الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن من منهج الاستدلال عند الصوفية٠

المبحث الأول: موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الاستدلال بالقرآن الكريم عند الصوفية ٠

المطلب الأول: منهج الاستدلال بالقرآن الكريم عند الصوفية ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري، من منهج الاستدلال بالقرآن الكريم ، عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول: منهج الاستدلال بالسنة عند الصوفية ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية ٠

المبحث الثالث : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ،عند الصوفية٠

المطلب الأول:منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ عند الصوفية ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري من منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية ٠

الباب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع الاعتقادية وبدع العبادات ، عند الصوفية :

ويتكون من أربعة فصول :

الفصل الأول: جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية ٠

تعريف الحلول لغة٠

تعريف الحلول اصطلاحاً ٠

تعريف وحدة الوجود لغة ٠

تعريف وحدة الوجود اصطلاحاً ٠

المبحث الأول : الحلول ، ووحدة الوجود عند الصوفية٠

المطلب الأول : الحلول عند الصوفية ٠

المطلب الثاني : وحدة الوجود عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية٠

المطلب الأول: جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الحلول عند الصوفية.

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه وحدة الوجود عند الصوفية.

الفصل الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه الفناء عند الصوفية .

تعريف الفناء لغة .

تعريف الفناء اصطلاحاً .

المبحث الأول :الفناء عند الصوفية .

المبحث الثاني: جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الفناء عند الصوفية.

الفصل الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع في العبادات عند الصوفية .

تعريف العبادة لغة .

تعريف العبادة اصطلاحاً .

المبحث الأول : بدع العبادات عند الصوفية .

المطلب الأول : سقوط التكاليف عند الصوفية .

المطلب الثاني : البدع في الصلاة عند الصوفية .

المطلب الثالث : البدع في الصوم عند الصوفية .

المطلب الرابع : البدع في الحج عند الصوفية .

المطلب الخامس : البدع في الدعاء عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه البدع في العبادات عند الصوفية.

المطلب الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه سقوط التكاليف الشرعية عند الصوفية٠

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع في الصلاة عند الصوفية٠

المطلب الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع في الصوم عند الصوفية٠

المطلب الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع في الحج عند الصوفية٠

المطلب الخامس : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه البدع في الدعاء عند الصوفية٠

الفصل الرابع:جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

تعريف الغلو لغة ٠

تعريف الغلو اصطلاحاً ٠

تعريف الولي لغة ٠

تعريف الولي اصطلاحاً ٠

المبحث الأول : الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

الباب الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه البدع في السلوك والأحوال عند الصوفية٠

الفصل الأول: جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه الأحوال والمقامات عند الصوفية ٠

ويتكون من تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد : وفيه تعريف الحال والمقام لغة واصطلاحاً .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه المحبة عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الخوف والرجاء عند الصوفية .

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الفقر عند الصوفية .

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه التوكل عند الصوفية .

المبحث الخامس: جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الزهد عند الصوفية .

الفصل الثاني: جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه السماع عند الصوفية.

تعريف السماع لغة .

تعريف السماع اصطلاحاً .

المبحث الأول: السماع عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه السماع عند الصوفية .

الفصل الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه اللباس والشعار عند الصوفية .

تعريف اللباس والشعار .

المبحث الأول: اللباس والشعار عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه اللباس والشعار عند الصوفية .

الفصل الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن تجاه الرموز والغموض عند الصوفية ٠

تعريف الرموز لغة ٠

تعريف الرموز اصطلاحاً ٠

تعريف الغموض ٠

المبحث الأول : الرموز والغموض عند الصوفية ٠

المبحث الثاني:جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الرموز والغموض عند الصوفية ٠

الباب الرابع : علماء السلف في القرن الثامن الهجري، وأساليبهم في الرد على الصوفية:

الفصل الأول: علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، ومواقفهم العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الأول : التعريف بالإمام ابن عبد الهادي ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام ابن عبد الهادي ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن عبد الهادي العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثاني : التعريف بالإمام محمد ابن الإمام ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام محمد ابن الإمام ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن الإمام العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثالث : التعريف بالإمام الذهبي ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول :التعريف بالإمام الذهبي ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام الذهبي العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الرابع : التعريف بالإمام ابن مفلح ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام ابن مفلح ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن مفلح العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الخامس : التعريف بالإمام ابن قاضي الجبل ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام ابن قاضي الجبل ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن قاضي الجبل العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث السادس : التعريف بالإمام ابن كثير ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام ابن كثير ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن كثير العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث السابع : التعريف بالإمام الشاطبي ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام الشاطبي ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام الشاطبي العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثامن : التعريف بالإمام ابن رجب ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول التعريف بالإمام ابن رجب ٠

المطلب الثاني : جهود الإمام ابن رجب العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

الفصل الثاني : عموم أساليب علماء السلف في القرن الثامن ووسائلهم في الرد على الصوفية

المبحث الأول: الإرشاد والتعليم والاستتابة وإتلاف المنكر ٠

المبحث الثاني : التثريب والتوبيخ ،لمن اشتهر بالابتداع من الصوفية٠

المبحث الثالث : المناظرة ٠

المبحث الرابع : ذم الكتب الصوفية ،وإحراقها ٠

المبحث الخامس: الضرب ٠

المبحث السادس: السجن٠

المبحث السابع: الشهادة بما يوجب القتل ، والفتوى بالقتل ٠

الخاتمة : وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات ٠

الفهارس العامة للرسالة:

وتتكون من :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الفرق والمذاهب والطرق

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات العامة للرسالة ٠

وفي الختام أشير ، إلى أني قد اجتهدت ، في هذا البحث قدر المستطاع ، ولكن الوقوع في الخطأ والتقصير ، من طبيعة العمل البشري ، فإن أصبت في هذه الدراسة ، كان ذلك بفضل الله – تعالى – ومنه وكرمه ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وأستغفر الله – تعالى – من ذلك ، وأتوب إليه من كل هفوة أو زلة ، ﴿ ٠٠٠ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ٠٠٠ ﴾ [البقرة : ٢٨٦ الآية] ٠

–ثم أتقدم بالشكر الجزيل ، لكل من قدم لي العون والمشورة ، والنصح والإرشاد ٠

وأخص بذلك كلية الملك خالد العسكرية ، ولكافة المسؤلين فيها، على ما قدموه لي من عون ورعاية ، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن : متعب بن عبد الله بن عبد العزيز ، ومعالي الدكتور: عبد الرحمن بن سبيت السبيت ٠

والشكر موصول لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأساتذتي بكلية أصول الدين ، والمشرف السابق على الرسالة الدكتور : عبد الله سمك ، الذي حالت ظروفه الشخصية دون إتمام إشرافه ، فأسأل الله له المثوبة والأجر ، كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور : محمد بن عبد الله السمهري ، المشرف على الرسالة، على جهوده المشكورة ، وتوجيهاته السديدة ، وتصويب كثير من الزلات والأخطاء، فله عني خير الجزاء والثواب ٠

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ٠

الباحـث

الرياض١٤٢٢هـ

أولاً تعريف السلف :

أ- تعريف السلف لغة :

قال ابن فارس[١] : السين ، واللام ، والفاء ، أصل واحد يدل على تقدم وسبق ، والسلف الذين مضوا ، والقوم السُّلاف المتقدمون[٢]

و قال الزمخشري [٣]: « سَلَفَ القوم : تقدموا سُلُوفاً، وهم سَلَفُ لمن وراءهم٠٠٠وكان ذلك في الأمم السابقة، والقرون السوالف»[٤]

و قال ابن منظور [٥] : « سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً :أي مضى، والقوم السُّلاّف: المتقدمون ، والسلف أيضاً: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك ، الذين هم فوقك في السن والفضل» [٦]٠

«وسَلَفُ الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»[٧] ٠

١- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، (أبو الحسين) ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد عام ٣٢٩ هـ ، وتوفي عام ٣٩٥ هـ ٠(السير ١٠٣/١٧) ٠

٢ – معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن بن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، ط٣،(مصر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٠هـ) ٩٥/٣ مادة (سلف)٠

٣ – محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري (أبو القاسم ، جار الله) النحوي اللغوي، المفسر المعتزلي ، صاحب الكشاف ، ولد بزمخشر سنة ٤٦٧ هـ ، وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ ، له عديد من التصانيف ٠ (شذرات الذهب ١١٨/٤)

٤ – أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري ، (مصر : القاهرة ، مطبعة دار عالم الكتب المصرية ، ١٣٤١هـ) ، ١/ ٤٥٣ ، مادة (سلف)

٥ –محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ، ثم المصري جمال الدين ، أبو الفضل ولد سنة ٦٣٠ هـ ومات في شعبان سنة ٧١١هـ (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، بيروت : دار الجيل، ١٤١٤هـ ، ٤ / ٢٦٢)

٦ – لسان العرب : محمد بن منظور (لبنان : بيروت دار صادر) ١٥٨/٩– ١٥٩ مادة (سلف) وانظر الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (لبنان: بيروت دار العلم للملايين) ، ١٣٨٦/٤ ، مادة (سلف)

٧ – لسان العرب١٥٩/٩ ، مادة (سلف) ، وانظر : الصحاح ، ١٣٨٦/٤ ، مادة (سلف)

ومما تقدم يتبين أن معنى السلف في اللغة : التقدم والسبق٠

ب . معنى السلف في القرآن الكريم :

ورد ذكر لفظة (السلف) في القرآن الكريم ثماني مرات[1]، منها قوله تعالى: ﴿ ٠٠٠ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره

١ – انظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢، (القاهرة دار الحديث، ١٤٠٨) ، ص٤٥١

إلى الله 00 ﴾ [البقرة : ٢٧٥ الآية] ، وقوله سبحانه : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ٠٠ ﴾[النساء : ٢٢ الآية]

قال الراغب الأصفهاني[١] في المفردات :« السلف : المتقدم، قال ﷻ: ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ [الزخرف : ٥٦] ؛ أي: معتبراً متقدماً ٠

وقال ﷻ : ﴿ ٠٠٠فله ما سلف ٠٠٠ ﴾ [البقرة : ٢٧٥ الآية] ؛ أي : تجافى عما تقدم من ذنبه٠

وقال تعالى : ﴿ ٠٠٠إلا ما قد سلف٠٠٠ ﴾ [النساء : ٢٣الآية] ؛ أي : ما تقدم من فعلكم ، فذلك يتجافى عنه، ويقال لفلان سلف كريم : أي آباء متقدمون»[٢] ٠

وقال القرطبي [٣] : « والسلف من تقدم من آبائك وذوي قرابتك »[٤] ٠

١ – الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهاني، (أبو قاسم) أديب ، لغوي ، مفسر ، توفي سنة ٥٠٢هـ ، (معجم المؤلفين ٤/ ٥٩)

٢ – انظر : المفردات في غريب القرآن : أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعرفة) كتاب (السين) مادة (سلف) ص٢٣٩ ، و بصائر ذوي التمييز في الكتاب العزيز : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٧هـ) ٢٤٨/٣

٣ – الإمام أبو عبد الله ؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، الأنصاري ، الخزرجي الأندلسي القرطبي ، المفسر ، كان من العلماء العارفين ، والعباد الصالحين ، الزاهدين في الدنيا، له عدد من المؤلفات ، منها : التفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها ، و شرح أسماء الله الحسن، توفي سنة ٦٧١هـ ٠(شذرات الذهب لابن العماد ، ٣٣٥/٥ ، والتفسير والمفسرون، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ،ط١، بيروت : دار القلم ٥٠٠/٢)

٤ – الجامع لأحكام القرآن : محمد أحمد القرطبي، (لبنان: بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ٥ / ١٠٤

« والسلف المتقدمون يقال: سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً، مثل طلب يطلب طلباً، أي: تقدم ومضى ، وسلف له عمل صالح أي : تقدم ، والقوم السُّلاَف: المتقدمون ، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف ، وسُلاَّف» (١)

وبعد الوقوف على معاني (سلف) في القرآن الكريم ، يتبين أنها جاءت في المعنى اللغوي نفسه ، وهو: السبق والتقدم ، وذلك حسب ما ظهر لي من أقوال أهل العلم من المفسرين ، والله تعالى أعلم .

ج ـ معنى السلف في السنة النبوية الشريفة:

وردت مادة «سلف» ،في السنة النبوية ، ما يزيد على ثمانين مرة (٢)

ويطلق السلف في السنة النبوية على عدة معاني منها :

١ – المرجع السابق ٦/ ١٠٢ ، وانظر : تفسير البغوي معالم التنزيل : أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي ، ط٢،(الرياض ، دار طيبة) ٧ / ٢١٨

٢ – انظر : مشتقات لفظة (السلف) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، د ٠ و نسنك (استنبول : دار الدعوة ١٩٨٦) ٥٠٥/٢

ما جاء بالحديث الشريف ، قال ﷺ :« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس...» [١]

وسلف في هذا الحديث ، تعني : تقدمكم وسبقكم ، من الأمم الأخرى ، من يهود ونصارى [٢].

وقوله- ﷺ - لأحد الصحابة- ﷺ - : « أسلمت على ما سلف من خير» [٣] ، أي على ما قدمت من خير .

وقال النووي[٤] : مبيناً معنى السلف : « السلف : المتقدم»[٥] .

ويرى ابن حجر [٦] :أن السلف هم: « الصحابة فمن بعدهم»[٧]

وقال ابن الأثير[٨] : سلف الإنسان : هو من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[٩] .

---

١ – صحيح البخاري(الجامع الصحيح) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط١(القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٤٠٠هـ) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من صلاة العصر قبل الغروب ، ١٩١/١ حديث رقم (٥٥٧)

٢ – انظر: فتح الباري ٢/ ٤٦ –٤٧

٣ – صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ،، ١/ ٤٤٣ ، حديث رقم (١٤٣٦)

٤ – هو :الإمام الحافظ (محيي الدين أبو زكريا) يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي الشافعي ، ولد ٦٣١هـ ، وتوفي٦٧٧هجرية. (معجم المؤلفين ، ٢٠/٢)

٥ – انظر : صحيح مسلم شرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ، ط١، (القاهرة : دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ) المجلد ٦ ج١٦ /٦

٦ – هو: الإمام الحافظ علم الأعلام أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني ، الشافعي ، له العديد من المؤلفات منها : فتح الباري ، والدرر الكامنة في المائة الثامنة ولسان الميزان ، ولد ٧٧٣ هـ ، وتوفي ٨٥٢ هـ . (شذرات الذهب ، ٢٧٢/٧، ومعجم المؤلفين ، ٢٠٢/١٣)

٧ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، كتاب الجهاد والسير باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة ، ط١ ،(القاهرة : دار إحياء التراث ١٤٠٧هـ)٧٨/٦

٨ – المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، الشافعي ، المعروف بابن الأثير الجزري ، (مجد الدين ، أبو السعادات) عالم ، أديب ، مشارك في تفسير القرآن ، والنحو واللغة ، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ ، (معجم المؤلفين ، ٨ / ١٧٤)

٩ – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي (المكتبة الإسلامية) ٣٩٠/٢ مادة (سلف) ، ومجمع الأنوار في غرائب التنزيل

وبهذا يكون معنى السلف ، في السنة النبوية المطهرة ، المعنى ذاته، الذي ورد في القرآن الكريم ، وهو : السبق والتقدم ، كما أشار إلى ذلك علماء السنة والحديث ٠

د . السلف في اصطلاح العلماء :

انقسمت أقوال العلماء في تحديد السلف ، إلى عدة أقوال:

القول الأول : من يرى أنهم الصحابة – رضي الله عنهم – فقط[١]

القول الثاني : من يرى أنهم الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون[٢]

القول الثالث : من يرى أنهم أهل القرون الثلاثة الأولى[٣]

ولطائف الأخبار محمد طاهر الهندي (حيدر آباد مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٩١هـ) ١٠٠/٣ ، مادة (سلف)

١ – تحرير المقالة من شرح الرسالة أحمد محمد القلشاني (مخطوط بالجامعة الإسلامية برقم ٦٠٤ ق٣٦) ، إذ قال : «السلف الصالح وهو الصدر الأول ٠٠٠ اختارهم الله لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه٠٠٠»

و انظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد عبد الرحمن المغراوي ط١(الرياض : دار طيبة ١٤٠٥هـ) ١٧/١

٢ –إلجام العوام عن علم الكلام ، تأليف أبي حامد محمد الغزالي ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ط١ (بيروت : الكتاب العربي ١٤٠٦هـ) ص٥٣ ، قال :« اعلم أن الحق الصريح ٠٠٠هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين ٠٠٠»

٣ – قواعد المنهج السلفي ، د : حلمي محمود ، ط١ (القاهرة ، دار الأنصار ١٩٧٦) ص٣٥ وانظر : فضل علم السلف على الخلف ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ط١(دار البشائر الإسلامية ١٤٠٣) ص٦٠ حيث قال ابن رجب إن السلف المقتدى بهم ، الذين يكتب كلامهم :« ٠٠٠إلى زمن الشافعي [توفي سنة ٢٠٤هـ] ، وأحمد [توفي سنة ٢٤١هـ٠٠٠» وندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، د: راجح الكردي (مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ندوة البحرين ١٤٠٥هـ) ص٢٢٧

القول الرابع : من يرى أنهم من كانوا قبل الخمسمائة [1] ٠

والسلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين[2] :

الأول : حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة لحديث: «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم٠٠»[3]

على أن السبق الزمني ليس وحده كافياً في تعيين السلفي والحكم بأنه سائر على مذهب السلف ، ما لم يكن موافقاً للكتاب والسنة ، قولاً وفعلاً ، فمن خالف الكتاب والسنة ، فليس بسلفي ، وإن عاش بين الصحابة والتابعين[4]

الآخر : الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ، ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة ، وتقديمهما على ما سواهما ، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف٠

فالسلفية بالإطلاق الأول تكون مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها ٠

وبالإطلاق الآخر: تكون منهجاً باقياً إلى يوم القيامة ، يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده لحديث : « لا تزال طائفة من

١- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد : إبراهيم محمد الباجوري ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣) ص٩١ ، إذ قال: الباجوري « السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة ٠٠٠»

٢ – منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة تأليف عثمان علي الحسن ط٤ (الرياض: مكتبة الرشد ١٤١٨) ، ٢٨/١ ، وقواعد المنهج السلفي تأليف مصطفى حلمي ط٢ (الإسكندرية: ١٤٠٥) ، ص٢٣

٣ – صحيح البخاري كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد ، ٢٥١/٢ ،حديث رقم ٢٦٥٢

٤ – انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق ، د: محمد باكريم عبد الله ، (الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع ١٤١٥) ، ص٩٩-١٠٠

أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » [١] .

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية ، إشارات متناثرة في مؤلفاته ، توضح مفهوم السلف عنده ، منها قوله : «٠٠٠السلف من المهاجرين والأنصـار ، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان ٠٠٠» [٢]

وقوله : « ٠٠٠ عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ٠٠٠»[٣]

وقوله : « ٠٠٠ السلف من الصحابة والتابعين ٠٠٠»[٤]

والمراد بالسلف: الصحابة – رضي الله عنهم –وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول ، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين ، وعظم شأنهم فيه ، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول ، خلفاً عن سلف[٥] إلى قيام الساعة٠

وهذا التعريف هو ما اختاره ؛ لأنه يتحقق به الجمع بين السلفية الزمنية ، والسلفية المنهجية ، كما أنه يجمع بين الأقوال المتقدمة للعلماء في تعريفهم للسلف[٦] .

وينبغي الإشارة إلى أمر مهم ، وهو أنه « ليس معصوماً إلا الرسول –ﷺ– ، أما غيره فإنه معرض للخطأ ، والسهو ، والزلل ، والهوى ، والضعف ، والتقصير والقصور ؛ فلذلك يجب على أهل العلم وطلابه ، بيان زلة العالم

١ – صحيح مسلم (للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، تركيا: استنبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع) ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ :« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم » ، ١٥٢٣/٣حديث رقم ١٩٢٠

٢ – الفتاوى ، ٢٢/ ١٦٣

٣ – الفتاوى ، ٧/ ٦٤٢

٤ – الفتاوى ، ١٧ / ٢١٥

٥ – انظر : لوامع الأنوار محمد السفاريني ، ط٣ ، (المكتب الإسلامي ، دار الخازن ١٤١١) ، ٢٠/١ ، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ، (شرح الدرة السنية في عقيدة أهل السنة المرضية) ، أحمد بن حجر آل بو طامي، ط١، (بيروت: ١٩٧٠) ، ١١/١

٦ – بالإضافة إلى من شارك السلف من العلماء في الرد على الصوفية ، أمثال: الزركشي ،وأبو حيان ، والشاطبي ٠

إذا حدثت ، دون الغض من قدره ، ولا الحط من شأنه ، بل يجب الاعتذار له ، وغمر زلته في بحر حسناته ومناقبه ، فإنه لم يسلم من الخطأ أحد من العلماء؛ وكثير من مجتهدي السلف ، وقع من أفرادهم ما يخالف السنة ، ولم يقدح ذلك في إمامتهم ، وأهل السنة إنما يتبعون الدليل ، ويدورون معه حيث دار ، ويقتدون بأئمة الهدى ويجلونهم ويعذرون المخطئ ولا يتبعونه فيما أخطأ فيه[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كثير من مجتهدي السلف والخلف، قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة ، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها ، وإما لرأي رأوه ، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم»[٢] ، « فالذي يتجرأ – على أحد من علماء السلف – بالتجهيل والتضليل ، دليل على نقص عقله، وقله علمه ، وضعف إيمانه ، إذ لو كان تقياً ، ذا علم وفضل، لعرف للعلماء فضلهم ومكانتهم ، وأن ما يكون من أخطاء ، يتلاشى ويتصاغر ، عند عظيم حسناتهم ، وفضائلهم »[٣] .

---

١ – مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د : ناصر عبد الكريم العقل ، (الرياض : دار الوطن ، ١٤١٧هـ) ، ص ١٠١ ، " بتصرف يسير "

٢ – الفتاوى ، ١٩١/١٩

٣ – من فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ، فيمن ذم ابن حجر – رحمه الله – وحط من قدره .[مجلة البحوث الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، العدد التاسع والخمسون ، ١٤٢٠ –١٤٢١هـ ، ص ٨٢].

ثانياً : تعـريف القرن

أ . تعريف القرن لغة :

قال ابن منظور : « القرن : أهل كل زمان ٠٠٠والقرن من الناس أهل زمان واحد ، والقرن الوقت من الزمان وقيل مطلق الزمان » [١]

وقال الزمخشري : «قرن : هو : قَرْنه في السن ، وقِرْنه في الحرب ، و القَرْن – بالفتح – مثلك في السن ، –وبالكسر– : مثلك في الشجاعة ، وهم أقرانه وهو قرينه في العلم والتجارة وغيرهما ٠٠٠» [٢]

وقال الزبيدي [٣]: « القرن زمن معين»[٤]

ويظهر مما سبق أن القرن في اللغة يطلق على أهل الزمان الواحد، وكذلك الأقران المتماثلون في أمر من الأمور ٠

ب . معنى القرن في القرآن الكريم:

---

١ – لسان العرب ، ١٣ / ٣٣٣-٣٣٤ ، مادة (قرن) ، وانظر: معجم مقاييس اللغة ، ٧٦/٥ مادة (قرن)

٢ – أساس البلاغة ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥

٣ – محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الزبيدي ، الملقب بمرتضى ، (أبو الفيض) لغوي ، نحوي ، أصولي ، محدث ، أصله من واسط في العراق ، ومولده في بلجرام في الشمال الغربي من الهند ، ومنشأه في زبيد باليمن ، ولد سنة ١١٤٥ وتوفي ١٢٠٥هـ ، (معجم المؤلفين ، ١١/ ٢٨٢)

٤ – تاج العروس محمد الزبيدي ، (بيروت : دار مكتبة الحياة) ، ٩ / ٣٠٥

وردت مادة (قرن) في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرة [1] ، منها قوله تعالى: ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ﴾ [ص: ٣ الآية]٠

وقوله تعالى: ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص ﴾ [ق : ٣٦ الآية] ٠

والقرن في الألفاظ القرآنية [2]: هم القوم المجتمعون في زمن واحد ، وجمعه قرون ٠

قال ﷻ: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا٠٠٠﴾ [يونس : ١٣ الآية]

وقال ﷻ: ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن٠٠٠﴾ [الأنعام: ٦ الآية]٠

والقرن هم[3]: « القوم المقترنون في زمن واحد ٠٠٠ ، والقرن أمة بعد أمة » ، قال ﷻ: ﴿ ٠٠٠وقروناً بين ذلك كثيراً ٠٠٠﴾ [الفرقان : ٣٨الآية]٠

وقال القرطبي في أحكام القرآن : « القرن : الأمة من الناس ، والجمع قرون ، فالقرن كل عالم في عصره ٠٠٠والقرن مدة من الزمن»[4] ٠

ويظهر مما سلف : أن القرن يطلق في القرآن الكريم، كما يطلق في اللغة ، على أهل الزمان الواحد ٠

---

١ – انظر : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد إسماعيل إبراهيم ، (القاهرة : دار الفكر العربي) ، ص ٤٢٣ ، و المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٦٩٨

٢ – المفردات في غريب القرآن ، ص ٤٠

٣ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤ /٢٦٠

٤– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٦ /٣٦٠ وانظر تفسير المنار محمد رشيد رضا ط٢ ، (بيروت : دار المعرفة ١٣٩٣هـ)، ٢٠٦/٧ ، والمصحف الميسر ، عبد الجليل عيسى ط٥ ، (القاهرة : دار الفكر ١٣٩١) ، ص١٦٣

ج . معنى القرن في السنة النبوية الشريفة[1]:

ورد القرن في السنة النبوية في عدد من المواضع وبألفاظ متعددة ومن هذه الأحاديث قوله _ ﷺ _ « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...» [2]

قال ابن حجر في فتح الباري : إن القرن هم « أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ، ويقال إن ذلك

١ – انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ٥/ ٣٧٠ ، مادة (قرن)

٢ – صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي ﷺ ، أو من رآه من المسلمين ، فهو من أصحابه ، ٦/٣ ، حديث رقم ٣٦٥٠

مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ، ويطلق على القرن مدة من الزمن»[1]

وقال ابن الأثير ، في جامع الأصول : « القرون جمع قرن وهو الأمة في عصر من الأعصار ، كلما انقضى عصر ، سمي أهله قرناً ، سواء طال أو قصر » [2]

وقال أيضاً ، في النهاية : القرن « أهل كل زمان ، و هو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان ، مأخوذ من الاقتران»[3]

تحديد القرن زمنياً :

تعددت أقوال العلماء في تحديد القرن زمنياً ، وتحديد مدته من السنين ، إلى أقوال عدة ؛ أشهرها ما يلي :

قيل : إنه متوسط أقدار أعمار أهل كل زمان ، وقيل : إن القرن ، عشر سنين ، وقيل عشرون ، وقيل ثلاثون ، وخمسون ، وستون ، وسبعون ، وثمانون ، وقيل مائة ، وقيل مائة وعشرون سنة [4] ٠ والذي عليه أغلب أهل العلم ، والمشهور ، أن القرن مائة سنة [5] ٠

١ – فتح الباري ، ٧ / ٥

٢ – جامع الأصول في أحاديث الرسول : المبارك محمد بن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، (مكتبة دار البيان ، ١٩٩٢م) ، ٨ /٥٤٧،٥٣٥

٣ – النهاية في غريب الحديث ، ٥ /٥١

٤ – انظر : تاج العروس ، ٩ /٣٠٥ ، ولسان العرب ١٣ /٣٣٣ ، والصحاح ٢١٨٠/٦ وفتح الباري لابن حجر ، ٧ /٦٠٥ ، والنهاية في غريب الحديث ، ٥١/٤ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : عبد الحق عطية ، ط١١، (الدوحة : دار العلوم ، ١٤٠٣) ، ٥ /١٢٩

٥ – انظر: تاج العروس ، ٩ /٣٠٥ ، ولسان العرب ، ١٣ /٣٣٣ ، وترتيب القاموس المحيط الطاهر أحمد الزاوي ، ط٢ ، (عيسى الحلبي) ، ٦٠٦/٣ ، وجامع الأصول ، ٨ / ٥٣٤ ، والمحرر الوجيز، ١٢٩/٥ ، و الجامع لأحكام القرآن ، ٦ /٣٩١

وعلى هذا يكون القرن الثامن الهجري ، مجال البحث في هذه الرسالة ، من سنة سبعمائة وواحد ، للهجرة النبوية الشريفة ، وحتى سنة ثمانمائة هجرية ، فأي عالم من علماء السلف ، يقع تاريخ وفاته بين هذين التاريخين ، وله ردود على الصوفية ، وفق خطة الرسالة ، سوف أورد جهوده وردوده القولية و العملية ، على الصوفية ، من خلال مؤلفاته ، أو المؤلفات الناقلة لها[١] .

ثالثاً . تعريف الصـوفية

أ- تعريف الصوفية[٢] لغة :

تعددت الآراء والأقوال ، عند الباحثين في الصوفية والتصوف، في أصل المصدر، الذي اشتقت منه هذه الكلمة، فمنهم من ربط هذا المصدر بالسلوك ، الذي ينتهجه الصوفية ، ومنهم من ربطه بالمعنى اللغوي ، وللوقوف على هذه الأقوال والآراء ، سأعرض فيما يلي أهم ما ذكر:

---

١ – وبهذا يكون ضابط جهود علماء السلف في هذا البحث :

١- أن تكون في القرن الثامن الهجري .

٢- أن تكون في الرد على الصوفية .

٣- أن تكون مثبته في أحد مؤلفاته ، أو أحد المؤلفات الناقلة عنه .

٢ – هناك بعض التعريفات للتصوف ، لم أذكرها خشية الإطالة ، منها أنه مشتق من : الصفاء ،والصف الأول ، و«سوف» اليونانية ، وصوفة القفا . انظر في ذلك : (تحقيق ماللهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة ، تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ط٣ ، عالم الكتب ١٤٠٣هـ ، ص٢٧ ، و التصوف منشؤة ومصطلحاته ، تأليف د: أسعد السحمراني ، ط١ لبنان : بيروت دار النفائس ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٥ ، و معجم المصطلحات الصوفية ، تأليف أنور أبي خزام فؤاد ، ط١ ، لبنان : مكتبة لبنان ١٩٩٣ ،ص ١١٠ ، باب الصاد)

أولاً : أنـها مشتقة من الصُّفة[1]:

نظراً لما تميز به أهل الصفة ، من زهد وعبادة ؛ فقد حاول بعض الصوفية وغيرهم ، رد أصل تسمية (الصوفية)، إلى (الصفة) بدعوى الشبه بينهما .

فقد قال السهر وردي [2] : « قيل سُموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ»[3] ، وليؤكد الشبه بين الفريقين يقول: «لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم متآلفين متحابين لله وفي الله كأصحاب الصفة » [4]

وقال الهجويري [5] في أصل هذه التسمية عند ما استعرض بعض الأقوال التي قيلت في ذلك : قالت طائفة :«إنهم سموا كذلك لأنهم يتولون أهل الصفة » [6]

١ – الصفة : هي الموضع الذي بني لإيواء ، جماعة من المسلمين ، بالمسجد النبوي الشريف ، الذين هاجروا من مكة المكرمة ، تاركين أموالهم وأهليهم، أو من الفقراء الذين لا يجدون ما يسدون به حاجتهم، وقد عُرف هؤلاء الصحابة المهاجرون بأهل الصفة ٠ (انظر الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ، ط١(لبنان: بيروت دار القلم ١٤٠٦) ص١٨٠ والتصوف منشؤه ومصطلحا ته ، ص١٥

٢ – هو: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بن سعد الصديقي البكري ضياء الدين أبو النجيب السهروردي من أئمة المتصوفين ولد سنة ٤٩٠هـ بسهر ورد وسكن بغداد ، وتوفي فيها سنة ٥٦٣هـ ، (الطبقات الكبرى تأليف أبي المواهب عبد الوهاب المعروف بالشعراني ، دار الفكر للكباعة والنشر والتوزيع ، ١/١٤٠ و الأعلام ، ٤/٤٩)

٣ –عوارف المعارف تأليف عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، ط٢، (بيروت : دار الكتاب العربي ، سنة ١٤٠٣هـ) ، ص٦١.

٤ – المرجع نفسه ، ص٦١

٥ –هو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الجلابي الحسيني الهجويري الغزنوي صوفي حنفي من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري عاصر الدولة الغزنوية ، توفي سنة ٤٦٥هـ على أرجح الأقوال . (انظر ترجمته في : كشف المحجوب للهجويري دراسة وتعليق الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل ، راجع الترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، بيروت :دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٠ ص٧)

٦ –كشف المحجوب ، ص٢٢٧ .

وقد قال آخرون :« إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ » (١)

المناقشة :

يلحظ المتأمل لحال أهل الصفة ،أن هناك تشابهاً في الظاهر ، بين ما كانوا عليه وبين الصوفية ، ولا يستطيع التفريق بينهما إلا من عرف حال هؤلاء وهؤلاء ، ودوافع كل منهما في فعله ، ومع ذلك فإن نسبة (الصوفية) إلى (الصفة) ، ليست قوية عند المناقشة؛ لأن كثيراً من العلماء والباحثين وجماعة من أهل التصوف ، ردوا هذه النسبة ولم يؤيدوها ، لعدم صحتها من حيث الاشتقاق اللغوي ٠

قال الهجويري : « ... هذا الاسم . أي التصوف . على مقتضى اللغة بعيد عن هذه المعاني » (٢)

التي منها النسبة إلى الصفة ، فهو إذاً لا يرى هذه التسمية صحيحة من حيث اللغة ؛ « لأن اشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة » (٣).

وقال السهر وردي (٤) ، و القشيري(٥) (٦) ، بمثل ذلك٠

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه _ رحمه الله _ أن هذه النسبة غير صحيحة، وذلك حين قال : «وأما من قال هم نسبة إلى الصفة فقد كان حقه أن يقال

١ –التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، ط١، (لبنان :بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ) ، ص١٠

٢ –كشف المحجوب ، ص٢٢٧

٣ – المرجع السابق ، ص٢٣٠

٤ – عوارف المعارف ، ص٦١ .

٥ –هو: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستوائي الإمام أبو قاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام ، ولد سنة ٣٧٦هـ نشأ يتيماً وظهرت عليه النجابة منذ الصغر ، توفي سنة ٤٦٥هـ ، في نيسابور ٠ (انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ،أو طبقات المناوي الكبرى ، تأليف عبد الرؤوف المناوي ، حققها وقدم لها وعلق حواشيها ، د : عبد الحميد صالح حمدان ، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٩٩٤م ، ١/ ٦٢٩ ، والرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف عبد الكريم القشيري تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي ، ط٢، بيروت :دار الجيل سنة ١٤١٠هـ ، ص٥) .

٦ –الرسالة القشيرية ، ص٢٧٩ .

صفّية » [1]

هذا عن القول بنسبتهم إلى الصفة فالواضح أنه لا يستقيم من هذا الوجه ؛ من حيث اللغة ، فهو إذن مردود.

ثانياً : أنها مشتقة من صوفة :

صوفة: قوم في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج، وحكي أنهم أفناء القبائل تجمعوا مع بعضهم حتى أصبحوا متشابكين كالصوف[2] .

«والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت . الحرام . وهم الصوفانة» [3] .

يقول ابن الجوزي[4] في هذه النسبة : « كانت النسبة في زمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقاً تخلقوا بها ، ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفه ... فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية»[5].

١ – الفتاوى ، ٣٦٨/١٠

٢ – انظر : معجم المقاييس في اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، ط٢ ، (بيروت : دار الفكر ١٤١٨ هـ) ، ص ٥٨١ ، باب (الصاد)

٣ – لسان العرب ، ١٩٩/٩ ، مادة (صوف)

٤ – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي البكري البغدادي يرجع نسبه لأبي بكر الصديق . رضي الله عنه . عرف بابن الجوزي حافظ مفسر فقيه وأديب ولد سنة ٥٠٨أو ٥١٠هـ على أرجح الأقوال كانت ولادته ببغداد وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ له عدد كبير من المؤلفات . (المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد تأليف : الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح تحقيق د : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط١(الرياض : مكتبة الرشد ١٤١٠هـ) ٩٣/٢)

٥ – تلبيس إبليس لابن الجوزي ،(طبعة دار الجيل)ص٢٢٣

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . عندما تكلم عن نسبة التصوف : « وقيل نسبة إلى صوفه بن بشر بن أد بن طابخة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ، ينسب إليهم النساك ...» [1].

المناقشة :

القول إن التصوف ، مشتق من صوفه ، لا يعدو أن يكون كسابقه ، من حيث ضعفه ، وعدم كفاية الأدلة على الأخذ به، بل إن الأدلة تشير إلى رده ، وعدم صحته ؛لأن « ... هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين ، عند أكثر النساك ؛ ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء، لكان هذا النسب في زمن الصحابة ، والتابعين وتابعيهم أولى »[2] .

ولهذا فإن « احتمال أخذ التسمية ، من هذا القبيل ضعيف ومردود ، فصوفه خدم الكعبة في الجاهلية ، لم يكونوا مشهورين ومعروفين » [3] .

ثالثاً أنها مشتقة من الصوف :

« الصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبل والجمع أصواف » [4] « ويقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف ، كل هذا أن يكون كثير الصوف»[5] ولإثبات هذه النسبة للصوفية وضع السراج

١- الفتاوى ، ١١ /٦

٢ – الفتاوى ، ١١ /١٦

٣ – التصوف منشؤه ومصطلحاته ، ص١٧

٤ – لسان العرب ، ١٩٩/٩ ، باب (الفاء) ، وانظر : القاموس المحيط ، ص ١٠٧٢ باب (الفاء)

٥ – معجم المقاييس في اللغة ، ص ٥٨١ ، باب (الصاد)

الطوسي[1] فصلاً في كتابه اللمع بعنوان : باب الكشف عن اسم الصوفية ، ولِمَ سموا بهذا الاسم ، ولِمَ نسبوا إلى هذه اللبسة ...ويجيب عن هذا قائلاً : «لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، ...فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال ولا أضفتهم إلى علم دون علم».وينتهي إلى تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى «ظاهر اللبسة لأن لبسه الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء » [2] . حتى قال : « فكذلك الصوفية عندي والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللباس » [3].

و يذكر الكلاباذي[4] قول من قال :« إنما سموا صوفية للبسهم الصوف » [5] ثم يعقب بقوله :« ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية»[6]

وقال :الهجويري إن جماعة قالت :« إن الصوفي يسمى بالصوفي؛ لأنه يلبس ثياب الصوف » [7]

وأما السهر وردي فيؤيد هذه النسبة بقوله : « كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وراحتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف هممهم إلى أمر الآخرة » ثم يؤكد أن هذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ؛لأنه يقال: «تصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال تقمص إذا لبس

---

١ – أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي ، الزاهد شيخ الصوفية ، وصاحب كتاب اللمع في التصوف ، كان علة طريقة أهل السنة ، توفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هجرية ، (شذرات الذهب ، ٩١/٣) .

٢ –اللمع في التصوف تأليف أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، (مصر :دار الكتب الحديثة ، طبعة ١٣٨٠هـ)ص٤٠– ٤١

٣ – المرجع السابق ص ٤١

٤ – أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ، المتوفى سنة ٣٨٠هـ (التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٣)

٥ –التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٩

٦ –التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص١٢

٧– كشف المحجوب ، ص٢٢٧

القميص»[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :« والنسبة في الصوفية إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد » [٢]
والصوفي :« من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف ، وأشهر الآراء أنه سمي بذلك ؛لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً»[٣]

المناقشـة :

« الدلائل تشير إلى أن أقرب الفروض إلى الصحة هو فرض نسبة التصوف إلى الصوف باعتباره شارة دالة في وقت معين على منهج خاص»[٤].

وهذا ما أراه واختاره ، من تعريفات الصوفية والتصوف ؛ لأنه يوافق المعنى اللغوي وكذلك يعبر عن ظاهر الصوفية للبسهم الصوف ، والله تعالى أعلم .

ب – التصوف في القرآن الكريم ، والسنة النبوية :

لم ترد كلمة (التصوف) في القرآن الكريم ، ولا في السنة النبوية ؛ بل الوارد فيهما كلمة الصوف ، كما قال ﷻ: ﴿٠٠٠ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ [النحل : ٨٠ الآية]

---

١ – عوارف المعارف ، ص٦٠

٢ – الفتاوى ، ١٠ /٣٦٨ وانظر مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤١٣) ص٣٨١

٣ – المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفي وآخرون ، ط٢(تركيا : استنبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٢ هـ) ، ص٥٢٩، مادة (صاف)

٤ –التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً د / محمد كمال جعفر (الإسكندرية دار المعرفة الجامعية طبعة ١٩٨٠م) ،ص٤

وكذلك في السنة ، لم ترد الكلمة – فيما وقفت عليه – إلا بمعنى الصوف المعروف[١].

١ – انظر مثلاً: صحيح البخاري كتاب اللباس ٤/٥٦ حديث رقم ٥٧٩٩

ج . تعريف التصوف اصطلاحاً:

مع كثرة أقوال الباحثين في التصوف ، فإنك لا تصل إلى تعريف جامع مانع للتصوف ، ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة ، بالرغم من وجود أكثر من ألف تعريف للتصوف[١] ، وممن عرفه من الصوفية :

معروف الكرخي[٢] : (ت٢٠٠هـ)، إذ قال : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق »[٣]

وقال بشربن الحارث[٤] (ت٢٢٧هـ):«الصوفي من صفا قلبه لله »[٥]

وقال الجنيد[٦] (ت٢٩٨هـ)عندما سئل عن التصوف قال : « إن تكون مع الله بلا علاقة »[٧]

وقال الحصري [٨](ت٣٧١هـ) : « الصوفي هو الذي لا تقله أرض ولا تظله سماء » [٩]

١ – عوارف المعارف ، ص٥٤

٢ – أبو محفوظ : معروف بن فيروز الكرخي توفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ (طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ، ط٢ ، سوريا : حلب دار الكتاب النفيس ١٤٠٦هـ ، ص ٨٣ ، وحلية الأولياء ٣٦٠/٨ ، وطبقات الشعراني ، ٧٢/١)

٣ – عوارف المعارف ، (مكتبة القاهرة ١٣٩٣) ص٥٤ ، والرسالة القشيرية ، ص ٢٨٠

٤ – هو بشر بن الحارث الحافي يكني أبا نصر ولد في بغداد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ ، (انظر : صفوة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي ، ضبطها وكتب هوامشها : إبراهيم رمضان و سعيد اللحام ،(بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٩ م) ، ٢١٤/٢ والطبقات الكبرى لابن سعد، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠ م ، ٢٤٦/٧)٠

٥ – التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص٩ وانظر التعريفات للجرجاني (بيروت : مكتبة لبنان١٩٩٠) ، ص٦١.

٦ – أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزّاز ، أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق ، كان فقيهاً ، من أئمة القوم وساداتهم ، أسند الحديث ، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين هجرية٠(طبقات الصوفية ، ص ١٥٥-١٥٦)

٧ – الرسالة القشيرية ، ص ٢٨٠

٨ – أبو الحسن علي بن إبراهيم ، بصري الأصل سكن بغداد مات ببغداد سنة ٣٧١هـ٠ (طبقات الصوفية ، ص٤٨٩)

٩ – اللمع ، ص ٤٨ ، والمقصود بقوله : إن الله هو الذي يقله بالأرض ويظله بالسماء لا السماء ولا الأرض ، وإن كان فوق الأرض وتحت السماء ٠

وقد عرف ابن الجوزي التصوف بأنه:« طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام ، لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب »[١]

وعرفه ابن خلدون[٢] فقال:هو « العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد للخلوة في العبادة » [٣] .

وعُرف التصوف اصطلاحاً أنه :« طريقة سلوكية ، قوامها التقشف ، والتحلي بالفضائل ، لتزكو النفس ، وتسموا الروح »[٤].

وكما عُرف بأنه : « حركة بدأت زهداً وورعاً، ثم تطورت فأصبحت نظاماً شديداً في العبادة ، ثم استقرت اتجاهاً نفسياً وعقلياً، بعيداً عن مجراها الأول ، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة »[٥]

ولا يمكن ترجيح أي من التعاريف الاصطلاحية للتصوف عند الصوفية ؛لأنها تعاريف يكتنفها الغموض وتطغى عليها الإشارات والعبارات العامة ، غير الدقيقة ؛ ولأن « هذه التعريفات لم يقصد الصوفية بها تعريف التصوف تعريفاً علمياً شاملاً ،يستوعب كل صوره ؛ بل قصدوا بها التعبير عن أحوالهم

١ – تلبيس إبليس ، ص ٢٢٣ ، وانظر: الموسوعة العربية العالمية الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط١(الرياض) ٢٠١/١٥ ، وانظر: دائرة المعارف تأليف : بطرس البستاني ، (لبنان : بيروت ، دار المعرفة) ١ /٦٦ ، و التصوف بين الحق والخلق للشيخ محمد فهر شقفة ، ط٣، (الدار السلفية للنشر والتوزيع)، ص٧

٢ – عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، من ولد وائل بن حجر ، الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من إشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس ، ولد سنة ٧٣٢ ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ . (الأعلام ، ٣/ ٣٣٠)

٣ – المقدمة ، ص٣٨١، قلت : ويتبين من تعريف ابن خلدون ، أنه ينطبق على التصوف في مراحله الأولى ، التي لم تصل فيها الانحرافات ، إلى ما وصلت إليه في العصور المتأخرة.

٤ – المعجم الوسيط ، ١ /٥٢٩

٥ – تاريخ الفكر العربي ، د:عمر فروخ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٢هـ) ص٤٧٠

الخاصة ، في لحظة معينة محدودة ، فهي تعبر عن مواجدهم وأحوالهم ومقاماتهم، التي يتدرجون فيها»[١]، «فكل واحد منهم عبر عما وجد ونطق بحسب مقامه »[٢]

أما تعاريف التصوف عند غير الصوفية ؛ فهي تعاريف متقاربة في المضمون ، إلا أن تعاريف المتأخرين ، يظهر فيها بيان لانحرافات الصوفية، بخلاف التعاريف المتقدمة في الزمن ، والتي تبين التصوف في بداياته الأولى ، قبل أن ينحرف في مسائل الاعتقاد ٠

ومع ذلك يمكن التفريق بين الصوفية ، المنحرفين في مسائل الاعتقاد ، والذين لم ينحرفوا ، وحتى يتبين من هم ، المقصودون بالرد والمناقشة ؛ لأن من الصوفية ، من هو محسن ، ومن هو مسيء ، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام بقوله :

«والصواب إنهم مجتهدون –أي الصوفية – في طاعة الله ، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين ، وفي كل الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ٠

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه ، عاص لربه ، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة [٣]٠٠٠» [٤]

ولهذا فإن المقصودين بالرد والمناقشة هم : الصوفية ؛ أهل الأهواء[٥] ، والبدع والزندقة ؛ المخالفون لمنهج السلف ، وهم الذين عناهم

١ – نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، د: عرفان عبد الحميد فتاح ط١(بيروت دار الجيل، ١٤١٣هـ) ص١٣٤

٢ – شفاء السائل لتهذيب المسائل ، ابن خلدون ، تحقيق ودراسة محمد بن تاويت الطنجي ، (اسطنبول ، ١٩٥٧) ، ص٨٨

٣ – الزنديق : هو المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، سواء كان ما يبطنه ديناً آخر غير الإسلام ، أو جحوداً للصانع تعالى ، أو المعاد أو الأعمال الصالحة ٠(الفتاوى ٤٧١/٧و٥٥٥/٢٨ ، وموسوعة فقه ابن تيمية تأليف د: محمد رواس قلعه جي ، ط١ ، لبنان : بيروت دار النفائس ، ١٤١٩ هـ ، ٢/ ٧٦٨)

٤ – الفتاوى ، ١٨/١١

٥ – الأهواء : جمع هوى وهو السقوط ، والميل عن الحق ، والميل إلى رغبة النفس وشهواتها ، واستحواذ الشياطين ، والحيرة ، والضلال والفجور والظلم ، والهوى يعمي العين عن النظر ويصم الأذن عن استماع العدل ٠ وفي الشرع : ميل

شيخ الإسلام ٠

أولاً . حالة الأمة في القرن الثامن الهجري من الناحية السياسية :

الأمة الإسلامية ،كغيرها من الأمم ، يحفل تاريخها بأحداث جسام وتطورات عظيمة ، وغالباً ما تكون هذه الأحداث والتطورات ، هي التي تبين حال الأمة من ضعف وقوة ؛ لأن هذه الأحداث مرتبطة بالحالة السياسية التي تعيشها الأمة في أية فترة ، ولهذا قد تحدث بعض الأحداث الكبيرة و المؤثرة ، في فترة من الفترات ، يمتد أثرها إلى أجيال عديدة ، وحقب مديدة ، ولا تكتمل الصورة بأبعادها المختلفة إلا بالإشارة لها ، وهذا ما ينطبق على حال الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري ، إذ حدثت لها وقائع جسيمة ، في النصف الأخير من القرن السابع، استمرت أثارها بارزة على كيان الأمة ، حتى القرن الثامن الهجري ، وقبل بيان تلك الأحداث الأليمة ، سأذكر

النفس إلى ما ترغبه ، وميل القلب إلى ما يحبه ، إذا خرج ذلك عن حد الشرع والاعتدال ، ويكون ذلك في الشهوات والعقائد والآراء والمذاهب ، فما خرج عن الكتاب والسنة ، فهو هوى ، ويسمى صاحبه : صاحب هوى قال تعالى ﴿ ٠٠٠وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ٠٠٠ ﴾ [الأنعام : ١١٩] وقال تعالى ﴿ ٠٠٠ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله٠٠٠ ﴾ [القصص: ٥٠] ، انظر : (كتاب حسن السلوك الحافظ دولة الملوك تأليف الشيخ الإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ، دراسة وتحقيق وتعليق : المستشار الدكتور : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط١، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٦هـ ، ص ١٣٣، مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، ص ٢٢)

الخلفاء والحكام في البلاد الإسلامية ، وأوضاعها الداخلية ، خلال هذه الحقبة من الزمن :

١-الخلفاء والسلاطين والحكام في العالم الإسلامي خلال هذا القرن:

تولى الخلافة خلال هذا القرن خمسة خلفاء من بني العباس هم : المستكفي بالله أبو الربيع سليمان انتهى حكمه في سنة ٧٤٠هـ ، والواثق بأمر الله ، وانتهى حكمة في العام نفسه، والحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي من ٧٤٠ إلى ٧٥٣هـ ، والمعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر المستكفي من ٧٥٣ إلى ٧٦٣هـ ، وأخيراً المتوكل على

الله أبو عبد الله محمد من ٧٦٣إلى ٧٨٤هـ (١)

وأما باقي البلاد الإسلامية ، فكان ولاتها على النحو التالي:

أ- الديار المصرية والبلاد الشامية :

كانت بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس ، حتى خلع سنة ٧٠٩هـ ، ثم عاد إلى السلطة ؛ السلطان الملك الناصر محمد قلاوون ، واستمر فيها ، حتى توفي ٧٤٢هـ ، ثم تولاها المظفر أمير حاجي بن الناصر محمد قلاوون إلى سنة ٧٤٨هـ ، ثم بويع أخوه السلطان الناصر حسن في العام نفسه ، وأما الظاهر برقوق فقد حكمها حتى خلع سنة ٧٩١هـ ، وتولى بعده الملك منصور حاجي بن الأشرف (٢).

---

١ – تاريخ المماليك البحرية ، تأليف د: علي إبراهيم حسن ، ط٣ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م) ، ص ٢٤٦- ٢٤٧

٢ – انظر البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير ، اعتنى بها عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون ، ط٣ ، (لبنان : بيروت دار المعرفة ، ١٤١٨هـ) ، ١٤/ ٦١٣،٦٤٩ ، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة ، للقلقشندي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط١ ، (بيروت : دار عالم الكتب ، ١٩٦٤ م) ، ٢/ ١٣٥ و١٩٤

ب- مكـة المكرمة :

كانت مكة المكرمة ، خلال القرن الثامن ، بيد الشريف أبي نميّ وقد اضطربت الأوضاع بها ، بعد وفاة الشريف أبي نمي ، ولم ينحصر النزاع حول إمارة مكة على أبناء الشريف أبي نمي ، بل تعداهم إلى أولاد عمهم ، وقد أتاح هذا الصراع بين أشراف مكة ،الفرصة لدولة المماليك أن تتدخل في شؤون مكة لأول مرة ، فصارت دولة المماليك تتدخل في توليه إمارة مكة لمن تريد ، من أولاد الشريف أبي نمي[١] ، واستمر الصراع بين الأشراف ، على إمارة مكة المكرمة، حتى آلت سلطتها إلى أبناء عجلان ، وذلك قبيل نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري[٢].

ج - المدينـة المنورة :

كانت بيد جماز بن شيحة ، حتى عمي ومات سنة ٧٠٥هـ، ثم تولاها من بعده ابنه منصور بن جماز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم نشب بينهما صراع طويل ، فكل منهما يريد الاستئثار بالسلطة ، ونتيجة لذلك الصراع ، قام كبيشة بن منصور، بقتل عمه مقبل ، واستمر الصراع إلى أن أوشك القرن الثامن على الانتهاء ، فكانت إمارة المدينة المنورة بيد نعير بن منصور بن جماز ثم قُتل ، فوثب جماز بن هبة على إمارة المدينة واستولى عليها ، فعزله السلطان وولى مكانه ثابت بن نعير فبقي إلى آخر سنة أربع وثمان مائة[٣] .

١ – انظر : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، د: ريتشارد موتيل ، (الرياض : الناشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ) ، ص ٦٥ ، ٦٧

٢ –انظر : البداية والنهاية ، ١٤/ ٤٢٩ ، ومآثر الأنافة ٢/ ١٣٦ ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ) ، ١/١٧٩-١٨٠

٣ – انظر : مآثر الأنافة ، ٢/١٣٧و١٤٧و١٨٥

د– اليمـن [1]:

كانت تحت حكم بني رسول ، وينتهي نسب آل رسول إلى محمد بن هارون ، أحد وزراء الأيوبيين بمصر ، وأول سلطان للرسوليين باليمن هو: المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، مؤسس الدولة الرسولية بتعز ، وقد كان حكام دولة بني رسول ، خلال القرن الثامن الهجري :

١- المؤيد داؤود بن يوسف ٦٩٦–٧٢١هـ

٢- المجاهد علي بن المؤيد ٧٢١ – ٧٦٤هـ

٣- الأفضل العباس بن مجاهد ٧٦٤– ٧٧٨هـ

٤- الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس ٧٧٨– ٨٠٣هـ

واستمرت دولة بني رسول في حكم اليمن ، إلى أن استولى عليها بنو طاهر [2] .

هـ . تونس [3] وأفريقية [4]:

كانت تونس وأفريقية ، بيد أبي عصيدة محمد، وبجاية[5] من الغرب الأوسط بيد أبي البقاء خالد بن أبي زكريا ، فمات أبو عصيدة في ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة ، ولم يخلّف أبناء ، فبايع أهل تونس من

---

١ – تقع في جنوب غرب جزيرة العرب ، في القارة الآسيوية ، وتتحكم في المداخل الشرقية لمضيق باب المندب ، من ناحية البحر الأحمر . (المعجم الجغرافي لدول العالم ، هزاع عيد الشمري ، ط٣ ، الرياض : دار أمية للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ ، ص ٤٨٩)

٢– انظر : مآثر الأنافة ، ٢/ ١٤١–١٤٢ ، والبرق اليماني في الفتح العثماني ، تأليف قطب الدين محمد بن أحمد المكي ، أشرف على طبعة حمد الجاسر ، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٧٨هـ) ، ص ١٦ ، واليمن عبر التاريخ ، بقلم أحمد حسن شرف الدين ، ط٣ (القاهرة ، ١٤٠٠هـ)، ص ٢٢٥، ٢٣٠

٣– تونس : تقع في شمال أفريقيا ، وتحد بالبحر الأبيض المتوسط من الشمال والشرق ، والجزائر غرباً ، وليبيا جنوباً ، وهي أصغر بلدان العالم العربي في الشمال الأفريقي ، إذ تبلغ مساحتها ٦٣٤٠٢أميال مربعة ، ويتبعها عدد من الجزر أهمها : جربة ، عُمرت من أنقاض مدينة كبيرة ، قديمة بالقرب منها ، يقال لها قرطاجنه .(المعجم الجغرافي لدول العالم ، ص ٢٠٠، وانظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تحقيق فريد الجندي ، (لبنان : بيروت دار الكتب العلمية ، ٢/٧٠) .

٤ – انظر : معجم البلدان ١/٢٧٠

٥ – مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، كان أول من اختطها الناصر بن علناس ، كانت قديماً ميناء فقط ثم بنيت المدينة ، وهي في لحف جبل شاهق ، وتسمى الناصرة أيضاً باسم بانيها (انظر : معجم البلدان ١/ ٤٠٣)

بعده أبا بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، فزحف أبو البقاء خالد ، صاحب بجاية ، على أبي بكر بن عبد الرحمن صاحب تونس فقبض عليه واعتقله، ثم قتله بعد ذلك ، فعرف بأبي بكر الشهيد ، واستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما ، وتلقب الناصر لدين الله(١)

و . غرناطة(٢):

كانت في القرن الثامن الهجري تحت حكم بني الأحمر ،وقد أسس هذه المملكة ، محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر ، وقد أنشأ السلطان محمد بن يوسف مملكته ، بعد انهيار سلطان الموحدين، فقد كافح ، كفاحاً بالغاً ، في سبيل تأسيس مملكته ، واستتباب الأمن في ربوعها (٣) ، وكغيرها من الممالك الإسلامية ، لم تخل هذه المملكة من الصراع على السلطة ، ففي سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، تقاتل بنوا الأحمر على السلطة ، فقُتل بعضهم ، وأساء بعضهم السيرة في الرعية والجند(٤) .

وقد تولى حكم هذه المملكة في القرن الثامن الهجري (٥):

١- السلطان أبو عبد الله محمد ٧٠١- ٧٠٨هـ

٢- نصر أبو الجيوش بن محمد بن يوسف ٧٠٨- ٧١٣هـ

٣- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ٧١٣- ٧٢٢هـ

٤- السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ٧٢٢- ٧٢٥هـ

٥- محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ٧٢٥- ٧٣٣هـ

---

١ – انظر: مآثر الأنافة ٢/ ١٤١-١٤٢

٢ – غرناطة : الصحيح ، أغرناطة ، ومعناها : رمانه بلسان عجم الأندلس ، سمي البلد لحسنه ، وهي من أعمال الأندلس ، وأعظم مدنها ، وأحسنها وأحصنها – وتتبع الآن مملكة أسبانيا- (انظر : معجم البلدان ٤/٢٢١)

٣ – انظر : اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، لسان الدين الخطيب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، (القاهرة : المطبعة السلفية ، ومكتبتها ، ١٣٤٧ هـ) ص ٢٠ والإحاطة في أخبارغرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ،تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط٢ (القاهرة : الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٣٩٣هـ) ١/ ١٤٠

٤ – انظر : مآثر الأنافة ٢/ ١٣٨- ١٤٧، ١٨٥

٥ – انظر : اللمحة البدرية ص٢٢١-٢٣ والإحاطة في أخبار غرناطة ١١٩/١

٦- يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ٧٣٤- ٧٥٥هـ

٧- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ٧٥٥- ٧٩٣هـ ٠

٢. دولــة المماليك [١]:

بعد اجتياح المغول لبغداد ، وسقوط الخلافة الإسلامية سنة ٦٥٦هـ ، انتقل الثقل السياسي للدولة الإسلامية ، إلى مصر وعندما حل مطلع القرن الثامن الهجري ، كان حكم مصر لا يزال بيد دولة المماليك [٢]، وكان سلطان المماليك ، السلطان الناصر محمد قلاوون في ولايته الثانية ، التي امتدت من سنة ٦٩٨-٧٠٨هـ ، ونتيجة لتشديد الخناق عليه من قبل بعض الأمراء ، أصحاب النفوذ في الدولة [٣] ، انتهى الأمر بعزله وزوال سلطنته الثانية ، إلا أنه عاد في سنة ٧٠٩هـ، وتولى السلطة حتى عام ٧٤١ هـ[٤] ، وكان أول ما فعله عقب تسلمه زمام الملك ، التخلص من المتآمرين عليه من الأمراء [٥] ، وتعتبر سلطنة الناصر الثالثة ،الفترة التي حكم فيها بنفسه ، وتخلص من أعدائه ، وازداد تعلق الشعب به ، وتعد هذه الفترة ، من أزهى عصور مصر ، فقد كانت القاهرة حاضرة لدولة شاسعة متحدة ، امتد سلطانها من بلاد برقة [٦] غرباً إلى ساحل البحر الأحمر شرقاً

١ – هم : مماليك أتراك ، لبني أيوب ، سكنوا في قلعة الروضة ، وسموا المماليك البحرية ، وكانوا دون الألف مملوك ، (انظر : كتاب المواعظ واعتبار بذكر الخطط و الآثار ؛ المعروف بالخطط المقريزية ، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد المقريزي ، بيروت : دار صادر ،٢/٢٣٢، ٢٣٦)

٢ –انظر : أخبار الدول وآثار الأول ، تأليف العالم أبي العباس أحمد بن يوسف الشهير بالقرافي ، (بيروت : عالم الكتب ، بدون تاريخ طبع) ، ص٢٠٢

٣ – هما: الأمير سيف الدين سلار ، وبيبرس الجاشنكيري ، (انظر البداية والنهاية ١٤/ ٤٦٦ ، وتاريخ الممالك البحرية، ص١٠٤

٤ – انظر : تاريخ الممالك البحرية ، ص٨٨

٥ – انظر: البداية والنهاية ٤٦٦/١٤ ، وتاريخ الممالك البحرية ص١٠٤

٦ – اسم صقع كبير ؛ يشتمل على مدن وقرى ، بين الإسكندرية ، و إفريقية (انظر: معجم البلدان ١/ ٤٦٢) ٠

، ومن أسيا الصغرى[١] شمالاً ، إلى بلاد النوبة[٢] جنوباً ، وبسطت نفوذها على بلاد اليمن والحجاز[٣] ، وفي عهده تم القضاء على المغول في معركة مرج الصفر القريبة من دمشق سنة ٧٠٢هـ [٤].

وبعد وفاة الناصر سنة ٧٤١هـ ، دخلت دولة المماليك البحرية في طور جديد من نظم الحكم ، وذلك بسبب كثرة عدد السلاطين ، الذين اعتلوا العرش وصغر سنهم [٥]، وبسبب ظهور نفوذ الأتابكة[٦] بشكل جلي ، واشتداد التنافس بين الأمراء على النفوذ ، وجعلهم ألعوبة في أيديهم ، يعزلونه أو يبقونه على العرش حسب مشيئتهم ، وكان مصير أولئك السلاطين الخلع ثم النفي أو القتل ، وبذلك ضعفت دولة المماليك ، واضطربت أحوالها ، وكثرت الفتن والقلاقل في جميع أرجائها، وقد بلغ عدد أولئك السلاطين الذين تولوا العرش بعد وفاة الناصر محمد ، إلى نهاية دولة المماليك البحرية ، اثني عشر سلطاناً ، ثمانية من أولاد الناصر وأربعة من أحفاده [٧] ، وقد تدهورت السلطنة المملوكية ، في عصرهم تدهوراً كبيراً ، وازداد انحلال السلطة المملوكية ، نتيجة تولي سلاطين ، صغار السن لم يتجاوز بعضهم الحادية عشر من العمر ، وبذلك انتهت دولة المماليك البحرية ، وجاءت مكانها دولة

---

١ – آسيا الصغرى : شبه جزيرة جبلية ، في غربي آسيا على البحر المتوسط ، يحيط بها بحر إيجة ، والدردنيل ، وبحر مرمرة ، والبوسفور ، وتشمل معظم الأراضي التركية الآسيوية ، وتعرف بالأناضول .(المعجم الجغرافي لدول العالم ، ص ١٧٤، والمنجد في اللغة والأعلام ، ط٣٣ ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٩٢ م ، ص ٥٠)

٢ – النوبة : منطقة صحراوية تمتد شمالي السودان في حوض النيل بين الخرطوم وأسوان. (المنجد في الأعلام ، ص٥٧٨)

٣ – انظر : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٦٧

٤ – انظر : تاريخ المماليك البحرية ، ص١٠٣–١٠٥

٥ – انظر : المماليك ، تأليف د: السيد الباز العريني (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٩) ص٢٦٧

٦ – الأتابكية : ويعبر عن صاحبها بأتابك العسكر ، وأصلة (أطابك) ؛ ومعناه (الوليد الأمير) ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة ، وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، حين فوض إليه ملكشاه ، تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة ، وقيل : (أطابك) معناه ؛ (أمير أب) والمراد (أبو الأمراء) ، وهو أكبر الأمراء ، المقدمين بعد النائب الكامل ، وليس له صفة ترجع إلى حكم أو نهي ، وغايته رفعة المحل وعلو المقام .(صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلق عليه وقارن نصوصه : محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ) ، ١٨/٤

٧ – تاريخ الممالك البحرية ، ص١٢٠ –١٢٦

المماليك البرجية [١]، وأبرز مظاهر هذه الدولة ، الاضطراب الداخلي الذي ساء في عصرها ، لأن سلاطين هذه الدولة وصلوا إلى السلطة بعد فتنة وانقلاب سياسي ، فطبع عصرهم ، بطابع الفتن والثورات التي كانت تقوم بين الحين والآخر ، إلى أن تم سقوطها على يد الدولة العثمانية في سنة ٩٢٣هـ [٢]

٣. الصراع الداخـلي :

تميز القرن السابع والثامن الهجريان ، بصراعات داخلية بين المسلمين ، كان لها أثار سيئة على الاستقرار السياسي للدولة الإسلامية ، فخلال الفترة من عام ٦٤٨ إلى عام ٧٩٢ للهجرة التي هي عمر دولة المماليك البحرية تولى السلطة فيها ما يقارب الثلاثين من الحكام ، ثلثهم قتلوا ، وثلثهم خلعوا ، والثلث الباقي عزلوا ، أو بقوا على سلطتهم حتى ماتوا [٣] ، ولم يقتصر الصراع على السلطة ، على دولة المماليك ، وإنما امتد إلى بقية مناطق المسلمين ، ففي هذا القرن شهدت مكة

المكرمة، صراعاً مستمراً على السلطة، بين الأشراف أنفسهم ، وأصبح كل واحد منهم يخطب ود دولة المماليك ، لنصرته على خصومه، مما جعل دولة المماليك تبسط سلطتها على مكة المكرمة [٤] ، وكذلك كان الحال في معظم البلاد الإسلامية ، كما مر بيانه .

٤- الحـروب الصليبية :

هجمة شرسة من الغرب تعرضت لها الأمة استمرت ما يزيد على

---

١ – لأن أفرادها سكنوا أبراج القلعة لتمييزها عن دولة المماليك البحرية الذين أقاموا بجزيرة الروضة بالنيل .

٢ – انظر : تاريخ المماليك البحرية ص١٣٧و البرق اليمان في الفتح العثماني ، ص٧

٣ – انظر : البداية والنهاية ٦٤٩/١٤ و التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ، محمد شاكر، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي) ، ص ٣٥-٣٦ ، ومأثر الأنافة ، ص ١٣٥

٤ – انظر : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٦٥، ٦٧

قرنين من الزمن ، من عام ٤٩٠ إلى عام ٧٠٢هجري [١] ؛ لأسباب عديدة ، فهناك من جعل دافع تلك الحروب الحالة الاقتصادية في أوربا ، واعتقاد الأوربيين أن البلاد الإسلامية هي بلاد الذهب والثراء [٢] ، وهناك من جعل أسبابها ، تخليص النصارى _ حسب زعمهم _ من سوء معاملة المسلمين ، وتخليص بيت المقدس من الحكم الإسلامي ، ولهذه الأسباب وغيرها ، انتهز البابا [٣] هذه الفرصة ، ودعا ملوك أوربا إلى غزو العالم الإسلامي ، وعلى أثر ذلك بدأت الحملات الصليبية ، والتي كان من آثارها الاستيلاء على عديد من ديار المسلمين ، ومن ضمنها بيت المقدس ، وعاثوا فيها فساداً وسفكوا فيها الدماء الكثيرة ، وغنموا الأموال الطائلة[٤] ، ولم يدم الحال للنصارى طويلاً ؛ لأن هذه الحروب قد أثرت على المسلمين تأثيراً بالغاً ،ومع ذلك فقد توحدت الصفوف واستعدت الجيوش ، و استيقظ المسلمون ، وأحيوا فريضة الجهاد ، وأخذوا يطهرون المدن الإسلامية من الغزاة مدينة إثر أخرى ، حتى استطاعوا تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام في سنة ٦٩٠ هجرية[٥]

إلا أنهم – الصليبيين – اتخذوا من جزيرة أرواد[٦] مقراً لهم ، وبنوا لأنفسهم سوراً عظيماً يتحصنون به من الغزاة ، ولكنهم ما فتأوا يغيرون على سكان المدن الساحلية في بلاد الشام ، مماجعل السلطان الناصر محمد يجهز

١ – يذكر بعض المؤرخين أن الحروب الصليبية انتهت في عام ٦٩٠من الهجرة ، وهذا التحديد ليس دقيقاً ؛ لأن هذا التاريخ هو تاريخ تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام ، وليس نهاية الحروب الصليبية كلياً ، وإنما تم القضاء على الوجود الصليبي ودرء خطرهم عن بلاد المسلمين في عام ٧٠٢هجرية ، بفتح جزيرة أرواد ، التي اتخذها الصليبيون قاعدة ينطلقون منها لمهاجمة بلاد المسلمين ، بعد إجلاءهم من بلاد الشام ٠

٢ –انظر : الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد علي ، ط٣ (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٨) ص٢٩٤

٣ – البابا : جمعه باباوات ، والنسبة إليه بابوي : الحبر الأعظم ورئيس البيعة المنظور ، وخليفة القديس بطرس ٠ (المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٢٤ ، باب الباء)

٤ – انظر البداية والنهاية ، ١٢/٦٣٧ –٦٣٨

٥ – انظر البداية والنهاية ١٢/ ٧٢٥ و١٢/ ٨٥٢ ، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، إبراهيم محمد أديمر المعروف بابن دقماق ، تحقيق سعيد عاشور (طبع جامعة أم القرى بمكة المكرمة) ٣٠٠– ٣٠١ والجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، د حامد غنيم أبو سعيد ، ط٢ (القاهرة ، دار الثقافة ١٤٠٤) ٢/٢١٣–٢٢٢

٦ – جزيرة في البحر قرب قسطنطينية (معجم البلدان ١/١٩٤)

أسطولاً بحرياً ويغزوها ، فتم له فتحها في سنة ٧٠٢ هـ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ،وأراح الله المسلمين من شر أهلها [١] .

١ – البداية والنهاية ٤٢٩/١٤ وانظر تاريخ المماليك البحرية ص ١٨٢

٥- هجـوم التتار[١]:

في عام ٦٥٦هـ تعرض العالم الإسلامي ، لهجوم شرس من جهة الشرق ، لم يسبق وأن تعرض لمثله ، إذ قدم التتار من الشرق قاصدين مقر الخلافة الإسلامية في بغداد ، فاستولوا عليها ، وقضوا على الخلافة الإسلامية فيها وقتلوا الخليفة [٢]، وعدداً كبيراً من الناس ومنهم نخبة من العلماء ، وقيل إن عدد من قتل ببغداد في هذه الأحداث ، بلغ ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف نفس [٣]، ثم زحفوا غرباً واستولوا على دمشق ، دون قتال ومن غير ممانعة ولا مدافعة ، ثم واصلوا الزحف يريدون مصر ، لكن الله خيب مسعاهم ، إذ تمكن المسلمون من صد هم، وهزيمتهم هزيمة نكراء ، في معركة «عين جالوت»[٤] وعلى أثر ذلك فر التتار وطاردهم المسلمون حتى أخرجوهم من دمشق وحلب ، وأخضعت بقية بلاد الشام لحكم المماليك ، وكانت أخر معركة مع التتار في سنة ٧٠٢على مقربة من حمص [٥] .

ثانياً . حالة الأمة في هذا القرن من الناحية الدينية والفكرية :

لقد عرف المماليك ما للعلم من قيمة ، فعملوا على تشجيع العلماء،

١ – التتار : يطلق عليهم التتار والتتر ، وهم الذين اجتاحوا العالم الإسلامي في القرن السابع من جهة الشرق وموطنهم منغوليا جنوب شرق سيبيريا على حدود الصين ، (البداية والنهاية ٩٨/٣١ ، ومعارك المغول الكبرى في بلاد الشام ، أكرم حسن العلبي ط١ دار المأمون للتراث ص٢٩)

٢ – هو الخليفة المستعصم بالله (انظر البداية النهاية ٢٤٠/١٣)

٣ – البداية والنهاية ، ٢٣٨/١٣ ، وتاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر ابن الوردي ط١ (لبنان بيروت)، ١٨٩/٢

٤ – عين جالوت : بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (معجم البلدان ، ١٧٧/٤

٥ – البداية والنهاية ٢٥٨/١٣ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين بن تغري بردي ط١(القاهرة دار الكتب العربية ١٣٤٨) ١٦٠/٢ وتاريخ ابن الوردي ٢٤٣/٢

وأجزلوا لهم العطاء ، فهبوا لإحياء العلوم بعد النكبة التي قضت على التراث العلمي ، يوم سقوط بغداد[١] ، فازدهرت المدارس والجوامع في كل من مصر والشام [٢]، وغيرهما من بلاد المسلمين ، ورغم هذه النهضة العلمية ، وتوجه الناس لطلب العلم ، فقد استولت على المجتمع المسلم عدة أوهام وأحاطت به جملة معتقدات لا تتفق ومذهب السلف ٠

فقد انتشر مذهب الأشاعرة[٣]بين الناس ؛ لأن بعض الولاة تبع هذا

١ – اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، إعداد وتحقيق د : عواد عبد الله المعتق ، ط١ ،(الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٨ هـ) ، مقدمة التحقيق ، ص١٨

٢ – انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تأليف جلال الدين السيوطي ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط١ ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ) ٢/٢٢٣وما بعدها ، والخطط ، ٢/٢٤٤–٣٣١ و٢/٣٦٠–٤٠٣

٣ – الأشاعرة : نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان أول أمره على مذهب المعتزلة ، ثم تركه وعاد لمذهب السلف ، وهم أقرب من غيرهم إلى معتقد أهل السنة والجماعة ، ومذهبهم مركب من خليط من الوحي والفلسفة ، وقد خالفوا أهل السنة والجماعة ، في عدة مسائل ؛ منها الأسماء والصفات ، ونفوا التعليل في أفعال الله مطلقاً ، أما نسبتهم إلى أبي الحسن الأشعري ، فإنها ليست سليمة لكون الأشعري قد تاب عن معتقدة السابق ، وألف كتاب «الإبانة » و«مقالات الإسلاميين » وقد بسط الكلام فيهما عن العقيدة الصحيحة ٠ انظر: (الملل والنحل ، تأليف محمد عبد الكريم الشهرستاني ،تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، لبنان بيروت : دار الفكر بدون تاريخ طبع ، ص ٩٤ و فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، تأليف الدكتور غالب علي عواجي ،ط٣ الناشر دار لينة للنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ ، ص ١٠٥٩ و في

المذهب ، فعمل على نشره بين الناس بقوة[١] ، وكادت تندرس ، معالم مذهب أهل السنة والجماعة ، « إلى أن كان – في أواخر القرن السابع – من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد ٠٠٠بن تيمية الحراني فتصدى للانتصار لمذهب السلف ، ٠٠٠والرد على مذهب الأشاعرة ، وصدع بالنكير عليهم ، وعلى الرافضة[٢]٠٠٠» [٣]

ومن الرافضة من قتل في القرن الثامن الهجري ، لقيامة بسب الشيخين[٤]، وأصر على سبهم حتى حمل إلى نائب السلطان فأصر على سبهم وقوله إنهم على ضلال ، فحكم عليه بإراقة دمه[٥]٠

علم الكلام ، تأليف دكتور أحمد محمود صبحي ، ط ٥ ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥، ص ٤٣ و معجم ألفاظ العقيدة ، تصنيف أبي عبد الله عامر فالح ، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، ط١ ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ ، ص٤٢)

١ – انظر : الخطط ٣٥٨/٢ ، حيث قال المقريزي :« فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى ٠٠ ٠على مذهب الأشعري وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك الأتراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري ٠٠٠ فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ٠٠٠فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء الخلائق ، لا يحصيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى ، كما هو معروف في كتب التاريخ ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري ، وانتشاره في أمصار الإسلام ، بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ؛ إلا أن يكون مذهب الحنابلة » وقال ابن كثير في أحداث السنة الخامسة بعد السبعمائة للهجرة : « وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة » ٠ (البداية والنهاية ١٣/ ٤٤٧) ٠

٢ – راجع : منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط١، (طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦) ، رداً على الرافضي ابن المطهر الحلي ، المتوفى سنة ٧٢٦ للهجرة ، وكتابة منهاج الكرامة ٠

والرافضة : أحد أصناف الشيعة ، وإنما سموا رافضة ، لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ ، نص على استخلاف علي بن أبي طالب ﷺ باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ، ضلوا بتركهم الاقتداء ، بعد وفاة النبي ﷺ ، وإن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأبطلوا الاجتهاد في الأحكام ، وزعموا أن علياً ﷺ كان مصيباً في جميع أحواله ، وأشهر فرق الرافضة ، الاثنا عشرية ، انظر (الملل والنحل ص١٤٦ و مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، عني بتصحيحه هلموت ريتر ، ط٣ ،(فيسبادن : دار النشر فرانز شتايز ، ١٤٠٠) ، ص ١٦–١٧ ، و فرق معاصرة ، ٢٠٨/١)

٣ –الخطط ، ٣٥٩/٢

٤ – هذه من عقائد الشيعة التي يتوارثونها ، جيلاً عن جيل ؛ ولم يقتصروا على سب الشيخين رضي الله عنهما ؛ وإنما شمل سبهم وطعنهم ؛ العديد من الصحابة ﷺ ، واتهموا الصحابة ﷺ بأنهم ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ إلا أربعة منهم ، ووصفوا الصحابة ﷺ ، بأوصاف لا تليق بأحط الناس ، فكيف بمن اختارهم الله ﷻلصحبة نبيه ﷺ ، (انظر منهاج السنة ٤/ ٢٦٨ ، و٥/ ٨١ ، ٤٦١ و٦/ ٥ ، والشيعة وأهل البيت ، تأليف الأستاذ : إحسان إلهي ظهير ،ط٦ (باكستان : لاهور ،الناشر إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٤ هـ ، ص٤٤)

٥ – انظر : البداية والنهاية ٧٤٠/١٤

كما أن أذى الرافضة لأهل السنة ، في هذا القرن ، لم يقتصر على هذه الحوادث ؛ بل تعداه إلى إجبارهم ، على اتباع مذهب الرفض ، في بعض بلاد الإسلام [١]

وكان للباطنية[٢] أيضاً دور في إيذاء المسلمين في هذا القرن ، كما بين ذلك شيخ الإسلام ، حين قال : « ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية، إنما استولى عليها النصارى ، من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ؛ فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل ، و انقهار النصارى ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار » [٣] .

أما الصوفية قد انتشرت بطرقها المختلفة ، وأصبح لها مكانة في المجتمع ، وصارت الخوانق والربط[٤] من دور التعليم[٥]، وأصبحت تنشر بدعها بكثرة وأصبحوا يؤذون أهل السنة والمتمسكين بمنهج السلف ، كما حصل منهم تجاه شيخ الإسلام ، فقد تعرض لأذى الصوفية القبورية ؛ لأنه ألف في بيان ضلالهم وتحذير الناس من بدعهم ، وناظرهم حتى انقطعت حججهم[٦]

---

١ – انظر : البداية والنهاية ٤٦٦/١٤ ، إذ قال ابن كثير في حوادث سنة (٧١٠) للهجرة: « وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفض في بلاده ، وأمر الخطباء أولاً أن لايذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب ﷺ ، وأهل بيته ، ٠٠٠وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة ، ٠٠٠ ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبط وكثرة الاختلاف »

٢ – الباطنية : اسم يطلق على أتباع إسماعيل بن جعفر ، وقد تميزوا عن بقية الطوائف الشيعية باسم الباطنية ، والباطنيون يقولون بأن نصوص الشرع عبارة عن رموز وإشارات لها تأويلات باطنية تخالف ما يعرفة المسلمون منها ، لايعرفها إلا هم ، وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمدان بن قرمط ومن عبد الله بن ميمون القداح ، وأشار البغدادي إلى أن: الباطنية ليست من فرق ملة الإسلام ، بل هي من فرق المجوس (انظر الفرق بين الفرق ،عبدالقاهر البغدادي حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، لبنان بيروت : دار المعرفة بدون تاريخ طبع ص ٢٢ و معجم ألفاظ العقيدة ص ٦٢)

٣ – الفتاوى ، ١٥٠/٣٥– ١٥١ ٠ والمقصود بكلام شيخ الإسلام هنا : النصيرية ٠

٤ – الخوانق : جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسية معناها بيت ثم جعلت علماً على المكان الذي يتعبد فيه الصوفية ٠
والربط : جمع رباط وهو بيت الصوفية وأصلة المكان الذي يرابط فيه المجاهدون في سبيل الله ٠

٥ – الخطط ، ٤١٤/٢

٦ – انظر : مؤلفات شيخ الإسلام في ذلك ومنها : الرد على الإخنائي ، تحقيق ودراسة الشيخ / أحمد بن مونس العنزي رسالة علمية مقدمة لجامعة الملك سعود لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، من كلية التربية ، ١٤١٧هـ ، والاستغاثة في

وكانت محنة شيخ الإسلام مع الصوفية في مصر ، بسبب تطرق الشيخ إلى جوانب عقدية تمس أحوال الصوفية وبدعهم ،
وكلامه في ابن عربي [(١)]؛ فقام نصر المنبجي [(٢)] وابن عطاء السكندري[(٣)]، و آخرون ، بإثارة أتباعهم من الصوفية ، فاجتمع خلق كثير منهم ؛ من أهل الخوانق والربط والزوايا، واتفقوا أن يشكوا الشيخ إلى السلطان ، فطلع منهم خلق كثير إلى القلعة ، وكانت لهم ضجة شديدة لفتت انتباه السلطان واستعانوا عليه بالأمراء وغيرهم ، وذلك في شوال سنة ٧٠٧هـ [(٤)] .

ولم يسلم من أذاهم الإمام الشاطبي ، حيث اتهم بمعاداة أولياء الله لأنه بيّن أحوال هؤلاء ، وأظهر مخالفتهم للسنة [(٥)] .

وكان بعض السلاطين يُعين على هذه الضلالات والانحرافات ، ببناء الأضرحة والقباب ، ليزورها الناس ويتوسلوا بها رجاء كشف الضر عنهم ؛ويلقب شيخ الصوفية في هذا القرن ، بشيخ الشيوخ ، وأصبح الناس يرجون بركتهم[(٦)] .

إلا أن بعض السلاطين كانوا يحاربون البدع وأهلها ، ولا يرضون بها، ولا يقرونها، ومن هؤلاء : السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي وجه

الرد على البكري ، دراسة وتحقيق الشيخ / عبد الله السهلي ، ط١(الرياض : دار الوطن ، ١٤١٧) والعقود الدرية ص١٩٤ ،والفتاوى ج١١

١ – محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي ، نزيل دمشق ، يلقب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف ، صاحب التواليف الكثيرة ، منها : فصوص الحكم وهو أردئها ، والفتوحات المكية ، مات في ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ . (انظر : السير ٤٨/٢٣ . ٤٩)

٢ – هو : أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكبجي المنبجي ، صوفي له زاوية بالحسينية ، كان الجاشنكير يعتقد فيه ، وكان يغالي في محبة ابن عربي الصوفي ، مات سنة ٧١٩هـ ودفن بزاويته . انظر (ذيول العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد زغلول ، ط١ ، لبنان : بيروت ، الناشر دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ ، ٤/ ٥٥) و(الدرر الكامنة ٣٩٢/٤)

٣ – هو : أبو الفضل تاج الدين أحمد بن عبد الكريم بن عطاء السكندري ، صوفي شاذلي ، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيميه ، توفي سنة ٧٠٩هـ ، انظر (الدرر الكامنة ١/ ٢٧٥ والطبقات الكبرى للشعراني ، ٢٠/٢ ، والأعلام ٢٢٢/١)

٤ – انظر : البداية والنهاية ١٤/ ٤٤٥ العقود الدرية ص ٢٧٠ والاستغاثة ١/ ٢٨

٥ – انظر : الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ، علق عليه وخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي ، ط١ ، (لبنان : بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ) ، ١/١٦-١٧ ، و فتواه في الإفادات والإنشادات دراسة وتحقيق الدكتور : محمد أبو الأجفان ط٢(بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٦)ص١٧٦

٦ – انظر : الخطط ٣٨٠/٢و٤٣٤ ، وحسن المحاضرة ٢٢٦/٢

رسالة لأمير مكة سنة٧٠٠هـ ، يطلب منه منع الآذان الشيعي[١] من الحرم ، وكذلك منع الإمام الزيدي[٢] من الصلاة بأتباعه في المسجد الحرام ، وقد أجاب أمير مكة طلبه [٣] ، ومنع الآذان الشيعي في المسجد الحرام ، وكذلك منع الإمام الزيدي، من إمامة طائفته بالمسجد الحرام ٠

وإزاء هذه الحالة ، نشط علماء الأمة المتمسكون بمذهب السلف ، في مقارعة أهل البدع والضلال ، بالدعوة للدين القويم، والمذهب السليم ، من خلال الدروس والمحاضرات والمناظرات والإفتاء [٤]، ولم يبالوا بالسجن والأذى الذي لحق بهم من جراء مواقفهم الجهادية ، ومن أبرز هؤلاء العلماء ، شيخ الإسلام ابن تيميه ، ومؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي والحافظ عماد الدين ابن كثير والشاطبي وابن رجب وابن مفلح ، وغيرهم من أعلام السلف في هذا القرن [٥]، فأثمرت جهودهم علماً غزيراً ونافعاً ، امتدت أثاره حتى العصر الحاضر فلله الحمد والمنة٠

---

١ – المقصود بالآذان الشيعي قولهم : (حيّ على خير العمل) في الآذان ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه :« إن حيّ على خير العمل لم يكن من الآذان الراتب ، وإنما فعله بعض الصحابة ﷺ لعارض ، تحضيضاً للناس على الصلاة »، وبالجملة فلا يصح من المرفوع ولا من الموقوف على الصحابة ﷺ في هذه اللفظة شيء ، وكله باطل لا أصل له ، سوى أثر ابن عمر رضي الله عنهما ، وقد فهمه جمع من العلماء على غير وجهه ؛ فإن ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن يؤذن في السفر ، وإنما كان ينبه لها بعدة ألفاظ ، ليست في الآذان تحضيضاً للناس على الصلاة ٠ (الفتاوى ١٠٣/٢٣ ، وانظر : معجم المناهي اللفظية ، بقلم بكر عبد الله أبو زيد ، ط٣ ، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع ١٤١٧ ص ٢٤٢–٢٤٣ والأذكار من كلام سيد الأبرار ، محيي الدين النووي ، اعتنى به وفهرسه محيي الدين الشامي ، ط٣ بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٩ ، ص٤٣ ، و الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ص٦٧

٢ – الزيدية : أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين ، ومن عقائدهم أنهم يجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة – رضي الله عنها – والإمامة ليست بالنص ، ولا يقولون بالمتعة ، ويقرون خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان، –ﷺ– ويميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله ، ويقول البعض منهم : بعصمة أربعة من أئمة البيت وهم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين –ﷺ– ٠انظر:(الملل والنحل ص١٥٤ ومعجم ألفاظ العقيدة ص٢٠٧)

٣ – انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ج١–٢ تحقيق محمد زيادة وج٣–٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦–١٩٧٣) ٩٤٠/١ ، والأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ص٦٧

٤ – انظر البداية والنهاية ٤٥٤/١٤وما بعدها والعقود الدرية ص١٩٤ والإفادات والإنشادات ، ص١٧٦

٥ – انظر تراجمهم في الباب الرابع من الرسالة ٠

أهل الذمة [١] :

من اليهود والنصارى ، فقد كانت أحوالهم في القرن الثامن الهجري، تتفاوت تبعاً للحاكم الذي يتولى السلطان ، وكذلك تصرفات أهل الذمة أنفسهم ، تحدد نوعاً ما أُسس العلاقة بينهم وبين المجتمع الإسلامي ، وما ينعمون به من أمن وسلام ، وحرية العمل والعبادة ، فإذا أظهروا القوة والجبروت ، واحتقار المسلمين ، زاد عداء المسلمين لهم ، وإن أظهروا التواضع والسكون سمح لهم المسلمون بحرية العباد والعمل[٢] .

وفي بداية القرن الثامن الهجري ، ونتيجة لتصرفات بعض أهل الذمة ، فرض عليهم عدم بناء كنائس جديدة ، والاكتفاء بما هو قائم من الكنائس القديمة ، و أُلزموا بلباس زي مغاير لزي المسلمين ، فكان زي النصارى العمائم الزرق وشد الزنار [٣] في أوساطهم ، ومنعهم من ركوب الخيل ، وأُلزم اليهود بلبس العمائم الصفر ، وذلك حتى لا يختلط أمرهم على المسلمين [٤] .

١ – الذمي :هو الكافر الذي يقيم في بلاد المسلمين، بعقد بينه وبين الدولة الإسلامية ، يصير به مواطناً من مواطنيها ، وطالما أن الذمة عقد ؛ فلابد فيه من التراضي ، فلا يجوز للسلطان ولا لغيره أن يلزم الكفار بالجزية ويقرهم في دار الإسلام ، إلا إذا التزموها ، وإلا وجب قتالهم ، ولا يجوز عقد الذمة للمشركين عرباً كانوا أو عجماً ، ولا للمرتدين ...، إلا أن يدخلوا في دين من أديان أهل الكتاب ، ولا للبراهمة ونحوهم من منكري النبوات (موسوعة فقه ابن تيميه، ص ٢/ ٦٨٩) ، وانظر : (معجم لغة الفقهاء ، ص٩٥)

٢ –انظر الخطط ٤٩٨/٢ و العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري ، د: حياة ناصر الحجي ، ط١(الكويت ١٩٨٠) ص١٦٧

٣ – الزُّنّار : بضم الزاي وتشديد النون ، جمع زنانير ؛ حزام خاص يشده النصراني على وسطه .(معجم لغة الفقهاء ، وضع أ.د : محمد رواس قلعه جي ود: حامد صادق قنيبي ، ط٢ ،(الرياض : دار النفائس ، ١٤٠٨هـ ص٢٣٤)

٤ – انظر : الخطط ، ٢/ ٤٩٨–٤٩٩

ثالثاً ـ حالة الأمة في هذا القرن من الناحية الاجتماعية :

كل مجتمع من المجتمعات ، لا يخلو من طبقات متعددة، وهذا حال الأمة الإسلامية ، في القرن الثامن الهجري ، فقد كان المجتمع مكوناً من طبقات : الحكام ، والعلماء ، والتجار ، وعامة الناس.

ولاشك أن طبقة الحكام هي الطبقة الأقوى والمستأثرة بالنصيب الأكبر من خيرات الأمة ، أما طبقة العلماء فمنهم من يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، غير مبالٍ بما يحصل له من العقاب ، ومنهم من آثر الراحة والسلامة ، ثم تأتي طبقة التجار التي تملك الأموال والأقوات ، وأخيراً تأتي طبقة العامة التي تتأثر بما يدور بين الطبقات الأخرى ، من صراعات وتتحمل العبء الأكبر من النتائج والآثار.

ثم إن هذا المجتمع قد تأثر بما مر به من أحداث عاصفة ، من حروب وهجرات واختلاط مع الأمم الأخرى ، من تتار [1] ويهود ونصارى

١ – انظر تاريخ المماليك البحرية ص١٤٠

[١]، فدخلته عادات وأفكار جديدة ، نتيجة لاختلاطه بأجناس مختلفة ، كما انتشرت بعض المعاصي والمفاسد في هذا القرن ، وبعض المنكرات[٢] وغلاء الأسعار ، والأمراض الفتاكة ، وحصول المجاعات الشديدة، حتى أكل الناس الميتة[٣] ٠

مقارنة هذا القرن بالقرن الذي قبله :

لعل في استعراض الحالة السياسية ، والدينية ، والفكرية،والاجتماعية، السابق ، ما يعطي بعض الملامح ، عن أحوال الأمة في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ويمكن بيان أهم الملامح الرئيسة لهما في ما يلي :

أولاً القرن السابع :

تميز بحدثين كبيرين ، وهما استمرار الاحتكاك مع الصليبيين ، وهجوم التتار، وبالتالي سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد في ٦٥٦ هـ، وزوال الأهمية السياسية لبغداد ، ثم انتقال الخلافة الإسلامية إلى القاهرة ، التي أصبحت مقر الثقل السياسي ٠

أما التصوف في القرن السابع فقد بلغ أوجه ، وظهرت له رموز كبيرة[٤] وأُحدثت بعض الطرق التي لم تكن معروفة في القرون السابقة[٥]

وأما باقي الفرق فقد حاولت نشر مذاهبها وأفكارها ، حتى نتج عن ذلك

---

١ – انظر الخطط ٢/ ٤٩٨–٤٩٩

٢ – انظر البداية والنهاية ٦١٥/١٤ وتاريخ ابن الوردي ٣١٩/٢ والعقود الدرية ص١٩٤ وحسن المحاضرة ٢٣٥/٢ ٠ ومن المنكرات التي تفشت : شرب الخمر ، ومصاحبة المردان ، والأمرد : هو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد ، وتحرم الخلوة بالأمرد ولو كان غير حسن ، ولو كانت هذه الخلوة ، لمصلحة التعليم والتأديب ٠(موسوعة فقه ابن تيميه ١/ ٣١٥، ٣١٧)

٣ – انظر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، عمر فروخ ط١، (دار العلم للملايين ،١٩٧٢م) ، ص٥٤٨ ، وتاريخ المماليك البحرية ص١٣٥ ، ومآثر الأنافة ، ٢/ ١٧٣

٤ – أمثال : ابن عربي ت٦٣٨هـ والشاذلي ت٦٥٦هـ والبدوي ت٦٧٥هـ وابن الفارض ت ٦٣٢هـ وغيرهم

٥ – كالطريقة الأحمدية والشاذلية والمولوية ٠

بعض الصراعات [١].

ثانياً القرن الثامن :

تميز عن القرن السابع بانحسار العدوان الخارجي ، وبكثرة الصراعات الداخلية على السلطة ، واستمرار الفرق[٢]المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، نشر آرائها الباطلة بين الناس ، وخصوصاً الصوفية، التي انتشرت وقويت ، وأصبح لها الكثير من الربط والزوايا ، واعتبرت هذه الربط والزوايا من دور التعليم ، وأصبح يزورها السلاطين والقادة [٣]

واتخذت القبور والأضرحة للأولياء والصالحين وللمشايخ الصوفية ، أمكنة تزار وتشد لها الرحال وتمارس فيها شركيات كثيرة[٤].

كما تميز القرن الثامن بالازدهار العلمي ، وكثرة المدارس والجوامع في كل من مصر والشام ، وغيرهما من بلاد المسلمين[٥]

أما الحالة الاجتماعية ، فهي متقاربة في هذين القرنين ، نتيجة لما مر به المجتمع من أحداث، وحروب، واختلاط مع الأمم الأخرى[٦] .

١ – انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ) ١٩٧/١٢ و٤٧٠ ، وتاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ، ط١ ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧) ، ٢٧٧/٤ ، وندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، ص٢٣٣

٢ – أمثال الباطنية ، والإسماعيلية ، وغيرهما من الفرق ٠(انظر ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر) ، ص٢٣٣

٣ – انظر : حسن المحاضرة ٢٢٩/٢–٢٣٠

٤ – انظر : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص ٢٣٤

٥ – انظر : ص ٥٨

٦ – انظر : ص ٦٦

أولاً – نشأة التصوف :

إن الذين كتبوا في نشأة التصوف ، اختلفوا في تحديد العصر الذي ظهر فيه هذا المصطلح ، وتظهر اختلافاتهم في تحديد الفترة التاريخية لظهور هذا المصطلح ، هل كان موجوداً في الجاهلية ، وتجدد ظهوره مرة أخرى في الإسلام ؟ أم أنه لم يظهر إلا في الإسلام ؟ وكل فريق يورد من الروايات ما يسند رأيه ، و يستنبط من الأحداث ما يوافق وجهة نظره:
ويمكن بيان ذلك فيما يلي :

أ : موقف الفريق الأول ، الذي يذهب إلى أن التصوف عُرف قبل الإسلام :

ويمثل هذا الفريق ، الرواية التي أوردها الإمام الطبري[1] في تاريخه بسنده[2] : « كانت صوفة تدفع الناس من عرفة ، وتجيزهم إذا نفروا من منى إذا كان يوم النفر ، أتوا لرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمي ، للناس ، لايرمون حتى يرمي ، فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بناحيتي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزي صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى ينفذوا ؛ فإذا نفرت صوفة ومضت خُلي سبيل الناس

١ – محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، مفسر ، مقرئ ، محدث ، مؤرخ ، أصولي ، مجتهد ، ولد بآمل طبرستان ، في آخر سنة ٢٤٤هـ ، واستوطن بغداد ، توفي ليومين بقيا من شوال ، سنة ٣١٠ هـ في بغداد ٠ (معجم المؤلفين ، ١٤٧/٩)

٢ – عن ابن حميد ، قال : حدثنا سلمه بن ابن اسحاق ، هذا الحديث عن يحيى بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ٠

، فانطلقوا بعدهم ، ٠٠٠قد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دَيْن في أنفسهم ، من عهد جرهم[١] وخزاعة[٢]٠٠٠»[٣]

فالطبري – بما رواه – يرى أن صوفة هم ؛ جماعة من العرب معروفون في الجاهلية، يعتقد الناس ولايتهم ، فلم يكن الحجاج يرمون الجمار ، إلا بحضور رجل منهم ، ليتقبل الله منهم أعمالهم ٠

وكذلك أورد ابن الجوزي بسنده[٤] الرواية القائلة : « بأن قوماً كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفة ، انقطعوا إلى الله –عز وجل – وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية »[٥] ٠

ويذكر أن هؤلاء القوم ينسبون إلى رجل في الجاهلية كان يدعى:(الغوث بن مر) ٠

ويورد ابن الجوزي رواية[٦] أُخرى فيقول :« إن أم هذا الرجل كانت لا تلد إلا إناثاً فقالت : لله عليّ إن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت ، ولما ولدت (الغوث بن مر) ، ربطته عند الكعبة فأصابه الحر ، فمرت عليه وقد سقط واسترخى ، فقالت : ما صار ابني إلا صوفة فسمي صوفة»[٧]

ويرى ابن الجوزي أن في هاتين الروايتين دليلاً على أن أصل هذه

١- حي من اليمن نزلوا مكة ، وتزوج منهم إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – وهم أصهاره ، ثم ألحدوا في الحرم ، فأبادهم الله – تعالى – ، وهم أول من ولي البيت بعد ولد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض ، (لسان العرب ، ١٢/ ٩٧ ، باب الميم وانظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ : أبي علي بن الحسين المسعودي ، الرياض : مكتبية الرياض الحديثة ، ٤٩/٢)

٢ – خزاعة : حي من الأزد ، سموا بذلك ؛ لأنهم تخزعوا عن قومهم ، وأقاموا بمكة ، ٠٠ووليت خزاعة أمر البيت ، وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي ٠٠٠فغير دين إبراهيم وبدله » (القاموس المحيط ،ص ٩٢٠ باب العين ، وانظر: مروج الذهب ٥٦/٢)

٣ – تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (لبنان : بيروت ، دار سويدان ، بدن تاريخ طبع) ٢٥٧/٢

٤ - بسنده عن وليد بن القاسم٠

٥ – تلبيس إبليس ، ص٢٢٣ ٠

٦ – بسنده عن هشام بن محمد السائب الكلبي ٠

٧ –تلبيس إبليس ، ص٢٢٤ ٠

التسمية كان موجوداً قبل الإسلام ومعروفاً عند عرب الجاهلية ،وأن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة ، فقد انتسب إلى هذا الرجل ، وهذه القبيلة .

ويورد السراج الطوسي رواية تؤيد قول من قال إن اسم التصوف عُرف قبل الإسلام ، فيذكر :« أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفيّ ، فيطوف بالبيت وينصرف »
ثم قال : « فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يُعرف هذا الاسم» (١)

المناقشــة :

يمكن الجواب عن ما ذكره الإمام الطبري ، والحافظ وابن الجوزي ، من خلال النقاط التالية :

أولاً : إن هذه القبيلة من العرب ، غير مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ، ابن تيمية – رحمه الله – (٢)

ثانياً : إن غالب من تكلم باسم التصوف ، لا يرضى أن يكون منتسباً إلى قبيلة في الجاهلية ، لا وجود لها في الإسلام (٣) ، وإن قَبِلَ الصوفية ذلك ، فهم منتسبون لما كان في الجاهلية ، وليس لما جاء به الإسلام ٠

ثالثاً : قال ابن الجوزي نفسه :« وهذا الاسم – أي التصوف – ظهر للقوم قبل سنة مائتين » (٤) ، وهذا يناقض قوله إن اسم الصوفية والصوفي قد عُرف قبل الإسلام ، وإقرار منه بأن هذا الاسم حادث ، ظهر قبل سنة مائتين هجرية .

١ – اللمع ، ص٤٢-٤٣
٢ – الفتاوى ، ١٦/١١
٣ – الفتاوى ، ١١/ ١٦
٤ –تلبيس إبليس ، ص٢٢٥

أما السراج ، فلم يجزم بصحة الرواية التي أوردها؛ ولذلك فلا مرجح لتأكيدها ونفيها ، كما أنه أورد رواية أخرى ، تخالف ما ذكره هنا، وهي أن التصوف عُرف في زمن الصحابة ﭫ[1]

ب : مـوقف الفريق الثاني :

لقد تبنى هذا الفريق الرأي القائل إن هذا الاسم حدث في عصر الإسلام ولكن اختلفوا في تحديد الفترة الزمنية لظهوره على قولين :

القول الأول :

يرى أصحاب هذا القول إن هذا الاسم عُرف في القرن الأول من هجرة رسول الله ﷺ وفي مقدمة هؤلاء السراج الطوسي الذي أورد في كتابه (اللمع في التصوف) بعض الأقوال ، حاول أن يثبت من خلالها أن هذا الاسم وجد في القرن الأول ، وفي عصر الصحابة ﭫ ؛ فقال : « وأما قول من قال :إنه . أي التصوف . اسم محدث أحدثه البغداديون ، فمحال؛ لأنه في وقت الحسن البصري [2] كان يُعرف هذا الاسم وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وقد رُوي عنه أنه قال :« رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً ، فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق[3] فيكفيني ما معي »[4] .

فالسراج الطوسي يريد أن يقول: إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصري رحمه الله وهو من مواليد عام ٢٠ هجرية . يدل على أن التصوف كان معروفاً في زمن مبكر من الإسلام .

١ – انظر : اللمع ، ص٤٢

٢ – هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، أبو سعيد إمام أهل البصرة ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﭬ ، أبوه مولى زيد بن ثابت وأمة مولاة أم سلمة ، كان يغلب عليه الخوف ، حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده ، توفي عشية الخميس مستهل رجب سنة ١١٠هـ .(انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ١/ ١٣٦ ، وصفوة الصفوة ، ٤/ ١٠ ، و الطبقات الكبرى للشعراني ٢٩/١ وجامع كرمات الأولياء يوسف إسماعيل النبهاني، المكتبة الثقافية ٢ /٢١)

٣ – الدانق : جمع دوانق ودوانيق ، ؛ ضرب من النقود الفضية ، وزنه ثماني حبات من الشعير ، وهو ما يساوي ٤٩٦ر. غرام (معجم لغة الفقهاء ص ٢٠٦)

٤ – اللمع ، ص٤٢

ويُرد على هذه الرواية بأن الحسن البصري رحمة الله وإن كان قد ولد عام ٢٠ من الهجرة ؛ إلا أنه عاش حتى عام (١١٠) للهجرة ٠

وبهذا يكون قد عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثاني الهجري، فيحتمل أنه رأى هذا الصوفي في آخر حياته ؛ أي في بداية القرن الثاني الهجري ، وليس في القرن الأول للهجرة كما يريد إثبات ذلك السراج ٠

وبهذا فلا مرجح لأحد الاحتمالين على الآخر؛ لأنهما متساويان[١]

القول الثاني :

يرى أصحاب هذا القول إن اسم التصوف ظهر في عهد الإسلام ، وخلاصة ما أثبتوه أن هذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجري وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ،وقبله ابن الجوزي [٢]، في أحد قوليه وكثير من العلماء، ومنهم بعض علماء الصوفية :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – فيما يتعلق بظهور هذا الاسم أنه « في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك–أي عن الزهد والزهاد – بلفظ (الصوفي) ؛ لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد »[٣]

وقال القشيري : « ... فانفرد خواص أهل السنة ، والمراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوراق الغفلة باسم التصوف »إلى أن قال:« واشتهر هذا الاسم – أي التصوف – لهؤلاء الأكابر قبل المائتين الهجرية » [٤]

١ –انظر : موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية ، الدكتور : أحمد البناني ، ط١ (مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ) ص٨٣

٢ – انظر تلبيس إبليس ص ٢٢٥

٣ – الفتاوى ، ١١ /٢٩

٤ –الرسالة القشيرية ، ص٣٨٩

وقد علق الهجويري على كلام أبي الحسن البوشنجي[١] الذي قال فيه: « التصوف اليوم اسم بلا حقيقة ، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم » فعلق الهجويري قائلاً: « يعني أن هذا الاسم لم يكن موجوداً وقت الصحابة والسلف وكان المعنى موجوداً في كل منهم والآن يوجد الاسم ولا يوجد المعنى » [٢] .

ولا يسلم له القول بأن معنى التصوف موجود في كل منهم؛ لأن الصحابة والسلف ﷺ ، كانوا زهاداً لا صوفية .

وقال ابن خلدون :إن « هذا العلم – أي علم التصوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملة »[٣] ٠إلى أن قال :«فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا،اختص المقبلون على العبادة ، باسم الصوفية والمتصوفة »[٤] ٠

أما المستشرق[٥] نيكلسن [٦] فأكد هذا الاتجاه بقوله : «ترجع نشأة التصوف في الإسلام إلى حركة الزهد العظيمة التي ظهرت تحت تأثير

١ – هو أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي وذكر الشعراني أنه (البوسنجي) كان من فتيان خراسان كان معظّماً للفقراء حسن الخلق مات سنة ٣٤٨هـ (انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٢٠) وترجم له القشيري وقال هو أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي (انظر الرسالة القشيرية ص٣٩٩) وترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص٤٥٨ ونظراً لاتفاق أكثر المصادر على أنه (البوشنجي) نسبة إلى بلده بوشنج فقد أثبت الاسم الصحيح والله أعلم .

٢ –كشف المحجوب ص٢٣٩

٣ –مقدمة ابن خلدون ، ص٣٨١

٤ –مقدمة ابن خلدون ، ص٣٨١

٥ – الاستشراق : هو « دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية ، للشرق بشتى جوانبه : تاريخه وثقافته ، وأديانه ولغاته ، ونظمه الاجتماعية والسياسية، وثرواته وإمكانياته ، من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق ، بهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب ، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية » قلت : ولا أنكر أن بعض المستشرقين المنصفين ، قدموا دراسات مفيدة عن الشرق الإسلامي ، ولكن ذلك لا يوازي ما قدمه الآخرون من إساءات واضحة ٠

(رؤية إسلامية للاستشراق تأليف الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ، ط٢،لندن : المنتدى الإسلامي ١٤١١هـ ص٦) ، وانظر : (الاستشرق والمستشرقون مالهم وما عليهم تأليف الدكتور مصطفى السباعي ط٣ ، بيروت :المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ ص١٢وما بعدها)

٦ –هو رينولد ألين نيكلسن _ ويكتب أحياناً : نيكولسون و نيكولس _ مولده (١٢٨٥هـ ١٨٦٨م) ومماته (١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م) ، مستشرق انجليزي ، عالم بالتصوف الإسلامي ، تعلم في كمبردج وغيرها ، ودرس العربية والفارسية ، ودرَّسهما ، واشترك في نشر تذكرة الأولياء للعطار ، و(اللمع) للسراج ، وله كتب بالانجليزية منها : تاريخ الآداب العربية . ومتصوفو الإسلام ودراسات في التصوف الإسلامي ترجمه إلى العربية أبو العلا عفيفي ونشر بها ٠ (الأعلام ٣/ ٣٩).

المسيحية في القرن السابع الميلادي [١] كما هو واضح من كتب وتراجم الصوفية التي تفيض بأخبارهم وأقوالهم ، ومنهم كثيرون من كبار زهاد العصر الأول» [٢] ،

وللمستشرق ماسنيون[٣] ، رأي مماثل لذلك ، إذ يقول : ورد لفظ الصوفي لقباً لأول مرة في التاريخ ، في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي ، أما صيغة الجمع الصوفية ، فظهرت عام ١٩٩هـ ، وكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة [٤][٥]

ونظراً لكثرة المؤيدين لهذا الرأي القائل :إن التصوف اصطلاح حادث ظهر في القرن الثاني الهجري ، ولقوة أدلتهم ، وقناعتي بذلك ، رجحت صواب هذا الرأي ، والله تعالى أعلم ٠

---

١ –القرن السابع الميلادي يوافق القرن الثاني الهجري

٢ –في التصوف الإسلامي ، بقلم ماسنيون ومصطفى عبد الرازق ،ط١ (دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ١٩٨٤)ص٦٩

٣ – لويس ماسنيون مستشرق فرنسي من العلماء ، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، مولده ووفاته بباريس ، تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية ، وعني بالآثار القديمة ، واستهواه التصوف ، فكتب مصطلحات الصوفية ، وأخبار الحلاج ، وغيرها من الكتب ٠ (الأعلام ٥/٢٤٧)

٤ – انظر : التصوف ، ص ٢٦ –٢٧

٥ –وهما بذلك يخالفان رأي بعض المستشرقين؛ أمثال: ثولك ، وفون كريمر ، ودوزي ،الذين يرون أن أصول التصوف ، تعود إلى أصول هندية ، وفارسية ، ومجوسية ٠ انظر (في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تأليف رينولد أ نيكولسون ، نقله للعربية وعلق عليه أبو العلا عفيفي ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ١٣٦٦ ص هـ وما بعدها)

ثانياً :تطـور التصوف :

التصوف شأنه شأن أي فكر وسلوك ، في بداياته الأولى ، يبدأ بسيطاً غير منظم ، ثم يتدرج في مراحل وأطوار، حتى يصل إلى مرحلة النضج ووضوح المعالم ، التي تميزه عن غيره ، وهكذا كان التصوف ، في أول عهده ، كان على سمة السلف ، في العقائد والأصول، وكانت مخالفاته محصورة في بعض مظاهر التعبد والسلوك ، والمبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ، وأغلب ذلك منشؤه الجهل٠

قال شيخ الإسلام واصفاً اعتقاد الرواد الأوائل من الصوفية : «وهذا الاعتقاد غالبه موافق لأصول السلف وأهل السنة والجماعة ، ولكنه مقصر عن ذلك ومتضمن ترك بعض ما كانوا عليه ، وزيادة تخالف ما كانوا عليه» إلى أن قال : « والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف ، وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر »[١]٠

هذه حال أسلاف الصوفية الأوائل ، أما أتباعهم فلم يحافظوا على ذلك النهج ، بل مع مرور الزمن تجارت بهم الأهواء ، حتى دخلتهم

١ – الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق د: محمد رشاد سالم ط٢(القاهرة : مكتبة السنة١٤٠٩هـ) ٨٢/١ ، و انظر : الفتاوى ، ٦/١١ وتلبيس إبليس ص ٢٢٦ ومقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، ١٣٦/١

الرهبانية[١] ، وسلكوا مسالك الأمم الغابرة الهالكة ، ثم مازال الأمر ينمي حتى وصلوا إلى القول بأن للشريعة ظاهراً وباطناً ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم ، وأحدثوا بالدين ما لم يكن فيه ، فمن هؤلاء من قال : بالحلول ، ومنهم من قال : بالاتحاد، نسأل الله السلامة.

ففي أواخر القرن الأول ، وبداية القرن الهجري الثاني ، بدأت بذور الصوفية ، وبدأت طلائعها ، ويتمثل ذلك ، في ظهور الرهبانية ، والتشدد في العبادة [٢] ، ولهذا غالب ما يحكى في هذا الباب إنما هو من عباد البصرة ، مثل حكاية من مات أو غشي عليه من سماع القرآن ، ونحوه؛ كقصة زرارة بن أوفى[٣] ، قاضي البصرة ، فإنه قرأ في صلاة الفجر:﴿ فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر: ٨]، فخر ميتاً ، وكذلك غيره ممن روي أنهم ماتوا باستماع قراءته ، وكان فيهم طوائف يصعقون ، عند سماع القرآن، ولم يكن في الصحابة ﷺ ، من هذه حاله ، فلما ظهر ذلك ، أنكر طائفة من الصحابة والتابعين ﷺ [٤] .

وفي القرن الثالث بدأت طلائع الصوفية الطرقية [٥] ، والحلولية ،

١ - الرهبانية : هي التخلي عن أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها (المعجم الوسيط ١/ ٣٧٧ ، مادة رهبة)

٢ - الفتاوى ، ٦/١١ ، والتصوف والصوفية ، ابن تيميه ، ترتيب وتحقيق محمد طاهر الزين ، ط١(مكتبة السندس ١٤١٣هـ) ص١٠ومقدمات في الأهواء ١٢٥/١

٣ - الإمام قاضي البصرة ، أحد الأعلام ، صلى صلاة الصبح ، فقرأ ﴿ يا أيها المدثر ﴾ حتى بلغ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ ، خر ميتاً ، سنة ٩٣هـ (انظر : حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ، دار الفطر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٥٨/٢)

٤ - مثل : أسماء بنت أبي بكر و عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم - و محمد بن سيرين وغيرهم .(التصوف والصوفية ص ١١)

٥- الطريقة : هي السيرة المختصة بالسالكين ، إلى الله تعالى ، من قطع المنازل والترقي في المقامات ، (التعريفات ، ص١٣٦)

وعظمت الشطحات [١]الصوفية ، وأحوالها البدعية[٢]

ولهذا هجر الإمام أحمد بن حنبل[٣] – رحمه الله – الحارث المحاسبي[٤] لأنه تكلم في علم الكلام[٥] [٦] .

قال الإمام الذهبي : «المحاسبي كبير القدر ، وقد دخل في شيء يسير من الكلام ، فنُقم عليه » [٧] .

---

١ –الشطح : عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ، ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، وقول كلام أجوف بلا التفات ومبالاة ، مثل الكلام الذي يقوله الصوفية ، عند غلبة الحال والسكر ، فلا قبول لهذا الكلام ، ولا يؤخذ به ؛ ومثاله قول ابن عربي : « أنا أصغر من ربي بسنتين » وقول البسطامي : « سبحاني ما أعظم شأني» ، وقول الحلاج: « أنا الحق »

(التعريفات ص ١٣٣) وانظر (معجم المصطلحات الصوفية ص١٠٤) و (كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، طهران ١٩٤٧ م ، ٤/ ٩٤)

٢ – مقدمات في الأهواء ١/١٢٥–١٢٦

٣ – الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ٠٠٠بن بكر بن وائل ، – أحد أئمة المذاهب الأربعة – شهرة إمامته ومناقبه وبراعته و زهادته ، كالشمس ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ، وتوفي يوم الجمعة ببغداد سنة ٢٤١ هـ وله سبع وسبعون سنة٠ (المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، ١/ ٧٠)

٤– الحارث بن أسد المحاسبي ، كنيته أبو عبد الله ، من علماء مشايخ القوم ، له التصانيف المشهورة ؛ منها : كتاب الرعاية لحقوق الله وغيره ، وهو أستاذ أكثر البغداديين ، وهو من أهل البصرة ، مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ ، (طبقات الصوفية ، ص ٥٦)

٥ – انظر : دراسات في التصوف الإسلامي ، تأليف الدكتور : محمد جلال شرف ، (بيروت : دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ) ، ص ١٢١–١٢٢

٦ – علم الكلام : هو علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو ، وقد ذم بعض السلف علم الكلام فقالوا : العلم بالكلام هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم ، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام ، قيل : زنديق ، أو رمي بالزندقة ، وأرادوا بالجهل به اعتقاد عدم صحته ، وقال الإمام الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام ، ولا يدخل تحت الذم من رد على أهل البدع وأهل الكلام خاصة بعلمهم ، لأن معرفة أصول علمهم ، مطلوبة للرد عليهم، وكذلك فعل بعض السلف ، أمثال شيخ الإسلام ابن تيميه ، فقد رد على أهل الكلام بلغتهم وكذلك الفلاسفة وأهل المنطق ، بل وتفوق عليهم في معرفته لأصولهم ، وكشف زيغهم وبطلان استدلالاتهم ٠ (انظر : الفتاوى ١٠/ ٣٦٦–٣٦٧ و١٨/ ٢٢٤– ٢٢٥ ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، القاهرة : دار الحديث ، ٣/ ٤٥٥ ، والتعريفات ، ص١٦٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية ، تأليف الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له ، د: عبد الله عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٧–١٨ ، و مقدمة ابن خلدون ٣٦٣ وانظر : في علم الكلام ١/ ١٥ – ٢٠) ٠

٧ – سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ط ١١ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧ هـ) ، ١٢/ ١١١–١١٢

وفي هذا القرن اتهم بعض الصوفية بالقول بالحلول والزندقة ، أمثال: أبي يزيد البسطامي[١] ، لأنه كان يقول: أشياء عظيمة الشأن؛ منها « سبحاني» ، و « ما في الجبة إلا الله »

وهو القائل :

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل ما مأربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب[٢]

ولما تكلم في ذلك رماه أهل عصره بالعظائم ونفوه ، سبع مرات٠

وأبو الحسين النوري [٣]، الذي قال عنه الطوسي :«وأبو الحسين النوري من الواجدين ، ومن أهل الإشارات اللطيفة ، وله كلام مشكل ، وأشعار كثيرة»[٤] ، يشير بذلك إلى قوله :«أنا أعشق الله وهو يعشقني » وقوله عندما سمع أذان المؤذن : « طعنة وشم الموت ، وسمع نباح الكلب ، فقال: لبيك و سعديك»[٥]

« وبالرغم من تحليل النوري ، لكلماته الصوفية ،وشطحاته الروحية ، على أساس من الكتاب ، إلا أنها تعتبر مدخلاً إلى مذهب الحلول»[٦] ٠

وفي القرن الرابع ، ظهرت الطرقية الضالة كما ظهرت من خلال التصوف المذاهب الإلحادية ، والحلول ، والاتحاد، ووحدة الوجود[٧] ٠

---

١ – طيفور بن عيسى بن سرشان أبو يزيد البسطامي ، كان جده مجوسياً ثم أسلم ، مات سنة ٢٦١هـ ٠
(انظر : الكواكب الدرية ٤٤٢/١–٤٤٣والرسالة القشيرية ص ٣٩٥ وطبقات الصوفية ٦٧)

٢ – هذان البيتان ينسبان أيضاً إلى الحلاج ، ولكن الصحيح أنهما للبسطامي ٠(أنظر ديوان الحلاج ، صنعه وأصلحه ، د: كامل مصطفى الشيبي ، ط١ ، بغداد : مكتبة النهضة ، ١٣٩٤ هـ ، قسم الأشعار المنسوبة إليه ، وليست له ، ص ٦٨)

٣ – هو : أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ، المتوفى سنة ٢٩٥هـ (اللمع ص ٤٩٢)

٤– اللمع ص ٤٩٣

٥ – اللمع ص٤٩٢

٦ – دراسات في التصوف الإسلامي ص ٢٠٤

٧– مقدمات في الأهواء ١٢٧/١

وذلك من خلال بعض شخصيات التصوف ، أمثال :الحلاج[١]، الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية :

« من اعتقد ما يعتقده الحلاج ، من المقالات التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ؛فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد ، لقوله : أنا الله ، وقوله : إله في السماء ، وإله في الأرض»[٢]

قال الشبلي[٣] : « كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج ، شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت »[٤] .

« فالشبلي يعترف بالباطنية الصوفية»[٥] ، «وحرص كل الحرص ، على ألا يبوح بسره ، فلم يقتل ، مستخدماً مبدأ التقية [٦] »[٧]

١ – الحسين بن منصور الحلاج البيضاوي ، كان من أهل الشطح ، وقد اختلف فيه الناس بين مكفر له ، ومعتقد ولايته ، وقتل بسبب زندقته وإلحاده ،سنة ٣٠٩هـ ، وادعائه أنه الرحمن الرحيم ، (انظر : الكواكب الدرية ٥٤٤/١ ، والأعلام ٢/ ٢٦٠)

٢ – الفتاوى ، ٢/ ٤٨٠ ، وانظر : الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ، جمعه وأعده : عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني ، ط١(الرياض: دار الوطن ، ١٤١٦هـ) ص ٣١

٣ – أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي ، ولد في بغداد سنة ٢٤٧ هـ ، وتوفي بها سنة ٣٣٤هـ ، صحب الجنيد ومن في عصرة من العلماء . (انظر : الرسالة القشيرية ص ٤١٩)

٤ – دراسات في التصوف الإسلامي ٢٦٥

٥ – الصوفية في نظر الإسلام ، سميح عاطف الزين ، ط٣ (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٥هـ) ، ص ٣٤٠

٦ – التقية أصلها عند الشيعة وهي : أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد ؛ أو أن تظهر ما لا تبطن ، لتدفع الضر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك ، وزعموا أن الرسول ﷺ فعلها عندما مات عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين ، ويرى الشيعة أن التقية فريضة لا يقوم المذهب إلا بها ، ويتلقون أصولها سراً وعلانية ، ويتعاملون بها خاصة إذا أحاطت بهم ظروف قاسية .(انظر : من عقائد الشيعة ، جمع وترتيب : عبد الله بن محمد السلفي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، ص٣٢-٣٣ ، و فرق معاصرة ٢٤٢/١)

٧ – متصوفة بغداد ، عزيز السيد جاسم ، ط٢ (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٧) ، ص ١٨٩

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يعتذر عن الشبلي في بعض زلاته ويقول:« وهذه من زلات الشبلي التي تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده وغلبة الحال عليه ، فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ، ويحلق لحيته ، وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها»[١]

وفي هذه المرحلة من التصوف ، خُلط الزهد بعبارات باطنية ، وظهرت مصطلحات جديدة ، في كلام الصوفية ، مثل: الوحدة [٢] ، والفناء[٣]، والحلول [٤]، والسكر[٥]، والصحو[٦] ، والمقامات والأحوال[٧]، وغيرها من المصطلحات الجديدة ٠

كما شاع بينهم التفرقة بين الحقيقة[٨] والشريعة[٩][١٠]، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن ، فكانت هذه المرحلة بحق تمثل البداية الفعلية ، لما صار عليه التصوف حتى الآن[١١] ٠

---

١ - الفتاوى ، ١٠/ ٥٥٦-٥٥٧

٢ - انظر : ص ١٧٣-١٧٤

٣ - انظر : ص ٢٠٣

٤ - انظر : ص ١٧٢

٥ - هو: غيبة بوارد قوي ، وهو يعطي الطرب والالتذاذ ، وهو أقوى من الغيبة ، وأتم منها ٠ (التعريفات ، ١٢٥)

٦ - هو : رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته ، وزوال إحساسه ٠ (التعريفات ، ص ١٣٧)

٧ - انظر : ص ٨٣

٨ - الحقيقة عند الصوفية : سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ٠٠٠ومحصل المعنى الحقيقة اسم أطلق على الحق عند تحقيق كونه عين وجود العبد وأوصافه ، وقد تبين سقوط إضافتها عنه ، فإنه تحققه بالوجود وأوصافه باق على عدمه ، لم يشم رائحة ، ٠٠٠ فليس للعبد في وجود الحق إلا الحكم ، لا العين ٠ (رشح الزلل في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال ، تأليف عبد الرزاق القاشاني ، تحقيق وتقديم : سعيد عبد الفتاح ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٥هـ ، ص٨٩) ٠

٩ - الشريعة عند الصوفية : عبارة عن الأمر بالتزام العبودية ، وهو الانقياد للأمر في كل ما جاء به أمراً ونهياً ٠ (رشح الزلل ، ص ٤٢)

١٠ - وقع الصوفية بخطأ جسيم ، فضلوا وأضلوا ، عند ما قسموا الدين إلى حقيقة وشريعة ، وجعلوا الشريعة للعوام ، والحقيقة للخواص ، والحقيقة عند الصوفية تقابل الشريعة وتؤدي إلى تعطيل الشرائع ، بل إلى القول بالفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود ٠

١١ - انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة ، د: مانع بن حماد الجهني ، ط٣ (الرياض : الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ) ، ١/٢٥٨

وأما القرن الخامس ، فيعد امتداداً لأفكار القرون ، السابقة ، التي راجت من خلال مصنفات ؛ أبي عبد الرحمن السلمي[١] ، والتي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيميه : « يوجد في كتبة من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ، ما ينتفع به في الدين ، ويوجد فيه من الآثار السقيمة ، والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له » [٢].

وما بين النصف الثاني من القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، حاول أبو حامد الغزالي [٣] ؛ تقريب التصوف إلى مذهب أهل السنة [٤] .

وقد أثنى عليه شيخ الإسلام في مواضع ، وذكر من مزالقه ، في مواضع أخرى ، فقد ذكر أنه يميل إلى الفلسفة[٥] ، ولكنه أظهرها في قالب التصوف ، والعبارات الإسلامية ، وقال في موضع آخر :« وفي كلامه مادة فلسفية كبيرة ، وكلامه في الإحياء غالبه جيد ، لكن فيه مواد فاسدة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة من ترهات الصوفية ، ومادة من الأحاديث الموضوعة»[٦] [٧].

وأما في القرن السابع ،فقد ظهرت طرق جديدة ، وظهرت أعلام ورموز

---

١ – محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي السلمي ، (أبو عبد الرحمن) صوفي ، محدث ، مفسر ، مؤرخ ، حافظ ، ولد ٣٢٥وقيل ٣٣٠ هـ وتوفي ٤١٢هـ ومن تصانيفة : طبقات الصوفية وغيرها .(طبقات الصوفية ، ص ١٦ ، ومعجم المؤلفين ، ٩/ ٢٥٨)

٢ – الفتاوى ، ٥٧٨/١

٣ – محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، أبو حامد) ، ولد ٤٥٠ هـ وتوفي ٥٠٥هـ ، متكلم ، صوفي أصولي ، فقيه ، مشارك بأنواع العلوم ، من تصانيفه الكثيرة : إحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة.، (معجم المؤلفين ٢٦٦/١١)

٤ – انظر دراسات في التصوف الإسلامي ص ١٢١-١٢٢و الموسوعة الميسرة ٢٦١/٢

٥ – الفلسفة : باليونانية محبة الحكمة ، والفيلسوف هو : (فيلاوسوفا) ، وفيلا هو : المحب ، وسوفا : الحكمة ؛ فالفيلسوف هو : محب الحكمة ، وقد قال العلامة ابن خلدون عن الفلسفة : وضررها في الدين كثير ، فوجب أن يصدع بشأنها ، ويكشف المعتقد الحق فيها . (الملل والنحل ص ٣١٢، مقدمة ابن خلدون ص٤٤١)

٦ – الفتاوى ، ٦٣،٦٦/٤و٥٤/٦و١٧/ ٣٦٢ والرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ص ٣٨

٧ – الحديث الموضوع : هو الحديث المكذوب المُخْتَلَق المصنوع المنسوب إلى الرسول ﷺ ، وهو أشر أنواع الحديث . (انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للإمام شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي ، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، الشيخ صلاح محمد عويضة ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ ٢٧٣/١وتيسير مصطلح الحديث ، الدكتور محمود الطحان ، ط٢ ،الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ ، ص٨٩)

، صوفية كبيرة [١]، وازدهر التصوف في الأندلس ، على يد ابن عربي أحد رؤوس الصوفية ورموزها الكبيرة [٢] ، والمعروف عند الصوفية ، بالشيخ الأكبر، وهو الذي أقام مذهب وحدة الوجود ، وجعل منه مركباً سبح به الصوفية في بحر لجي لا نجاة لراكبه [٣] ، حتى وصل –كما زعم – إلى أن الوجود واحد[٤]

ويعد ابن عربي المؤسس لمذهب وحدة الوجود بشكله الكامل ، وجميع الذين سبقوه كانت لهم اتجاهات متفرقة ، حول وحدة الوجود ، والذين أتوا بعده كانوا متأثرين به أو ناقلين عنه[٥]

وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية ، وانتشرت الفوضى بينهم ، واختلطت أفكارهم ، وبدأت مرحلة الدراويش ، وأهم ما تميزت به القرون المتأخرة ، ظهور ألقاب ، شيخ السجادة ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية[٦] ، وكانت هذه القرون ، بوجه عام امتداداً وتفريعاً وشرحاً لكتب الرواد الأوائل من علماء الصوفية ، ورموزها الكبار .

وقد لخص ابن الجوزي أحوال الصوفية ، وما مروا به من أدوار، فقال: فكلما مضى قرن زاد طمعه – إبليس – في القرن الثاني ، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ، وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم ، عندهم تخبطوا في الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك

---

١ – من الطرق والرموز التي ظهرت في القرن السابع : (البدوية أو الأحمدية مؤسسها أحمد البدوي ، الشاذلية : مؤسسها أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي ، ويدعي أتباعها حتى اليوم أن سند طريقتهم ينتهي إلى الرسول ﷺ والطريقة النقشبندية ، تنسب إلى بهاء الدين محمد البخاري ، وانتشرت في بلاد الهند وفارس ، والطريقة البرهامية ومؤسسها إبراهيم الدسوقي . انظر (الفتاوى ٥٨/٢ والكشف عن حقيقة الصوفية تأليف محمود القاسم ، ط٢ (الأردن : عمان ، المكتبة الإسلامية ، توزيع دار طيبة ، مكة المكرمة ، ١٤١٣ ، ص٣٥٩)

٢ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ٢٦٣/١

٣ – انظر : التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، ص ١٣٨

٤ – انظر : النبوات ، ابن تيميه ، (بيروت : دار القلم) ، ص١١٩

٥ – انظر : الصوفية في نظر الإسلام ، ص ٤٥٩

٦ – الموسوعة الميسرة ، ٢٦٤/١

الدنيا ، في الجملة ، فرفضوا ما يصلح أبدانهم ، وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة ، غير أنهم على غير الجادة ، وفيهم من كان لقلة علمه، يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الضعيفة [١]، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس ، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها [٢] ٠

ثم مازال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ، ويتكلمون بواقعاتهم ، فسموا علمهم بالعلم الباطن وجعلوا علم الشريعة ، العلم الظاهر ، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة ، فادعى عشق الحق والهيمان ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ، ففسدت عقائدهم ، فمن هؤلاء من قال : بالحلول ، ومنهم من قال بالاتحاد ، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع ، حتى جعلوا لأنفسهم سنناً[٣] تخالف ما كان عليه سلف الأمة ، وأتباعهم المتمسكون ، بالكتاب والسنة ، وارتضوا لأنفسهم ، طريقاً مبتدعاً ، فحادوا عن جادة الصواب ، وعرضوا أنفسهم لمتاهات الزيغ والضلال ٠

---

١ – الحديث الضعيف : وهو ما لم يبلغ مرتبة الحسن ، ولو بفقد صفة من صفاته ، ويتفاوت ضعفه بحسب شدة ضعف رواته ، وخفته ، فمنه الضعيف ، ومنه الضعيف جداً ، ومنه الواهي ، ومنه المنكر ، وشر أنواعه الموضوع ، (انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، ١١١/١وتيسير مصطلح الحديث ، ص٦٣)

٢ – مثل : الاختصاص بالمرقعة ، والسماع والوجد ، والرقص٠

٣ – انظر تلبيس إبليس ص ٢٢٥– ٢٢٦ وكتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لإمام أبي سعيد أحمد الماليني ، تحقيق د: عامر حسن صبري ، ط١ ، (لبنان : بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٧ هـ) ص ١٠ وما بعدها ٠

يتكون من : تمهيـد ومبحثين ٠

التمهيد : وفيه تعريف المنهج ؛ لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، من منهج الصوفية ، في الكشف ٠

المبحث الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري من منهج الصوفية ، في الذوق والوجد ٠

التمهيـد :

أ- تعريف المنهج ، لغة واصطلاحاً:

١- المنهج لغة :

«النهج الطريق الواضح »

و« نهج الطريق نهجاً ، ونهوجاً ، وضح واستبان ، وطُرُقٌ : نهجة ، وسبيل : منهج ، ومنهج الطريق : وضَحُه، والمنهاج: الطريق الواضح »[١] .

وجاء في التنزيل الحكيم في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [الأنعام : ٤٨] .

قال ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن عباس – رضي الله عنه –: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ﴾ ، قال : سبيلاً ، ﴿ومنهاجاً ﴾ ، قال : سُنة [٢].

وذكر الزمخشري ، في تفسيره ، أن معنى : «منهاجاً » في الآية الكريمة ؛طريق واضح [٣] وبهذا يكون معنى : الشرعة والمنهاج ، في هذه الآية الكريمة ؛ « سبيلاً وسُنة » ، وطريقاً واضحاً .

١ – انظر : لسان العرب ٢/ ٣٨٣ ، مادة «نهج» ، والقاموس المحيط ، ص ٢٦٧

٢ – تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير ، ط٩ ، (لبنان : بيروت ، دار المعرفة ، ١٤١٧ هـ) ، ٢/ ٦٨-٦٩ ، وانظر : المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٥٨

٣ – الكشاف ، ١/ ٦٢٧

وبهذا يتبين ، أن كلمة ، « منهج » أو «منهاج» ، اسم مفرد يجمع على مناهج ؛ بمعنى :طريق أو سلوك ، وهي مشتقة من الفعل « نهج »، بمعنى طرق ، أو سلك ، أو اتبع[١] .

٢- المنهج اصطلاحاً :

هو « الطريق المؤدي ، إلى الغرض المطلوب ، خلال المصاعب ، والعقبات » [٢] .

ب- تعريف التلقي لغة واصطلاحاً:

ا- التلقي لغـة :

« ألقى الشيء : طرحه . وألقى الشيء في القلب : قذفه. وهو كالتعليم . يقال : ألقى إليه القول وبالقول : أبلغه إياه ، ولاقاه ملاقاة ولِقَاءً : قابله وصادفه »[٣] .

« وتلقاه : استقبله ، وتلقيته منه : تلقنته » [٤].

٢-التلقي اصطلاحاً:

---

١ – مناهج البحث العلمي في الإسلام ، د : غازي حسن عنابة ، ط١ ، (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٠ هـ) ، ص ٧٩

٢ – مناهج البحث العلمي ، أسس وأساليب د: عمار بوحوش و د: محمد الذنيبات ، ط١ ، (الأردن : الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٤١٠هـ) ، ص٩٢ ، وانظر: مناهج البحث العلمي د: عبد الرحمن بدوي ، طبعة : ١٩٧٧ م ، ص٣

٣ – المعجم الوسيط ، ٢/ ٨٣٦ (باب اللام) .

٤ – أساس البلاغة ، ص٥٧١ ،(باب اللام)

للتلقي اصطلاحاً ، عدة تعريفات ؛ منها : تلقي واستقبال أهل البادية ونحوهم ، وشراء ما يحملونه معهم قبل وصولهم إلى البلد ٠

ومنها : « تلقي العلم : – أي – استقباله وأخذه بحرص»[١]

والتلقي المذكور في هذا التعريف ، هو المقصود في هذا الموضع ٠

أما تعريف التلقي عند الصوفية ، فهو :

« أخذك ما يرد من الحق »[٢]٠

والتلقي عند الصوفية ، يعني التلقي عن طريق الكشف والرؤى والإلهام والذوق والوجد والخطرات ، وليس عن طريق الكتاب والسنة، ولا عن طريق تلقي العلم المعتاد ، وهذا قول باطل ، وبيّن الخطأ ، كما سيأتي بيانه في مكانه ، إن شاء الله ٠

١ – معجم لغة الفقهاء ، ص ١٤٥

٢ – اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ م) ، ص ٢٢

المبحث الأول : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، من منهج الصوفية في الكشف ٠

ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : منهج الصوفية في الكشف ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، من منهج الصوفية في الكشف ٠

المطلب الأول : منهج الصوفية في الكشف ٠

أولاً: تعريف الكشف ، لغة واصطلاحاً ٠

أ- الكشف لغة :

« رفعك الشيء ، عما يواريه ويغطيه » ، «وكشف الأمر يكشفه؛ كشفاً : أظهره »[١] ٠

ب- الكشف اصطلاحاً :

« الاطلاع على ما وراء الحجاب ، من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية ،وجوداً ، وشهوداً »[٢] ٠

ثانياً : منهج الصوفية في الكشف ٠

١ – لسان العرب ٩/ ٣٠٠ ، مادة « كشف» ، والقاموس المحيط ، ص١٠٩٧ ، مادة «كشف»
٢ – التعريفات ، ص ١٩٣ ، ومعجم المصطلحات الصوفية ص ١٤٧

تعد الصوفية ، منهج الكشف ، من أرقى مناهج المعرفة ، وطريقاً موصلاً ، إلى اليقين – عندهم – ؛ لذلك أهمل بعضهم الاهتمام بالعلوم الاستدلالية ، وزهدوا فيها ، ورغبوا الناس عنها ، وذلك لاعتمادهم ، على العلوم اللدنية ، الإلهامية ، دون الاعتماد على النقل والعقل ، وحثوا أتباعهم ، على نهج الكشف ، والإلهام ، والرؤى ، والهواتف ، وغيرها من مناهج التلقي المعروفة لديهم ، والشواهد على ذلك ، غير قليلة ، ومن خلال مصادرهم الأصلية ، المعتبرة لديهم ، وهذا طرف من أقوالهم، في الكشف ومنهجيتهم فيه :

قال أبو القاسم القشيري – الملقب بالأستاذ – « قد درج أشياخ الطريق كلهم ، على أن أحداً منهم ، لم يتصدر قط للطريق ، إلا بعد تبحره ، في علوم الشريعة ، ووصوله إلى مقام الكشف ، الذي يستغني به عن الاستدلال ... فإن حجج القوم أظهر من حجج غيرهم ، لتأيدها بالكشف »[١] .

وقال ابن ماخلا[٢] : « لا تقنع قط بسمعت ورويت ؛ بل شهدت ورأيت »[٣] .

١ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تأليف عبد الوهاب الشعراني ، حققه وقدم له، طه عبد الباقي سرور ، (بيروت : مكتبة المعارف) ، ١/ ٦٣

٢ – داود الكبير بن ما خلا ، شيخ محمد وفا الشاذلي ، كان شرطياً في بيت الوالي بالإسكندرية . (طبقات الشعراني ، ١٨٨/١)

٣ – طبقات الشعراني ، ١/ ١٩٩ . قول باطل يؤدي إلى ترك العلم الشرعي – الذي يعتمد على السمع والرواية – والاعتماد على علوم الإلهام التي قد تصيب وقد تخطئ .

قال الخوّاص[١] : « لا يبلغ أحد مقام الإخلاص ، في الأعمال حتى يصير ، يعرف ما وراء الجدار ، وينظر ما يفعله الناس في قعور بيوتهم في بلاد آخر ، فهناك يعرف يقيناً هذا الكشف »[٢] .

وقال أبو حامد الغزالي : « ... الكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله تعالى»[٣] .

وقال أبو الحسن الشاذلي[٤]« علوم النظر أوهام ، إذا قرنت بعلوم الإلهام »[٥] .

ولما كان هذا المنهج مستقراً لديهم ، وأصيلاً عندهم ، عللوا تمسكهم به فقالوا : « فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن ميل أهل التصوف ، إلى العلوم الإلهامية ، دون التعليمية ، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون »[٦].

---

١ – إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، كنيته أبو إسحاق ، وهو أحد من سلك طريق التوكل ، وكان من أقران الجنيد والنوري ، مات في جامع الري ، سنة إحدى وتسعين ومائتين .(طبقات الصوفية ، ٢٨٤) .

٢ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/ ١٥٩ . لم يرد عن أحد من السلف مثل هذه الدعوة ، ولم يكن من عادة السلف البحث عن مثل هذه العلوم ،التي يسعى لها كثير من الصوفية للتلبيس على العوام من الناس .

٣ – إحياء علوم الدين ، تصنيف أبي حامد محمد الغزالي ، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، للعلامة زين الدين العراقي ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ٣/ ١٤

٤ – علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي ، الضرير الزاهد ، نزيل الاسكندرية ، وشيخ الطائفة الشاذلية ، مات بصحراء عيذاب ، قصداً الحج ، فدفن هناك ، في ذي القعدة ، سنة ست وخمسين وستمائة .(طبقات الشعراني ، ٢/٤)

٥ – اليواقيت والجواهر ، للشعراني (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٩م)١/ ٢٨ قول فاحش يقلل من مكانة العلوم الشرعية ، التي نُقلت لنا عن طريق النظر ، والسمع ، وطعن بما نقلة لنا الأئمة العدول من السلف –رحمهم الله – من العلوم الشرعية والعلوم المختلفة .

٦ – الإحياء ، ٣/ ٢١ . قول صحيح واعتراف صريح بواقع الصوفية ، فهم من أجهل الخلق بالعلوم الشرعية ، التي تعتمد على التلقي والمطالعة ، والبحث في المصنفات وبطون الكتب ، فلذلك نجد كتبهم ومؤلفاتهم محشوة بالقول الباطل ، والكذب المفترى ، الشيء الكثير .

و قال الغزالي :« اعلم أن من انكشف له الشيء اليسير بطريق الإلهام ، والوقوع في القلب من حيث لا يدري ، فقد صار عارفاً ، بصحة الطريق » [١] .

ولذلك لم يسعوا ، ويلزموا أنفسهم ، بمعرفة النصوص الشرعية المستمدة من المصادر الأصلية ، من كتاب وسنة ، بل كان مستندهم في طلب العلم والمعرفة ، من خلال هذه المناهج ، التي ارتضوها لأنفسهم ٠

وقد قسم الصوفية الكشف ، إلى أقسام[٢] بيانها فيما يلي :

أ – الرؤيـــة :

الرؤية لغة : « الرؤية بالعين ، تتعدى إلى مفعول واحد ، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين ، والرؤية النظر بالعين ، والقلب »[٣] ٠

واصطلاحـاً : « المشاهدة بالبصر ، حيث كان ؛ أي في الدنيا والآخرة»[٤] ٠

تعد الرؤية أحد أهم ، أنواع الكشف ، عند الصوفية ، وبالتالي فهي جزء ، من مصادر التلقي ، عندهم ، ولهم في الرؤية ، منهج خاص ، سيتضح بعون الله وتوفيقه ، من خلال عرض أقسام الرؤى لديهم ، كما بيّنت ذلك أقوالهم ، وسطرته أقلامهم ، وحوته مؤلفاتهم:

١- رؤية الله – تعالى وتقدس ذكره – :

---

١ – الإحياء ٣/ ٢٥

٢ – كما جعلوا للكشف مراتب ودرجات وهي : « المحاضرة ، وهي أول مراتب الكشف ، وآخر مراتب الحجاب ، ثم المكاشفة ثم المشاهدة » انظر : (الإحياء ٣/ ١٨ ، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، عرضاً ونقداً ، تأليف صادق سليم صادق ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٢٢)

٣ – لسان العرب ، ١٤/ ٢٩١ ، مادة (رأى)

٤ – التعريفات ، ص١١٤

للصوفية موقف من رؤية الباري – تعالى – ، فالسواد الأعظم منهم ، يرون أن الله – تعالى – يرى في الآخرة دون الدنيا – موافقين بذلك عقيدة السلف – .

قال الكلاباذي : « وأجمعوا أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ، ولا بالقلوب ، إلا من جهة اليقين »[١] .

وقال القشيري : « فإن قيل : فهل تجوز رؤية الله – تعالى – بالأبصار في الدنيا على وجه الكرامة ؟ .

فالجواب عنه : أن الأقوى فيه أنه لا يجوز ، لحصول الإجماع عليه»[٢].

إلا أن بعضهم يزعم إمكانية رؤية الحق – تبارك وتعالى– في الدنيا ، في المنام ، فقد نقل إمكانية حصول هذه الرؤية القشيري ، فقال :« قيل : رأى أبو بكر الآجري [٣]، الحق – سبحانه – في النوم » [٤] .

وقال أبو يزيد البسطامي : « رأيت ربي – عز وجل – في المنام، فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال: اترك نفسك وتعال»[٥] .

٢– رؤية الرسول الكريم – ﷺ – يقظة بعد موته :

للصوفية اعتناء خاص ، ومنهج مميز في التلقي ، عن النبي–ﷺ–، يقظة بعد موته ؛ بل ويعتبرون هذا المنهج في التلقي ، من أوثق المناهج

١ – التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٤٦ ، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد ،للغزالي ، ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ) ، ص ٤١ ، وما بعدها .

٢ – القشيرية ، ص ٣٦٠

٣ – محمد بن الحسن بن عبد الله الآجري البغدادي ، أبو بكر ، فقيه ، محدث، حافظ ، إخباري ، حدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، فسكنها حتى توفي بالحرم ، سنة ٣٦٠هـ . (معجم المؤلفين ، ٢٤٣/٩) .

٤ – القشيرية ، ص ٣٦٨

٥ – القشيرية ، ص ٣٦٩

والمصادر ، التي يستقون ، منها علومهم ومعارفهم ، وكتب الصوفية التي يعتبرونها – على مر العصور – من المصادر الأساسية لديهم ، تفيض بذكر ما تم بينهم وبين الرسول الكريم –ﷺ– ، من مقابلات ومحادثات، وأخذهم التوجيهات منه –ﷺ– ، وقد نقل ذلك أكثر من علم من أعلام الصوفية ، ممن لهم قصب السبق ، في علوم القوم ومعارفهم ، ونصوا على أن هذه الرؤية ، ومنهجهم فيها ، مصدر من مصادر التلقي المعتبرة.

قال أبو حامد الغزالي ، عن الصوفية : « ... من أول الطريق تبتدأ المشاهدات والمكاشفات ، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد...»[١].

وقال أبو العباس المرسي[٢] : « طريقنا هذه هداية ، وقد يجذب الله – تعالى – ، العبد إليه جذبة ، فلا يجعل عليه مِنَّة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله – ﷺ– فيكون آخذاً عنه وكفى منة ...»[٣] . بل ومنهم من يزعم أنه يرى النبي الكريم – ﷺ– كل ليلة [٤].

ونقل الشعراني[٥] بعض أقوال محمد أبي المواهب الشاذلي فقال: « كان رضي الله عنه ، كثير الرؤيا لرسول الله –ﷺ– ، وكان يقول : قلت : لرسول الله – ﷺ– إن الناس يكذبونني في صحة رؤيتي لك ، فقال رسول الله –ﷺ– وعزة الله وعظمته من لم يؤمن بها ، أو كذبك فيها، لا يموت إلا يهودياً

---

١ –المنقذ من الضلال ، ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة في الأدب في الدين ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح ، محمد محمد جابر ، (لبنان : بيروت المكتبة الثقافية) ، ص ٥٠

٢ – أحمد أبو العباس المرسي ، كان من أكابر القوم ، مات سنة ست وثمانين وستمائة . (طبقات الشعراني ، ٢/ ١٢–١٣)

٣ – طبقات الشعراني ٢/ ١٣

٤ – انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ٢/ ١٣، والإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ، تأليف أحمد بن المبارك ، (مكتبة الصفا بالأزهر ، والمكتبة الثقافية التوفيقية) ، ص٨

٥ – عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشعراني ، فقيه ، أصولي ، صوفي ، ولد بمصر ٢٧ رمضان سنة ٨٩٨ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ .(معجم المؤلفين ، ٦/٢١٨)

، أو نصرانياً ، أو مجوسياً » ، ثم عقب الشعراني علـى ذلك فقال: « هذا منقول من خط الشيخ أبو المواهب»[١] .

و سرد الشعراني كثيراً من هذه الأقوال ، كلها تحث على التصديق برؤية ، الرسول -ﷺ- يقظة بعد موته ، يزعم في بعضها أن الرسول -ﷺ- ، حث على قراءة علم التصوف ، والتمسك به ، وأنه -ﷺ- صحح بعض الأحاديث ، التي عرضها عليه الشاذلي، في أحد مقابلاته للرسول- عليه السلام - [٢] .

وتؤكد الصوفية ، أنه لا تمتنع رؤية ذاته الشريفة - ﷺ- بجسده وروحه ، بعد موته .

وصرحوا بإمكانية ذلك ، فقد نقل مؤلف كتاب - رماح حزب الرحيم - عن شيخه أحمد الرفاعي[٣] ، أنه عندما وقف تجاه الحجرة الشريفة - التي تضم قبر الرسول الكريم ﷺ ، بمسجده - وأنشد بعض أبيات الشعر ، يطلب فيها من الرسول -ﷺ- أن يمد يده ليقبلها ، «فخرجت اليد الشريفة ، من القبر فقبلها » ثم قال: « ولا تمتنع رؤية ذاته الشريفة ، بجسده وروحه ، وذلك لأنه - ﷺ- وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم ، بعد ما قبضوا ، وأُذن لهم في الخروج من القبور»[٤].

فهذه النصوص ، وغيرها تؤكد اعتقاد الصوفية ، بإمكانية رؤية النبي - ﷺ- يقظة بعد موته ، - بل ووقوعها حقيقة - وإمكانية التلقي عنه مباشرة

١ - طبقات الشعراني ٢/ ٧٢ -٧٣ . كذب صريح على رسول الله -ﷺ- ، فلو كان ذلك مطلوباً من الأمة ، لأخبر به الرسول الكريم -ﷺ- بخبر لا يقبل الشك ، ولأعطي هذا الفضل لأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسائر الصحابة - رضي الله عنهم - ، لا يقصر على هذا الصوفي .

٢ - انظر : طبقات الشعراني ٢/ ٧٥ . الحكم على الأحاديث النبوية الشريفة لا يتم عن طريق الأحلام والمنامات ، وإنما يتم عن طرق العلم بأحوال الرواة ، وما ذكره أهل الحديث والجرح والتعديل ، وأهل المصنفات الحديثية المشهورة ؛ ولكن لأن هذا الطريق يتطلب البحث والدراسة، فلم يسلكه الصوفية ؛ لأن طريقتهم قائمة على التجهيل والتضليل ، والكذب والتزوير .

٣ - أحمد بن أبي الحسن الرفاعي ، منسوب إلى بني رفاعة من العرب ، توفي يوم الخميس وقت الظهر ، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة .،(طبقات الشعراني ، ١/١٤٥،١٤٣)

٤ - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، بهامش جواهر المعاني ، تأليف : عمر سعيد الفوني ، (لبنان :بيروت ، دار الجيل) ١/ ٢١٩

، وأن لهم منهجاً خاصاً في التلقي من خلال هذه الرؤية ، التي لم تنقطع ، ولن تنقطع –بزعمهم –٠

فقد زعم ابن عربي أن : « ٠٠٠ من كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبي –ﷺ– في كشفه ، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه ، حُشر معه يوم القيامة ٠٠٠ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم ، ولا يلحق بهذه الدرجة ، صاحب النوم ، ولا يسمى صاحباً ، لو رآه في كل منام ، حتى يراه وهو مستيقظ ، كشفاً يخاطبه، ويأخذ عنه ، ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن »[1] ٠

٣– رؤية الخضر[2] – عليه السلام – :

من يطلع على كتب الصوفية ، يجد أن شخصية الخضر –عليه السلام–، حظيت لديهم باعتناء خاص ، بحيث أصبح الأخذ عنه ، ولقياه – بزعمهم– ، أمراً حقيقياً ، لا يقبل الجدل ، بل وكثرت أخباره ، وتواترت نقولهم لذلك ، وأصبح لهم منهجاً متميزاً ، في التلقي من الخضر –عليه السلام–٠

وليؤكد هذا التواتر وشهرته ، في هذه الرؤية ، يقول ابن عطاء السكندري :

١ – الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية ، تأليف محي الدين بن علي الطائي ، المعروف بابن عربي ، إعداد مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، (بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٨ هـ) ، ٣/ ٥١

٢ – قيل إن اسمه : خضرون بن قابيل بن آدم ، وقيل إليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح –عليه السلام– ، وقد اختلف في اسمه ونبوته وحياته على أقوال كثيرة ، وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيميه وفاته ، وكذلك ابن القيم ٠ انظر : (البداية والنهاية ١/ ٣٦٣ وما بعدها ، والفتاوى ٢٧/ ١٠٠، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف ، للإمام ابن قيم الجوزية ، حققه العلامة ، عبد الرحمن المعلمي ، أعده وأخرجه منصور عبد العزيز السماري ، ط٢، (الرياض :دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ) ، ص ٥٨) ٠

« واعلم أن بقاء الخضر ، قد أجمع عليه هذه الطائفة ، وتواترت عن أولياء كل عصر لقاؤه ، والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر إلى حد التواتر ، الذي لا يمكن جحده ...»[1] .

وقال : « واعلم –رحمك الله – أن من أنكر وجود الخضر فقد غلط»[2] .

وقال أبو الحسن الشاذلي :« لقيت الخضر –عليه السلام– في صحراء عيذاب[3] ، فقال لي: يا أبا الحسن ، أصحبك الله اللطف الجميل ، وكان صاحباً في المقام والرحيل »[4] .

وذكر القشيري عن إبراهيم بن أدهم[5] أنه : «رأى في البادية ، رجلاً علمه اسم الله الأعظم ، فدعا به بعده ، فرأى الخضر –عليه السلام– ، وقال : إنما علمك أخي داود ، اسم الله الأعظم»[6] .

وكذلك نقل الشعراني ، عن ابن عربي ، في سند لبس خرقة التصوف قوله :

---

١ – لطائف المنن في مناقب الشيخ أبو العباس المرسي ، وشيخه الشاذلي أبو الحسن ، تأليف تاج الدين بن عطاء السكندري ، ط٢ (مصر: عالم الفكر ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٨١

٢ – لطائف المنن ، ص ٨٣ . بل من أثبت حياة الخضر – عليه السلام – إلى الآن هو الذي غلط .

٣ – مرفأ قديم في مصر على البحر الأحمر ، قرب الحدود السودانية . (المنجد في الأعلام ص٣٨٢ ، وانظر: معجم البلدان ٤/ ١٩٣)

٤ – طبقات الشعراني ، ٢/٥

٥ – إبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق ، من أهل بلخ ، كان من أبناء الملوك والمياسير ، خرج إلى مكة المكرمة ، وصحب بها سفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ودخل الشام ، ومات بها سنة ١٦١هـ (طبقات الصوفية ، ٢٧، والقشيرية ، ص ٣١٩)

٦ – القشيرية ، ص ٣٩٢

« ... ولكن لما رأيت الخضر – عليه الصلاة والسلام – ، بمكة يلبسها للأولياء ، قلت بها من ذلك الوقت ، فلبستها من يده تجاه الحجر الأسود ، وألبستها للناس بعد ذلك »[١] .

ونصوص لقاء الخضر –عليه السلام– عند الصوفية المتقدمين والمتأخرين، كثيرة جداً ، ولم يكن مقصودهم من إيراد هذه النصوص ، التي تزخر بها مؤلفاتهم ، مجرد إثبات لقاء الخضر –عليه السلام– ورؤيته ، وإنما الذي يرمون إليه من ذلك ، هو استحداث منهج جديد في التلقي ، يستمدون منه العلم والمعرفة ، دون عناء ، وحاجة للبحث والتعليم ، كما يفعل غيرهم.

وقد يرون الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– ، أو الخضر –عليه السلام– أو غيرهما من الصالحين عن طريق الرؤى المنامية ؛ ولذلك تحتل الرؤى المنامية ، مكانة بارزة ، في منهج التلقي ، عند الصوفية ، وقد اعتنوا بهذا المنهج عناية فائقة ؛ ولهذا فلا تجد – في غالب الأحوال –،أي مؤلف من مؤلفاتهم ، يخلو من ذكرها ، وقد أفردها بعضهم بمباحث خاصة ، كالكلاباذي[٢] ، و القشيري[٣].

فقال القشيري : عن الرؤيا : « وتحقيق الرؤيا ، خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الخيال » [٤] .

ومجالات الرؤيا ، التي ينقل الصوفية أخبارها ، أكثر ما تدور حول الباري – تقدس ذكره – ورؤية الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– ، وبعض الصالحين [٥].

١ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ٤٩
٢ – التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ١٧١
٣ – القشيرية ، ص ٣٦٤
٤ – القشيرية ، ص٣٦٥
٥ – القشيرية ، ص ٣٦٨

قال محمد بن علي الكتاني[١] : « رأيت النبي -ﷺ- في المنام. فقال لي : من تزين للناس ، بشيء يعلم الله تعالى منه خلافه ، شانه الله»[٢].

ونقل الكلاباذي ، عن أبي عبد الله بن الجلاء[٣] قوله : «دخلت مدينة رسول الله -ﷺ- وبي شيء من الفاقة[٤] ، فتقدمت القبر وسلمت على النبي -ﷺ- ... ثم قلت : يا رسول الله ، بي فاقة ، وأنا ضيفك الليلة ! ثم تنحيت ، ونمت بين القبر والمنبر ، فإذا أنا بالنبي – عليه السلام – ، جاءني ودفع إليَّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، فانتبهت فإذا في يدي نصف الرغيف»[٥].

وقال بنان[٦] : « رأيت رسول الله -ﷺ- في المنام ، فقال : يا بنان .

فقلت : لبيك يا رسول الله . فقال : من أكل بشره نفس ، أعمى الله عين قلبه ، فانتبهت وعقدت أن لا أشبع بعدها أبداً »[٧] .

ومنهج الصوفية في الرؤية عموماً – كما يقولون – : « إن المقرر ، عند العلماء والأعلام[٨] ، أنه يُعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه – عليه الصلاة والسلام – ، سواء في اليقظة ، أو في المنام...»[٩].

---

١ – محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، أصله من بغداد ، وصحب الجنيد وغيره ، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات . (طبقات الصوفية ، ص ٣٧٣)

٢ – القشيرية ، ص ٣٦٨

٣ – أبو عبد الله أحمد بن يحي ، ويقال محمد بن يحي ، وأحمد أصح ، أصله من بغداد ، وأقام بالرملة .(طبقات الصوفية ١٧٦)

٤ – الفاقة : الفقر والحاجة (مختار الصحاح ، ص ٤٥٣ ، باب الفاء)

٥ – التعرف ، ص ١٧١

٦ – بنان بن محمد بن أحمد بن سعيد ، أصله من واسط ، وسكن مصر وأقام بها ، وبها مات في شهر رمضان سنة ست عشر وثلثمائة . (طبقات الصوفية ، ص ٢٩١)

٧ – طبقات الشعراني ، ١/ ٩٨

٨ – ليس على إطلاقه ، وإنما يقصدون أعلام وعلماء الصوفية .

٩ – الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني ، تأليف محمد عبد الله التجاني ، ط٣ ، (القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٧ هـ) ، ص ٩٩ . هذا ليس على إطلاقه فإن كانت الرؤية مخالفة لما هو مقرر في

ب ـ الإلهام والخواطر والهواتف :

١- **الإلهام لغة :** « ما يلقى في الروع» أو « أن يُلقي الله في النفس ، أمراً يبعثه على الفعل ، أو الترك ، وهو نوع من الوحي ، يخص الله به من يشاء من عباده »[١] ٠

٢- **الإلهام اصطلاحاً:** « ما يُلقى في الروع ، بطريق الفيض » أو« ما وقع في القلب ، من علم يدعو إلى العمل ، من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة »[٢] ٠

والإلهام ليس بحجة ، عند العلماء ، إلا عند الصوفية [٣]، فهو من مناهج التلقي ، المعتبرة لديهم ٠

وقد يسمى الإلهام بالعلم اللدّنيّ ؛ كما بين ذلك ابن القيم بقوله:«٠٠٠والعلم اللدني : هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً ، بلا سبب من العبد ، ولا استدلال ، ولهذا سمي لدنياً»[٤]٠

ويري بعض الصوفية ، أن لا فرق ، بين وحي الأنبياء ، و إلهام الأولياء ، إلا أن النبي يرى الملَكَ ، الذي يحمل الوحي ٠

الشرع ، أو فيها معصية أو بدعة ، فلا يعمل بها ، كما بين ذلك علماء السلف المقتدى بهم ٠ لأن من الرؤية ما هو صحيح ، وما هو غير صحيح ٠

١ -لسان العرب ، ١٢/ ٥٥٥ ، مادة «لهم»

٢ - التعريفات ، ص٣٥

٣ - التعريفات ، ص ٣٥

٤ - مدارج السالكين ، ٣/ ٤٣١

يقول الغزالي: « ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء ، بل في مشاهدة الملَكَ المفيد العلم ، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا ، بواسطة الملائكة »[١].

وقال : إن العلم الذي « يحصل لا بطريق الاكتساب ، وحيلة الدليل ، يسمى إلهاماً »[٢] .

ويرى ابن عربي ،أن الإلهام قد يخطئ ، ولا يكون دائماً صحيحاً،وذلك حين فرق بين الإلهام ، والعلم اللدني ، بقوله : « والعلم يصيب ولابد ، والإلهام قد يصيب وقد يخطئ ، فالمصيب منه يسمى علم الإلهام ، وما يخطئ ، يسمى إلهاماً ، لا علماً »، وأيد ذلك شعراً فقال:

لا تحكمن بإلهام تجده فقد يكون في غيرما يرضاه واهبه
واجعل شريعتك المثلى مصححة فإنها تمر بجنبه كاسبة [٣]

وقد رد بعض الصوفية ، على من أنكر الإلهام ، أو قول الصوفي حدثني قلبي عن ربي ، بقولهم : « لا إنكار ؛ لأن المراد ، أخبرني قلبي عن ربي ، من طريق الإلهام ، الذي هو وحي الأولياء »[٤] .

أما **الخواطر** ، فذكر القشيري أنها : « خطابات ترد على الضمائر ، فقد يكون الخطاب ، بإلقاء ملك ، أو إلقاء شيطان ، أو أحاديث نفس أو من الحق سبحانه ، فإذا كان من الملك فهو الإلهام ، وإذا كان من قِبَل النفس

---

١ –الإحياء ، ٣/ ٢١
٢ –الإحياء ، ٣/ ٢٠
٣ – الفتوحات المكية ، ١/ ٣٦١
٤ –الفتوحات المكية ، ١/ ٣٥٨

قيل له الهواجس ، وإذا كان من الشيطان فهو الوسواس ، وإذا كان من الله سبحانه ، وكان إلقاؤه في القلب فهو الخاطر »[١] .

وقال : « اتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام، لم يفرق بين الإلهام والوسواس »[٢]

وأما الهواتف فهي : الصوت الجافي العالي ، وقيل الصوت الشديد ، وهتف به هاتف ، صاح به . وهتفٌ بفلانٍ : أي دعوته ، وهتفت بفلان :أي مدحته .وسمعت هاتفاً يهتف إذا كنت تسمع الصوت ، ولا تبصر أحداً [٣] .

قال أبو سعيد الخراز[٤] : « بينا أنا عشية عرفه ، قطعني قرب الله – عز وجل – عن سؤال الله ، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله –تعالى – ، فسمعت هاتفاً يقول : أبعد وجود الله تسأل غير الله »[٥].

وقد استدل الكلاباذي[٦] ، على صحة العمل بالهواتف ، بحديث رواه بسنده عن عائشة –رضي الله عنها – قالت : «لما أرادوا غسل النبي –ﷺ– ، اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندري أنجرد رسول الله –ﷺ– من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم

١ – القشيرية ، ص ٨٣
٢ – القشيرية ، ص ٨٤
٣ – انظر : لسان العرب ، ٩/ ٣٤٤ مادة : هتف ، ومعجم لغة الفقهاء ، ص ٤٩١
٤ – أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري ، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم ، قيل أنه أول من تكلم في علم الفناء ، والبقاء ، مات سنة ٢٧٩هـ (طبقات الصوفية ، ٢٢٨) .
٥ – التعرف ، ص ١٦٨
٦ – التعرف ، ص ١٦٨

السِّنَةَ[١] ، حتى ما بقي منهم أحد إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي-ﷺ- ، وعليه ثيابه »[٢].

هذه بعض النصوص التي تبين منهج الصوفية في الإلهام والخواطر والهواتف ، فهم يثبتون الإلهام والخواطر والهواتف ، ويحتجون بها، إلا فيما يعارض الكتاب والسنة - كما يزعمون- .

لهذا قال أبو الحسن الشاذلي : « إذا عارض كشفك الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك إن الله - تعالى - قد ضمن لي العصمة ، في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهام »[٣] .

وهذا القول لا ينطبق ، على جميع الصوفية ؛ لأن منهم المفتونين بالبحث عن الكشف ، والإلهام والخواطر و خوارق العادات .

١ - السِّـنَةَ : النعاس

٢ - سنن أبو داود ، كتاب الجنائز ، باب ستر الميت عند غسله ، (استبول " طبعة المكتبة الإسلامية ، ٣/ ١٩٦ ، حديث رقم ٣١٤١) ، ونصه: «حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : سمعت عائشة تقول : لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : والله ما ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ثيابه ، كما نجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت ، لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة ، تقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، ما غسله إلا نساؤه »

٣ - طبقات الشعراني ، ٢/ ٦٨

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، من منهج الصوفية في الكشف ٠

لقد تحدث علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، عن منهج الصوفية في الكشف، بوصفه منهجاً من مناهج التلقي ، المهمة لديهم، فأصَّلوا منهج الكشف الشرعي ، المستمد من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة ، وبينوا ما يخالف ذلك من المنهج الصوفي ٠

قال الإمام ابن القيم : « فالكشف الصحيح ، أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسوله – ﷺ– ، وأنزل به كتبه ، معاني لقلبه ، ويرد إرادة القلب له ، فيدور معه وجوداً وعدماً ، هذا هو التحقيق الصحيح ، وما خالفه فغرور قبيح » [(١)] ٠

١ – مدارج السالكين ، ٣/ ٢٣٦ ، وقد أفاض الإمام ابن القيم في الحديث عن الكشف في كتابه مدارج السالكين ، أنظر : ٣/ ٢٣١– ٢٤١

وقال الشاطبي إن الكشف ، وقع[١] للرسول الكريم -ﷺ-، وحكم بمقتضاه ، ففي الصحيح : صلى رسول الله -ﷺ- ، يوماً ثم انصرف فقال : « يا فلان ! ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يُصلي ؟ ؛ فإنما يصلي لنفسه . إني والله لأبصر من ورائي ، كما أبصر من بين يدي »[٢] .

فهذا حكم أمري بناء على الكشف ، وكذلك الرؤية ، عندما تواطأت، بنى عليها الحكم ، في ألفاظ الأذان [٣]، وكذلك الصحابة -رضي الله عنهم- وقع لهم كشف ، فعملوا بمقتضاه ، كما حدث لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه- في وصيته لعائشة [٤]- رضي الله عنها - وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه- في ندائه سارية[٥] وهو على المنبر[٦].

واستدل على قبول الكشف ، أو الأمر الخارق للعادة ، «لما ثبت أن النبي -ﷺ- حذر وبشر ، وأنذر وندب ، وتصرف بمقتضى الخوارق من الفراسة الصادقة ، والإلهام الصحيح ، والكشف الواضح ، والرؤيا الصالحة

---

١ - الرسول الكريم -ﷺ- ، له خصوصية وأحكام تتعلق بالرسالة ، فهو قبل هذا نبي ورسول ، يوحى إليه ، ورؤيا الأنبياء حق ونبوة ووحي ، بخلاف رؤيا غير المرسلين ، فإن كشفهم خاضع للشرع ولما جاء به الرسول -ﷺ- ، فما وافقه قبل ، وإلا فلا .

٢ - صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ،١/ ٣١٩ ، حديث رقم ٤٢٣

٣ - انظر: سنن أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب كيف الأذان ، ١/ ١٣٥ حديث رقم ٤٩٩

٤ - قاله رضي الله عنه لابنته عائشة رضي الله عنها لما أبطل نحلته لها عشرين وسقاً (أخرجه مالك في الموطأ ، إعداد أحمد راتب عرموش ، ط ٦ (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٢هـ) ، كتاب الأقضية ، ما لا يجوز من النحل ، ص ٥٣٣ حديث رقم ١٤٣٤) ونصه : «عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : إن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة ، قال : والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلي غنى بعدي منك ، ولا أعز علي فقراً بعدي منك ، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا ، فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقتسموه على كتاب الله . قالت : عائشة ، فقلت : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هي أسماء فمن الأخرى. فقال أبو بكر : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية »

٥ - انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة تأليف عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي الجزري ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، ٢/ ٣٨٠ ، و الأصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ) ، ٣/ ٥

٦ - انظر : الموافقات تصنيف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تقديم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، ضبط نصه ، وقد له ، وعلق عليه ، وخرج أحاديثه ، أبو عبيده مشهور بن حسن آل سليمان ، ط١ (الخبر : دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ) ، ٤/ ٤٦٨ - ٤٦٩

، كان من فعل مثل ذلك ، ممن اختص بشيء من هذه الأمور على طريق الصواب ، وعاملاً بما ليس بخارج عن المشروع ولكن مع مراعاة شرط ذلك »[١] ، وهو «أن ينظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد ؛ فإن كان لها أصل في كرامات الرسول – عليه الصلاة والسلام – ومعجزاته فهي صحيحة ، وإن لم يكن لها أصل ؛ فغير صحيحة ، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة ؛ إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة ، بل منها ما يكون كذلك، ومنها مالا يكون كذلك »[٢] .

ومن الدليل على صحته زائداً على ما تقدم أمران :

أحدهما : أن النبي –ﷺ– قد عمل بمقتضى ذلك ، مع أنه لم يذكر أن ذلك خاص به دون أمته ، فدل على أن الأمة حكمهم في ذلك حكمه ، شأن كل عمل صدر منه ولم يثبت دليل على الاختصاص به دون غيره [٣].

والثاني : عمل الصحابة –رضي الله عنهم– بمثل ذلك من الفراسة ، والكشف والإلهام، والوحي النومي ، كقول أبي بكر – رضي الله عنه–: « إنما هما أخواك وأختاك »[٤] . وقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– : « يا سارية الجبل »[٥] فأعمل النصيحة التي أنبا عنها الكشف [٦].

وبيّن ابن أبي العز الحنفي ، أحد علماء السلف في القرن الثامن، أن تنوع « الكشف والتأثير ، باعتبار تنوع كلمات الله ، وكلمات الله نوعان : كونية ودينية [٧] ؛فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي –ﷺ– في قوله

---

١ – الموافقات ، ٢/ ٤٤٦– ٤٤٧

٢ – الموافقات ، ٢/ ٤٤٤

٣ – الموافقات ٢، / ٤٤٦

٤ – موطأ مالك ، ص ٥٣٣ ، حديث رقم ١٤٣٤

٥ – أسد الغابة ، ٢/ ٣٨٠ ، و الأصابة في تمييز الصحابة ، ٣/ ٥

٦ – الموافقات ، ٢/ ٤٥٤

٧ – انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ،تحرير الحساني حسن عبد الله ، (القاهرة : مكتبة دار التراث) ، ص ٤٤٩ ، وما بعدها .

-ﷺ- : « أعوذ بكلمات الله التامات ۰۰۰»[1] ، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر المخلوقات ۰

والنوع الثاني : الكلمات الدينية ؛ وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله -ﷺ- وهي : أمره ونهيه ، وخبره ، وحظ العبد منها العلم بها ، و العمل والأمر بما أمر الله ، كما أن حظ العبد عموماً ، وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها ؛ أي : بموجبها ؛ فالأولى تدبيرية كونية ، والثانية شرعية دينية ، فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ۰

وقدرة الأولى : التأثير في الكونيات ، إما في نفسه ؛ كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء ، وجلوسه في النار ، وإما في غيره ؛ بإصحاح وإهلاك ، و إغناء و إفقار ۰۰۰ ۰

وقدرة الثانية : التأثير في الشرعيات ؛ إما في نفسه ، بطاعة الله ورسوله -ﷺ- والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- باطناً وظاهراً ، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله -ﷺ- فيطاع في ذلك طاعة شرعية»[2]۰

و بيّن عدد من علماء السلف ، في القرن الثامن : « أن عدم الخوارق علماً وقدرة ، لا تضر المسلم ، في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له ، فإنه إن اقترن بالدين ؛وإلا هلك صاحبه

---

١ – صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء ، وغيره ، ٢٠٨٠/٤، حديث رقم ٢٧٠٨
٢ – شرح الطحاوية ، ص٧٤٩

في الدنيا والآخرة ، فإن الخارق قد يكون مع الدين ، وقد يكون مع عدمه أو فساده ، أو نقصه »[١] .

وقد اشترط الشاطبي ، لقبول الكشف ، أن يكون موافقاً لما جاء بالشرع ، ولا يخرم قاعدة شرعية ، « فإن ما يخرم قاعدة شرعية ، أو حكماً شرعياً ، ليس بحق في نفسه ؛ بل هو إما خيال ، أو وهم ، وإما من إلقاء الشيطان ، وقد يخالطه ما هو حق ، وقد لا يخالطه ، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع»[٢].

وليس الإطلاع على المغيبات ، ولا الكشف الصحيح ، بالذي يمنع من الجريان ، على مقتضى الأحكام العادية ، والقدوة في ذلك رسول الله – ﷺ– فقد كان – عليه الصلاة والسلام – معصوماً ، لقوله –تعالى– : ﴿ ٠٠٠والله يعصمك من الناس٠٠٠٠ ﴾ ، [المائدة : ٦٧ الآية] ٠

ولا غاية وراء هذا ، ثم كان يتحصن بالدرع والمغفر ، ويتوقى ما العادة أن يُتقى ، ولم يكن ذلك نزولاً عن رتبته العليا إلى ما دونها ، بل هي أعلى »[٣] .

وقد أجاز– بعض – علماء السلف العمل بالكشف ، إذا لم يخرم قاعدة شرعية على عدة أوجه :

أولاً : أن يكون الكشف في أمر مباح ٠

ثانياً : أن يكون العمل عليه لفائدة يرجو نجاحها ٠

---

١ – شرح الطحاوية ، ص ٧٤٩ – ٧٥٠ ، وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه ، د : بشار عواد معروف ، والشيخ : شعيب الأرنؤوط ، و د: صالح مهدي عباس ، ط١ ،(بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ هـ) ، (الطبقة ٦٢) ، ص ٤٢٦

٢ – الموافقات ٢/ ٤٥٧

٣ – الموافقات ، ٢/ ٥٠٦ – ٥٠٧

ثالثاً : أن يكون فيه تحذير ، أو تبشير ، ليستعد لكل عدته [١] .

وقد فرق علماء السلف ، بين منهج الكشف الموافق لمنهج السلف الصالح ، المستمد من الكتاب العزيز ، وسنه المصطفى الكريم-ﷺ-، ومنهج الكشف الصوفي .

فبينوا أن بعض المكاشفين من الصوفية ، إنما يتلقون الكشف من الجن، أو من طريق الرياضة والسهر ، والجوع والخلوة ، والهواتف والخيالات الفاسدة .

ومن وصف حال أولئك الصوفية ، بدر الدين الشبلي[٢] ، بقوله: « وغالب ما يوجد الجن في مواضع النجاسات ، كالحمامات والحشوش والمزابل ، والقمامين ، والشيوخ – الصوفية – الذين تقرن بهم الشياطين ، وتكون أحوالهم شيطانية ، لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هذه الأماكن ، التي هي مأوى الشياطين » إلى أن قال : « والمقصود أن أهل الضلال والبدع ، الذين فيهم زهد وعبادة ، على غير الوجه الشرعي ، ولهم أحياناً مكاشفات ،ولهم تأثير ، يأوون كثيراً ، إلى مواضع الشياطين التي نُهي عن الصلاة فيها ؛ لأن الشياطين تتنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور ، كما تخاطب الكهان »[٣] .

١ – انظر: الموافقات ، ٢/ ٤٧١ ، ٤٧٣

٢ – محمد بن عبد الله الشبلي ، الدمشقي الحنفي ، بدرالدين بن تقي الدين ، ولد بدمشق سنة ٧١٢هـ ، ومن مؤلفاته : محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل ، وآكام المرجان في أحكام الجان ، وعقيدته : عقيدة السلف ، قال ابن حجر نقلاً عن الذهبي : « الفقيه المحدث العالم أبو البقاء من نبهاء الطلبة ، وفضلاء الشباب » وقال : « قال ابن حبيب كان يتثبت في أحكامه ، ويحقق ما يبديه على ألسنة أقلامه » ، توفي رحمه الله في صفر سنة ٧٦٩ هـ بطرابلس . (الدرر الكامنة ، ٣/ ٤٨٧ – ٤٨٨ ، ومعجم المؤلفين ، ١٠/ ٢١٩) .

٣ – غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، للشيخ بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق وتعليق إبراهيم محمد الجمل ، (جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤٠٢ هـ) ، ص ٣٩ وهو كتاب آكام المرجان في أحكام الجان ، المذكور في ترجمة الشبلي ؛ إلا أن المحقق تصرف في العنوان .

ووصف ابن كثير حال بعض الصوفية[١] بقوله : «ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام، وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشف قد يصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالرهبان وغيرهم ، ... ، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على آذان الإنسي ، ولا سيما من يكون مجنوناً ، أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختيار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ، فهو رجل صالح ، سواء كاشف أولم يكاشف ، ومن لم يوافق فليس برجل صالح ، سواء كاشف أم لا»[٢] .

وقال في صوفي[٣] آخر : « كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ، ومن لا يعقل ... وكان العوام يذكرون له مكاشفات و كرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهذيان ، كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »

ثم بيّن أن الحالة التي هو عليها ، لا تتفق مع حال الصالحين ، بقوله : « ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ، ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه ... وكان يجلس على النجاسات والقذر ، وكان يلبس ثياباً بداوية تجحف على النجاسات في الأزقة »[٤].

وأكد ابن أبي العز ، أن الكشف قد يحصل من طريق الرياضة: « وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي ، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق ، صار لها من الفراسة والكشف ، بحسب تجردها ، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، ولا تكشف

---

١ – هو : يوسف الأقميني . (البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٤)
٢ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٥٤
٣ – هو : إبراهيم بن سعيد الشاغوري . (البداية والنهاية ١٣/ ٣٤٣)
٤ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٤٣

عن حق نافع ، ولا عن طريق مستقيم ؛ بل كشفها من جنس فراسة الولاة ، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم »[1] .

« ومما يتعلق به بعض المكلفين ، أن الصوفية هم المشهورون باتباع السنة ، المقتدون بأفعال السلف الصالح ...ولكنهم في كثير من الأمور يستحسنون أشياء لم تأت في كتاب ولا سنة ، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح، فيعملون بمقتضاها ، ويثابرون عليها ، ويحكمونها طريقاً لهم مهيعاً ، وسنة لا تُخلف ؛ بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال، ... فمن ذلك أنهم يعتمدون في كثير من الأحكام.

على الكشف والمعاينة وخرق العادة،فيحكمون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام، كما يحكى عن المحاسبي – وغيره من الصوفية – أنه كان إذا تناول طعاماً في شبهة ، نبض له عرق في إصبعه ، فيمتنع منه ، ...فمثل هذه الأشياء إذا عُرضت على قواعد الشريعة ، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة أو الهاتف المجهول ، أو تحريك بعض العروق ، لا يدل على تحليل ولا تحريم »[2].

ولهذا حذر الإمام الذهبي ، من الاغترار بالكشف الصوفي ، وأمثاله، بقوله : « فلا يغتر المسلم بكشف ، ولا بحال ، ولا بإخبار عن مُغَيّب ، فإن ابن صائد ، وإخوانه الكهنة لهم خوارق ، والرهبان فيهم من تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة ، على غير أساس ولا توحيد ، فصفت كدورات أنفسهم ، وكاشفوا وفشروا ، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة ، وأرباب الولاية ، المنوطة بالعلم والسنن »[3] .

ثم ذكر « تواتر الكشف والبرهان للكهان وللرهبان » وبيّن أن ذلك ليس دليلاً على الصلاح والولاية ، وإنما هو « من إلهام الشياطين »[4] .

---

١ – شرح الطحاوية ، ص ٧٥٣– ٧٥٤ ، ومدارج السالكين ، ٢/ ٥٠٧ وانظر : ص ٧٦٦ – ٧٦٧
٢ – الاعتصام ، / ١/ ١٧٢ – ١٧٣
٣ –السير ، ٢٢/ ١٧٩
٤ – تاريخ الإسلام ، (الطبقة ٦٢) ص ٤٢٥ –٤٢٦

هذا ما فيه بيان موقف وجهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه منهج الصوفية في الكشف – بشكل عام – ، فهو موقف الناقد البصير ، المتصف بالعدل والإنصاف ، من غير حيف ولا شطط [١] .

أ– موقف علماء السلف في القرن الثامن ، من منهج الصوفية في الرؤية .

وأما موقفهم من منهج الصوفية في الرؤى ، فيتمثل بعناية السلف الخاصة ، في تأصيل منهج الرؤى، تأصيلاً مستمداً من الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ؛ لأن بعض الناس ممن لا يفقهون من العلوم الشرعية كثيراً ،قد ضلوا في باب الرؤى والإلهام والخطرات وأضلوا ، وساروا في ركب البدع والضلال ؛ ولهذا بيّن علماء السلف في القرن الثامن ، المنهج الصحيح لذلك بالأدلة الصحيحة ، وبينوا متى يكون العمل بها صحيحاً ، ومتى يكون مردوداً .

وممن اعتنى بذلك ، من علماء السلف في القرن الثامن ، الإمام ابن مفلح المقدسي ، الذي ساق عدداً من الأدلة على الرؤيا ، ومتى يعمل بها ؛

١ – انظر : السير ، ١٤/ ٣٢١–٣٢٢ ، و٢٣ / ٢٢٤، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وتاريخ الإسلام (الطبقة ٦٢) ، ص ٤٢٦، وذيل تاريخ الإسلام للإمام شمس الدين الذهبي ، اعتنى به مازن بن سالم باوزير ، ط١ (الرياض : دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ) ، ص ٢٦٥ ، والموافقات ٢/ ٤٧٥ ، والبداية والنهاية ، ٢١/ ٧٠٢ و ١٤ / ٥٣٥

ومن هذه الأدلة قوله -ﷺ- : « إذا اقترب الزمان ، لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة...»[1] .

وقوله -ﷺ- : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة »[2].

١- رؤيــة الله - تعالى ذكره - :

مسألة رؤية الحق تبارك وتعالى ، من المسائل التي تنازعت فيها الفرق[3] ، وكثر فيها المقال ، ولأن أهل السنة والجماعة ، هم أصحاب الحق المبين ، فإن اعتقادهم في رؤية الباري - سبحانه - مأخوذ من آيات القرآن الكريم ، وسنة رسوله الأمين -ﷺ- ، وفهم سلف الأمة وخير القرون ، فهم يثبتون الرؤية لله - عز وجل - في الآخرة دون الدنيا .

قال الإمام ابن أبي العز - بعدما ذكر حصول رؤية الباري - عز وجل - يوم القيامة ، وكذا ابن كثير -[4]: «وإنما لم نره في الدنيا ، لعجز أبصارنا ، لا لامتناع الرؤية»[5] .

ثم قال : « واتفقت الأمة ، على أنه لا يراه أحد ، في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك[6] ...»[7] .

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب القيد في الزمان، ٤/ ٣٠٣ ، حديث رقم (٧٠١٧)

٢ - صحيح البخاري ، كتاب التعبير ،باب المبشرات، ٢٩٧/٤، حديث رقم (٦٩٩٠)

٣ - مثل : الجهمية ، والمعتزلة ، ومن تبعهم من الخوارج ، والإمامية . (شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٠٧)

٤ - شرح الطحاوية ، ص ٢٠٧ ، تفسير القرآن العظيم ، ٤٢٨/٢

٥ - المرجع السابق ، ص ٢٢٠

٦ - إلا ما يخص النبي -ﷺ- منهم من نفى الرؤية بالعين ، ومنهم من أثبتها . (انظر : شرح الطحاوية ، ص ٢٢٠ ، الغنية في مسألة الرؤية ، ابن حجر ، تحقيق وتعليق د : محمد بن عبد المحسن التركي ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ ، ص٢١-٣٩)

٧ - شرح الطحاوية ، ص ٢٢٠

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أن ما يراه بعض الناس ويظنون أنهم يرون الباري – تقدس ذكره – في الدنيا ، إنما هو الشيطان ، فينخدعون بذلك ٠

فقال : « من العباد يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشاً عظيماً، وعليه صورة عظيمة ، يرى أشخاص تصعد وتنزل فيضنها الملائكة ، ويظن أن تلك الصورة هي الله – تعالى وتقدس– ، ويكون ذلك الشيطان ، وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس ، منهم من عصمه الله ، وعرف أنه الشيطان ، كالشيخ عبد القادر [١] في حكايته المشهورة[٢] ، ٠٠٠ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله ٠٠٠ وهذا قد وقع مع كثير من الطوائف ، من جهال العباد ، يظن أحدهم أنه يرى الله – تعالى – بعينه ، في الدنيا ، لأن كثير منهم رأى ما ظن أنه الله ، وإنما هو شيطان »[٣] ٠

تلك هي مواقف السلف من رؤية الباري – تعالى ذكره – يرون حصولها في الآخرة ، وتمتنع في الدنيا ، لما ورد من الأدلة الشرعية ، والله – تعالى – أعلم ٠

٢– رؤيــة الرسول –ﷺ– :

بيّن ابن مفلح موقف العلماء من رؤية الرسول الكريم –ﷺ– بعد موته – التي كثيراً ما يدعي الصوفية وقوعها لهم – فأورد الحديث الذي رواه أبو

١ –الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى أو صالح الجيلي ، –ويقال الجيلاني – ، ولد سنة ٤٧٠هـ ودخل بغداد وسمع الحديث ، وتوفي سنة ٥٦١ وقيل ٥٦٢هـ (البداية والنهاية ، ٧٦٨/٢، وطبقات الشعراني ، ١٢٦/١) ٠

٢ – يشير شيخ الإسلام – رحمه الله – إلى قول الشيخ عبد القادر – رحمه الله – :« تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ، ثم تدلى فيه صورة تناديني : يا عبد القادر : أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات ٠ فقلت : اخسأ يا لعين ، فإذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبني يا عبد القادر : نجوت مني بعلمك بأمر ربك ، وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ٠ فقلت : لله الفضل ٠ فقيل له : كيف عرفت أنه شيطان ٠ قال: بقوله : قد حللت لك المحرمات » ٠ (طبقات الشعراني ، ١٢٧/١) ٠

٣ – الفتاوى ، ١/ ١٧١–١٧٢

هريرة –ﷺ–عن النبي –ﷺ–قال : «٠٠٠من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنما رآني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي»[١] ٠

قال بعضهم : هو على ظاهره وأن من رآه فقد أدركه ، ولو رآه على خلاف صفته ، أو رآه جماعة في مواضع ، وإن غلط في بعض صفاته ، وتخيل لها على خلاف ما هي عليه ٠

وقال بعضهم : معناه أن رؤياه صحيحة ٠

وقد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي –ﷺ– ، فأمره في منامه ، أو نهاه ٠

وتلخيصه :أنه لا يغير ما تقرر في اليقظة شرعاً إجماعاً – بخلاف ما يدعيه بعض الصوفية – نظراً إلى ترجيح الدليلين٠

وأما ما ليس فيه أمر ولا نهي عنه – عليه الصلاة والسلام – في اليقظة فهل يلزم العمل به ؟

فالصحيح المجمع عليه ، أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ، ما تقرر في الشرع[٢] ٠

فكيف يزعم بعض الصوفية أنه رأى الرسول– ﷺ –، وأمره بالشرك ، والنذر لغير الله [٣] ، فهذه الرؤيا قطعاً من الشيطان ، وليست من الرحمن ، لأن هذا أمر شركي ، مخالف لنصوص الكتاب والسنة ، وإجماع علماء السلف ٠

أما إذا رأى النبي –ﷺ– يأمره بفعل مندوب إليه ، أو ينهاه عن منهي عنه ، أو يرشده إلى فعل مصلحة ، فلا خلاف في استحباب العمل على

---

١ – صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، باب قول النبي –ﷺ– « من رآني في المنام فقد رآني » ، ١٧٧٥/٤

٢ – الآداب الشرعية ، ٣/ ٤٢٧

٣ – انظر : طبقات الشعراني ، ٢/ ٧٤ حيث نقل عن الشاذلي قوله: «رأيت رسول الله ﷺ، فقال : إذا كان لك حاجة ، وأردت قضاءها فانذر لنفيسة الطاهرة ، ولو فلساً ، فإن حاجتك تقضى »٠

وفقه ، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام ، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء [١] .

قال ابن مفلح : « وهذا كله معنى كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية»[٢] .

وقال الإمام الشاطبي : « ٠٠٠ العلوم المأخوذة من الرؤيا ، مما لا يرجع إلى بشارة ، ولا نذاره ، فإن كثيراً من الناس يستدلون على المسائل العلمية ، بالمنامات ، وما يُتلقى منها تصريحاً ، فإنها وإن كانت صحيحة ، فأصلها الذي هو الرؤيا ، غير معتبر في الشريعة في مثلها ، ٠٠٠وإنما ذُكرت الرؤيا تأنيساً ، وعلى هذا يُحمل ما جاء عن العلماء من الاستشهاد بالرؤيا »[٣] .

« ومن هنا يُعلم أن كل خارقة حدثت ، أو تحدث إلى يوم القيامة ، فلا يصح ردها ولا قبولها ، إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة ، فإن ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها ، وإلا لم تقبل إلا الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء – عليهم السلام – فإنه لا نظر فيها لأحد ، لأنها واقعة على الصحة قطعاً ، فلا يمكن فيها غير ذلك ، ولأجل هذا حكم إبراهيم – عليه السلام – في ذبح ولده بمقتضى رؤياه ، وقال له ابنه – كما جاء في كتاب الله العزيز – : ﴿ ٠٠٠يا أبتِ افعل ما تؤمر ٠٠٠ ﴾ [الصافات : ١٠٢ الآية]٠
وإنما النظر فيما انخرق من العادات ، على يد غير المعصوم»[٤] .

١ – انظر : الآداب الشرعية ، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه ، وقدم له ، شعيب الأرنؤوط ، وعمر القيام ، ط٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧ هـ) ، ٢/ ٤٢٧ – ٤٣٦ ، و الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب ، (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع) ، ٤/ ٣٣٦– ٣٣٧
٢ – الآداب الشرعية ، ٣/ ٤٣٠ ، وانظر : الفتاوى ، ١/ ١٧٢–١٧٣
٣– الموافقات ، ١ / ١١٤– ١١٥ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٤٣٨
٤ – الموافقات ، ٢/ ٤٨١

وبهذا يكون كل ما وقع أو سيقع ، من الصوفية أو غيرهم ، من الكشف والرؤيا ، محل نظر ، حتى يقوم عليه من كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ– برهان ۰

وقد استشهد غير واحد من علماء السلف في القرن الثامن، بقول محمد بن سيرين[١] إذا سئل عن الرؤيا ، كان يقول للسائل : « اتق الله في اليقظة ، ولا يغرك ما رأيت في المنام»[٢] ۰

ونقل ابن مفلح ، كلام ابن عقيل[٣] ، في ذمه الصوفية ، لأنهم يعولون على ما رأوا ، لا على ما رووا ، فقال : « ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين ، فهؤلاء يفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول ، وهؤلاء يفسدون الأعمال ، ويهدمون قوانين الأديان ۰
قال : وقد خبرت طريق الفريقين ؛ غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح ، والمتكلمون عندي خير من الصوفية ، ما لله طائفة أجل من قوم حدثوا عنه ، وما أحدثوا ، وعولوا على ما رووا لا على ما رأوا »[٤] ۰

ونقل ابن كثير ، كلام ابن الجوزي[٥] ، في أحد الصوفية ، الذي يدعي رؤية رسول الله –ﷺ– ، يقظة لا مناماً ، ويسأله عن كل ما يشكل عليه ، فقال : « كانت له نكت ، إلا أن الغالب على كلامه التخليط، والأحاديث الموضوعة المصنوعة ، والحكايات الفارغة والمعاني الفاسدة ،

١ – انظر : صفوة الصفوة ، ٣/١٦١

٢ – البداية والنهاية ، ٩/ ٣٢٢ وانظر الآداب الشرعية ، ٣/ ٤٣٥

٣ – علي بن عقيل بن محمد بن أحمد البغدادي ، أبو الوفاء ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة هجرية ، في جمادى الآخرة ، وتوفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشر وخمسمائة ۰(الذيل على طبقات الحنابلة / ٣/١٦٢،١٤٢) ۰

٤ –الآداب الشرعية ، ١/ ٢٢٨

٥ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، ط١، (حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بعاصمة حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٩هـ) ، ٩/ ٢٦١

... ومن ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء ، رأى رسول الله -ﷺ- في اليقظة فسأله عن ذلك ، فدله على الصواب »[1] .

ولا شك أن هذه فرية عظيمة على رسول الله -ﷺ- ، فقد تعرضت الأمة لهزات كبيرة ومحن جسيمة ، وفيها من هو أكرم عند الله وعند رسوله -ﷺ- من هذا الصوفي ، أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم- ، وكانوا بأمس الحاجة لرسول الله -ﷺ- ، ومع ذلك لم يروه ، ولم يلتقوا به -ﷺ- يقظة بعد موته ألبته .

٣- رؤية الخضر -عليه السلام- :

تصدى علماء السلف ، في القرن الثامن ، لزعم آخر درج عليه - بعض - الصوفية ، وهو إمكانية لقاء الخضر - عليه السلام - ، يقظة بعد موته، والاستغناء عن الوحي ، بالعلم اللدني والإلهام ، كما كان الخضر مع موسى - عليهما السلام - ، فقد تصدى ، لهذه البدعة ، ابن أبي العز الحنفي الذي قال : « وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - ، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق : فهو ملحد زنديق ، فإن موسى - عليه السلام - لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ، ولهذا قال له : أنت موسى بني إسرائيل ؟

قال : نعم .

ومحمد -ﷺ- مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى - عليهما السلام - حيين ، لكانا من أتباعه ، ... فمن ادعى أنه مع محمد -ﷺ- ، كالخضر مع موسى - عليهما السلام - ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة ؛ فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق ، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية

---

١ - البداية والنهاية ١٢/ ٦٩٣ -٦٩٤ ، والصوفي المقصود هو: أحمد بن محمد بن محمد الغزالي شقيق أبي حامد الغزالي

، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان ، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم ، وأهل الاستقامة»[١] .

وبين الإمام الذهبي بطلان زعم بعض الصوفية ، رؤية الخضر -عليه السلام- ، وأخذهم العلم والإلهام منه ، ورد على ابن عربي[٢] .

وبيّن إنما يراه ليس الخضر -عليه السلام- ، وإنما هي توهمات وخيالات ، لا أساس لها في واقع الحال ، فقال :

« وهذا الرجل - ابن عربي - كان قد تصوف ، وانعزل وجاع وسهر ، وفُتح عليه بأشياء امتزجت بعلم الخيال ، والخطرات والفكرة ، فاستحكم به ذلك حتى شاهد بقوة الخيال ، أشياء ظنها موجودة في الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً ، اعتقده من الله ، ولا وجود لذلك أبداً في الخارج »[٣] .

وقد دحض ابن كثير زعم بعض الصوفية ورد قولهم إن الخضر-عليه السلام- حي ، وأنهم يلتقون به ، متى شاءوا يقظة لا مناماً ، بقوله : « ...ولو كان حياً لوجب عليه الإيمان بمحمد- صلى الله عليه وسلم- ونصرته.

فكيف إن كان الخضر ولياً ، كما يقوله طوائف كثيرون ، فأولى أن يدخل في عموم البعثة ، وأحرى ولم ينقل في حديث حسن ، بل ولا ضعيف يعتمد ، أنه جاء يوماً واحداً ، إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا اجتمع به.

---

١ - شرح الطحاوية ، ٧٧٤

٢ - انظر : الأنوار القدسية ، ١/ ٤٩ ، وذيل طبقات الحنابلة ، ٣/ ٧٠

٣ - تاريخ الإسلام ، (الطبقة ٦٤) ، ص ٣٥٤

وما ذكر من حديث التعزية فيه ، وإن كان الحاكم[1] قد رواه فإسناده ضعيف »[2].

وقال عند تفسير قوله – تعالى – : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ ، [الأنبياء : ٣٥] .

« استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر –عليه السلام –، مات وليس بحي ، لأنه بشر ، سواء كان ولياً ، أو نبياً، أو رسولاً»[3] .

وقال ابن القيم :« إن غاية ما تمسك به من ذهب إلى حياته ، حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر –عليه السلام– فيالله العجب! هل للخضر –عليه السلام– علامة يعرف بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر ، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله ، فأين للرأي أن المخبر له صادق ، لا يكذب » .

وأضاف ابن القيم : «أن الخضر –عليه السلام– فارق موسى بن عمران –عليه السلام– ، كليم الرحمن ، ولم يصاحبه ، وقال: ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ [الكهف : ٧٨ الآية] .

فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى –عليه السلام– ، ثم يجتمع بجهلة العُبّاد الخارجين عن الشريعة ، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة

١ – أخرج الحاكم في المستدرك ،على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، بإشراف د: يوسف المرعشلي ، (بيروت : دار المعرفة) ، كتاب المغازي ، تعزية الخضر عند وفاته –ﷺ– ، ٣/ ٥٨ ، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : « لما قبض رسول الله – ﷺ– أحدق به أصحابه ، فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أصهب اللحية جسيم صبيح ، فتخطأ رقابهم ، فبكى ثم التفت إلى أصحاب رسول الله –ﷺ– ، فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وهو ضامن كل فائت ، وخلفاً من كل هالك ، فإلى الله فأنيبوا ، وإليه فارغبوا ، ونظرة إليكم في البلاء ، فانظروا ، فإنما المصاب من لم يجبر ، وانصرف ، فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل. فقال أبو بكر وعلي – رضي الله عنهما – نعم هذا أخو رسول الله –ﷺ– الخضر – عليه السلام – » . قال الإمام ابن القيم : « الأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته ، كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد » . المنار المنيف ، ص ٥٨

٢– البداية والنهاية ، ١/ ٣٣

٣ – تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ١٨٧

، ولا مجلس علم ، ولا يعرفون من الشريعة شيئاً ؟ وكل منهم يقول : قال الخضر ، وجاءني الخضر وأوصاني الخضر ! » [١] ٠

وقال ابن كثير : « فلو كان الخضر حياً ، لكان وقوفه تحت هذه الراية ، أشرف مقاماته ، وأعظم غزواته ،٠٠٠ ثم ما الحاصل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره ، وأعلى في مرتبته ، وأظهر لمعجزته ، ثم لو كان باقياً بعده – أي بعد رسول الله ﷺ – لكان تبليغه عن رسول الله –ﷺ– ، الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة ، والروايات المقلوبة ، والآراء البدعية ، والأهواء العصبية ، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم ، وشهود جمعهم وجماعاتهم ، ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم ، وتسديد العلماء والحكام ، وتقرير الأدلة والأحكام ، أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار ، وجوبه الفيافي والأقطار ، واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم ، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم ، وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم »[٢] ، إلا من أراد سلوك طريق الضلال ، واتباع الأباطيل والأوهام ٠

ب- موقف علماء السلف في القرن الثامن ، من منهج الصوفية في الإلهام والخواطر والهواتف ٠

وقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري موقفاً حازماً ، من دعاوى الصوفية ، تلقيهم العلم والأمر والنهي ، عن طريق الإلهام والخواطر والهواتف ٠

١ – المنار المنيف ، ص ٦٢،٦٤
٢ – البداية والنهاية ١/ ٣٧٤– ٣٧٥

فقد استدل الإمام ابن مفلح ، على خطأ وضلال بعض الصوفية ، وجنوح دعواهم ، بقول أبي زرعة ، عندما سئل عن الحارث المحاسبي وكتبة ، فقال للسائل :

«٠٠٠إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، وعليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك ٠ قيل له : في هذه الكتب عبرة ٠ فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان[١] ومالكاً[٢] والأوزاعي[٣]، صنفوا في هذه الكتب في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع ! »[٤]

وقال الذهبي عن الأسباب المؤدية إلى الوساوس والخطرات :« العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل ، وجاع وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ، وسمع خطاباً يتولد من الجوع و السهر ، لا وجود لذلك الخطاب – والله – في الخارج ، وولج الشيطان في باطنه وخرج ، فيعتقد أنه وصل وخُوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له»[٥]٠

١ – سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب ، شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه ، أبو عبد الله الثوري ، الكوفي المجتهد ، ولد سنة سبع وتسعين اتفاقاً ، ومات سنة ست وعشرين ومئة ٠ (السير ، ٧/ ٢٣٠)

٢ – الإمام مالك ، شيخ الإسلام حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ، مولده على الأصح في سنة ثلاث وتسعين ، عام موت أنس خادم رسول الله –ﷺ– ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل ، وطلب العلم وهو حدث ، ومات سنة تسع وسبعين ومئة ٠ (السير ، ٨/ ٤٨ ، ١٣٠)

٣ – عبد الرحمن بن عمر بن يحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ، كان يسكن بحلة الأوزاع بدمشق ، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات ، وكان مولده في حياة الصحابة – رضي الله عنهم – ، سنة ثمان وثمانين ٠ (السير ٧/ ١٠٧ – ١٠٩)

٤ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٨٢ –٨٣ وانظر : السير ، ١٢/ ١١٢

٥ – السير ، ١٢/ ٩٠

وقال في ترجمة صوفي[١] آخر : « ... ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة ، إلا واضطرب ، وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى مرائي، وسمع خطاباً لا وجود له في الخارج ، ... وإن كان جاهلاً بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، أو ربما تزندق »[٢].

وذكر ابن كثير عن بعض الصوفية [٣] مثل ذلك ، فقال : « ...قد وقعت له كائنة في أيام ، الظاهر أنه أصيب في عقله ، أو زال فكره ، أو قد عمل على الرياضة ، فاحترق باطنه من الجوع ، فرأى خيالات لا حقيقة لها ، فاعتقد إنها أمر خارجي ، وإنما هو خيال فكري فاسد »[٤].

أما الهواتف ، فقد بين علماء السلف ، في القرن الثامن ، أنه لا ينبني عليها حكم ، وليست مصدراً شرعياً ، معتمداً ، و خطئوا الصوفية لنهجهم ، المتضمن اعتبار الهواتف حجة شرعية ، ومنهجاً من مناهج التلقي .

فقد ذكر الإمام الشاطبي ، أن الصوفية يستحسنون ويعملون بأشياء لم يأت بها كتاب ولا سنة ، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح ، فذكر منها : «أنهم يعتمدون في كثير من الأحكام على الكشف ، والمعاينة ، وخرق العادة ، فيحكمون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام»[٥] .

١ – هو : أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري ، مات في شوال سنة ثمان وعشرين وأربع مئة ، عن ثمان وسبعين سنة . (السير ١٧/ ٥٧٦)

٢ – السير ، ١٧ / ٥٧٧-٥٧٨

٣ – هو : زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود البعلبكي الحنبلي . (السير ١٤/ ٥٨٨)

٤ –البداية والنهاية : ١٤/ ٥٨٨

٥ – الاعتصام ١/ ١٧٢

ومن ذلك ما قاله الشبلي :« اعتقدت وقتاً ، أن لا أكل إلا من حلال ، فكنت أدور في البراري ، فرأيت شجرة تين ، فمددت يدي إليها لآكل منها ، فنادتني الشجرة : احفظ عليك عهدك ، لا تأكل مني فإني ليهودي » [١]٠

وقال إبراهيم الخوّاص : « دخلت خربة في بعض الأسفار ، في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سبع عظيم فخفت ، فهتف بي هاتف : اثبت ، فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك»[٢] ٠

قال الإمام الشاطبي عن ذلك : « ٠٠٠ فمثل هذه الأشياء ، إذا عرضت على قواعد الشريعة ، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة ، أو الهاتف المجهول ٠٠٠ لا يدل على التحليل ولا التحريم ، ٠٠٠ ولو هتف هاتف ؛ بأن فلاناً قتل المقتول الفلاني ، أو أخذ مال فلان ، أو زنى أو سرق ، أكان يجب عليه العمل بقوله ؟ أو يكون شاهداً في بعض الأحكام ؟ شرعيّ ؟ هذا مما لا يعهد في الشرع مثله »٠

ثم قال وكذلك في مسألة الخوّاص : « فإن التوقي من مظان المهلكات مشروع ، فخلافه يظهر أنه خلاف المشروع ، وهو معتاد أهل هاته الطريقة – أي طريقة الصوفية – وكذلك كلام الشجرة للشبلي – إن ثبت – من جملة الخوارق ، وبناء الحكم عليه غير معهود »[٣] ، ولا يعتد به إطلاقاً ، لأن طريق الأحكام الشرعية واضح وبيّن ، ومن غرف شريعة ربه المستمدة من القرآن الكريم ، والسنة والنبوية المطهرة ، فليس بحاجة إلى أن يأخذ الأحكام الشرعية ، من غير هذا الطريق ٠

١ – وردت هذه الحكاية في الكواكب الدرية ، بالنص الآتي : « وأراد الشبلي أن يأكل من شجرة ، فلما مد يده ، قالت : لا تأكل مني ؛ فإني ليهودي » ١/ ١٢ ٠
٢ – الاعتصام ، ١/ ١٧٢
٣ – الاعتصام ، ١/ ١٧٢– ١٧٣

المبحث الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، من منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن من منهج الصوفية في الذوق والوجد٠

المطلب الأول: منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

أولاً : تعريف الذوق ، لغة واصطلاحاً ٠

أ- **الذوق لغة** : « ذاقه ذوقاً ومذاقاً و مذاقة : اختبر طعمه وتذوقه : ذاقه مرة بعد مرة ، وتذاوقوا الرماح : تناولوها»[١]٠
والمذاق : طعم الشيء [٢] ٠

ب- **الذوق اصطلاحاً** : « الذوق في معرفة الله ؛ عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه ، في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ، أو غيره »[٣]

ثانياً : تعريف الوجد لغة واصطلاحاً ٠

أ- **الوجد لغة** : الإدراك ، وجد مطلوبه ؛ الشيء يجده وبه وَجْداً : في الحب ، وكذا في الحزن ، والوجد :الغنى ، و (تَوَاجَدَ) فلان : أرى من نفسه الوَجْدَ[٤].

ب- **الوجد اصطلاحاً:** هو « ما يصادف القلب ويَرِدُ عليه ، بلا تكلّف وتصنّع ، وقيل هو : بروق تلمع ثم تخمد سريعاً »[٥]

---

١ -القاموس المحيط ، ص ١١٤٣ ، مادة (ذاقه)
٢ - المعجم الوسيط ، ١/ ٣١٨ مادة (ذاق)
٣ - التعريفات ، ص ١١٢ ، وانظر : اصطلاحات الصوفية ، ص ١٨١
٤ -انظر : لسان العرب ، ٣/ ٤٤٥ ، مادة (وجد) ، ومختار الصحاح ، ص ٦٢٦ ، مادة (وجد) ، والقاموس المحيط ،ص ٤١٤ ، مادة (وجد) ، ومعجم اصطلاحات الصوفية ، ص ٣٧١
٥ - التعريفات ، ص ٢٧٠

وقيل : « ما يصاف القلب من الأحوال المُغَيِبّة له ، عن شهود الوجود»[١] .

ثانياً : منهج الصوفية ، في الذوق والوجد .

أ- منهج الصوفية في الذوق :

فرّق الصوفية بين الذوق والكشف ، بأن جعلوا الكشف يختص بالقلوب أحياناً ، وذلك برؤية القلب لبعض الأمور ، عن طريق المكاشفة، وقد يتعلق الكشف بالقلب أحياناً ، لا عن طريق الرؤية ، بل بحلول العلوم في القلوب ، عن طريق الإلهام ، وقد تتعلق المكاشفة بالعين البصرية ، كرؤية الرسول -ﷺ- ، والخضر -عليه السلام- والملائكة يقظة ، وقد تتعلق بالسمع ، عن طريق الآذان ، كما في الهواتف.

أما الذوق ، فليس لبصر العين ، وسمع الأذن فيه نصيب؛ بل يختص بالقلب ، عن طريق التجلي الإلهي ، لهذا القلب[٢].

قال القشيري :«ومن جملة ما يجري في كلمهم ، الذوق والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوف ، بواده[٣]

١ – اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي ، ص ١٢

٢ – انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص ٥٤٤

٣ – البوادة : جمع بادهة وهي ما يفجأ القلب من الغيب ، فيوجب بسطاً أو قبضاً .(معجم اصطلاحات الصوفية ص٦٤) .

الواردات ، وأول ذلك الذوق ... »[1] ، « فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب سكران »[2] .

وقال الغزالي : « ...لأن علوم الأنبياء – عليهم السلام – كلها كانت من هذا الطريق – طريق الإلهام ، والرياضة ، والتخلص من الشهوة – لا من طريق الحواس ، كما قال سبحانه و تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨ الآية] .

معناه الانقطاع عن كل شيء ، وتطهير القلب من كل شيء ، والابتهال إليه ، سبحانه وتعالى بالكلية ، وهو طريق الصوفية ... وأما طريق التعلم ، فهو طريق العلماء ، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء ؛ لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق ، ... وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق ، لم تحصل بالعلم ، والواجب التصديق بها ، حتى لا تحرم شعاع سعادتهم »[3] .

ب . منهج الصوفية في الوجد .

اختلف أهل التصوف ، في الوجد : ما هو ؟ وتعددت آراؤهم ، وأقوالهم ، في ذلك .

فقال عمرو بن عثمان المكي : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ؛ لأنها سر الله تعالى ، عند المؤمنين الموقنين .

١ – القشيرية ، ص ٧٢
٢ – القشيرية ، ص ٧٢
٣ – كيمياء السعادة (ملحق بالمنقذ من الضلال) ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح : محمد محمد جابر ، (بيروت : المكتبة الثقافية)، ص ٨٨– ٩٠

وقيل : كل ما صادف القلب من غم ، أو فرح ، فهو وجد .

وقيل : إن الوجد مكاشفات من الحق ، ألا ترى أن أحدهم ، يكون ساكناً فيتحرك ، ويظهر منه الزفير والشهيق [١] .

وينظر الصوفية ، للوجد على أنه ، منهج لرؤية معنى من الأحوال الآخرة ، وطريقاً في كشف حالة بين العبد ، وبين الله –عز وجل– [٢] .

وقد حاول الغزالي ، تحديد مفهوم الوجد ، وبيان المراد منه فقال: « والأقاويل المقررة في السماع ، والوجد كثيرة ،.... فلنشتغل بتفهيم المعنى ، الذي الوجد عبارة عنه ، فنقول: إنه عبارة عن حالة ، يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع ، يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين :

فإنها إما ترجع إلى مكاشفات ، ومشاهدات ، هي من قبيل العلوم والتنبيهات .

وإما أن ترجع إلى تغيرات ، ليست من العلوم ؛ بل هي كالشوق والخوف والحزن ... وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ... فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه»[٣] .

وأقوى مثيرات الوجد وبواعثه ، عند الصوفية ، السماع.

ولذلك قالوا : « الوجد عبارة عمّا يوجد عند السماع »[٤]

وهذا السماع يتنوع ؛ فقد يحدث الوجد ، من سماع كلام منثور ، وقد يحدث عند سماع القرآن ، وقد يحدث الوجد من سماع الأشعار المطربة الملحنة [٥] .

---

١ – انظر : اللمع ص٣٧٥

٢ – انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ١٣٢

٣ –الإحياء ، ٢/ ٣١٨–٣١٩

٤ –الإحياء ٢/ ٣١٨

٥ – المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص ٦٤٤

وذُكِر عن أبي الحسين النوري : «أنه اجتمع ، مع جماعة من المشايخ ، في دعوة فجرى بينهم مسألة في العلم ، وأبو الحسين النوري ساكت ، قال: ثم رفع رأسه فأنشدهم هذه الأبيات :

رُبَّ ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن
فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني
هي إن تشكو فلا أفهمها وإذا أشكو فلا تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

قال: فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد » [١] .

وعن الجنيد أنه كان يقول : « إذا قوي الوجد ، يكون أتم ممن يستأثر بالعلم» [٢] .

١ – اللمع ، ص ٣٧٩
٢ – اللمع ، ص ٣٨١

المطلب الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الصوفية في الذوق والوجد ٠

فند علماء السلف ، في القرن الثامن ، منهج الصوفية في الذوق والوجد ، وبينوا أن منهج الصوفية ، في الذوق والوجد ، منهج خاطئ ، لا يمت إلى الشرع الحنيف – في كثير من جوانبه – بصلة ، وفرقوا بين ما يظهر على المؤمنين الخاشعين ، من علامات الخوف والبكاء والقشعريرة ، وبين ما يظهر على بعض الصوفية ، من ذوق ووجد ، وفرقوا بين كل منهما ، من حيث الدوافع ، والصفات ٠

وممن فرق بين الفريقين الإمام الشاطبي ، في وصفه التواجد الذي يظهر على المؤمنين المتمسكين بالكتاب والسنة ، بقوله: « والذي يظهر في التواجد ، ما كان يبدوا على جملة ، من أصحاب رسول الله –ﷺ– ، وهو البكاء واقشعرار الجلد ، التابع للخوف ، الآخذ بجامع القلوب »[١] ٠

وقال: « ولابد من النظر في الأمر كله ، الموجب للتأثير الظاهر ، في السلف الأولين ، مع هؤلاء – الصوفية – المدعين ، فوجدنا الأولين يظهر عليهم ذلك الأثر بسبب ذكر الله ، أو لسماع آية من كتاب الله ، وبسبب رؤية اعتبارية – لما في قصة الربيع عند رؤيته الأتون وهو موقد النار – ولسبب قراءة في صلاة ، أو غيرها ، ولم نجد أحداً منهم – فيما نقل العلماء – يستعملون الترنم بالأشعار ، لترق نفوسهم ، فتتأثر ظواهرهم ، وطائفة الفقراء – الصوفية – الضد منهم ، فإنهم يستعملون القرآن أو الحديث ، والوعظ والتذكير ، فلا تتأثر ظواهرهم ، فإذا قام المزمر تسابقوا إلى حركاتهم المعروفة »[٢]٠

---

١ – الاعتصام ، ١/ ٢٢٤

٢ – الاعتصام ، ١/ ٢٢٨

وقرر ابن أبي العز ، أن من منهج أصحاب الذوق والوجد ، تقديمهما على الشرع المطهر ، فقال : « وقال أصحاب الذوق والوجد : إذا تعارض الذوق والكشف ، وظاهر الشرع ، قدمنا الذوق والكشف»(١).

وقد أنكر الذهبي ، ذلك المنهج ، الذي ارتضاه الصوفية ، فقال : « وإذا رأيت السالك التوحيدي ، يقول : دعنا من النقل ومن العقل ، وهات الذوق والوجد ، فأعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر ، أو قد حل فيه ، فإن جبنت منه فاهرب ، وإلا فاصرعه وابرك على صدره ، و اقرأ عليه آية الكرسي ، واخنقه»(٢) .

وبيّن ابن أبي العز : «... أن من لم يسلم للرسول -ﷺ- نقص(٣) توحيده ، فإنه يقول برأيه وهواه ، أو يقلد ذا رأى ، وهو بغير هدى من الله ، فينتقص من توحيده ، بقدر خروجه عما جاء به الرسول -ﷺ- ، ... وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق (٤)...والرهبان : وهم جهال المتصوفة ، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع ، بالأذواق والمواجيد و، والخيالات و الكشوفات الباطلة الشيطانية»(٥) .

ونص الذهبي على أن الذوق والوجد ، لا ينهض بمخالفة الكتاب والسنة ، فقال: « ولا ينهض الذوق والوجد ، إلا على تأسيس الكتاب والسنة »(٦)

١ – شرح الطحاوية ، ص ٢٣٦

٢ –السير ، ٤/ ٤٧٢ وانظر : منهج الإمام الذهبي في العقيدة ،وموقفه من المبتدعة ، «رسالة ماجستير» إعداد سعيد عيضة الزهراني ، (الرياض : كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١١هـ) ، ص ٥٠٥

٣ – بل نقض توحيده ، فمن لم يسلم للرسول -ﷺ- ولم يتبع ما جاء به ، وقال برأيه ، فقد نقض توحيده ، وخرج من إيمانه ، لقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [النساء : ٦٥]

٤ – هم : ملوك السوء والأحبار والرهبان .

٥ –شرح الطحاوية ، ص ٢٣٤-٢٣٥

٦ – السير ١٨ / ٥٠٩

وبين الشاطبي أنه : « لم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية ، وأعمالهم ، إلا بعد عرضها ، وبذلك وصى شيوخهم ، وإن كان ماجاء به صاحب الوجد والذوق ، من الأحوال والعلوم والفهوم ، فليعرض على الكتاب والسنة ، فإن قبلاه صح، وإلا لم يصح »[١]

ولذلك قال عن أصحاب الذوق والوجد من الصوفية : «فالحاصل من هؤلاء : أنهم أحسنوا الظن بأنهم فيما عليه مصيبون ، و أساؤوا الظن بالسلف الصالح ؛ أهل العلم الراجح الصريح ، وأهل الدين الصحيح »[٢]

وقال ابن رجب ، مثنياً على من ترك الذوق والوجد ، وطريقة الصوفية : « وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى من جميع طرائقه ، وأحواله وأذواقه ، وسلوكه ... وشرع في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم »[٣] .

هذه مواقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، من منهج الصوفية في الذوق[٤] والوجد[٥] ، بينوا خطأهم ، وفندوا حججهم ، في هدي من كتاب الله العزيز ، وسنة رسوله الكريم -ﷺ- من دون حيف ولا شطط ، نسأل الله لهم الرحمة والمغفرة.

---

١ – الاعتصام ١/ ١٧٦
٢ –الاعتصام ٢١٩/١
٣ –الذيل على طبقات الحنابلة ٤/ ٣٥٩ ، في ترجمة ابن شيخ الحزاميين الذي ترك طريقة الصوفية ، وانتسب إلى مذهب السلف .
٤ – انظر: مدارج السالكين ، ٣/ ٩٢- ١٠٤
٥ – انظر: مدارج السالكين ، ٣/ ٦٩-٧٧

ويتكون من تمهيد ، وثلاث مباحث :

التمهيد : وفيه تعريف الاستدلال ؛ لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول: موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالقرآن الكريم ، عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية ٠

المبحث الثالث : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال ، بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية ٠

التمهيـد تعريف الاستدلال ، لغة واصطلاحاً ٠

أ-الاستدلال لغة :

الدَّلِيلُ ما يُستدل به ، من دّلَّ على الشيء ، إذا أرشد إليه

و « دَلَّ » : عليه وإليه : أرشد ، ويقال : دله على الطريق ونحوه ، و«استدل» : عليه طلب أن يُدل عليه ، وبالشيء على الشيء ، اتخذه دليلاً عليه [1] .

ب- الاستدلال اصطلاحاً:

« عملية عقلية يبدأ بها العقل من قضايا يسلم بها ، ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة ، دون التجاء إلى التجربة »[2]

أو « إقامة الدليل على صحة الدعوى » [3] .

١ – انظر: لسان العرب ٢٤٨/١١

٢ – سين وجيم عن مناهج البحث العلمي ، طلعت همام (عمان : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ) ، ص١١

٣ – معجم لغة الفقهاء ص ٦٠

المبحث الأول : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالقرآن الكريم ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول: منهج الاستدلال بالقرآن الكريم عند الصوفية :

من الأسس والركائز المهة ، في منهج الاستدلال عند الصوفية ، اتباع طريق التأويل[١]الفاسد – بل التحريف – ، في استدلالهم بالقرآن الكريم ، حتى تتوافق نصوص القرآن الكريم ، مع مرادهم ومنهجهم في النصوص الشرعية ؛ لأنهم لا يجدون من الآيات القرآنية ، ما يعضد ويقوي ما يباشرونه من أعمال وأقوال ، بشكل صريح وجلي ، وأمام هذه الحقيقة لجئوا إلى التأويل ، حتى يخدم أغراضهم ، ويحقق أهدافهم ، فعمدوا إلى التأويل الفاسد للقرآن الكريم ، وأول زعم بادروا إليه من هذا التأويل ، قول بعضهم : بسقوط التكاليف الشرعية ، عنهم ، إذا بلغوا مرتبة معينة ٠

١ – التأويل عند السلف :« تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً ، أو مترادفاً ، وهذا ما عناه مجاهد من قوله : « إن العلماء يعلمون تأويله» يعني القرآن ، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره : « القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا » ، وبقوله : « اختلف أهل التأويل في هذه الآية » ، ونحو ذلك فإن مراده التفسير ، وقد صار لفظ التأويل بسبب تعدد الاصطلاحات ، له ثلاث معان : أحدها : أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام ، وإن وافق ظاهره ، وهذا المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة ٠

والثاني : يراد بلفظ التأويل التفسير ، وهو اصطلاح كثير من المفسرين ، ولهذا قال مجاهد – إمام المفسرين – : إن الراسخين بالعلم يعلمون تأويل المتشابه ، فأراد بذلك تفسيره ، وبيان معانيه ، وهذا مما يعلمه الراسخون ٠

والثالث : أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره ، إلى ما يخالف ذلك ، لدليل منفصل يوجب ذلك ، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه ، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف ٠٠٠وهذا التأويل في كثير من المواضع – أو أكثرها وعامتها – ، من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، من جنس تأويلات القرامطة والباطنية ، وهذا التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه ، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، ورموا في آثارهم بالشهب ٠

أما التأويل عند المتكلمة والمتصوفة : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح ، وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين :

الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد ٠

والأمر الثاني : أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح ، وإلا كان تأويلاً فاسداً ، أو تلاعباً بالنصوص » ٠ (الفتاوى ، ١٣/ ٢٧٧ ، وانظر : ٤/٦٨-٦٩ ، والتفسير والمفسرون ١/ ١٩ ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، بقلم الشيخ محمد الزرقاني ، دار إحياء التراث العربي ، ١/ ٤٧٢ ، والرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ، ط٢، الرياض : دار اللواء ، ١٤٠٢ هـ ٠)

وقد أشار إلى حال أولئك القشيري – وهو من الصوفية – في رسالته ، فقال: « وقد حصل الضعف في هذه الطريقة ، – طريقة الصوفية – لا بل اندرست ، وقد مضى الشيوخ ، الذين كان بهم اهتداء ٠

وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم إقتداء ،وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوي رباطه ، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين ، أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ٠

كما استخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، ٠٠٠ وادعوا أنهم تجردوا عن رق الأغلال – العبادات والشرائع – ٠٠٠ وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه ، عتب ولا لوم ، لأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية »[١]٠

وقال بعض الصوفية : « إذا وصلت إلى مقام اليقين ، سقطت عنك العبادات »[٢] ، متأولين قوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ ، [الحجر : ٩٩]٠

وقال الشعراني واصفاً حال أحد مشايخ الصوفية : « منهم سيدي الشريف المجذوب[٣] ٠٠٠ كان – رضي الله عنه – يأكل في نهار رمضان ، ويقول: أنا معتوق ، أعتقني ربي » [٤] ٠

كما أوّل بعض الصوفية ، قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ﴾ ، [ق: ٧]٠

قال : إن « ٠٠٠رواسي الأرض هم أولياء الله » [٥] ٠

---

١ – القشيرية : ص ٣٧

٢ – نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، تأليف د: عرفان عبد الحميد فتاح ، ط١ (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٨٦

٣ – الشريف المجذوب ، كان ساكناً تجاه المجانين بالمارستان المنصور ، وله كشف ومثاقلات للناس ، الذين ينكرون عليه ، مات مطعوناً بخنجر ٠ (طبقات الشعراني ٢/١٥٠)

٤ – طبقات الشعراني ، ٢/ ١٥٠

٥ – رماح حزب الرحيم ، بهامش جواهر المعاني ١/ ٢٣

ولا تخلوا طريقة تأويل الصوفية ، لآيات القرآن الكريمة ، من تعسف وشطط ، كما فعل ذلك ابن عربي حين قال : إن المراد بالشيطان في قوله تعالى:﴿ إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ ، [ص : ٤١] .

قال :« هو البعد ، وإن ما شعر به أيوب لم يكن ألم المرض ، بل ألم عذاب الحجاب و الجهل بالحقائق »[١] .

ويزعم بعض الصوفية ، أنهم يستغنون بالكشف ، عن الاستدلال فيما عداه ، ولم يستثن حتى كتاب الله ، بل قدم الكشف عليه أيضاً[٢] .

وقد طفحت كتب الصوفية ، بهذا التأويل الفاسد للقرآن الكريم ، حتى تتحقق أهدافهم ، من خلال هذا المنهج في الاستدلال [٣]، ومن ذلك الاستدلال على بعض ما أحدثوه من بدع ، لا يقرها الشرع الحنيف، كاستدلالهم ببعض الآيات ، على جواز الرقص والوجد ، أو إتلاف المال [٤] .

ومن منهج الصوفية في الاستدلال ، بالقرآن الكريم ، مزج الآيات القرآنية بعضها ببعض ، وتفسير بعضها ببعض ، حيث لا يوجد صلة ظاهرة بينها ، ومن أشهر من سلك هذا المنهج ، ابن عربي في كتابه فصوص الحكم ، كما ورد ذلك في الفص الموسوي ، فإنه خلط الآية ﴿٨٥﴾ من سورة غافر ، وهي قوله تعالى : ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ ، بالآية ﴿٩٨﴾ من سورة يونس ، وهي قوله تعالى : ﴿ فلولا كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما أمنوا

---

١ – انظر : فصوص الحكم لابن عربي بقلم أبي العلا عفيفي ، ط٢ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠هـ) ، ١٣- ١٤ ، ٢٣٧

٢ –انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ٦٣

٣ – انظر مثلاً : الفتوحات المكية ، ٣/ ٩ .

وكذلك بعض الكتب التي أشارت إلى ذلك مثل : التفسير والمفسرون ، د: محمد حسين الذهبي ، ٢/ ٣٦٩ ، و البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد الزركشي . تحقيق د: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، وآخرون ،ط٢، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٥ هـ) ، ٢/ ٣١١ .

٤ –انظر: حلية الأولياء ، ١٠ / ٣٧٣ ، والاعتصام ١/ ٢٣٠ ، والموافقات ، ٤/ ١٩٦- ١٩٧، وص ١٥٣من الرسالة .

كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ ، في قوله تعالى : ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ ، فخلط معها قوله تعالى : ﴿ إلا قوم يونس ﴾ .

وكقوله في الفص الموسوي أيضاً [1]: ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ ، فجاء بما يظهر ويستر ﴿ وهو الظاهر والباطن ﴾ ، وما بينهما وهو قوله : ﴿ وهو بكل شيء عليم﴾ ، وفي هذا خلط بين آيتين الأولى : ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ ، [الشعراء : ٢٨] .
والثانية: ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾، [الحديد : ٣].

وعلق بعض شرّاح الفصوص على هذا الأسلوب في خلط الآيات ومزجها بقوله : « مزج آيتين مختلفتين ، وفسر إحداهما بالأخرى ، تفسيراً لا يبرره إلا حرصه ، على استخراج فكرة وحدة الوجود من القرآن ، مهما يكن الثمن»[2] .

---

١ – انظر : فصوص الحكم ، تعليق أبو العلا عفيفي ص ٣٠٩، وشرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم ، لابن عربي ، ط٢ (مصر : شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادة ، ١٣٨٦هـ) ، ص٣١٧
٢ – فصوص الحكم ، بقلم أبو العلا عفيفي ، ص ٣٠٩

المطلب الثاني: موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالقرآن الكريم ، عند الصوفية ٠

استنكر علماء السلف في القرن الثامن ، ما أقدم عليه الصوفية ، من تأويل فاسد للقرآن الكريم ، وبينوا فساد منهج استدلالهم بهذا التحريف والتلاعب بكتاب الله، المخالف لمنهج السلف ، في فهم القرآن وتفسيره ٠

فقد قال الزركشي[1] عن ذلك التفسير : « فأما كلام الصوفية ، في تفسير القرآن ، فقيل ليس تفسيراً ، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها

---

١ -الإمام العلامة الفذ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، أبو عبد الله المنهاجي الزركشي ، التركي الأصل المصري الشافعي ، ولد في القاهرة عام ٧٤٥ هـ ، مؤلفاته :« بلغت مؤلفات الزركشي (٤٥) تصنيفاً ، وصلنا منها – ما يقارب– (٢٩) كتاباً ، واهتم الباحثون بتحقيق كتبه ونشرها ، فنشروا (١١) كتاباً منها ، ولايزال (١٨) كتاباً مخطوطاً ، وفقد منها (١٦) ، وكان أكثر اهتمامه بالفقه وأصوله٠ ومن تصانيفه : البحر في أصول الفقه ، شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي ، شرح جمع الجوامع للسبكي ، شرح الحديث لابن الصلاح ، ولقطة العجلان وبلة الظمأن ، والبرهان في علوم القرآن ٠

ثناء العلماء عليه : الإمام الزركشي ، –ممن وافق علماء السلف في الرد على الصوفية في هذه المسألة – أحد علماء الإسلام الأثبات ، وجهبذ من جهابذة أهل النظر والاجتهاد ، وعلم من أعلام القرآن والحديث وأصول الدين ، والفقه ٠ فقد وصفه المقريزي في كتابه " السلوك" فقال : « الفقيه الشافعي ، ذو الفنون ، والتصانيف المفيدة » وذكر ابن قاضي شهبه أنه : « كان فقيهاً ، أصولياً ، أديباً ، فاضلاً في جميع ذلك »٠ ووصفه ابن إياس الحنفي بأنه : « كان عالماً فاضـلاً »٠

توفي الإمام الزركشي – رحمه الله – بالقاهرة ، سنة ٧٩٤ هـ ٠

(البرهان في علوم القرآن ، ١١/١ ، ١٤ ،١٧ ،٣٠ ، الدرر الكامنة ، ٣/ ٣٩٧ ، وحسن المحاضرة ، ٣٦٦/١، وشذرات الذهب ، ٣٣٥/٦ ، والسلوك في معرفة دول الملوك ، ٧٧٩/٣ ، وطبقات الشافعية ، لأبي بكر أحمد محمد ابن قاضي

عند التلاوة ، كقول بعضهم في – قوله تعالى – : ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ ، [التوبة : ١٢٣] ٠

: إن المراد النفس ، فأمرنا بقتال من يلينا ؛ لأنها أقرب شيء إلينا ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه ٠

قال ابن الصلاح[١] في فتاويه[٢] : وقد وجدت عن الإمام أبي الحسين الواحدي[٣] ، أنه : صنف أبو عبد الرحمن السلمي "حقائق التفسير " ، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير ، فقد كفر »[٤]٠

وقال ابن أبي العز ، عن التأويل الفاسد ، للقرآن الكريم : «٠٠٠هو الذي أفسد الدنيا والدين ، وهكذا فعلت اليهود والنصارى ، في نصوص التوراة والإنجيل ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، من جناية»[٥] ٠

شهبة ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ، د: الحافظ عبد العليم خان ، رتب فهارسه ، د: عبد الله أنيس الطباع ، ط١، (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ) ، ٣/١٦٧-١٦٨ ، والأعلام ، ٦/٦٠ ، ومعجم المؤلفين ، ٩/١٢١) ٠

١ – تقي الدين بن الصلاح الحافظ شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي ، ولد سنة ٥٧٧هـ ، ، تفقه وبرع في المذهب وأصوله وفي الحديث وعلومه ، وصنف التصانيف ،مع الثقة والديانة والجلالة ، توفي رحمه الله يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٤٣هـ ٠ (شذرات الذهب ، ٥/ ٢٢١-٢٢٢)

٢ – انظر : فتاوى ومسائل ابن الصلاح ، تحقيق د: عبد المعطي أمين القلعجي ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) ، ١/١٩٦-١٩٧

٣ – أبو الحسن الواحدي المفسر علي بن أحمد النيسابوري ، برع في العلم ، وكان على مذهب الشافعي ، وكان رأساً في اللغة العربية ، وأما في التفسير فهو إمام عصره ، توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨هـ ٠(شذرات الذهب ، ٣/ ٣٣٠)

٤ – البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ٣١١

٥ – شرح الطحاوية ،ص ٢٠٨

وذكر الزركشي أنه : « ۰۰۰لايجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد ، من غير أصل » [١] .

وقال كذلك : « فأما التأويل المخالف، للآية والشرع ، فمحظور ؛ لأنه تأويل الجاهلين »[٢] ۰

وقال الذهبي عن تفسير الصوفية : « وفي الجملة ففي تصانيفه – أي السلمي – أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي " حقائق تفسيره " أشياء لا تسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن كلام بهوى ، فإن الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين – ﷺ – »[٣]

و صدق والله الإمام الذهبي ، فهذا هو منهج السلف ، في التفسير والاستدلال ، منهج يقوم على الاتباع ، لكتاب الله وسنة رسوله –ﷺ– ، والتمسك بهدي الصاحبة والتابعين –ﷺ– ، فهو منهج الاتباع ، لا الابتداع۰

وأما ما يتأوله – في الحقيقة تحريف لكلام الله تعالى ذكره،وليس تأويلاً مقبولاً – بعض الصوفية ، من الآيات القرآنية ، ليسيغوا لأنفسهم التحلل من العبادات ، وشراع الإسلام ، فقد تصدى علماء السلف بالقرن الثامن لهذا لمنهج، بقوة وحزم، وبينوا أن الصوفية ليسوا على صواب ألبته فيما ذهبوا إليه ، من الاستدلال على سقوط العبادات والتكاليف الشرعية ۰

فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، أن سبب ذلك يعود لتأويلهم الفاسد للقرآن الكريم ، فقال : « وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين ، الذين لم

---

١ – البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ٣٠٣
٢ – البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ٢٨٨
٣ – السير ، ١٧ / ٢٥٢

يشهدوا هذه الحقيقة الكونية[1] ، ولهذا يجعلون من وصل إلى هذه الحقيقة ، يسقط عنه الأمر والنهي ، ويقولون : إنه صار من الخاصة !، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى :

﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ ، [الحجر : ٩٩] ؛ فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة »[2] .

وقد كفَّرَ شيخ الإسلام ابن تيمية ، من قال بهذا القول ، وزعم إمكانية سقوط العبادات ، والتكاليف الشرعية ، عن بعض العباد بقوله : « وقول هؤلاء كفر صريح ، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر ، فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام ، أن الأمر والنهي لازمان لكل عبد ، ما دام عقله حاضراً ، إلى أن يموت ، لا يسقطان عنه ، لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك ، فمن لم يعرف ذلك عُرِفَه وبُيّنَ له ، فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي ، فإنه يقتل »[3].

ونهج الإمام ابن كثير ، المنهج ذاته ، في الرد على القائلين بسقوط العبادات ، والتكاليف الشرعية ، فقال: « ويُستدل بهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر ٩٩].

على أن العبادة ؛ كالصلاة ونحوها ، واجبة على الإنسان ، مادام عقله ثابتاً ، فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري[4] ، عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

١ – الحقيقة الكونية : هي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الديني الشرعي ، (العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، ط٣ (دار الأصالة ، ١٤١٩هـ) ص ٤٢)

٢ – العبودية ،ص ٤٤

٣ – العبودية ،ص٤٤–٤٥ . قلت : هذه قاعدة هامة ، من قواعد السلف ومن صميم منهجهم ، إقامة الحجة والدليل على المخالف ، قبل الحكم بكفره .

٤ – صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب ،١/ ٣٤٨ ، حديث رقم (١١١٧)

ويستدل بها على تخطئة ، من ذهب من الملاحدة ، إلى أن المراد باليقين ؛ المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة ، سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء – عليهم السلام – كانوا هم وأصحابهم ، أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ، ومواظبة على فعل الخيرات ، إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا : المـوت »[١] .

وقال الشاطبي ، عن استدلال بعض الصوفية ، بقوله تعالى:﴿...إذ قاموا فقالوا ربنا... ﴾ ، [الكهف : ١٤ الآية] .

على جواز الرقص . قال : « أين فيه أنهم قاموا يرقصون ، أو يزفنون[٢] ، أو يدورون على أقدامهم ، ونحو ذلك »[٣] .

وقال كذلك : « كان أبو بكر الشبلي الصوفي[٤] ، إذا لبس شيئاً ، خرق فيه موضعاً ، فقال له ابن مجاهد[٥] : أين في العلم إفساد ما ينتفع به ؟ فقال : ﴿ ...فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ ، [ص : ٣٣] .

قال الشاطبي تعليقاً ، على هذا الاستدلال : « وفي بعض هذه الاستدلالات ؛ نظر »[٦] ، بل فيها شطط وانحراف بيّن عن الصراط المستقيم ، وما شرعة رب العالمين ، وأخبر به الهادي الأمين – ﷺ – .

---

١ – تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٥٨١

٢ – يزفنون : يرقصون . (أساس البلاغة ، تأليف العلامة جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري ، بيروت : دار عالم الكتب ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٧٢)

٣ – الاعتصام ، ١/ ٢٣٠

٤ – الخبر في حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٣-٣٧٤ ، ونصه : «...قال له أبو بكر بن مجاهد : يا أبا بكر ، أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة ، وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم ، أين هذا من العلم والشرع ؟ فقال له : قول الله : ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ .

٥ – الإمام المقرئ ، المحدث ، النحوي ، شيخ المقرئين ، أبو بكر ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، ولد سنة خمس وأربعين ومئتين ، وتوفي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة . (السير ١٥/ ٢٧٢-٢٧٣)

٦ – الموافقات ، ٤/ ١٩٦ – ١٩٧

وقد ذكر علماء السلف ، أن أحسن طرق التفسير وأصحها ، هو : أن يفسر القرآن بالقرآن ، فإن أعيا ذلك ، فبالسنة ؛ لأنها شارحة للقرآن وموضحة له[1].

لأنه لا تعلم أصول الدين ، من غير كتاب الله، وسنة رسوله -ﷺ- ، فكيف يُفسر كتاب الله ، بغير ما فسر به رسوله -ﷺ- ، وأصحاب رسول الله ، الذين نزل القرآن بلغتهم [2]، وفهموا مقاصده ، وعلموا أسباب نزوله ، فأقاموا حدوده ، وحروفه ، على هدى وبصيرة ٠

قال الإمام ابن كثير مبيناً منهج السلف في تفسير القرآن الكريم : « فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان ، فإنه قد بسط في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي – رحمه الله – : " كل ما حكم به رسول الله –ﷺ- ، فهو مما فهمه من القرآن" وحينئذٍ إذا لم تجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة – رضي الله عنهم – فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ٠٠٠إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجد عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[3].

وقال شيخ الإسلام : « وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم – السلف – اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين لهم بإحسان ، أنه لا يقبل من أحد قط ، أن

١ – انظر : البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ٣١٥
٢ – شرح الطحاوية ، ص ٢١٨
٣ – تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٥

يعارض القرآن لا برأيه ، ولا ذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده»[١] .

« فلهذا كله ، يجب على كل ناظر ، في الدليل الشرعي ، مراعاة ما فهم منه الأولون ، وما كانوا عليه في العمل ، فهو أحرى بالصواب ، وأقوم في العمل »[٢] .

ونقل الذهبي ، قول سهل التستري[٣] : « إنما سمي الزنديق زنديقاً ؛ لأنه وزن دق الكلام ، بمخبول عقله ، وقياس هوى طبعه ، وترك الأثر و الاقتداء بالسنة ، فتأول القرآن بالهوى»[٤].

وقال الزركشي ، عن منهج استدلال ، من يخلط سور وآيات القرآن ، بعضها ببعض : « عد الحليمي[٥] من الآداب ، ترك خلط سورة بسورة ،وذكر الحديث الآتي ، قال البيهقي: وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله ، مأخوذ من جهة النبي –ﷺ– وأخذه عن جبريل ، فالأولى بالقارئ أن يقرأه ، على التأليف المنقول ، المجمع عليه.

وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم »[٦]

---

١ – الفتاوى ، ١٣/ ٢٨ ، وانظر، ص ٢٩

٢ – الموافقات ، ٣/ ٢٨٩

٣ – سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو محمد ، أحد أئمة القوم ، وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات ، والأخلاق ، وعيوب الأفعال ، أسند الحديث ، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين . (طبقات الصوفية ، ص ٢٠٦)

٤ – السير ، ١٣/ ٣٣٢

٥ –أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي ، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة ، فقيل بجرجان ، العلامة البارع رئيس أهل الحديث بما وراء النهر ، له تصانيف مفيدة ، توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربع مائة . (تذكرة الحفاظ ، تأليف الإمام الذهبي ، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات ، ط١ ، (بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ/٣/ ١٥٦)

٦ – في : المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ) ، ٢/ ٢٣٨ ، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٩–١٠٠

ونقل الزركشي : عدم جواز قراءة آية آية ، من كل سورة، وذكر أن هذا محل إجماع [1].

فكيف بمن يمزج الآيات القرآنية ، بعضها ببعض ، ليؤلف شيئاً جديداً ، ليستدل به على ما يوافق هواه وضلاله .

وقد بيّن الشاطبي بعض الأمثلة[2] ، عن مناهج استدلال أهل الأهواء والبدع – ومنهم ضلال الصوفية – ، ثم قال : «والأمثلة في الباب كثيرة ، لو تتبعت لخرجنا عن المقصود ، وإنما ذكر أمثله تبين من استدلالاتهم الواهية ما يضاهيها ، وحاصلها الخروج في الاستدلال عن الطريق الذي أوضحه العلماء ، وبينه الأئمة ، وحصر أنواعها الراسخون في العلم .

ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلال ، عرف أنها لا تنضبط ؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد ، وعلى كل وجه يصح ، لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره ، حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة »[3] .

وقال أبو حيان[4] عن تفاسير الصوفية وطريقة استدلالهم بالقرآن الكريم : « قال القشيري[5] في قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ... ﴾ [البقرة : ١١٤، الآية] .

---

١ – انظر: البرهان في علوم القرآن ، ٢/١٠٠، ونكت الانتصار لنقل القرآن ، للإمام أبي بكر الباقلاني ، تحقيق د: محمد زغلول سلام ، (الإسكندرية : الناشر منشأة المعارف ، ١٩٧١م)، ص ٨٥ ، والإتقان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ، ط٤، (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٨هـ) ، ١/١٤٤ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن ، ١/٣٤٠

٢ – منها : اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة ، و رد الأحاديث الصحيحة ، و تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة .(انظر الاعتصام ١/ ١٨٢، ١٨٦، ١٩١)

٣ –الاعتصام ١/ ٢٣٢–٢٣٣

٤ – محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، أثير الدين أبو حيان ، ولد في أواخر شوال سنة ٦٥٤هـ ، وكان صدوقاً ، حجة ثبتاً – قيل: إنه كان ظاهري المذهب ، ثم رجع عنه وتبع الشافعي على مذهبه – وهو ممن وافق السلف في الرد على الصوفية في هذه المسألة _ له العديد من المصنفات منها : البحر المحيط ، وغرائب القرآن ، وشرح التسهيل ، وغيرها ، توفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥هـ . (الدرر الكامنة ، ٤/٣٠٠–٣١٠ ، والتفسير والمفسرون ، ١/ ٣١٨) .

٥ - ما نصه : « الإشارة فيه أن الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات ، وأوطان العبادة نفوس العابدين ، وخرب أوطان المعرفة بالمنى والعلاقات ، وأوطان المعرفة قلوب العارفين ، وخرب أوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات ، وهي

الإشارة إلى ظلم من خرب أوطان المعرفة ، بالمنى والعلاقات ، وهي قلوب العارفين ، وأوطان العبادة بالشهوات ، وهي نفوس العباد ، وأوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات ، وهي أرواح الواجدين ، وأوطان المشاهدات بالالتفات إلى القربات ، وهي أسرار الموحدين ، ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ ، ذل الحجاب ، ﴿ وفي الآخرة عذاب ﴾ ، لا قتناعهم بالدراجات ، انتهى ، وبعضه ملخص٠

وهذا تفسير عجيب ، ينبو عنه لفظ القرآن ، وكذا أكثر ما يقوله هؤلاء القوم »[١] ، يندرج تحت هذا النوع ، من التحريف لكتاب الله تعالى ذكره ٠

المبحث الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية:

السنة هي المصدر الثاني ، من مصادر التشريع ، بعد القرآن الكريم ، ومكانتها في الإسلام ، مكانة عالية ورفيعة ، فهي المبينة[٢] للقرآن الكريم ، والشارحة له[٣] ، وهناك أحاديث صحيحة ، وضعيفة ، فالأحاديث الضعيفة لا يستدل بها ، لأنها أحاديث لا تقوم بها حجة ، ولكن الصوفية ، نهجوا في

أرواح الواجدين ، وخرب أوطان المشاهدات بالالتفات إلى القربات ، وهي أسرار الموحدين ، وقوله جل ذكره ﴿ لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ ، لأهل الإشارات خزي الدنيا بذل الحجاب ، وعذاب الآخرة ، الامتناع بالدرجات » ٠ [لطائف الإشارات للإمام القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه د : إبراهيم بسيوني ، ط٢، (مصر: مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م) ، ١/١١٥-١١٦

١ – البحر المحيط ، ١/ ٣٦٠

٢ – من بيان السنة للقرآن : بيان ما أجمل من عبادات وأحكام ، فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها ، وأركانها وعدد ركعاتها ، فبين الرسول –ﷺ– هذا بصلاته وتعليمه للمسلمين ، كيفية الصلاة ٠٠٠ وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه ، وقد بين الرسول –ﷺ– كيفيته ، وفرض الله – تعالى الزكاة ، من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع ، كما لم يبين النصاب الذي تجب فيه الزكاة من كل ، فبينت السنة ذلك كله ٠ (السنة قبل التدوين ، د : محمد عجاج الخطيب ، ط٢، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٥)

٣ – انظر: الرسالة للإمام الشافعي ، بتحقيق وشرح أحمد شاكر ، (دار الفكر) ، ص ٩١-٩٢

هذه الأحاديث الضعيفة نهجاً خاصاً ، فجعلوها أساساً وركناً ثابتاً ، في منهج استدلالهم ، وأما بعض الأحاديث الصحيحة فقد فهموها على خلاف الشرع ، ولذلك أخطئوا الاستدلال بها ٠

ومن أشهر الأحاديث الضعيفة ، التي استدلوا بها وفق منهجهم ، أحاديث حياة الخضر –عليه السلام–[1] ٠

ومن أشهر الأحاديث التي استدلوا بها على حياة الخضر –عليه السلام–، الحديث التالي نصه :

« يلتقي الخضر وإلياس ، في كل موسم ، يفترقان عن هذه الكلمات : بسم الله ، ما شاء الله ، لا لاقوة إلا بالله ، ما شاء الله ، كل نعمة من الله ، ما شاء الله ، الخير كله ، بيد الله عز وجل ،ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله »[2]٠

هذا مثال من الأحاديث ، التي يستدل بها الصوفية ، على حياة الخضر –عليه السلام– ، وأنه لا يزال حياً ، ويحج كل عام ، وبالتالي فإن لقياهم له ، ورؤيتهم إياه ، وتلقيهم منه ، حجة في الاستدلال –كما يزعمون–٠

---

١ – انظر : البداية والنهاية ، ١/ ٣٧٦ ، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص ٣٥٩ وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمد أحمد نوح ، ط١ (المملكة العربية السعودية : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ١٤١٦ هـ) ، ١/ ٣٩٦ وما بعدها ٠

٢ – قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لأبي طال المكي ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ، ١/٩ ، وذكره ابن حجر في : الزهر النضر في نبأ الخضر ، شرحه وعلق عليه سمير حسين حلبي ، ط١ ، (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٦– ٦٢ ، وابن الجوزي في الموضوعات من الأحاديث المرفوعات حقق نصوصه وعلق عليه ، د: نور الدين بن شكري ، ط١ ، (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤١٨هـ) ، ١/ ٣١١، باختلاف يسير ، وطرفه عند ابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ص ٥٨ ، وهو حديث ضعيف وواه ٠

واستدلوا بأحاديث أخرى منها : « إن الخضر في البحر واليسع في البر ، يجتمعان كل ليلة ، عند الردم ، الذي بناه ذو القرنين بين الناس ، ويأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل » وهو حديث ضعيف جداً ٠

الزهر النضر ، ص ٣٦–٣٧، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، (مكة المكرمة : توزيع عباس أحمد الباز ، بدون تاريخ طبع) ، ٣/ ٢٧٨

ومن الأحاديث التي فهمها – بعض – الصوفية خلاف الشرع ، ومراد رسول الله –ﷺ– ، الأحاديث التي تنهى عن ادخار المال والطعام ، ولو ليوم واحد .

فقد قال الطوسي : « وروي عنه – عليه الصلاة والسلام– : أنه –ﷺ– لم يدخر شيئاً لغد ...»(١) .

وقال الغزالي : « إن رسول الله –ﷺ– كان أسخى الناس ، كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه، وفجأه الليل ، لم يأو إلى فراشه حتى يتبرأ منه، إلى من يحتاج إليه »(٢)

ولذا جسد بعض الصوفية ، هذه الأقوال إلى واقع ملموس ، ومن ذلك ما « يرد عن الشبلي أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة ، فقالوا له : ما تفعل ؟ قال : الحجر أولى بالماء. قالوا : لم لا تعطيها للخلق ؟ قال : سبحان الله ! بم احتج إلى الله في أني رفعت الحجاب عن قلبي وجعلته على قلوب إخوتي المسلمين » (٣) .

وذكر الطوسي أنه قد : «حُمل إلى الحسين النوري ثلثمائة دينار، قد باعوا عقاراً له ، فجلس على قنطرة الصَّراة ، وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ويقول : سيدي تريد أن تخدعني عنك بهذا»(٤).

---

١ – اللمع ، ص ١٣٤

٢ – الإحياء ، ٢/ ٣٨٩ ، وقد علق الحافظ العراقي على ذلك بحاشية الإحياء فقال : « حديث كان –ﷺ– أسخى الناس . أخرجة الطبراني في الأوسط من حديث أنس : « فضلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة ...الحديث . ورجالة ثقات . وقال صاحب الميزان إنه منكر ، وفي الصحيحين من حديثه : كان رسول الله –ﷺ– أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس».وحديث «كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط » أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ، ٢/ ١٧١ حديث رقم٣٠٥٥

٣ – كشف المحجوب ص ٤٦٢

٤ – اللمع ، ص ٣٥٧

هكذا فهم بعض الصوفية ، أحاديث الرسول –ﷺ– التي تنهى عن ادخار المال ٠

المطلب الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية ٠

شدد علماء السلف ، في القرن الثامن – كما هو حال السلف في كل زمان – ، على التمسك بالسنة ، واتباع الرسول الكريم –ﷺ– وحثوا على التمسك بهذا المنهج في الاستدلال ، والاقتداء ٠

قال ابن أبي العز ،عن أسباب دخول الفساد في العالم: «٠٠٠وأحبار السوء – وهم العلماء الخارجون عن الشريعة – بآرائهم وأقيستهم الفاسدة ، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله –ﷺ– ، وتحريم ما أباحه ، واعتبار ما ألغاه ، وإلغاء ما اعتبره ، ٠٠٠ والرهبان وهم جهال المتصوفة ، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع ، بالأذواق ، والمواجيد ، والخيالات، والكشوفات الباطلة ، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله ، وإبطال دينه ، الذي شرعة على لسان نبيه –ﷺ– ، والتعويض عن حقائق الإيمان ، بخدع الشيطان ، وحظوظ النفس »(١)٠

وقال كذلك : « ٠٠٠أما الأمور الإلهية ، والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ، ماأُخذ عن الرسول –ﷺ– لا غير »(٢)٠

---

١ – شرح الطحاوية ، ص ٢٣٥

٢ – شرح الطحاوية ، ص ٢٣٠

وبيّن منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية الشاطبي بقوله : « فمنها : اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة ، المكذوب فيها على رسول الله –ﷺ– ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث ، ···فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث – على ما هو معلوم – ، جاهل ومخطئ في نقل العلم ، فلم ينقل الأخذ بشيء منها ، عمن يقتدى به في طريقة العلم ، ولا طريقة السلوك »[١] .

وقد أشار الذهبي ، إلى مثل هذا القول ، وبيّن خطأ من نهج هذا المنهج ، في الاستدلال بمثل هذه الأحاديث [٢] .

أما أحاديث حياة الخضر –عليه السلام– ، التي يستند إليها الصوفية في إثبات حياته ، فلم يصح منها شيء ألبته ، كما بيّن ذلك ابن كثير بقوله : « وهذه الروايات والحكايات ، هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكل من الأحاديث المرفوعة ، ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين»[٣] .

وقال كذلك : « وقد قدمنا قول من ذكر، أن إلياس والخضر يجتمعان ، في كل عام في شهر رمضان ، ببيت المقدس ، وأنهما يحجان كل سنة ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل···وبيّنا أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس – عليهما السلام – » [٤].

---

١ – الاعتصام ، ١/ ١٨٢

٢ – انظر : السير ، ١٧/ ١٨٢

٣ – الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ، تأليف : أحمد بن عبد العزيز الحصين ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة رياض الجنة ، ١٤٠٨هـ) ، ص ٤٩

٤ –البداية والنهاية ، ١/ ٣٧٦

وقال الإمام ابن القيم : « الأحاديث التي ذكر فيها الخضر –عليه السلام– وحياته ، كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد»[1]٠

وقد ذكر ابن القيم ، عشرة أوجه استدل بها على موت الخضر –عليه السلام– ، منها :

١- أن القول بحياة الخضر –عليه السلام– قول على الله بلا علم ، وذلك بنص القرآن ٠

٢- أن غاية ما تمسك به من ذهب إلى حياته ، حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر –عليه السلام– فيالله العجب ! هل للخضر –عليه السلام– علامة يعرف بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر ٠ ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله ، فأين للرأي أن المخبر له صادق ، لا يكذب ٠

٣- أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ، ورباطه في سبيل الله ، ومقامه في الصف ساعة ، وحضوره الجمعة والجماعة ، وتعليمه العلم : أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات ٠ وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له [2]٠

وأما ما ذكره الصوفية ، من الحديث الصحيح ، واستدلوا به على عدم جواز الادخار ، فقد بين الشاطبي ، أنهم أخطأوا في هذا الاستدلال، فقال: « وقد يشارك القرآن في هذا المعنى السنة ، إذ كثير من الأحاديث، وقعت على أسباب ، لا يحصل فهمها إلا بمعرفة ذلك ، ومنه أنه نهى – عليه السلام – عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، فلما كان بعد ذلك قيل له : لقد كان الناس ينتفعون بضحاياهم ، ويحملون منها الودك[3]ويتخذون منها الأسقية ٠

---

١ – المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ص ٦٧ ٠

٢ – المنار المنيف ، ص٦٣، ٦٤

٣ –الودك : دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه ٠(المعجم الوسيط ٢/ ١٠٢٢، مادة «ودك »)٠

فقال -ﷺ- :« وما ذاك ؟» ٠

قالوا : نهيت عن لحوم الضحايا بعد ثلاث ٠

فقال -عليه السلام-: « إنما نهيتكم من أجل الدافة[١] ،التي دفت عليكم : فكلوا وتصدقوا وادخروا »[٢]٠

فهذا فيه بيان خطأ بعض الصوفية ، في استدلالهم بهذا الحديث ، على عدم الادخار ، وإنما الصواب بخلاف ما ذهبوا إليه ، لأن النهي عن الادخار كان لسبب خاص[٣] ٠

المبحث الثالث : موقف علماء السلف، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية٠

١ -الدافة : الجماعة تقبل من بلد إلى بلد ٠ وقال في الموافقات : « قوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد ، يريد أنهم قدموا المدينة عيد الأضحى ، فنهاهم عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها ، وينتفع أولئك القادمون ، فالنهي بسبب خاص ، إذا لم يوجد جاز الأكل والتصدق والادخار ، كما جاء في الحديث» ، ١/ ١٥٦

٢ - صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، في أول الإسلام ، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، ٣/ ١٥٦١ ، حديث رقم ١٩٧١ ، ونص الحديث : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث قال عبد الله بن أبي بكر فذكرت ذلك لعمرة فقالت صدق سمعت عائشة تقول دف أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويجملون منها الودك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وما ذاك » قالوا : نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث فقال : «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت فكلوا وادخروا وتصدقوا »

٣ - انظر الموافقات ، ٤/ ١٥٥- ١٥٦

المطلب الأول : منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية.

اعتبر الصوفية منهج الاستدلال ، بأفعال وأقوال الشيوخ ، من مناهج الاستدلال المهمة ، واعتنوا بتدوين أخبار هذا المنهج في الكثير من مؤلفاتهم ، قديماً وحديثاً ، بل ومنهم من يخلع على هذا المنهج القدسية التامة ، بحيث لا يرقى إليه أي منهج أخر ، وكأن شيوخهم معصومون، من الخطأ والزلل والنسيان .

ولهذا قال بعضهم : « من لم يعتقد في شيخه الكمال ، لا يفلح على يديه أبداً » [١] .

وقال صوفي آخر : « من دخل في صحبة شيخ ، ثم اعترض عليه ، بعد ذلك فقد نقض عهد الصحبة ، ووجب عليه تجديد العهد » [٢].

بل زعم بعضهم أن مجرد الإنكار على الشيخ لا يجوز ، ومن ينكر عليه ، ستعاجله العقوبة [٣].

وغلى بعض الصوفية بذلك ، حتى جعل أدنى مناقشة للشيخ ، من علامات الخسران وعدم الفلاح ، فقال : « من قال لشيخه لِمَ لا يفلح »[٤] .

---

١ –الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ١٧٤ ، والقائل هو: عبد القادر الجيلي .
٢ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ١٧٤ ، والقائل هو : أبو علي الدقاق .
٣ – انظر : طبقات الشعراني ، ٢/ ٢٠
٤ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ١٧٥

وقال القشيري : « يجب على المريد أن يصحح عهده بينه وبين الله تعالى ، أن لا يخالف شيخه ، في كل ما يشير به عليه»[١]

وقالوا في آداب المريد : « الصحبة مع الأستاذ باتباع أمره ونهيه ٠٠٠والقيام بخدمة أستاذه واجب والصبر تحت حكمه ، وترك مخالفته ، ظاهراً وباطناً ، وقبول قوله والرجوع إليه في جميع ما يعرض له ، والتعظيم لحرمته ، ومجانبة الإنكار عليه سراً وجهراً » [٢].

وقد حث بعض الصوفية ، على تطبيق وتحويل هذه الأقوال ، إلى أفعال ، فقال : « الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى»[٣].

ولهذا طبق الصوفية هذا القول ، وقاموا بالتسول ، كما أقر بذلك الطوسي، فقال : « كان بعض الصوفية ببغداد لا يأكلون إلا بذل السؤال » [٤].

هذه أمثله من أقوال الصوفية ، في وجوب اتباع الشيوخ ، والاستدلال بأقوالهم وأفعالهم ، ويظهر فيها الغلو الكبير في تعظيم أقوال وأفعال شيوخهم ، ونصوا على طاعتهم طاعة مطلقة ، دون تفريق بين طاعتهم فيما يحبه الله و يرضاه ، وبين ما يغضب الله ورسوله -ﷺ- .

١ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/ ١٧٩
٢ – آداب المريدين ، تأليف أبي النجيب ضياء الدين السهروردي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، (القاهرة : دار الوطن) ، ص ٦٦
٣ – اللمع ، ص ٢٥٥
٤ – اللمع ،ص ٢٥٣

المطلب الثاني : موقف علماء السلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بأقوال وأفعال الشيوخ عند الصوفية ٠

دحض علماء السلف ، في القرن الثامن ، المزاعم التي يروجها بعض الصوفية ، بحجية الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ عندهم، وبيّن علماء السلف ، أن هذا المنهج خاطئ ولا يعتمد عليه ، في تقرير الأحكام الشرعية ، لأن كل إنسان عرضة للزلل والخطأ ، فيؤخذ من كلامه ما يوافق النصوص الشرعية ، ويرد ما عدى ذلك ، إلا المعصوم –ﷺ– ، ولذلك أكد علماء السلف على ضلال بعض الصوفية ، ومجانبتهم الصواب ٠

قال الشاطبي : « ولقد زل – بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال – أقوام خرجوا بسبب ذلك ، عن جادة الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– ، واتبعوا أهواءهم بغير علم ، فضلوا عن سواء السبيل»[١]٠

وذم علماء السلف ، منهج الاستدلال على صحة البدع بأعمال الشيوخ ، فقال الشاطبي : « وهو – التقليد – نظير من يستدل على صحة البدعة بعمل الشيوخ ، ومن يشار إليه بالصلاح ، ولا ينظر إلى كونه من أهل الاجتهاد في الشريعة»[٢]٠

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه –رحمه الله – ، خطأ من استدل بأفعال من لا يؤدون الواجبات الشرعية ، بقوله : « ومن ظن أن أحداً من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات ، ولا يتركون المحرمات ، ٠٠٠٠فمن اعتقد أن أحد من هؤلاء من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين ، وعباده الصالحين ، وجنده الغالبين السابقين ، ٠٠٠ مع كونه لا يؤدي الواجبات ، ولا يترك

---

١ – الاعتصام ، ٢/ ٥٨٣

٢ – الاعتصام ، ١/ ١٣٣

المحرمات ، كان المعتقد لولاية مثل هذا كافراً مرتداً عن دين الإسلام »[١] .

ثم قال – رحمه الله – : « فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء ، أو طريق أحد من العبّاد والنساك ، أفضل من طريق الصحابة –رضي الله عنهم– فهو مخطئ ، ضال مبتدع »[٢] .

وقال الشاطبي : «٠٠٠وأضعف هؤلاء احتجاجاً ، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلاناً ؛ الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، وافعلوا كذا»

وأضاف : « ويتفق مثل هذا كثيراً ، للمترسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– ، في النوم فقال لي : كذا وأمرني بكذا ، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة»[٣] .

وبيّن ابن كثير حال بعض أولئك المقلدين ، فقال عن أحد الصوفية: « ويذكر له أحوال ومكاشفات ، على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ ، على الصلوات ، ولا الصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه ٠٠٠وغالى – بعضهم – فيه مغالاة زائدة »[٤] .

١ – الفتاوى ، ١٠ / ٤٣٢
٢ – الفتاوى ، ١١/ ١٥
٣ –الاعتصام ، ١/ ٢١١-٢١٢
٤ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٤٣

كما أشار الشاطبي ، إلى أن الاستدلال على تثبيت المعاني ، بأعمال المشار إليهم بالصلاح بناء على مجرد تحسين الظن لا زائد عليه، ليس على اطراد في الصواب ، لجواز تغيره [١] .

كما أوضح أن الاستدلال ، بكلام أرباب الأحوال ، من أهل الولاية، قد يوقع بحرج ، أو يكون من التكليف بما لا يطاق ، « بل ربما ذموا بإطلاق ما ليس بمذموم ، إلا على وجه دون وجه ، وفي حال دون حال ، فصار أخذه بإطلاق موقعاً في مفسدة »[٢] .

وقد ذم علماء السلف ، في القرن الثامن ، تقليد الصوفية ، واعتمادهم على التقليد في الاستدلال على جواز ما يفعلونه من بدع ، فقال الشاطبي : « وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ، ويثني عليه ، كاتخاذ الغناء جزءاً من طريقة التصوف،بناءً منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه ، وتواجدوا عليه ، ومنهم من مات بسببه ، وكتمزيق الثياب عند التواجد ، بالرقص وسواه ، لأنهم قد فعلوه كثيراً ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف » [٣]

هذه مواقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، من منهج الاستدلال عند الصوفية ، بينوا ما فيه من حق ، وقوموا ما فيه من اعوجاج ، داعيهم في ذلك النصح لله ، ولكتابه ، ولرسوله -ﷺ- ، وأمة الإسلام ، دون ميل ولا غلوا ، والله الهادي إلى سواء السبيل [٤].

---

١ -انظر : الموافقات ، ١/ ١١٦- ١١٧

٢ - الموافقات ، ١/ ١١٧

٣ - الاعتصام ، ٢/ ٣٥٤

٤ - هناك أنواع أخرى ، لمنهج الاستدلال عند الصوفية ، منها : تقديم الكشف والذوق والوجد على الكتاب والسنة ، وكذلك اعتمادهم على الرؤيا والمنامات والإلهام والخطرات ، وقد بينت ذلك في موضعه في الفصل الأول من هذا الباب .

ويتكون من: تمهيد ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، لغة واصطلاحاً .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الحلول والاتحاد ، عند الصوفية .

المطلب الأول : الحلول والاتحاد ،عند الصوفية .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الحلول والاتحاد ، عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري، تجاه وحدة الوجود ، عند الصوفية .

المطلب الأول : وحدة الوجود ، عند الصوفية .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري، تجاه وحدة الوجود ، عند الصوفية .

التمهيد : تعريف الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، لغة واصطلاحاً .

أولاً : تعريف الحلول الاتحاد ، لغة واصطلاحاً ٠

أ- تعريف الحلول لغة واصطلاحاً:

١- **الحلول لغة** : « حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً ومَحَلاً ، نزول القوم بمحلة، وهو نقيض الارتحال ، وحَلَّه واحْتَلَّ به واحتله نزل به ، والحَلُّ: الحلول والنزول ، وأحَلهُّ المكان وأحَلَّه به وحل به : جعله يحل به »[١]

فالحلول في اللغة : النزول بالمكان والحلول به٠

٢- الحلول اصطلاحاً:

« عبارة عن اتحاد الجسمين ، بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلول ماء الورد بالورد »[٢] ، ويسمى هذا بالحلول السرياني ٠

أما الحلول الجواري : فهو «عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ، كحلول الماء في الكوز »[٣]

وقال شيخ الإسلام ، في تعريف الحلول : «اللاهوت حل في الناسوت [٤]، وتدرع به كحلول الماء في الإناء »[٥]

---

١ – المعجم الوسيط ، ١/ ١٩٤ ، مادة (حل) ، والقاموس المحيط ، ص ١٢٧٤ ، مادة (حل) ، وانظر: لسان العرب ، ١١/ ١٦٣ ، مادة (حل)

٢ – التعريفات ، ص ٩٨

٣ – التعريفات ، ص ٩٨ ، وانظر معجم المصطلحات الصوفية ، ص ٧٧

٤ – لاهوت : يقال «لله » سبحانه ٠ كما يقال : ناسوت للإنسان ٠ (معجم المناهي اللفظية ، ص٤٦٩)

٥ – الفتاوى ، ٢/ ١٧١

ومبدأ الحلول هو ثاني[1] المبادئ الصوفية ، ، وهو حلول العنصر الإلهي ، في العنصر البشري[2] .

ب- تعريف الاتحاد لغة واصطلاحاً .

١- الاتحاد لغة :

« اتحد : الشيئان أو الأشياء : صارت شيئاً واحداً»[3]

٢- الاتحاد اصطلاحاً :

« تصيير الذاتين واحدة »[4] .

وقسم شيخ الإسلام ابن تيميه الاتحاد إلى قسمين، ثم عرفهما ، فقال : « الاتحاد الخاص: اللاهوت حل في الناسوت ، واختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء » .

والاتحاد العام وهو قول ملاحدة الصوفية ؛ إن الباري تقدس ذكره : « عين وجود الكائنات »[5]

ثانياً : تعريف وحدة الوجود لغة واصطلاحاً .

أ- وحدة الوجود لغة : « وحد : الواو والحاء والدال ، أصل واحد ، يدل على انفراد ، ومن ذلك الوَحْـدَة » [6]

ب - وحدة الوجود اصطلاحاً:

---

١ - المبدأ الأول عند الصوفية هو : الإشراق ، وهو انبعاث نور غير محسوس إلى الذهن تتم به المعرفة .(الموسوعة العربية العالمية ،١٥/ ٢٠٢)

٢ - الموسوعة العربية العالمية ، ١٥ / ٢٠٢

٣ - العجم الوسيط ، ١٠١٦/٢ ، (باب الواو)

٤ - معجم المصطلحات الصوفية ، ص ٣٨ ، وانظر معجم اصطلاحات الصوفية ، ص٤٩

٥ - الفتاوى ، ١٧٢/٢

٦ - مقاييس اللغة ، ص ١٠٨٤ ، باب (الواو)

تقوم وحدة الوجود على: « أن الله في كل شيء ،وهو كل شيء»[١]

وخلاصة تعريف وحدة الوجود ، كما بينه شيخ الإسلام ابن تيميه هو:«إن الله بذاته في كل مكان » [٢]

ووحدة الوجود عند الصوفية تعني : « أن الله –تعالى وتقدس عما يقولون – والخلق واحد ، والحاكم والمحكوم شيء واحد ، وما التعدد في الواقع إلا في شكل الوجود ،لا في ذات الموجود »[٣]

ومدار وحدة الوجود أنه : « يوحد بين الله والعالم ، ولا يقر إلا بوجود واحد وهو الله ٠٠٠وكل ما عداه أعراض له »[٤].

١ – قاموس المذاهب والأديان ، ص ١٤١

٢ – الفتاوى ، ١٧٢/٢

٣ – الموسوعة العربية العالمية ، ٢٠٢/١٥، وانظر : دائرة معارف القرن العشرون ، محمد فريد وجدي ، (بيروت : دار الفكر) ، ٦٧٨/١٠

٤ – الموسوعة العربية الميسرة ، (بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٩٨٠ م) ، ١٩٤٥/٢

المبحث الأول : الحلول والاتحاد ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : الحلول والاتحاد عند الصوفية ٠

يكمل الحلول والاتحاد ، ضلعي مثلث الإلحاد – المكون من الحلول والاتحاد ووحدة الوجود – ، في عقائد بعض الصوفية ، وبالرغم من بُعد هذا الاعتقاد ، عن روح الإسلام وجوهره ، إلا أنه وجد قبولاً عند بعض الصوفية ، فاعتقدوه وروجوا له ، بالقول والاعتناق ٠

فقد صرح الحلاج بإمكانية الحلول بقوله : « من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات ، ارتقى في مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة ، حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الإله ، الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد حينئذٍ شيئاً إلا كان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى »[١]

وقال في ذلك شعراً :

سبحان من أظهرناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً   في صورة الآكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلحظة الحاجب بالحاجب[٢]

وقال كذلك :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا[٣]

---

١ –الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ ، وانظر : من قضايا التصوف ، د: محمد السيد الجليند ، ط٣ ، (الرياض : دار اللواء ، ١٤١٠ هـ) ، ص ٨٦

٢ – ديوان الحلاج ، ص ٢١ ٠ قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيات « فهذه قد بين بها الحلول الخاص – كما تقول النصارى في المسيح – وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي – قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج – يذب عنه ، فلما أنشد هذين البيتين قال : لعن الله من قال هذا» [الفتاوى ، ٢/ ٣١١]

٣ – ديوان الحلاج ، ص ٥٥ ، وانظر : دراسات في التصوف – الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي – يوسف زيدان ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ) ، ص ١٦٢

ومن القائلين بالحلول والاتحاد ، من الصوفية أيضاً ، ابن الفارض[١]، وذلك في قصائده المشهورة ، في ديوان شعره ، ومن أشهر قصائده التي صرح فيها بمذهبه هذا ، قصيدته التائية الكبرى المسماة « نظم السلوك »، فقد بيّن فيها بعبارات واضحة – لا لبس ولا غموض فيها – فكرته التي منها استمد هذا المذهب [٢]

ومنها قوله :

لها صلواتي بالمقام أُقيمها   وأشهد فيها أنها لـي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى   حقيقته بالجمع في كـل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن   صلاتي لغيري في أداء كل ركعة[٣]

وكذلك قال أبو المواهب الشاذلي : « ظهور تجلي الحقيقة الإلهية، للحقيقة الإنسانية محا منها ثانوية الناسوت ، وأثبت فردانية اللاهوت »[٤]

وذكر الغزالي قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشابها فتشاكل الأمر

قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيات : « فهذا إنما أراد هذا الشاعر الاتحاد الوضعي ، كاتحاد المتحابين بالآخر ، الذي يحب أحدهما ما يحب الآخر ، ويبغض ما يبغض ، ويقول مثل ما يقول ، ويفعل مثل ما يفعل ؛ وهو تشابه وتماثل ، لا اتحاد العين بالعين ، إذ كان قد استغرق في محبوبه حتى فني به عن رؤية نفسه ، كقول الآخر :

غبت بك عنـــي   فظننت أنك أنـــي

فإما أن يكون غالطاً مستغرقاً بالفناء ، أو يكون عنى التماثل والتشابه ، واتحاد المطلوب والمرهوب ، لا الاتحاد الذاتي ، فإن أراد الاتحاد الذاتي – مع عقله لما يقول – فهو كاذب مفتر ، مستحق لعقوبة المفترين » [الفتاوى ، ٢/ ٣٧٧]

١ – أبو حفص ، وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي (٥٧٦-٦٣٢هـ) الصوفي المصري الأول بلا منازع ، ورأس شعراء الصوفية من العرب .(الموسوعة الصوفية ، ص ٣١١) .

٢ – موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية ، ص ١٧١

٣ – ديوان ابن الفارض ، ط١، (بيروت : المطبعة الأدبية ، ١٩٠٤م) ص ٧٧

٤ – قوانين حكم الإشراق ، جمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي ، ط١ (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٦١م) ، ص ١٦

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولاخمر [١]

فقال : « هذا مقام من مقامات علوم المكاشفة ، منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق ، وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها ، أو حلولها فيها»[٢]

وكشف السهروردي أن : « من جملة أولئك –المنتسبين إلى التصوف– قوم يقولون بالحلول ، ويزعمون أن الله تعالى يحل في أجسام يصطفيها »[٣]

وقال ابن الفارض مبيناً عقيدته في الاتحاد :

وقد آن لي تفصيل ما قلت مجملاً
وإجمال ما فصلت بسطاً لبسطتي
أفاد اتحادي حبها لاتحادنـا
نوادر عن عاد المحبين شذت[٤]

وهاأنا أبدي في اتحادي مبدئي
وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي
جلت في تجليها الوجود بناظري
ففي كل مرئي أراها بصورة[٥]

١ – نسب شيخ الإسلام ابن تيميه ، هذين البيتين لأبي نواس ، [مجموعة الرسائل والمسائل ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ ، ١/ ٧٥]
٢ – الإحياء ٢/ ٣١٧
٣ – عوارف المعارف ص ٧٨ ، وقد رد عليهم وبين بطلان مذهبهم ، ومثله فعل الهجويري فقال : « وأما الحلولية لعنهم الله فهم من الطائفتين المطرودتين اللتين تنتميان إلى هذه الطائفة » كشف المحجوب ص ٥٠١ ، وانظر : روضة التعريف بالحب الشريف ، لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب ،عارضة بأصوله ، وعلق حواشيه وقدم له : محمد الكتاني ، ط١ ، (بيروت : ١٩٧٠م) ، ٢١٦/١
٤ – ديوان ابن الفارض ، ص ٧٨
٥ – ديوان ابن الفارض ، ص ٨٢

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا
وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فإن لم يجوز رؤية اثنين واحداً
حجاك ولم يثبت لبعد تثبت (١)
وكذاك بحكم الاتحاد بحسنها
كما لي بدت في غيرها وتزيت
بدوت لها في كل صب متيم
بأي بديع حسنه وبأية (٢)

هذه عقيدة القول بالحلول ، والاتحاد ، عند الصوفية ، اعتقدوها، وقالوا بها، شعراً ، ونثراً ٠

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الحلول ، والاتحاد ،عند الصوفية ٠

فند علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، زعم بعض منحرفي الصوفية ، وقولهم الباطل ، بإمكانية الحلول بين الخالق – سبحانه – والمخلوق ؛ لأن ذلك يتنافى مع أسس وقواعد الدين الإسلامي ،الذي ينطلق من مسلمة تتفق مع الفطرة والعقل ؛ وهي التنزيه المطلق للخالق سبحانه عن مماثلة أو مشابهة مخلوقاته ،أو الحلول بها ، وتستند مواقف السلف إلى نصوص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ٠

١ – ديوان ابن الفارض ، ص ٨٣
٢ – ديوان ابن الفارض ، ص ٨٧

فقد نقل ابن أبي العز قول طائفة من السلف في الرد على هذه البدعة فقال : « قالت طائفة من السلف : من انحرف من العلماء ففيه شبهة من اليهود ، ومن انحرف من العبّاد ففيه شبهه من النصارى ، ٠٠٠وأكثر المنحرفين من العبّاد من المتصوفة ونحوهم ، فيهم شبهة من النصارى ؛ ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد»[١]٠

وقد أشار الشاطبي ، إلى أن العلماء ، يكفرون من يكون مذهبه مذهب الحلولية ، فقال : « وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم ، كالباطنية وسواهم ؛ لأن مذهبهم راجع إلى مذهب الحلولية ، القائلين بما يشبه قول النصارى في اللاهوت والناسوت»[٢]

كما قال :« تكفير ما دل الدليل على كفره ، كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر ،كالإباحية والقائلين بالحلول » [٣]

وبيّن ابن رجب أن سبب هذه البدعة وغيرها ، هو الإحداث في الدين ، فقال :« وقد اتسع الخرق في هذا الباب – أي باب إحداث العلوم في الدين – ودخل فيه قوم إلى أنواع من الزندقة ٠٠٠وإلى دعوى الحلول ٠٠٠وغير ذلك من أصول الكفر »[٤]

وقد حظيت جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري،في بيان بطلان هذه البدعة ، والتصدي لها ، بالإشادة والثناء ، ممن كانوا منتسبين إلى التصوف ، فهداهم الله إلى العدول عنه ، فقد قال ابن شيخ الحزاميين

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٠١ وانظر : ص ٢٥

٢ – الاعتصام ، ١/ ١٠٣

٣ –الاعتصام ، ١/ ١٤١ ، وانظر : ١/ ١٣٤

٤ –فضل علم السلف ، ص ٤٤–٤٥، وانظر: استنشاق نسيم الإنس من نفحات رياض القدس، ابن رجب الحنبلي ، حققه وخرج نصوصه ، د: أحمد عبد الرحمن الشريف ، ط١ ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، الرياض : دار الخاني ، ١٤١١هـ) ، ص ٢١ ، وتفسير سورة الإخلاص ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، ط٢، (الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ) ، ص ٤٧،٥١

[1]: « وأنتم – يقصد أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميه – في مقابلة ما أحدثه الزنادقة من الفقراء والصوفية ، من قولهم بالحلول والاتحاد وتأله المخلوقات ، ۰۰۰فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله – ﷺ – »[2]

وأما المحور الثاني الذي سلكه ، علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، فهو الرد على الأشخاص الذين انتحلوا هذا المذهب ، وارتضوا هذا المنهج ، وقد استأثر الحلاج بالنصيب الوافر ، من ردود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ۰

قال ابن كثير في ترجمة الحلاج مبيناً موقفه ومنهجه من أقواله : «ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله »[3]

ثم قال : « ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره ، أشياء كثيرة ، منها شعره في ذلك ، فمن ذلك قوله :

١ – الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف ، عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي ، المعروف بابن شيخ الحزاميين ، كان رجلاً صالحاً ورعاً ، كبير الشأن منقطعاً إلى الله ، متوفراً على العبادة والسلوك ۰ ولد في حادي عشر – أو ثاني عشر – ذي الحجة سنة ٦٥٧ هـ ، بشرق واسط ، كان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية ، نشأ الشيخ عماد الدين بينهم ، وألهمه الله من صغره طلب الحق ومحبته ، والنفور من البدع وأهلها ، قدم إلى دمشق فرأى الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، وصاحبه ، فدله على مطالعة السيرة النبوية ، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى عن جميع طرائقه وأحواله وأذواقه وسلوكه ، واقتفى آثار الرسول –ﷺ– وهديه ، وشرع في الرد على طوائف المبتدعة ، الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم ، وبين عوراتهم ، وكشف أستارهم ، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد ، وكان الشيخ تقي الدين ابن تيميه يعظمه ويجله ، صنف أجزاء عديدة في السلوك والسير إلى الله تعالى ، وفي الرد على الاتحادية، والمبتدعة ، وكان داعية إلى السنة ومذهبه مذهب السلف الصالح ، ومن تصانيفه : شرح منازل السائرين ، ولم يتمه ، وله نظم حسن ، توفي – رحمه الله – آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة ٧١١ هـ ، بدمشق ۰(العقود الدرية ، ص ٢٩٠،والذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٣٥٨–٣٦٠)

٢ – التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار دفاعاً عن ابن تيمية ، تصنيف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بـ "ابن الشيخ الحزاميين " ، تقديم وتحقيق وتعليق علي حسن علي المجيد ، ط١ ، (الأحساء : مكتبة ابن الجوزي ، ١٤٠٨هـ) ، ص ٣٤

٣ – البداية والنهاية ، ١١/ ١٥٨

جبلت روحك في روحي كما   يجبل العنبر بالمسك الفتق[١]
فإذا مسك شـيء مسني   وإذا أنت أنا لا نفترق [٢]

وقولـه :

مزجت روحك في روحي كما   تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شـيء مسني   فإذا أنت أنا في كل حال[٣]

ثم بيّن ابن كثير، أن الحلاج أخطأ ، حين لم يتبع التنزيل ، ولم يخاف من التحويل ، وقد زل وضل ، واتبع البدعة بسبب ذلك[٤]

وقد ذكر الذهبي في ترجمة الحلاج ، أن الصوفية قد تبرءوا منه ، فقال : « وتبرأ منه سائر الصوفية [٥] والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه ، ومنهم من نسبه إلى الحلول ، ومنهم من نسبة إلى الزندقة ...وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهال ، نسأل الله العصمة في الدين »[٦]

وعلق على قول الحلاج: « وأبرأ إليك مما وحدك به الموحدون » قال: « هذا عين الزندقة ، فإنه من تبرأ مما وحد الله به الموحدون ، الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة ، فهل وحدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص ، ...فإذا برئ الصوفي منها، فهو ملعون زنديق ، وهو صوفي الزي الظاهر

---

١ – جاءت بالبداية والنهاية « الفنق » وبديوان الحلاج « الفتق» . وفتق المسك خلط به ما يُذْكِيهِ. (المعجم الوسيط ، ص ٦٧٢ ، باب الفاء) .
٢ – البداية والنهاية ، ١/ ١٥٩، وانظر ديوان الحلاج ، ص ٥٠
٣ – ديوان الحلاج ، ص ٤٧
٤ –البداية والنهاية ، ١١/ ١٦١
٥ – انظر : كشف المحجوب ص ٣٦٢
٦ –السير ، ١٤/ ٣١٤ ، وانظر : ١٤/ ٣١٨

، متستر بالنسب إلى العارفين ، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل »[1]

وذكر الذهبي أبيات الحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته سرَّ سنا لا هوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

ثم نقل قول ابن خفيف[2] فيها ونصه : « على قائل ذا لعنة الله٠ قال: هذا شعر الحسين الحلاج ٠ قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر »[3]

ونقل قول الفقيه أبي علي بن البناء[4] في الحلاج : «كان الحلاج قد ادّعى أنه إله ، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت »[5]

وقد دفع الذهبي الشبهة ، التي درج بعض أتباع الحلاج على ترويجها ،وهي أنه قد تاب عند قتله ، ورجع عن معتقده وعن ما كان يقوله ، فقال: « ٠٠٠فإن الحلاج عند قتله مازال يوحد ويصيح : الله الله في دمي ، فأنا على الإسلام ، وتبرأ مما سوى الإسلام ، والزنديق فيوحد الله علانية ولكن الزندقة في سره ، والمنافقون فقد كانوا يوحدون ويصلون علانية ، والنفاق في قلوبهم ، والحلاج فما كان حماراً حتى يظهر الزندقة ،بازاء ابن خفيف وأمثاله ، بل كان يبوح بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن يكون تزندق في وقت ، ومرق وادعى الإلهية، وعمل السحر والمخاريق الباطلة ، مدة ثم لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر أسلم ورجع إلى الحق ، والله أعلم بسره ، ولكن مقالته نبرأ إلى الله عنها ، فإنها محض كفر ، نسأل الله

---

١ – السير ، ١٤/ ٣٤٢- ٣٤٣
٢ – محمد بن خفيف بن إسفكشاد الضبي ، المقيم بشيراز ، كانت أمه نيسابورية ، وكان شيخ المشايخ في وقته ، صحب رويماً والجريري ، وأبو العباس بن عطاء ، مات سنة ٣٧١هـ ، [طبقات الصوفية ، ص ٤٦٢]
٣ –السير ، ١٤/ ٣٢٥
٤ – الحسين بن أحمد بن عبد الله ٠(السير ، ٥١٩/٢٤)
٥ – السير ، ١٤ / ٣٢٧

العفو والعافية ، فإنه يعتقد حلول الباري –عز وجل – في بعض الأشراف ، تعالى الله عن ذلك »[1] .

ولم يقتصر رد علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، على الحلاج ومزاعمه الباطلة ، بل ردوا على كل من يدعي مذهبه ، ويقول مقالته .

فقد بيّن ابن كثير حال ثلاثة ، من أصحاب الحلول من الصوفية ، فذكر في ترجمة العفيف التلمساني[2] ما يبين عقيدته بقوله : « وقد نسب هذا الرجل ، إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد ، في الحلول والاتحاد والزندقة ، والكفر المحض »[3]

وقال في ترجمة الحريري [4]: « كان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر ، بارعاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه مايشير إلى نوع الحلول والاتحاد ، على طريقة ابن عربي وابن الفارض »[5]

وقال في ترجمة أبي العباس بن عطاء[6] أحد أئمة الصوفية : «كان موافقاً للحلاج ، في بعض اعتقاده على ضلال » . ثم قال: «وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته »[7]

---

١ –السير ، ١٤/ ٣٥١

٢ – أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله ياسين العفيف التلمساني ،، تلميذ القونوي ، أثنى عليه ابن سبعين وفضله على شيخه القونوي ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد ، في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض ، مات سنة ٦٧٥ وقيل ٦٩٠ هـ . [البداية والنهاية ، ١٣/٣٧٥ ، والكواكب الدرية ٢/٨٩]

٣ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٧٥

٤ – محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي ، ولد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة ، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور اليسري الحريري ، مات بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر من سنة ٦٧٧هـ . [البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٢٧]

٥ – البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٢٨

٦ – أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي ، من ظرفاء مشايخ الصوفية ، وعلمائهم صحب الجنيد ، مات سنة ٣٠٩ وقيل ٣١١هـ .(طبقات الصوفية ، ص ٢٦٥)

٧ – البداية والنهاية ، ١١/ ١٧١

وقد كان أوسع علماء السلف في القرن الثامن الهجري رداً على الصوفية وبيان فساد عقيدتهم ومقالتهم في الحلول شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد رد عليهم وبين فساد نحلتهم .

فقال : « الحلول المطلق وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء ، فهذا تحكيه أهل السنة والسلف ، عن قدماء الجهمية[١] ، وكانوا يكفرونهم بذلك .

وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه ؛ إلا من أنكر وجود الصانع »[٢]

وقسم شيخ الإسلام الحلول إلى قسمين فقال : « الأول : وهو الحلول الخاص ، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ، ممن يقولون إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء ...وهذا قول من وافق النصارى من غالية هذه الأمة ...وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية ، أو في بعضهم : كالحلاج ...ونحو ذلك »

والثاني : «الحلول العام : وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث، عن طائفة الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية ؛ الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان »[٣]

تعالى الله عما يقوله الظالمون الجاحدون علواً كبيراً.

ثم بيّن شيخ الإسلام أن : « هؤلاء موهوا على السالكين التوحيد ، الذي أنزل الله تعالى به الكتب ، وبعثت به الرسل»[٤].

١- الجهمية : «أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء منها قوله : لا يجوز أن نصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ؛ لأن ذلك يقضي إلى التشبيه ، فنفى كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً ...ومنها إثبات علوماً حادثه للباري تعالى... » (الملل والنحل ، ص ٨٦)

٢ – مجموعة الرسائل والمسائل ١٧٩/٢-١٨٠

٣ – الفتاوى ، ١٧١/٢-١٧٦ وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل ١٧٩/٢

٤ – مجموعة الرسائل والسائل ١٧٨/٢

وقد قرن علماء السلف الرد على الاتحاد عند الصوفية ، بردهم على بدعة الحلول ووحدة الوجود ، فلا يكاد يخلو رد من ردود السلف على الحلول ووحدة الوجود ، عند الصوفية ، إلا وأضافوا إليهما الاتحاد؛ لأنه لا يقل عنهما ضلالاً وانحرافاً ٠

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الاتحاد الخاص: وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولاً ، وهم السودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا ، كاختلاط اللبن والماء ،وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام ٠

والاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحدة – ابن عربي ، والرومي ، والتلمساني – الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين :

من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه ، بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون : ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره ٠

والثاني : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح ، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب ، والخنازير ، والأقذار ، والأوساخ – تعالى الله عما يقوله الضالون علواً كبيراً –٠

كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال ، أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه ، وهم في ذلك كالنصارى ، كلما كان الشيخ أحمق وأجهل ، كان بالله أعرف ، وعندهم أعظم »[1] ٠

ووصف الإمام الذهبي ، ابن الفارض :أنه « شيخ الاتحادية » وقال : « وديوان شعره مشهور وهو في غاية الحسن واللطافة والبراعة والبلاغة ،

---

١ – الفتاوى ، ٢/ ١٧٢–١٧٣ ، وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل ، ١/ ٨٠ – ٨٥ ، مدارج السالكين ، ١/٢٨٩

لولا ما شابه بالتصريح بالاتحاد الملعون ، في ألذ عبارة ، وأرق استعارة ، كفالوذج سمنه سم الأفاعي »[١]

وقال الذهبي معلقاً على قول ابن نقطة في ابن عربي : «وله كلام وشعر ، غير أنه لايعجبني ، قلت – القائل الذهبي – كأنه يشير إلى ما في شعره من الاتحاد ، وذكر الخمر والكنائس والمِلاح »[٢]

وقال ابن كثير عن ابن الفارض : « ابن الفارض : ناظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ٠٠٠وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها »[٣]

وقال أيضاً في البسطامي : « وقد حكي عنه شطحات ناقصات ، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة ٠

ومن العلماء من بدَّعة وخطّاه ، وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل على اعتقاد فاسد ، كامن في القلب ظهر في أوقاته »[٤] ٠

وقال ابن رجب عن أشعار بعض الصوفية : « وإن ذكر في شيء من الأغاني التوحيد ، فغالبه من يسوق ظاهره إلى الإلحاد : من الحلول والاتحاد »[٥] ٠

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية واصفاً مذهب الاتحادية، ومبيناً ما فيه من الفساد : « مذهب هؤلاء الاتحادية ؛ كابن عربي ، وابن سبعين[٦]

---

١ – تاريخ الإسلام – ط٦٤ – ، ص ٩٣-٩٤ ، ٣٥٣، وانظر : السير ، ٧٣/١٤-٧٤ ، ٥١٠/١٨ ، ٣٦٨/٢٢ ، وتاريخ الإسلام – ط ٦٢- ، ص ٤٢٥

٢ – ذيل تاريخ الإسلام – ط٦٤- ، ص ٣٥٣

٣ – البداية والنهاية ، ٢٦٨/١٣

٤ – البداية والنهاية ، ٤٢/١١

٥- نزهة الأسماع ، ص ٨٨

٦ – أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المقدسي الرقوطي ، نسبة إلى رقوط : بلدة قريبة من مرسية ، ولد سنة ٦١٤ ، اشتغل بعلم الأوائل ، والفلسفة ، فتلود من ذلك نوع من الإلحاد ، وصنف فيه ، توفي في الثامن والعشرين من شوال سنة ٦٦٩بمكة المكرمة ٠(البداية والنهاية ، ٣٠٣/١٣)

، والقونوي[١] ، والتلمساني ، مركب من ثلاث مواد : سلب الجهمية وتعطيلهم[٢]، ومجملات الصوفية: وهو ما يوجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة ، كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح ، فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم ، وأيضاً كلمات المغلوبين على عقلهم ، الذين تكلموا في حال سكر ، ومن الزندقة و[٣] الفلسفة[٤] التي هي أصل التجهم ، وكلامهم في الوجود المطلق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والإمكان ، وما في ذلك من حق وباطل ، فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي ، والثانية – مجملات الصوفية – أغلب على ابن عربي ، ولهذا هو أقربهم إلى الإسلام ، والكل مشتركون في التجهم ، والتلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها ، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر »[٥].

وقال ابن الشيخ الحزاميين ، في رسالته التي وجهها إلى تلاميذ وأتباع شيخ الإسلام ابن تيمية ، مثنياً على جهود الشيخ وجهودهم في التصدي لأهل البدع والضلال ، ومنهم الاتحادية: « وكذلك الاتحادية يجعلون الوجود مَظْهَراً للحق ، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه ، ولا ناطق في الأشخاص غيره ، وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر

---

١ – صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي ، نسبة إلى قونية من تركيا ، وفيها ولد وتوفي سنة ٦٧٢ هـ ، وكان من كبار تلاميذ ابن عربي ، وتزوج أبن عربي أمه ورباه .(الموسوعة الصوفية ، ٣٣٢) .

٢ – لنفيهم الأسماء والصفات عن الله سبحانه ؛ ولأنهم يقولون : «إن الله – تعالى عما يقولون – لا شيء ، وما من شيء ، ولا يقع عليه صفه شيء ، ولا معرفة شيء ، ولا توهم شيء ، ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بالتخمين ، فوقّعوا عليه اسم الألوهية ، ولا يصفونه بصفة يقع عليه الألوهية ... ومنهم صنف زعموا : أن الله شيء وليس كالأشياء ، ولا يقع عليه صفة ، ولا معرفة ولا توهم ولا نور ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا تكلم ، وأن القرآن مخلوق ، وأنه لم يكلم موسى – عليه السلام – ...» . [التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تصنيف أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي ، تحقيق وتعليق : يمان سعد الدين المياديني ، ط١، الدمام : الناشر رمادي للنشر ، والمؤتمن للتوزيع ، ١٤١٤هـ ، ص ١١٠-١١١]

٣- جاءت في المطبوع ، دون حرف الواو ، والمعنى لا يستقيم إلا بإضافته.

٤ – يرى الغزالي أن الفلاسفة يكفرون في ثلاث مسائل : « أولها قولهم : بقدم العالم ، وأن الجواهر كلها قديمة . والثانية قولهم : إن الله تعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة . والثالثة : إنكارهم بعث الأجساد وحشرها . [تهافت الفلاسفة ، للغزالي ، قرأه وعلق عليه : محمود بيجو ، ط١ ، سوريا : دمشق ، دار الألباب ، ١٤١٩هـ ، ص ٢٢، ١٢٥، ١٩٣]

٥- مجموعة الرسائل ، ٣١/٤

كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة ، وبين عين البحر ، حتى أن أحده يتوهم أنه الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ؛ لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية[١] ، فمن العابد ومن المعبود ؟ صار الكل واحداً ؟ اجتمعنا بهذا الصنف في الربط والزوايا »[٢] ، مما يبين أن الأمر منتشر بين الصوفية ، وليس مقتصراً على أشخاص معدودين .

وقال الذهبي في ترجمة ابن الفارض : « عمر بن علي المعروف بابن الفارض ... ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل ، ولكنك حسن الظن بالصوفية . وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة ، وتحت الزي والعبارات فلسفة وأفاعي ، فقد نصحتك . والله الموعد»[٣]

وأضاف ابن كثير القول : « ابن الفارض : ناظم التائية في السلوك، على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ...وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا، بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي ، في ميزانه وحط عليه »[٤] ، كما جاء في قول الإمام الذهبي أعلاه .

١- لأنه لا خالق ولا مخلوق عندهم ، فيزعمون أن الخالق هو عين المخلوق ، والمخلوق عين الخالق ، تقدس الله وتنزه عما يقوله الظالمون .

٢- التذكرة ، ص ٣٥

٣ – ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ : علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد ، ط١ ، (مكة المكرمة : دار المنار، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ) ، ٢٥٩/٥

٤ – البداية والنهاية ، ٢٦٨/١٣

المبحث الثاني: جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه وحدة الوجود عند الصوفية .

المطلب الأول : وحدة الوجود عند الصوفية .

وحدة الوجود هي الصورة الكاملة ، لطريق الإلحاد الذي بدأه – بعض – الصوفية بالفناء ، والحلول ، مروراً بالاتحاد، فوحدة الوجود ، التي لم تنضج وتظهر بشكلها الكامل ، إلا على يد ابن عربي الذي يعد المؤسس الحقيقي لهذا المذهب(١) .

وتعد وحدة الوجود ، تولد طبيعي للفناء ، والحلول والاتحاد ، التي قال بها بعض الصوفية ، وذلك ؛ لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل – بزعمهم – الحلول في أجساد طائفة من الخلق، أو الاتحاد معها ، أو الفناء بها ، فلا يوجد – بزعمهم – ما يمنع أن يصبح هذا الحلول والاتحاد عاماً ، يشمل

---

١ – انظر: مدارج السالكين ، ١/ ٢٨٩ ، و مدخل إلى التصوف ، د: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، ط٣(القاهرة : دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٣م) ، ص ٢٠١

جميع المخلوقات ، بحيث لا يكون في الكون شيء إلا الله [١] ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ووحدة الوجود قامت على أساس فكرتين ، خارجتين على العقيدة الإسلامية ، وهما الحلول والاتحاد، أي اتحاد الإنسان بالله ، والحلول الذي يعبر عن تأليه الإنسان ، وحلول اللاهوت في الناسوت ، فالاتحاد هو تشبيه الخالق بالمخلوق ، والحلول هو تشبيه المخلوق بالخالق [٢] .

وللتعرف على حقيقة القول بوحدة الوجود ، ومعرفة أبعادها عند الصوفية ، لابد من استعراض أقوالهم ، ومن أشهرهم ابن عربي [٣]

قال ابن عربي ، في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية : «لما شاء الحق سبحانه ، من حيث أسماؤه الحسنى ، التي لا يبلغها الإحصاء ، أن يرى أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر

---

١ – نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام إعداد سارة بنت عبد المحسن آل سعود ، ط١ ، (جدة : دار المنار للنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ) ، ص ٣٩

٢ – انظر : الفتاوى ، ٢/١٧١-١٧٣ ، و دراسات في التصوف الإسلامي ، ص ٣٣٤

٣ – وينبغي أن يعلم أولاً أن كلام ابن عربي دائر على الوحدة المطلقة ، وهي أنه لا شيء سوى هذا العالم ، وان الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئيات .

وقال شيخ الإسلام عن مذهب ابن عربي : « وهذا تحقيق ما ذكرته من مذهبه : أن وجود الأعيان عنده وجود الحق ، والأعيان كانت ثابتة في العدم ، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلى له ، والعبد لا يرى الوجود مجرداً عن الذوات ، ما يرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود ، فلا سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً ، وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض ، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها ، وذلك لأن العبد لا يرى نفسه التي هي عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده ، والعبد مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها ؛ لأن أسماء الحق عنده هي النسب والإضافات التي بين الأعيان وبين وجود الحق ، وأحكام الأسماء هي الأعيان الثابتة في العدم ، وظهور هذه الأحكام بتجلي الحق في الأعيان ، والأعيان التي هي حقيقة العيان ، هي مرآة الحق التي بها يرى أسماءه وظهور أحكامها ، فإنه إذا ظهر في الأعيان حصلت النسبة التي بين الوجود والأعيان وهي الأسماء ، وظهرت أحكامها وهي الأعيان ، ووجود هذه الأعيان هو الحق ، فلهذا قال : وليست سوى عينه فاختلط الأمر وأنبهم . فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه لتعلم ما يعتقده من ذات الحق وأسمائه وأن ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، وأسماءه هي النسب التي بين الوجود والأعيان ، وأحكامها هي الأعيان لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولأسمائه ولصفاته وخلقه وأمره ، وعلى الإلحاد في أسماء الله وآياته ، فإن هذا الذي ذكره غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته ...» (مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل ، الرياض: مكتبة الرشد ، ص ١٩ ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ٢/ ٦١).

كله ، لكونه متصفاً بالوجود ، ويظهر به سره إليه ، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ، ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة »[1] .

وقال كذلك : « لولا سريان الحق ، في الموجودات بالصورة ، ما كان للعالم وجود »[2]

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من قوى تلك الصورة ، التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم – الصوفية – بالإنسان الكبير » [3] .

ثم أضاف القول : « فسمي هذا المذكور : إنساناً وخليفة ، فأما إنسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين – تعالى الله عما يقوله علواً كبيراً– الذي يكون به النظر، وهو المعبر عنه بالبصر ، فلهذا سمي إنساناً ، فإنه به ينظر الحق ، إلى خلقه فيرحمهم ، فهو الإنسان الحادث الأزلي ، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة قيام العالم بوجوده »[4].

وأضاف القول : « ...فوصف نفسه لنا بنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شهدنا شهد نفسه ، ولا شك أنّا كثيرون بالشخص والنوع، وأنّا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا ، فنعلم قطعاً أن ثم فارقاً به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ، ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد »[5]

---

١ – فصوص الحكم ، ص ٤٨
٢ – فصوص الحكم ، ص ٥٥
٣ – فصوص الحكم ، ص ٤٩
٤ – فصوص الحكم ، ص ٤٩ – ٥٠
٥ – فصوص الحكم ، ص٥٣

وقال النبهاني[1] : « العفيف – التلمساني – هذا من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة ، ومن كفر ابن عربي ، فهو إلى تكفير هذا أسرع ، لاعترافهم بأنه أحذق منه [2]، ومن غيره من القائلين بذلك »[3].

ويرى ابن عربي ، أن العبد هو عين الرب ، والرب هو العبد ، لا فرق بينهما ، فقال مؤكداً هذا الاعتقاد :

فأنت عبد وأنت رب   لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد   لمن له في الخطاب عهد[4]

وقال أيضاً:

يا خالق الأشياء في نفسه   أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك   فأنت الضيق الواسع[5]

وقال كذلك :

فيحمدني وأحمده   ويعبدني وأعبده

١ – يوسف بن إسماعيل بن علي بن يوسف بن إسماعيل النبهاني ، الشافعي ، أبو المحاسن ، أديب وشاعر صوفي ، من القضاة ، ولد بقرية إجزم بشمالي فلسطين ، سنة ١٢٦٥هـ ، ونشأ بها ، ورحل إلى مصر فانتسب إلى الأزهر ، توفي في مسقط رأسه في ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٠ هـ ، وله العديد من المؤلفات .(معجم المؤلفين ١٣/ ٢٧٥-٢٧٦) .

٢ – قال شيخ الإسلام ابن تيميه : « وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهيه ووجود ، ولا بين مطلق ومعين ، بل عنده ما ثم سوى ، ولا غير بوجه من الوجوه ، وإنما الكائنات أجزاء منه وأبعاض له ، بمنزلة أمواج البحر في البحر ، وأجزاء البيت من البيت ، فمن شعرهم :

البحر لا شك عندي في توحده   وإن تعددت بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور   فالواحد الرب ساري العين في العدد

إلى أن قال : ولا ريب أن هذا القول : هو أحذق في الكفر والزندقة » الفتاوى ١٦٩/٢

٣ –الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، ٩٠/٢

٤ – فصوص الحكم ، ص ٩٢

٥ –فصوص الحكم ، ص ٨٨

ففي حال أقر به   وفي الأعيان أجحده[١]

ومن القائلين بوحدة الوجود من الصوفية ، ابن سبعين ، فقد اعتمد على الفلسفة في استنتاج مذهبه في وحدة الوجود ، «الذي قارن بين ارتباط الكل بالجزء في قضايا الفلسفة ، وبين ارتباط الخالق بالمخلوق في العقيدة ، فشبه الخالق بالكل ، والمخلوق بالجزء ، واستنتج من هذا ارتباط الخالق بالمخلوق في وحدة تامة ، سماها وحدة الوجود»[٢]

فقال : « الوجود إما واجب الوجود ، وهو الكل والهوية ، وإما ممكن الوجود وهو الجزء والماهية ، فالربوبية هي الهوية التي هي الكل، والعبودية هي الماهية التي هي الجزء »[٣]

وقال كذلك : « ولا وجود لكل إلا في جزء ، ولا لجزء إلا في كل ، فاتحد الكل بالجزء ، فارتبط الأصل وهو الوجود وافترقا وانفصلا بالفرع ، فالعامة و الجهال غلب عليهم العارض ، وهو الكثرة والتعدد ، والخاصة العلماء غلب عليهم الأصل، وهو وحدة الوجود »[٤] .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه وحدة الوجود عند الصوفية .

١ - فصوص الحكم ، ص ٨٣ . وقول ابن عربي في هذه الأبيات وما سبقها كفر صريح؛ لأنه ، يساوي بين العبد والرب ، وبين الخالق والمخلوق ، وبين العابد والمعبود ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه :« فقول القائل : إن الرب والعبد شيء واحد ، ليس بينهما فارق : كفر صريح » [الفتاوى ، ٣٧٤/٢]

٢ - موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، ص ١٨٣ .

قال الدكتور أبو الوفا الغنيمي : « الفكرة الأساسية في مذهب ابن سبعين ، فكرة غاية في البساطة ، وهي : أن الوجود واحد ، وهو وجود الله فقط ، أما سائر الموجودات الأخرى ، فوجودها عين وجود الواحد ، فهي غير زائدة عليه بوجه من الوجوه » ، (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، د: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، ط١، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م) ، ص ١٩١

٣ - الألواح ، ابن سبعين، نسخة خطية بمجموعة الخزانة التيمورية ، (١٤٩ تصوف) ، ص ١٣٢ و ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، ص ٢٠٠

٤ - الألواح ، ص ١٣٢ ، وابن سبعين وفلسفته الصوفية ، ص ٢٠٠

لم أعثر على رد لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري ، على منتحلي وحدة الوجود ، بشكل مفصل ، عدا ردود شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت ردود باقي علماء السلف في هذا القرن ، ردوداً على الأشخاص الذين يدينون بهذا المعتقد الفاسد ٠

وأبرز من حظي بالردود[١] زعيم وحدة الوجود ابن عربي[٢]، الذي وصفه الإمام الذهبي بأنه : « قدوة أهل الوحدة»[٣] ، وذكر له أشعاراً تبين فساد عقيدته وتلبسه بوحدة الوجود ، منها:

فما ثم إلا الله ليس سواه فكل بصير بالوجود يراه[٤]

وذكر لـه :

لقد صارقلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

---

١ – أفتى ثلة من علماء القرن الثامن الهجري ، بكفر ابن عربي لما جاء في كتابه " فصوص الحكم " من الكفر الصريح والضلال المبين ، والجراءة على الله – تبارك وتعالى – ، منهم : ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ، ومسعود بن أحمد الحارثي (ت ٧١١ هـ) ،وعماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي(ت ٧١١هـ) ، ومحمد بن يوسف الجزري (ت ٧١١هـ) ، ونجم الدين محمد بن عقيل البالسي الشافعي (ت ٧٢٩هـ) ، وعلاء الدين البخاري ، (ت ٧٣٠هـ)، وبرهان الدين الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) ، وابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، وسيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي (ت ٧٣٤هـ) ، ومحمد بن محمد بن سيد الناس(ت ٧٣٦هـ) ، وزين الدين عمر بن أبي الحرم الكنتاني (ت ٧٣٨هـ) ، والحافظ جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ) ، وشرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي (ت ٧٤٣هـ) ، وأبو حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) ، وتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، وجمال الدين عبد الله يوسف بن هشام (٧٦١هـ) ، وأبو أمامة محمد بن علي ابن النقاش ، (ت ٧٦٣هـ)٠ [انظر: العقد الثمين ، ٢/ ١٧١–١٧٤، ١٧٦، ١٨٧، ١٩١ ، و مصرع التصوف ، ص ١٥١–١٥٣، ١٥٥–١٦١،١٥٧–١٦٥،١٦٢، ١٨٥ ، والعلم الشامخ ، في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ ، تأليف العلامة صالح بن المهدي المقبلي اليمني ، (دمشق: مكتبة البيان ، ١٩٨١م ، ص ٥٥٨،٥٧٩،٥٨٩،٥٩٠، ٥٩٦ ، ورسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ،جمع وتحقيق د: موسى بن سليمان الدويش ، ط١ ، الرياض : مطابع شركة الصفحات الذهبية ، ١٤١٠ هـ ، ص ٧١، ٨٣، ٨٥) ٠

٢ – ذكر الذهبي أنه ابن العربي والصحيح ما أثبته ٠ (تاريخ الإسلام ط٦٤ ، ص ٣٥٢)

٣ – تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٤ ، ص ٣٥٢

٤ – الفتوحات ، ٣٢١/٣ ٠ قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا البيت : «قول القائل ما ثم إلا الله : لفظ مجمل ، يحتمل معنى صحيحاً ومعنى باطلاً ، فإن أراد ما ثم خالق إلا الله ، ولا رب إلا الله ٠٠٠فهذه المعاني كلها صحيحة ٠٠٠وأما إن أراد القائل : «ما ثم إلا الله» ما يقوله أهل الاتحاد؛ من أنه ما ثم موجود إلا الله ، ويقولون : ليس إلا الله أي ليس موجود إلا الله ، ويقولون : إن وجود المخلوقات هو وجود الخالق ، والخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق ، والعبد رب ، والرب عبد ، ونحو ذلك من معاني الاتحادية ، الذين لايفرقون بين الخالق والمخلوق ، ولا يثبتون المباينة بين الرب والعبد ، ونحو ذلك من المعاني ، التي توجد في كلام ابن عربي الطائي ، وابن سبعين ، وابن الفارض ، والتلمساني ، ونحوهم من الاتحادية » ٠ [الفتاوى ، ٢/ ٤٨٨–٤٩٠]

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثم مي وغين [1]

وذكر له كذلك :
عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[2][3]

قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيات : « فهذا البيت يعرف لابن عربي ، ٠٠٠وهو كلام متناقض باطل ، فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد ، والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق أحدهما كذب الأخرى ، لا يمكن الجمع بينهما، وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل ، وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين ، وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول ، ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة[4]»[5]

وأورد الذهبي قول ابن عربي ، في الحق تبارك اسمه : « فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن كذلك ما صح الوجود ؛ فهو عين الوجود »[6]

١ – ترجمان الأشواق لابن عربي ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٨٦ هـ) ، ص ٤٣–٤٤ وانظر: ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ، (القاهرة : طبعة مكتبة الكليات الأزهرية) ، ص ٤٩
٢ – الفتوحات ، ١٣١/٣
٣ – تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٤، ص ٣٥٤
٤ – السفسطة : قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم واسكاته ٠ [التعريفات ، ص ١٢٤]
٥ – الفتاوى ، ٢/ ٣١١
٦ – انظر : فصوص الحكم ، ص ٥٥

وقال : « ثم تممها محمد –ﷺ– بما أخبر به عن الحق تعالى ؛ بأنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان »

ثم ذكر قول ابن عربي في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ... خلق منها زوجها ... ﴾ ، [النساء : ١ الآية] .

قال : « فما نكح سوى نفسه ، فمنه الصاحبة والولد ، والأمر واحد في العدد »[١] وفيه :

فيحمدني وأحمـده ويعبدني و أعبده
ففي حال أقر بـه وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكـره وأعرفه وأشهده [٢]

فقال الذهبي ، معلقاً على ما سبق : « تعالى الله عما يقول – يعني ابن عربي – علواً كبيراً ، واستغفر الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر »[٣]

وقال الذهبي واصفاً حال ابن عربي :« ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم وأنجد ، وعمل الخلوات ، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أرداء تواليفه كتاب «الفصوص »، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة ، فواغوثاه بالله »[٤]

وقال ابن أبي العز : « ومنهم – الصوفية – من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء !! ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء !! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء !! ويكون

---

١ – فصوص الحكم ، ص ٧٨
٢ – فصوص الحكم ، ص ٨٣
٣ –تاريخ الإسلام ، الطبقة ٦٤، ص ٣٥٨ ، والأبيات في الفصوص ، ص ٨٣
٤ – السير ، ٢٣/ ٤٨

ذلك العلم و هو حقيقة قول فرعون ، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب الوجود بنفسه ، ليس له صانع مباين له ، ولكن هذا يقول : هو الله !! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية ، لكن كان فرعون في الباطن أعرف منهم بالله ، فإنه كان مثبتاً للصانع ، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق ، هو عين الخالق ، كابن عربي وأمثاله »[١]

وقال الذهبي في ابن عربي : « وصنف في تصوف الفلاسفة ، أهل الوحدة ، فقال أشياء منكرة »[٢]

ولم تقتصر ردود علماء السلف ، على بيان ضلال ابن عربي ، وانتحاله لوحدة الوجود ؛ بل ردوا على كل من شاكله وشايعه وانتحل نحلته .

قال الذهبي في ترجمة ابن سبعين : « كان من زهاد الفلاسفة ، من القائلين بوحدة الوجود ، له تصانيف وأتباع ، يقدمهم يوم القيامة»[٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على أصحاب وحدة الوجود وخصوصاً ابن عربي : « فإن قول القائل إن آدم للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين ، الذي يكون به النظر يقتضي أن آدم جزء من الحق تعالى وتقدس ، وبعض منه ، وأنه أفضل أجزائه وأبعاضه ، وهذا هو حقيقة مذهب هؤلاء القوم ... فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو "فصوص الحكم" وأمثاله ...وأتباعهم مذهبهم الذي هم عليه :

أن الوجود واحد ويسمون أهل وحدة الوجود ، ويدعون التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات فكلما يتصف به المخلوق

---

١ –شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٣ ، وانظر : ص ١١ ، وتفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص ٤٨

٢ – ميزان الاعتدال ، ٦/ ٢٧٠ ، وانظر : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ٢/ ٢٨٧

٣ –العبر في خبر من غبر ، لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، ط١ ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ) ، ٣/ ٣٢٠ ، وانظر : السير ، ١٧ / ١٢١ –١٢٢

من حسن ، وقبيح ، ومدح ، وذم ، إنما المتصف به عندهم عين الخالق ، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات ، منفصل عنها أصلاً ، بل عندهم ما ثم غير أصلاً للخالق ولا سواه ٠٠٠فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم ، لأنه ما عندهم له غير »[١]

وأردف قائلاً : « وقد ضل في هذا جماعة ولهم معرفة بالكلام والفلسفة ، والتصوف المناسب لذلك ، كابن سبعين والصدر القونوي تلميذ ابن عربي ٠٠٠والتلمساني وهو من حذاقهم علماً ومعرفة ، فكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتي المحرمات ٠٠٠ وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له ، فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال له رفيقه : هذا أيضاً ذات الله ٠ فقال : وهل ثم شيء خارج عنها ، نعم الجميع في ذاته ، وهؤلاء حقيقة قولهم قول فرعون»[٢]، الذي استحق به الخلود في النار ؛ لأنه أقبح الأقوال ، بحق الله سبحانه ، المنزه عن النواقص ، والعيوب ، والأشباه ، والمماثلة، فتعالى الله عما يقول المبطلون الضالون الجاحدون ٠

وهناك عديد من إشارات الذم ، من علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، لهذه النحلة الفاسدة ،التي انتحلها بعض الصوفية ، متناثرة في كتبهم [٣].

١ – الفتاوى ١٢٢/٢–١٢٤ ، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل ، ١٧٨/١–١٨٩

٢ – مجموعة الرسائل والمسائل ، ١٣٩/١–١٤٠

٣ – انظر : البداية والنهاية ، ١٤/ ٤٤٦ ، ٤٦١ ، وفضل علم السلف ص ٤٤–٤٥ واستنشاق نسيم الإنس ص ٢١

ويتكون من : تمهيد ، ومبحثين :

التمهيد :تعريف الفناء ، لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول : الفناء عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الفناء عند الصوفية ٠

التمهيد : تعريف الفناء لغة واصطلاحاً ٠

أولاً – تعريف الفناء لغة :

« فَنِيَ كرضِيَ وسعى ، فَنَاءً : عُدِمَ ، وأفناه غيره ، وفني فلان : هَرِمِ٠

والفاني الشيخ الكبير ٠ وتفانوا : أفنى بعضهم بعضاً »[١] ٠

وبهذا يكون معنى الفناء في اللغة ؛ العدم والزوال بعد الوجود ، أو التحول من حال إلى حال ، وهو نقيض البقاء ٠

ثانياً : تعريف الفناء اصطلاحاً :

« سقوط الأوصاف المذمومة »[٢] ٠

---

١ – القاموس المحيط ، ص ١٧٠٤، باب (الياء) ٠

٢ – التعريفات ، ص ١٧٦ ، وانظر : معجم اصطلاحات الصوفية ، ص ٣٦٥

وعرفه الكلاباذي : «أن يفنى عنه الحظوظ ، فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ؟! ، فناء عن الأشياء كلها شغلاً بما فني فيه »[1] .

وعرفه ابن عربي أنه : « فناء رؤية العبد لفعله ، بقيام الله عز وجل على ذلك »[2] .

وجاء ذكر الفناء في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿كل من عليها فان﴾ ، [الرحمن : ٢٦] .

وأشار الراغب الأصفهاني إلى أن الفناء من معاني الهلاك ، فقال: «بطلان الشيء من العالم ، وعدمه رأساً ، وذلك المسمى فناءً »[3]

وقال ابن كثير في معنى الفناء في الآية السابقة : « يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض ، سيذهبون ويموتون ، وكذلك أهل السماوات ؛ إلا من شاء ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم »[4]

وقال ابن القيم : « الفناء المذكور في الآية : ليس هو الفناء الذي تشير إليه الطائفة – الصوفية – ، فإن الفناء في الآية الهلاك والعدم»[5]

---

١ – التعرف ، ص ١٤٢

٢ – اصطلاحات الصوفية ، ص ١٣ ، وانظر : إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة الحسني ، (بيروت : المكتبة الثقافية ، ١٤٠٨هـ .) ، ص ٢٩٦

٣ – المفردات ، ص ٥٤٤

٤ تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ٢٩٢

٥ – مدارج السالكين ، ٣/٣٨٥

وقد ورد لفظ الفناء ، في الحديث الشريف ، قال رسول الله -ﷺ- : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يُسئل عن عمره فيما أفناه...»[١] .

وبهذا يكون معنى الفناء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، متطابقاً ؛ وهو الهلاك والذهاب بعد الوجود ، فهو مغاير للفناء عند الصوفية ، وليس من معانية ما يرمي إليه بعضهم ، ولا من مقاصده ما يصلون إليه من حلول واتحاد فوحدة وجود .

المبحث الأول:الفناء عند الصوفية .

كثيراً ما يتردد ذكر الفناء في مؤلفات الصوفية ، منسوباً إلى كبار مشايخهم ؛ ولهذا قال السهروردي : « واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء ،والبقاء كثيرة »[٢] .

وفرق بعض الصوفية ، بين الفناء والبقاء ، فقال : «الفناء هو : التلاشي بالحق ؟! ، والبقاء هو الحضور مع الحق . وقال بعضهم : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة»[٣].

وقد نبه بعض الصوفية ، لخطورة الزلل في الفناء ، وعدم التفريق بين فناء الأخلاق البشرية ، وبين فناء البشرية ذاتها .

فقال الطوسي ،مبيناً ذلك : « أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية ، سمعوا كلام المتحققين في الفناء ، فظنوا أنه فناء البشرية ، فوقعوا في

---

١ – سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، أشرف على التعليق والطبع : عزت عبيد الدعاس ، (تركيا : استنبول ، المكتبة الإسلامية) ، كتاب صفة القيامة والرقائق والروع ، باب: في القيامة « في شأن الحساب والقصاص » ، ٧ / ١٣٦ ، حديث رقم ٢٤١٩ . قال : هذا حديث حسن صحيح .

٢ – عوارف المعارف ، ص ٤٧١

٣ – عوارف المعارف ، ص ٤٧٠

الوسوسة » إلى أن قال : « ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية ، وبين أخلاق البشرية ؛ لأن البشرية لا تزول عن البشر »[1] .

وبين أن مراد من أشار إلى الفناء : « أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات »[2] .

وذكر الكلاباذي : أن من « الفناء فناء عن شهود المخالفات والحركات، قصداً وعزماً ، وبقاء شهود الموافقات والحركات قصداً وفعلاً ، وفناء عن تعظيم ما سوى الله ، وبقاء في تعظيم الله تعالى »[3] .

وذكر القشيري ، أن الفناء عند بعض القوم ، هو:«سقوط الأوصاف المذمومة »[4]

وبيّن أنه إذا قيل : « فني الإنسان عن نفسه وعن الخلق ؛ فنفسه موجودة والخلق موجودون ، ولكن لا علم له بهم ولا به ، ولا إحساس ولا خبر ، فتكون نفسه موجودة ، والخلق موجودون ، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين ، غير حاس بنفسه وبالخلق ، لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك »[5] .

وقد بيّن الهجويري : « أن كل الأقاويل – في الفناء – من جهة المعنى قريبة من بعضها البعض ، ولو أنها مختلفة العبارة ، وحقيقة هذا كله هو أن فناء العبد عن وجوده ، يكون برؤية جلال الحق وكشف عظمته ، حتى ينسى الدنيا ، والعقبى في غلبة جلاله ، وتبدو الأحوال والمقامات حقيرة في نظر همته»[6].

---

١ – اللمع ، ص ٥٤٣
٢ – اللمع ، ص ٥٤٣
٣ – التعرف ، ص ١٤٤
٤ – القشيرية ، ص ٦٧
٥ – القشيرية ، ص ٦٨
٦ –كشف المحجوب ، ص ٤٨٦

فهذا هو الفناء عند الصوفية ، وما فيه من المحاذير ، وما قد يجر إليه من حلول ووحدة وجود ، وتعطيل للتكاليف الشرعية٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الفناء عند الصوفية ٠

أدرك علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، ما قد يؤل إليه أمر الفناء ، ولهذا بينوا مخاطره ،وحذروا من المزالق الخطيرة ،التي قد يجر إليها الفناء ،بصورته التي يروج لها بعض الصوفية ، وما قد يفضي إليه من حلول واتحاد ووحدة وجود ، وهو مايشيرون إليه بفناء السوى ، وهو مزلق خطير يؤدي إلى اعتقاد فاسد ٠

وذكر الذهبي أن أبا سعيد الخراز: أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، وبيّن أن أقواله أضحت مستنداً تشبث به كل ضال من الاتحادية٠

فقال عن أبي سعيد الخراز : « يقال إنه أول من تكلم ، في علم الفناء والبقاء ، ٠٠٠فولد أمراً كبيراً ، تشبث به كل اتحادي ضال به»[١]٠

وقال في ترجمة الهروي[٢] : « قد انتفع به خلق ، وجهل آخرون، فإن طائفة من صوفية الفلاسفة والاتحاد ، يخضعون لكلامه في « منازل السائرين » وينتحلونه ، ويزعمون أنه موافقهم ٠

---

١ – السير ، ١٣/ ٤٢٠ ، والخبر في طبقات الصوفية للسلمي ونصه : « قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء » ، ص ٢٢٧

٢ – أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي ، مصنف كتاب « ذم الكلام » وشيخ خراسان ، من ذرية صاحب النبي –ﷺ– أبي أيوب الأنصاري –رضي الله عنه– مولده في سنة ست وتسعين وثلاث مائة ٠ [السير ، ٥٠٣/١٨]

كلا ؛ بل هو رجل أثري ، لهج بإثبات نصوص الصفات ، منافر للكلام وأهله جداً ، وفي «منازلة» إشارات إلى المحو والفناء ، وإنما مراده بذلك الفناء هو الغيبة عن شهود السوى ، ولم يُرد محو السوى في الخارج ، وياليته لا صنف ذلك ، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين[١]، ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس »[٢] .

ونهج ابن رجب نهج الذهبي في ترجمة الهروي فقال : «وله كلام في التصوف والسلوك دقيق .

وقد اعتنى بشرح كتابه « منازل السائرين » جماعة ، وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية ، واضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود لا في الوجود ، فيتوهم منه أنه يشير إلى الاتحاد ، حتى انتحله قوم من الاتحادية وعظموه لذلك ، وذمه قوم من أهل السنة وقدحوا فيه بذلك ، وقد برأه من الاتحاد شيخنا أبو عبد الله ابن القيم في كتابه الذي شرح فيه « المنازل » وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل»[٣] .

وعلق الذهبي على قول القرميسيني[٤] : « علم الفناء والبقاء ؛ يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة »[٥]

---

١ – يا ليت الإمام الذهبي لم يقل ذلك ؛ فالصحابة والتابعون رضي الله عنهم ، لم يكونوا صوفية ألبتة ، ولا منتحلين لهذا المسلك ، وإنما كانوا على هدى القرآن يسيرون ، ومن منابع السنة ينهلون ، فهم السلف المقتدى بهم ، في المنهج والسلوك .

٢ – السير ، ١٨ / ٥١٠

٣ – ذيل طبقات الحنابلة ، ٣/ ٦٧ ، والكتاب الذي شرح به ابن القيم «منازل السائرين » للهروي هو : « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » وهو كتاب مطبوع مشهور .

٤ – أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسيني ، شيخ وقته ، صحب أبا عبد الله المغربي والخواص .[طبقات الصوفية ، ص ٤٠٢ ، والرسالة القشيرية ، ص ٤٢٥]

٥ – السير ، ١٥/ ٣٩٣ ، وطبقات الصوفية ، ص ٤٠٤

فقال الذهبي : « صدقت والله ، فإن الفناء والبقاء من ترهات الصوفية ، أطلقه بعضهم ، فدخل من بابه كل إلحادي ، وكل زنديق ٠
وقالوا : ماسوى الله ؛ باطل فانٍ ، والله تعالى هو الباقي ، وهو هذه الكائنات ، وما ثم شيء غيره »[١] ٠
واستشهد الذهبي على ضلالهم ، بقول أحد شعرائهم :
وما أنت غير الكون بل أنت عينـه
وقول الآخر :
وما ثَمَّ إلا الله ليس سـواه[٢] ٠

فانتقد هذا القول ، وبيّن ضلاله وانحرافه عن الهدى والاستقامة ، بقوله : « فانظر إلى هذا المروق والضلال ، بل كل ماسوى الله محدث موجود ، قال تعالى : ﴿ ٠٠٠خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام٠٠٠ ﴾ ، [السجدة : ٤] ٠

ثم بيّن مراد قدماء الصوفية بالفناء بقوله : « إنما أراد قدماء الصوفية بالفناء ، نسيان المخلوقات وتركها ، وفناء النفس عن التشاغل بالمخلوقات ورؤيتها ، والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها »[٣] ٠

وأكد ابن أبي العز أن : « الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية،٠٠٠هو درب خطر ، يفضي إلى الاتحاد »[٤]

---

١ – السير ، ١٥/ ٣٩٣
٢– بمعنى بيت لابن عربي قال فيه :
وما ثم إلا الله لاشيء غيره وما ثم ثم إذ كانت العين واحدة ٠
(الفتوحات ، ٨٣٧/٢)
٣ – السير ، ١٥/ ٣٩٣
٤ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٥ ، وانظر : مدارج السالكين ، ٣/ ٥١٨

وقال : « هذه النقول والعقول حاضرة ، فهذا كلام الله المنزل على رسوله – ﷺ– ، وهذه سنة الرسول –ﷺ– ، وهذا كلام خير القرون بعد الرسول –ﷺ– ، وسادات العارفين من الأئمة ، هل جاء ذكر الفناء فيها؟!٠٠٠ وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين »[١]

وأورد الذهبي كلام ابن الأعرابي[٢] : « وكذلك علم المعرفة غير محصور ، لانهاية له ولا لوجوده ، ولا لذوقه»٠

إلى أن قال : – وقد أحسن في المقال – : « فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع ، أو الفناء ، أو يجيب فيهما ، فاعلم أنه فارغ»[٣] ٠

فقال الذهبي معلقاً عليه : « إي والله ، دققوا وعمقوا وخاضوا ، في أسرار عظيمة ، ما معهم على دعواهم فيها سوى الظن وخيال ، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر ، إلا مجرد خطرات ووساوس ، ما تفوه بعباراتهم صدِّيق ، ولا صاحب ، ولا إمام من التابعين ، فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك ، وقالوا: محجوب »[٤]

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٦ ، وانظر : مدارج السالكين ، ٣/ ٥١٨

٢ – أحمد بن محمد بن زياد بن نشر بن درهم ، الإمام المحدث القدوة ، أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي ، نزيل مكة وشيخ الحرم ، توفي بمكة المكرمة ، في شهر ذي القعدة سنة ٣٤٠ هـ ٠ (السير ، ١٥/ ٤٠٧، ٤١٠) ٠

٣ – السير ، ١٥/ ٤٠٩

٤ – السير ، ١٥/ ٤٠٩ –٤١٠

وذكر كذلك قول النوري : « سبيل الفانين الفناء في محبوبهم ، وسبيل الباقين البقاء ببقائه ، ومن ارتفع عن الفناء والبقاء فحينئذٍ لا فناء ولا بقاء » .

وأورد ما دار بينه وبين القناد[١] من الأشعار .

فقال : « عن القناد، قال: كتبت إلى النوري وأنا حدث :

إذا كان كل المرء في الكل فانياً أبِنْ لي عن أي الوجودين يُخبر

فأجابه النوري لوقته:

إذا كنت فيما ليس بالوصف فانياً فوقتك في الأوصاف عندي تحير»[٢]

فقال الذهبي تعليقاً على ما سبق من القول والشعر: «هذا يحتاج إلى شرح طويل ، وتحرز من الفناء الكلي ، ومرادهم بالفناء ، فناء الأوصاف النفسانية ونحوها ، ونسيانها لاشتغالهم بالله تعالى وبعبادته ، فإن ذات العارف وجسده لا ينعدم ما عاش ، والكون وما حوى فمخلوق، والله خالق كل شيء ومبدعه ، أعاذنا الله وإيّاكم من قول الاتحاد فإنه زندقة»[٣] .

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية ، الفناء إلى ثلاثة أقسام :

«فناء عن وجود السوى ، وفناء عن شهود السوى ،وفناء عن عبادة السوى .

---

١ – أبو الحسن علي بن عبد الرحيم . (السير ٢٤/٥٤٥)

٢ – الخبر والبيتان في حلية الأولياء ، ١٠ / ٢٥٣ –٢٥٤ ، ولفظ البيت الأول في الحلية :

إذا كان الكل في النور فانياً أبن لي عن أي الوجودين أخبر .

٣ – السير ، ١٤ / ٧٢ – ٧٣

فالأول : هو فناء أهل الوحدة الملاحدة ، كما فسروا به كلام الحلاج – وهو أن يجعل الوجود ، وجوداً واحداً –٠

وأما الفناء الثاني: وهو الفناء عن شهود السوى : فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين ، كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله ، وهو مقام الاصطلام ، وهو أن يغيب بموجده عن وجوده ، وبمعبوده عن عبادته ، وبمشهوده عن شهادته ٠٠٠فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات ، إذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين٠

ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ، ومنهم من يجعله غاية السلوك ، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية ، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور ، والمحبوب والمكروه ، وهذا غلط عظيم ٠٠٠

وأما النوع الثالث : وهو الفناء عن عبادة السوى ، فهذا حال النبيين وأتباعهم ، وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، وبحبه عن حب ما سواه ٠٠٠ويدخل في هذا ، أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله »[١] ٠

وقال ابن القيم : « لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، ولا في كلام الصحابة والتابعين ، مدح لفظ "الفنـاء" ، ولا ذمه ، ولا استعملوا لفظة في هذا المعني المشار إليه ألبته »[٢]

هذه جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الفناء عند الصوفية ، أوضحوا ما فيه من جوانب الصواب ، وما فيه من الخطأ والضلال ، وانتقدوا أخطاء القوم برؤية الناقد البصير ، مستمدين ردودهم من نصوص الشرع الحكيم ، ومقاصد الشريعة ، والدين القويم٠

١ – الفتاوى ، ٢/٣١٣–٣١٤ ، وانظر : مدارج السالكين ٣/٣٨٥–٤٠٠
٢ – مدارج السالكين ، ٣/ ٣٩٤

ويتكون من : تمهيد ومبحثين :

التمهيد :تعريف العبادة ، لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول :جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه ، سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية ٠

المبحث الثانـي : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجـاه البدع في الصلاة ، عند الصوفيـة ٠

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه البدع في الصوم ، عند الصوفيـة ٠

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه البدع في الحـج ، عند الصوفية ٠

المبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه البدع في الدعاء ، عند الصوفية ٠

التمهيد : تعريف العبادة ، لغة واصطلاحاً٠

أولاً : تعريف العبادة لغـة :

هي « الطاعة مع الخضـوع»[1]

ثانياً : تعريف العبادة اصطلاحاً :

هي « اسم جامع ، لكل ما يحبه الله و يرضاه ؛ من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة »[2] ٠

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية ٠

١ – لسان العرب ، ٣/ ٢٧٣ ، باب (الدال) ٠

٢ – العبودية ، ص ١٩

المطلب الأول: سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية ٠

سلك بعض الصوفية ، طرائق تؤدي بهم إلى القول بسقوط التكاليف الشرعية ، وتتمثل هذه الطرائق ، - بزعم - أهل الإباحية من الصوفية ، أن التكاليف الشرعية ، يمكن أن تسقط عن المكلف ، إذا وصل إلى مرحلة معينة ، متأولين قول الحق تبارك اسمه : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[الحجر : ٩٩]

قائلين: « إذا وصلت إلى مقام اليقين ، سقطت عنك العبادات»[١] «وأن العبد إذا بلغ غاية المحبة صفا قلبه من الفضلة ، واختار الإيمان على الكفر والكفران ، سقط عنه الأمر والنهي ، و لا يدخله الله بالنار بارتكاب الكبائر ، وبعضهم إلى أنه تسقط عنه العبادات الظاهرة ، ويكون عبادته التفكر ، وتحسين الأخلاق الباطنية »[٢]

وقال ابن عربي مبيناً طريقة الصوفية : « طريقتنا : محبة لا عمل»[٣]٠

بل وزعموا أن : « العارف لا تكليف عليه »[٤]

ونقل السهروردي قول بعض الصوفية : « أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات ، من باب البر والتقوى إلى الله تعالى» ٠

فقال الجنيد : «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهذا عندي عظيمة ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا»[٥]

١ – نشأة الفلسفة الصوفية ، ص ٨٦

٢ –اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، تصنيف العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، (لبنان : بيروت، دار إحياء التراث العربي) ، ٢/٢٨٤ ٠ وانظر : شرح العقائد النسفية ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق الدكتور الشيخ : أحمد حجازي السقا ، ط١ ، (مصر :القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٠٥

٣ – اصطلاحات الصوفية ، ص ٣١

٤ – طبقات الشعراني ، ١/٩٦

٥ – عوارف المعارف ، ص ٧٧-٧٨

وقال محمد أبو المواهب الشاذلي[١] ، في معنى قول بعض الصوفية :« يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف ؛ المراد سقوط كلفة الأعمال ومشقتها »[٢]

وقد بيّن حال أولئك الطائفة من الصوفية ، القشيري فقال: « ثم اعلموا رحمكم الله ، أن أكثر المحققين من هذه الطائفة ، انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا ، من هذه الطائفة إلا أثرهم »٠

ثم قال : « ٠٠٠وقد حصل الضعف في هذه الطريقة ، لا بل اندرست ، وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء ، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطة ، واشتد الطمع وقوي رباطة ، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، كما استخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ٠٠٠وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال ٠٠٠وليس لله عليهم فما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم »[٣] ٠

---

١ – محمد أبو المواهب الشاذلي ، كان من الظرفاء ، وكان مقيماً بالقرب من الجامع الأزهر ، وكان له خلوة فوق سطحه ، موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري ، وكان يغلب عليه سكر الحال ٠[طبقات الشعراني ، ٢/٦٧]

٢ – طبقات الشعراني ، ٢/ ٦٨ ٠

وتفسيره لتلك العبارة ، التي يتداولها بعض الصوفية ، تفسير حسن ، ولكن بعض الصوفية لا يقصدون بسقوط التكاليف ، سقوط مشقة الأعمال ، وإنما كما قال الأشعري : « وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم العبادات ، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم » ٠(مقالات الإسلاميين ، ص ٢٨٩) ٠

٣ – القشيرية ، ص ٣٦–٣٧

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، تجاه سقوط التكاليف الشرعية عند الصوفية ٠

تعد دعوى سقوط التكاليف الشرعية ، عند بلوغ العبد المكلف درجة معينة من المعرفة والعبادة ، من أشد الدعاوى تطرفاً ، وأكثرها خطورة ، ومع ذلك فقد تبنى بعض الصوفية هذه الدعوى ، ولهذا تصدى لهم علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، بقوة وبينوا أن هذا القول ، يترتب عليه أمور عظيمة ، منها الخروج من الملة ، وخلع ربقة الإسلام ٠

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ ، أن سبب غلط الغالطون في ذلك ، راجع إلى عدم تفريقهم بين الحقائق الدينية والحقائق الكونية ٠

فقال : « وكثير ممن تكلم في الحقيقة ويشهدها ، يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية ، التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وإبليس معترف بهذه الحقيقة ٠٠٠

فمن وقف عند هذه الحقيقة ، وعند شهودها ولم يقم بما أُمر به من الحقيقة الدينية ، التي هي عبادته المتعلقة بإلهيته وطاعة أمره وأمر رسوله ، كان من جنس إبليس وأهل النار ، وإن ظن مع ذلك إنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق ، الذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان ، كان من أشد أهل الكفر والإلحاد»[١]

وقال : « وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ ، المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيهم إلا الله »[٢]

وقال ابن القيم عن الذين يزعمون سقوط التكاليف : «من هؤلاء من يسقط الأوامر والنواهي جملة ، ويرى القيام بها من باب ضبط ناموس الشرع ، ومصلحة العموم ، ومبادئ السير ٠ فهي التي تحث أهل الغفلة على التشمير للسير ، فإذا جدَّ في المسير استغنى بقربه وجمعيته عنها ، ومنهم من لا يرى سقوطها إلا عمن شهد الحقيقة الكونية ، ووصل إلى مقام الفناء فيها ، فمن كان هذا مشهده : سقط عنه الأمر والنهي عندهم ٠

وقد يقولون : شهود الإرادة يسقط الأمر، وفي هذا المشهد يقولون : العارف لا يستقبح قبيحة ، ولا يستحسن حسنة ٠٠٠وهذا من أقبح الجهل»[٣] ، وأشنع القول وأضله ٠

---

١ – الفتاوى ، ١٠/١٥٦–١٥٧
٢ – الفتاوى ، ١٠ / ١٥٨
٣ – مدارج السالكين ، ١/ ٢٦٩

وقال شيخ الإسلام عن القائلين بسقوط التكاليف : « وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى:﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[الحجر : ٩٩].
وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة ، وقول هؤلاء كفر صريح»[١]؛ لأنه ينافي حقيقة الشرع ، والحكمة من الخلق ، فتعالى الله عما يقولون[٢] .
مبيناً أن هؤلاء : « يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين ، الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ؛ ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهي ، وصار من الخاصة»[٣]

وشارك الشاطبي بالرد على هذه البدعة وأصحابها ، فقال : « إن الشريعة قد ورد طلبها على المكلفين على الإطلاق والعموم ، ولا يرفعها عذر ؛ إلا العذر الرافع للخطاب رأساً ، وهو زوال العقل ، فلو بلغ المكلف في مراتب الفضائل الدينية إلى أي مرتبة بلغ ، بقي التكليف عليه كذلك إلى الموت ، و لا رتبة لأحد يبلغها في الدين كرتبة رسول الله -ﷺ-، ثم رتبة أصحابه البررة ، ولم يسقط عنهم من التكليف مثقال ذرة إلا ما كان من تكليف ما لا يطاق بالنسبة إلى الآحاد ؛ كالزّمن لا يطالب بالجهاد ، والمُقعد لا يطالب بالصلاة قائماً ، والحائض لا تطالب بالصلاة المخاطب بها في حال حيضها ، ولا ما أشبه ذلك .
فمن رأى أن التكليف قد يرفعه البلوغ إلى مرتبة ما من مراتب الدين – كما يقوله أهل الإباحية – كان قوله بدعة مخرجة عن الدين »[٤]

---

١ – الفتاوى ، ١٠ / ١٦٦
٢ – قال سعد الدين التفتازاني : « ولا يصل العبد مادام عاقلاً بالغاً ، إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي ، لعموم الخطابات الواردة في التكليف ، وإجماع المجتهدين على ذلك ، وذهب بعض الإباحيين إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة ، وصفا قلبه ، واختار الإيمان على الكفر ، من غير نفاق يسقط عنه الأمر والنهي ، ولا يدخله الله تعالى النار ، بارتكاب الكبائر ، وبعضهم إلى أنه يسقط عنه العبادات الظاهرة ؛ من الصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك ، وتكون عبادته التفكر ، وهذا كفر وضلال ، فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان ؛ هم الأنبياء ، خصوصاً حبيب الله تعالى ، مع أن التكاليف في حقهم أتم وأكمل » . [شرح العقائد النسفية ، ص ١٠٥]
٣ – الفتاوى ، ١٠ / ١٦٦
٤ – الاعتصام ، ١/ ١٩٨–١٩٩ ، وانظر : الموافقات ، ٥/ ٨٣ ، ١٠٥

وقد بيّن ابن أبي العز ، أنه لا : « خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً »(١) ، ولا بدعة وفجور أشد من زعم هؤلاء وأمثالهم سقوط التكاليف الشرعية عنهم ، إذا بلغوا حداً معيناً من المعرفة .

وقد ذكر الشاطبي ، أن التارك للمطلوبات الشرعية ندباً أو وجوباً، يسمى مبتدعاً ، إن تركها : « تديناً فهذا الضرب من قبيل البدع ، حيث تدين بضد ما شرع الله ، ومثاله أهل الإباحية القائلين بإسقاط التكاليف ، إذا بلغ عندهم المبلغ الذي حدوه »(٢)

وقد نهج ابن كثير النهج نفسه ، في الرد على القائلين بسقوط التكاليف الشرعية ، وبيّن أن القدوة في عدم سقوط التكاليف الشرعية ، رسول الله – ﷺ – وصحابته الكرام – رضي الله عنهم – فقال : « ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] ، على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً ...ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم ، كانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس مواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت»(٣) ، لا ما يزعمه المبطلون الجاحدون .

١ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٣٣
٢ – الاعتصام ، ١/ ٢٩ –٣٠
٣ – تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٥٨١

المبحث الثانـي : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه،البدع في الصلاة ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : البدع في الصلاة عند الصوفية :

تتمثل بدع الصوفية في الصلاة ، في عدة أمور ، فإما يتركون الصلاة كلياً ، ولا يصلون الصلاة المفروضة ، أو يتهاونون في أدائها ، في أوقاتها ، أو لا يؤدونها مع جماعة المسلمين ، أو ابتداع صلوات غير مشروعة ٠

فقد ذكر النبهاني ، عن أحد الصوفية ، أنه كان لايصلي ، وكان أمره مشهوراً بين الناس ٠

فقال: « ولما جاء العارف الكبير الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهر وردي ، صاحب كتاب « عوارف المعارف» إلى دمشق ، ٠٠٠فقال لأصحابه : أريد أزور علياً الكردي [١]، فقال له الناس : يا مولانا لا تفعل ، أنت إمام الوجود ، وهذا رجل لا يصلي ، ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته ، فقال : لا بد من ذلك »[٢] ٠

١ – علي الكردي الموله المقيم بظاهر باب الجابية ، وقد اختلفوا فيه ؛ فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : ما رآه أحد يصلي ، ولا يصوم ، ولا لبس مداساً ، بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله ، توفي سنة ٦٢٢هـ ٠[البداية والنهاية ، ١٣/ ١٢٧]
٢ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/ ٣٣٢

وقال عن صوفي آخر : « فانعزل في بيته ، لا يخرج إلا للجمعة، عشر سنين »[١].

ونُقل عن إبراهيم بن أدهم أنه : « كان يقول : إني لأتمنى المرض ، حتى لا تجب عليّ الصلاة في جماعة »[٢] .

وقال الطوسي : « بلغني عن أبي عبد الله الصبيحي [٣]: أنه لم يخرج ثلاثين سنة ، من بيت تحت الأرض »[٤]

وذكر النبهاني أن ابن دقيق العيد[٥] ، اجتمع بالبدوي ، وقال له : «إنك لا تصلي ، وما هذا من سنن الصالحين ، فقال : اسكت وإلا أغبر دقيقك! ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جداً ، فضاق ذرعه ، حتى كاد يهلك ، فرأى الخضر ، فقال : لا بأس عليك ، إن مثل البدوي لا يعترض عليه!!»[٦]

١ – جامع كرامات الأولياء ، ١/ ٢٢٧ ، والصوفي هو : محمد بن أبي حبرة .
٢ – طبقات الشعراني ، ١/ ٧٠
٣ – الحسن بن عبد الله بن بكر ، وكنيته أو عبد الله ، كان من أهل البصرة ، وقيل إنه لم يخرج من سرداب في داره ثلاثين سنة ، يجتهد ويتعبد ، أخرجه أهل البصرة منها فخرج إلى السوس وبها مات . [طبقات الصوفية ، ص ٣٢٩]
٤ – اللمع ، ص ٥٠٠
٥ – علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة مجد الدين القشيري المنفلوطي القوصي المعروف بابن دقيق العيد ، ولد برمضان سنة ٥٨١هـ ، وحفظ القرآن وسمع الحديث ، وكان كثير التقشف ، توفي في ثالث عشر محرم ، سنة سبع وستين وستمائة ، مات بظاهر قوص وقبره مشهود .[الكواكب الدرية ، ١٣٩/٢]
٦ – اللمع ، ص ٥٢٥ . لم يرد في الشرع حرمة الاعتراض على غير المعصوم –ﷺ– ، ولكن بعض الصوفية ، زعموا ذلك لضعف حجتهم ، ووضوح بدعتهم ، وانكشاف زلتهم .

وقال الطوسي عن طائفة من الصوفية : « وطائفة اعتزلت ودخلت كهوف الجبال ، وظنوا أنهم يهربون من الخلق أو يأمنون في الجبال والفلوات من شر نفوسهم ، أو يوصلهم الله تعالى بالانفراد والخلوة ، إلى ما أوصل إليه أولياءه من الأحوال الشريفة ، ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس » (١) .

وقد أحدثت الصوفية صلوات ، لم تكن مشروعة ، ولم يرد الخبر الصحيح بمشروعيتها ، وفي طليعة تلك الصلوات ؛ صلاة الرغائب ، فقد ذكر الغزالي صفتها ، والفوائد التي تعود على من يصليها ، فقال : « أما صلاة رجب : فقد روي بإسناد عن رسول الله –ﷺ– أنه قال: « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمه ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى عليّ سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ، ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى » ، قال رسول الله –ﷺ– : "لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وعدد الرمل ، ووزن الجبال ، وورق الأشجار ، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار" (٢) . فهذه صلاة مستحبة »(٣) .

---

١ – اللمع ، ص ٥٢٧ – ٥٢٨

٢ – قال العراقي : حديث: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ...الحديث» في صلاة الرغائب ، أورده رزين في كتابه ، وهو حديث : موضـوع . [المغني عن حمل الأسفار ، بهامش الإحياء ١/ ٢٣٨]

٣ – الإحياء ، ١/ ٢٣٧– ٢٣٨ . قال العراقي : حديث: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ...الحديث» في صلاة الرغائب ، أورده رزين في كتابه ، وهو حديث : موضـوع . [المغني عن حمل الأسفار ، بهامش الإحياء ١/ ٢٣٨]

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه البدع في الصلاة عند الصوفية .

الصلاة عمود الإسلام ، وآكد أركانه بعد الشهادتين ، من تركها أو تهاون بها ، ناله الخذلان والخسران في الدنيا والآخرة ، وكانت آخر وصايا الرسول الكريم -ﷺ- ، عندما فارق الدنيا ، الحث على التمسك بها والمحافظة عليها ، وكان فرضها في السماوات ، ومع هذه المكانة للصلاة في الإسلام

، نجد من الصوفية من تهاون بها ، بل وبعضهم تركها بالكلية ، كما أشار إلى ذلك علماء السلف ٠

قال ابن كثير في ترجمة الصوفي إبراهيم القميني : «وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استتابه الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، وضربه على ترك الصلوات ، ومخالطة القاذورات»[١]

وقال الذهبي عن هذا الصوفي : « كان للناس في هذا اعتقاد زائد، لما يسمعون من مكاشفته التي تجري على لسانه كما يتم للكاهن ٠٠٠كان يأوي إلى القمامين والمزابل التي هي مأوى الشياطين ، ويمشي حافياً ، ويكنس الزبل بثيابه النجسة ببوله ، وقد رأيت غير واحد من هذا النمط الذين زال عقلهم أو نقص ، يتقلبون في النجاسات ، ولا يصلون»[٢]

وقد بيّن ابن كثير حال بعض الصوفية المنحلين ، الذين أفسدوا كثيراً من الخلق ، بتركهم للفرائض وارتكاب المحرمات ، فقال في ترجمة الحريري : «كان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمر الشريعة والتهاون فيها من إظهار شعائر أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ٠٠٠وترك الإنكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات ، وكثرت النفقات ، فأضل خلقاً كثيراً ، وأفسد جماً غفيراً »[٣]

وقال في ترجمة الصوفي ، علي الكردي : « قالوا : ما رآه أحد يصلي»[٤]

١ – البداية والنهاية ، ١٤/ ٥٣٥
٢ – السير ، ٢٣/ ٣٠٢-٣٠٣
٣ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٠٥
٤ – البداية والنهاية ، ١٣/ ١٢٧

وقال الذهبي واصفاً الحريري : « كبير الفقراء البطلة »[1]

وقال كذلك : « قرأت بخط السيف الحافظ : كان الحريري من أفتن شيء وأضره على الإسلام ، تظهر من الزندقة والاستهزاء بالشرع ، بلغني من الثقات أشياء يستعظم ذكرها من الزندقة والجرأة على الله ، وكان مستخفاً بأمر الصلوات »[2]

وقال ابن كثير ، مبيناً حال الصوفي ، إبراهيم الشاغوري[3]: « الموله المعروف بالجيعانة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات » ، إلى أن قال : «وكان لا يصلي ولا يتقي نجاسة »[4] .

وقال كذلك في ترجمة الصوفي، سليمان التركماني[5]: «الموله الذي يجلس على مصطبته بالعليين ٠٠٠وكان لا يتحاشى من النجاسات و لايتقيها ، ولا يصلي الصلوات ولا يأتيها ٠٠٠»[6]

وقد تهاون بعض الصوفية ، في أداء صلاة الجماعة ، وكذا صلاة الجمعة ، فرد علماء السلف ، على باطلهم ، وبينوا أن ذلك من علامات الخسران ٠

١ – السير ، ٢٣ / ٢٢٤
٢ – السير ، ٢٣/ ٢٢٥
٣ – إبراهيم بن سعيد الشاغوري ، ذكره الذهبي في وفايات سنة ٦٨٠ هـ ٠ [البداية والنهاية ٣٤٣/١٣]
٤ – البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٤٣- ٣٤٤
٥ – سليمان التركماني ، مات سنة ٧١٤ هـ ، ودفن بباب الصغير في يوم كثير الثلج ٠ [البداية والنهاية ٤٨٣/١٤]
٦ – البداية والنهاية ، ١٤/ ٤٨٣-٤٨٤

قال الذهبي في ترجمة الباجريقي[1]: «الضال الزنديق ٠٠٠حصل له حال وكشف ما ، وانقطع ٠ فصحبه جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع ٠٠٠وحكي عنه التهاون بالصلوات »[2]

وقال عن أصحاب الباجريقي ، بعد موته : « وكان أصحابه يقصدون قبره يوم الجمعة ، ويتركون صلاة الجمعة»[3]

وبيّن ابن مفلح أن صلاة الجمعة : « فرض عين ،على المسلمين الرجال المكلفين »[4]

بل إن الذهبي ، عد ترك صلاة الجمعة ، من دون عذر من كبائر الذنوب [5]

وقد بيّن ابن أبي العز ، ضلال وخطأ من ترك الجمع والجماعات، وتعبد بالرياضات والخلوات ، بقوله : « وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ، ويتركون الجمع والجماعات ، فهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وقد طبع الله على قلوبهم ، كما قد ثبت عن النبي –ﷺ– ، أنه قال : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً ، من غير عذر طبع الله على قلبه »[6]

---

١ – محمد بن المفتي الكبير جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجريقي الجزري الشافعي ، ضال زنديق حُكم بإراقة دمه لزندقته ٠ [ذيل تاريخ الإسلام ص ٢٦٥]

٢ – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥

٣ – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٦

٤ – الفروع للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح ، تحقيق أبي الزهراء حازم القاضي ، ط١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ) ، ١/ ٧٢

٥ – كتاب الكبائر وتبيين المحارم ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محي الدين مستو ، ط٣ ، (دمشق ، بيروت : دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ) ، ص ١٦٨

٦ – حديث صحيح ، لكنه ليس في الصحيح كما ذكر ابن أبي العز ، فقد أخرج أبو داود في سننه ، أن رسول الله –ﷺ– قال : «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه » ٠ كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة ، ٢٧٧/١ حديث رقم ١٥٠٢ ، وكذلك في سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، اعتنى به

وذكر أن اتباع السنة هو المنجي ، ومن خالفها فهو من المغضوب عليهم إن كان عالماً ، وإلا فهو من الضالين [١] .

وأما موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، من صلاة الرغائب التي ابتدعها الصوفية ، فهو موقف الرافض لها ؛لأنها صلاة مبتدعة ، ليس لها أصل في الشرع .

قال ابن كثير في ترجمة أبو الحسن الجهضمي [٢]: «الصوفي المكي ، صاحب بهجة الأسرار [٣] ، كان شيخ الصوفية بمكة وبها توفي.

قال ابن الجوزي[٤] : وقد ذكر أنه كان كذاباً ، ويقال إنه الذي وضع حديث صلاة الرغائب »[٥]

ورقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة ، ط٤(بيروت دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٤هـ) ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة ، ٣/٨٨ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧٣ .

١ – انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، ٧٧٣- ٧٧٤ ، و الفتاوى ١٠ / ٤٢٥ .

وانظر في وجوب الصلاة وصلاة الجماعة وفضلهما ، وعقوبة تاركهما :

الموافقات ١/ ٢١٣-٢١٥ و اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى ، ابن رجب الحنبلي ،حققه وخرج أحاديثه محمد عيون ، ط٢، (دمشق ، بيروت : مكتبة دار البيان ، الرياض : مكتبة المؤيد ، ١٤١٣هـ) ، ص٢٩ ، والآداب الشرعية ، ١/ ١٧١، و الفروع ، ١/ ٥١٥-٥١٦ ، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكاك للإمام تقي الدين أبي الفتح ، الشهير بان دقيق العيد ،(بيروت : دار الكتب العلمية) ، ١/ ١٥٧ و٢/ ١٢٥ ، و الأوامر والنواهي ، تأليف الإمام أبو علي حسين بن المبارك الصيرفي ، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار الباز ، ط١ ، (لرياض : مكتبة الباز ، ١٤١٧هـ) ، ص ١٠٠، ١٤٩ ، ١٨٤، والمسائل الفقهية ، لأبي علي عمر بن قداح الهواوي ، دراسة وتحقيق د: محمد أبو الأجفان ، . مالكا : فاليتا ، ١٩٩٦م) ، ص٦ ٨

٢ – علي بن عبد الله بن جهضم أبو الحسن الصوفي المكي ، صاحب بهجة الأسرار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفي سنة ٤١٤هـ .[البداية والنهاية ١٢/٤٥٥]

٣ – بهجة الأسرار ، كتاب في أخبار الصوفية ، يأتي فيه بمصائب ، كما أشار إلى ذلك الذهبي في السير، توجد منه نسخة خطية ، في الظاهرية بدمشق ، مجموع رقم (٦٦/ ٤) ، (السير ١٧/ ٢٧٦ الهامش)

٤ – المنتظم ، ٨/١٤

٥ – البداية والنهاية ، ١٢/ ٤٥٥

وقال الذهبي في ترجمة : « علي بن عبد الله بن جهضم ، الزاهد أبو الحسن ، شيخ الصوفية بحرم مكة ، ومصنف كتاب بهجة الأسرار ، متهم بوضع الحديث...اتهموه بوضع صلاة الرغائب »[١]

وقال الذهبي في صلاة الرغائب :« ...الحديث موضوع، لا يُعرف إلا من رواية ابن جهضم ، وقد اتهموه بوضع الحديث »[٢]

وقال كذلك عن ابن جهضم : « ليس بثقة ؛ بل متهم ، يأتي بمصائب »[٣] .

وأكد شيخ الإسلام ابن تيميه ، أن صلاة الرغائب ، صلاة محدثة ، لا أصل لها في الشرع ، فقال: « وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها ، بل هي محدثة ، فلا تستحب ، لا جماعة ، ولا فرادى ، ...والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء ، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً»[٤] .

وقال أيضاً : «صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ، لم يسنها رسول الله –ﷺ– ولا أحد من خلفائه ، ولا استحبها أحد من أئمة الدين ...والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث »[٥] .

١ – ميزان الاعتدال ٥/ ١٧٢

٢ – تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ، ٤٠١–٤٢٠) ، ص ٣٥١

٣ – السير ، ١٧ / ٢٧٦

٤ – الفتاوى ، ٢٣ / ١٣٢

٥ – الفتاوى ٢٣/ ١٣٤، وانظر: الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيميه تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، (القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٨هـ) ، ٢/ ٢٦٠

وقال ابن رجب في صلاة الرغائب : « فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة في شهر رجب كذب وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ٠٠٠وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة؛ فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها »[١] .

وقال ابن القيم في صلاة الرغائب : « ٠٠٠أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب ، كلها كذب مختلق على رسول الله–ﷺ – »[٢].

١ –لطائف المعارف فيما للمواسم من الوظائف تأليف الإمام زين الدين بن رجب الحنبلي ، ط١ ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٤ هـ)، ص ١٣١
٢ –المنار المنيف ، ص ٧٦

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه ، البدع في الصوم ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : البدع في الصوم عند الصوفية ٠

لقد ابتدع الصوفية في الصوم ، كما ابتدعوا في غيره من العبادات، ومن أظهر البدع ،التي تلبس بها ، بعض الصوفية في الصوم ، ترك الصوم كلياً ، وصوم الدهر ، والوصال٠

فقد زعم بعض الصوفية ، أن الصوم قد حط عنه ، وأنه غير مطالب بالصوم ، مثل سائر الأمة ٠

فقد ذكر الشعراني ، ذلك في ترجمته للشريف المجذوب ، فقال: « كان ساكناً تجاه المجانين بالمارستان المنصوري ، وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه ، وكان يأكل في نهار رمضان ، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي ، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال»[١] ٠

ومن الصوفية من يفطر في نهار رمضان ، دون عذر شرعي ، فقد أورد الهجويري : « عن أبي يزيد ، أنه كان قادماً من الحجاز ، فنودي في المدينة أن أبا يزيد قد جاء ٠

فخرج الناس لاستقباله ، وأدخلوه المدينة بإكرام ، ولما انشغل بمجاملتهم ، تخلف عن الحق وتشتت ، فلما دخل السوق ، أخرج من كمه

---

١ – طبقات الشعراني ، ٢/ ١٥٠ ، وانظر ترجمته في ذات الجزء والصفحة ، فلم يذكر الشعراني تاريخ ولادته ووفاته ٠

رغيفاً ، وأخذ في أكله ، . وكان ذلك في شهر رمضان . ، فرجع الناس جميعاً عنه وتركوه وحده »[١] .

وقد بيّن الهجويري أن هذه الحالة وأمثالها ، ليست حالة فردية بين الصوفية ، بل الأمر منتشر في عصره ، حين قال : « وأما من كان طريقه الترك ، ويختار ما يخالف الشريعة ، ويقول : إنني أسلك طريق الملامة ، فتلك ضلالة واضحة ، وآفة ظاهرة ، وجنون صادق ، . على نحو ما يوجد عليه كثيرون في هذه الأيام . »[٢]

أما البدعة الأخرى ، التي اعتاد بعض الصوفية فعلها ؛ صيام الدهر . قال الشعراني : « كان ابن الصباغ[٣] ، حافظاً للمذهب ، صائم الدهر »[٤]

وقال : « كان الإمام محمد النيسابوري [٥]، يصلي طوال نهاره ، ويصوم الدهر »[٦]

والبدعة الأخرى ، التي درج عليها بعض الصوفية ، صيام الوصال، فقد أورد الطوسي حكاية عن سهل التستري : « أنه كان يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة ، فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة »[٧] .

---

١ – كشف المحجوب ، ص ٢٦٢

٢ – كشف المحجوب ، ص ٢٦٣

٣ – لم يعرفه الشعراني .

٤ – طبقات الشعراني ، ٢/ ١٨٨

٥ – محمد بن أحمد النيسابوري ، توفي ٣٦٠ هـ . [طبقات الشعراني ١/ ١٢٥]

٦ – طبقات الشعراني ، ٢/ ١٨٩

٧ –اللمع ، ص ٢١٧

وذكر حكاية أخرى ، عن صوفي آخر ، قريبة لما ذكر عن سهل التستري ، فقال :« حكي عن أبي عبيد البسري [١]، أنه كان إذا دخل رمضان ، دخل البيت وسد عليه الباب ، وقال لامرأته : اطرحي كل ليلة رغيفاً من كوة في البيت ، و لا يخرج منه حتى يخرج رمضان ، فتدخل امرأته البيت ، فإذا الثلاثون رغيفاً موضوعة في ناحية البيت »[٢].

وقال الهجويري : « حين توفي العالم أبو محمد الباثغري[٣] ، كنت حاضراً هناك ، وكان قد مضى عليه ثمانون يوماً لم يطعم فيها شيئاً »[٤]

وقال أيضاً : « رأيت درويشاً من المتأخرين ، لم يأكل قط مدة ثمانين يوماً »[٥] .

ثم بيّن الهجويري موقفه من صيام الوصال ، فقال : «والجهال يتمسكون بأن صوم الوصال غير جائز »

ثم قال : « اعلم أن صوم الوصال ، من غير أن يتأتى خلل في أمر الله . عز وجل . : كرامة »[٦]

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه البدع في الصوم عند الصوفية .

---

١ – أبو عبيد البسري من قدماء المشايخ ، صحب أبا تراب . [صفوة الصفوة ، ٢٠٤/٤ ، وطبقات الشعراني ، ٩٠/١]
٢ – اللمع ، ص ٢١٧
٣ – من معاصري الهجويري ، كان فقيهاً . [كشف المحجوب ، ص ٣١٩]
٤ – كشف المحجوب ، ص ٥٦٨
٥ –كشف المحجوب ، ص ٥٦٨
٦ –كشف المحجوب ، ص ٥٦٨

لاشك أن بعض الصوفية قد ابتلى بإحداث البدع ، ومخالفة النهج الصحيح ، ومما أحدثه الصوفية من البدع في الصوم ، ترك صوم شهر رمضان مع المسلمين ٠

فقد بيّن ابن كثير حال بعض أولئك الصوفية ، عند ما قال في ترجمة الصوفي علي الكردي : « قالوا: ما رآه أحد يصلي ، ولا يصوم»[١]

وقال الذهبي في ترجمة الصوفي يوسف القميني : « وقد رأيت غير واحد من هذا النمط ٠٠٠لا يصلون ولا يصومون وبالفحش ينطقون»[٢]

وقد شبههم الذهبي ، بمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي حيث قال : « فوالله ما ارتبطوا على مسيلمة والأسود إلا لإتيانهم بالمغيبات »[٣]

وقال ابن كثير عن الصوفي ، إبراهيم الشاغوري : « ولا يصوم مع الناس »[٤]

واعتبر شيخ الإسلام أن هذا الفعل من كبائر الذنوب الموجبة لأقسى العقوبات [٥]

وبيّن في موضع آخر أن من : « أفطر في رمضان مستحلاً لذلك ، وهو عالم بتحريمه استحلالاً له ، وجب قتله ، وإن كان فاسقاً عوقب عن فطره في رمضان ، بحسب ما يراه الإمام »[٦]

---

١ – البداية والنهاية ، ١٣/ ١٢٧
٢ – السير ، ٢٣/ ٣٠٣
٣ – انظر : السير ٢٣/ ٣٠٣
٤ – البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٤٣
٥ – الفتاوى ، ٢٥/ ٢٢٥
٦ – الفتاوى الكبرى ، ٢/ ٤٧٣

وأما ما يفعله بعض الصوفية من صوم الدهر ، فهو مخالف لهدي الإسلام ، وسنة خير الأنام ،– عليه أفضل الصلاة وأزكى سلام – ،وقد أشار ابن رجب إلى ذلك بقوله : « كان رسول الله –ﷺ– ينكر على من يسرد صوم الدهر ، ولا يفطر منه ، ويخبر عن نفسه –ﷺ– أنه لا يفعل ذلك»[١]

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن النبي –ﷺ– قال له : « أتصوم النهار وتقوم الليل » ؟! ٠

قال : نعم ٠

فقال النبي –ﷺ– : « لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[٢]

وأوضح ابن رجب أن النبي –ﷺ– قد أشار إلى الحكمة في ذلك من وجوه ، منها : قوله –ﷺ– في صيام الدهر « لا صام ولا أفطر »[٣] ، يعني أنه لا يجد مشقة الصيام ، ولا فقد الطعام والشراب والشهوة ؛ لأنه صار الصيام له عادة مألوفة ، فربما تضرر بتركه فإذا صام تارة ، وأفطر أخرى حصل ، له بالصيام مقصوده بترك الشهوات ، وفي نفسه داعية إليها ، وذلك أفضل من أن يتركها ونفسه لا تتوق إليها[٤] ٠

ومنها : قوله –ﷺ– ، في حق داود –عليه السلام– : « كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى »[٥]

يشير إلى أنه كان لا يضعفه صيامه ، عن ملاقاة عدوه ، ومجاهدته في سبيل الله ٠

---

١ – لطائف المعارف ، ص ١٣٧

٢ – أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم ٥١/٢ حديث رقم ١٩٧٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن صيام الدهر ٨١٢/٢ حديث رقم ١١٥٩ ٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما – : قال لي رسول الله –ﷺ– : « يا عبد الله : ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » فقلت : بلى يا رسول الله ٠ فقال : « فلا تفعل ٠ صم وأفطر وقم ونم ، ٠٠٠» الحديث

٣ – صحيح مسلم كتاب الصيام باب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ٨١٩/٢ حديث رقم ١١٦٢

٤ – لطائف المعارف ، ص ١٣٨

٥ – صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبوراً﴾ ، ٤١٨/٢ ، حديث رقم ٣٤١٩

ومنها: ما أشار إليه -ﷺ- ، بقوله : « إن لنفسك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حقاً حقه »[1]

يشير إلى أن النفس وديعة عند ابن آدم ، وهو مأمور أن يقوم بحقها ، ومن حقها اللطف بها [2] .

وقال ابن مفلح : « يكره صوم الوصال ، إذا أدخل فيه يومي العيدين وأيام التشريق ، ...والكراهة كراهة تحريم»[3]

وقد بيّن الشاطبي ، أن صيام النهار وقيام الليل- بصفة دائمة ومستمرة -، منهي عنه ، ومخالف لهدي الرسول الكريم-ﷺ- لما فيه من الشدة التي خففها الله عن أمة الإسلام[4]

وأما صوم الوصال ، فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، أنه مكروه، فقال : « وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده ، فإنه رأى الشارع لما أمر بالصوم ، أمر فيه بالاعتدال ، حتى كره الوصال ، وأمر بتعجيل الفطر ، وتأخير السحور ، وجعل أعدل الصيام وأفضله صيام داود»[5].

وقال الذهبي ، في ترجمة الأبهري : « قيل إنه عمل له خلوة ، فبقي خمسين يوماً لا يأكل شيئاً .

وقد قلنا - القائل الذهبي - : إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ ، فإذا كان سرد الصيام والوصال ، قد نهي عنهما ، فما الظن ؟ وقد قال نبينا -ﷺ-: « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع »[6]

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب حق الأهل في الصوم ٥٢/٢ حديث رقم ١٩٧٧ بلفظ : « ..فإن لعينيك عليك حظاً وإن لنفسك وأهلك عليك حظاً» .

٢ - انظر : لطائف المعارف ،ص ١٣٨-١٣٩

٣ - الفروع ، ٣/ ٨٥

٤ - انظر : الموافقات ، ١/ ٥٢٢-٥٢٣

٥ - الفتاوى ، ٢٠ / ٥٢٨

٦ - السير ، ١٧ / ٥٧٦ ، والحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب الاستعاذة ، ٩١/٢ حديث رقم ١٥٤٧والنسائي كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الجوع ٢٦٣/٨ حديث رقم ٥٤٦٨ ، وسنده حسن ، انظر : فيض القدير بشرح الجامع الصغير ١٢٤/٢

وقال ابن كثير : « كان الوصال في الصيام له – أي للرسول – ﷺ – مباحاً ، ولهذا نهى أمته عن الوصال ، فقالوا : إنك تواصل ؟ قال : « لست كأحدكم إني أبيت عندي ربي ، يطعمني ويسقيني»[1] فقطع تأسيهم به ، بتخصيصه بأن الله تعالى يطعمه ويسقيه »[2]

وقال ابن مفلح : « يكره الوصال ، وهو أن لا يفطر بين يومين ؛ لأن النهي رفق ورحمة ٠٠٠وقيل يحرم »[3]

١ – أخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الوصال ٤٨/٢ حديث رقم ١٩٦٣ ، قال رسول الله –ﷺ– : « إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني» ومسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن الوصال ٧٧٦/٢ حديث رقم ١١٠٥ ، ما نصه : « وأيكم مثلي ؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني »

٢ – الفصول في سيرة الرسول ﷺ ،تأليف الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي ، ومحي الدين مستو ، ط٤ ، (دمشق : دار ابن كثير ، المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥ هـ) ، ص ٣١٦، وانظر : الموافقات ، ٤/ ١٠١ ، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٣٠

٣ – الفروع ، ٣/ ٨٦ ، وانظر : الموافقات ، ٥/ ٢٧٧ .

وقد رد على من يصوم الوصال ابن دقيق العيد وبيّن أنه لا يحصل على ثواب الصوم ، إذ قال : « امتناع الوصال بمعنى الصوم الشرعي ، لا بمعنى الإمساك الحسي ، وإن أمسك حساً فهو مفطر شرعاً ، وفي ضمن ذلك إبطال فائدة الوصال شرعاً ، إذا لا يحصل به ثواب الصوم » (إحكام الأحكام، ٢/ ٢٣٢-٢٣٣)

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه، البدع في الحج ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : البدع في الحج عند الصوفية ٠

لقد استخف بعض الصوفية بالحج ، كما استخفوا بغيره من العبادات المفروضة ، فزعم بعضهم أن الكعبة تطوف به ، وزعم آخرون أن الطواف حول البشر يغني عن الطواف حول الكعبة ٠

قال أبو يزيد البسطامي : « خرجت إلى الحج ، فاستقبلني رجل في بعض المتاهات ، فقال : أبا يزيد إلى أين ؟
قلت : إلى الحج ٠ فقال: كم معك من الدراهم ؟
قلت : معي مئتا درهم ٠ فقال : طف حولي سبع مرات ، وناولني المائتي درهم ، فإن لي عيالاً ، فطفت حوله وناولته المائتي درهم »[1]

١ – دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ،قدم له فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، ط١، (باكستان : لاهور، الناشر إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٩هـ ٠) ، ص ١٠٣ ، نقلاً عن : النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ، ص ١٦٤ ، وتذكرة الأولياء (أردو) ، لفريد الدين العطار (طبعة باكستان ، ص ٨٢)

وقال النبهاني نقلاً عن ابن عربي : « إن الكعبة كلمته ، وكذلك الحجر الأسود ، وأنها طافت به ثم تلمذت له ، وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم ، فرقاها لها ، وناشدها أشعاراً وناشدته ٠٠٠» ، فعلق النبهاني على هذا القول : «وحاشا أولياء الله أن يخبروا بخلاف الواقع »(١)

وقال ابن عربي : « ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة ، وهي تسألني الطواف بها »(٢)

وقال أيضاً : « وكانت بيني وبين الكعبة ، في زمان مجاورتي بها ، مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة »(٣) ٠

١ – جامع كرامات الأولياء ، ١/ ٢٠١ ٠وقلت : وحاشا لله أن يجعل كعبته المشرفة وبيته العتيق ، في مثل هذا الموقف أو المقام ، ولعمري إنها لإحدى الكبر٠

٢ – الفتوحات المكية ، ١/ ٨٣٣

٣ – الفتوحات المكية ، ١/ ٨٣٤ ، وقد أشار ابن عربي إلى أنه أودع هذه المعاتبات والتوسلات ، في جزء سماه (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل) لم أقف عليه ٠ (انظر : الفتوحات المكية ، ١/ ٨٣٤)

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري، تجاه البدع في الحج عند الصوفية ٠

استهزأ بعض الصوفية بالحج ، واستخفوا بما يؤديه الحاج من أعمال الحج في رحاب البيت العتيق والمشاعر المقدسة ، بل منهم من لا يرى أداء فريضة الحج ، ومنهم من يشبه الطائفين بالبيت العتيق بالحمير!٠

نقل بن كثير عن الصوفي علي الكردي أنه : «مر يوماً على الخطيب جمال الدين الدولعي ٠ فقال له: يا شيخ علي أكلت اليوم كسرات يابسة ، وشربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشيخ علي الكردي : وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال: لا ٠ فقال : يا مسلمين من يقنع بكسرة يابسة يحبس نفسه في هذه المقصورة ، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج» [١] ٠

فهذا أيضاً من مزاعم الصوفية الباطلة ، فمنهم من لا يتورع عن مثل هذا القول ، ويستخف بما شرع الله من الدين ، وبلغة رسوله الأمين -ﷺ- ٠

وقال في ترجمة ابن سبعين : « كان إذا رأى الطائفين حول البيت ، يقول عنهم : كأنهم الحمير حول الماء ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من

١ - البداية والنهاية ، ١٣/ ١٢٧-١٢٨

طوافهم بالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال و الأفعال »[1]

وبيّن ابن أبي العز ، ضلال من ادعى من الصوفية أن الكعبة تطوف به، فقال : « ...وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا !! ، فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله -ﷺ- حين أحصر عنها وهو يود منها نظرة ؟!» [2] .

فالرسول الكريم -ﷺ- أكرم الخلق عند الله ، وصحابته الكرام -رضي الله عنهم- ، هم أفضل الأمة ، ومع ذلك لم تطف بهم الكعبة المشرفة ، ولم تتوسل بهم ، كما يزعم ضلال الصوفية، المنحرفون عن الدين القويم ، والفطرة السوية ، وأضافوا إلى ذلك جراءتهم على الله - سبحانه - والكذب على رسوله -ﷺ- .

١ - البداية والنهاية ، ٣٠٣/١٣

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ، ٧٧٤-٧٧٥

المبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه، البدع في الدعـاء ، عند الصوفية ٠

المطلب الأول : الشركيات في الدعاء عند الصوفية ٠

من أشهر البدع ، التي أحدثها الصوفية في الدعاء ، دعاء غير الله ، والتوجه بدعائهم إلى بعض الأشخاص الأحياء والأموات ، الذين يعتقدون أن في مقدورهم ، جلب المصالح ، ودفع المفاسد ٠

قال الطوسي : « إن علماء نواحينا يتبركون بتربة أبي يزيد . رحمه الله . ، إلى يومنا هذا ، ويحكون عن المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه ، وكانوا يتبركون بدعائه ، وهو عندهم من أجّل العبّاد والزهاد ، وأهل المعرفة بالله »[١] ٠

ونقل الشعراني أن معروف الكرخي : « من جملة المشايخ المشهورين ، بالزهد والورع والفتوة ، مجاب الدعوة ، يستشفى بقبره»[٢]٠

---

١ – اللمع ، ص ٤٧٣

٢ – طبقات الشعراني ، ١/ ٧٢

وذكر النبهاني عن الصرفندي [١] : « رؤي الصرفندي في المنام ، وهو يقول: زوروا شيخي قبلي ، فإني لست بشيء إلا به ، والدعاء عنده مستجاب» [٢]

ونقل عن الرديني [٣]: « ٠٠٠أن من أتى إلى قبره ، وكان عليه دين ، فيقول : اللهم بما بينك وبين صاحب هذا القبر ، عبدك الرديني ، إلا ما وفيت ديني ، إلا استجيب له »[٤]

وقالوا عن قبر نفيسة بنت الحسن[٥] : « وقبرها معروف بإجابة الدعاء ، عليه مهابة ونور ، مقصود للزيارة من كل جهة ، وأراد زوجها نقلها إلى المدينة ، ودفنها بالبقيع ، فسأله أهل مصر في تركها عندهم للتبرك»[٦] ٠

ومن البدع التي أحدثها بعض الصوفية ، في الدعاء ، اجتماعهم للدعاء بهيئة خاصة ، بشكل جماعي ٠

نقل النبهاني عن ابن القضاعي[٧] : « قال : كنا بكهف السودان عشية عرفة ، وقد اجتمعنا للدعاء ، وقد طابت النفوس وخشعت القلوب ، وإذا بشاب حسن الثياب والوجه على فرس حسن الشكل ، فجعل يلعب تحت المكان ، فلما رآه الجماعة شغلوا به عن الدعاء والذكر والخشوع ، فقلت

---

١ – هو: أبو الحسن علي الأرسوفي [جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٣٢]

٢ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/ ٣٣٢_٣٣٣

٣ – هو : أبو الحسن علي بن مرزوق الرديني ، مات بمصر ٠ [جامع كرامات الأولياء ، ٢/٣٣٣]

٤ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/٣٣٣

٥ – نفيسة بنت الحسن ولدت بمكة المكرمة سنة خمس وأربعين ومائة ، ونشأت بالمدينة في العبادة والزهادة ، تصوم النهار وتقوم الليل ، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن حعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، ثم قدمت مصر ، ماتت في رمضان سنة ثمان ومائتين٠ [الكواكب الدرية ، ١/٤٩٤]

٦ – الكواكب الدرية ، ١/ ٤٩٥

٧ – أبو الحسن القضاعي المصري ، كان من أكابر مشايخ مصر ٠[جامع كرامات الأولياء ٢/٣٣٣]

لأصحابي : إني أخاف أن يكون هذا إبليس ، جاءكم يقطع عليكم عبادة الله ، وما استتم كلامه حتى غاص في الأرض بفرسه»[١] .

كذلك ابتدع بعض الطرقية الصوفية ، أدعية لم تكن مشروعة ، في الدين الحنيف ، وإنما استهوتهم البدع ، فألفوا ما يريدون ، ومن هذه الأدعية التي ابتدعوها ، ختم الشيخ الأكبر السيد بهاء الدين الشاة نقشبند، وصيغته : « الاستغفار خمساً وعشرين مرة ، أو خمس عشر ، أو عشراً، أو خمساً ، ثم رابعة المرشد ، ثم الصلاة على النبي –ﷺ– مائة مرة ، ثم تلاوة : ياخفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي ، خمسمائة مرة ، ثم الصلوات الشريفة ، أيضاً مائة مرة ، ثم قراءة ما تيسر من القرآن»[٢].

وبينوا أن من قرأ هذا الدعاء ، أو ما يماثله من الأدعية التي ابتدعوها: « قضيت له الحاجات وحصلت له المرادات ، ودفعت عنه البليات ، ورفعت له الدرجات ، وظهرت له التجليات ، ثم بعد قراءة الختم يطلب مقصودة ، ويسأل حاجته ، فإنها تقضى بإذن الله تعالى ، وجربه كثير ، وهو أعظم ركن[٣]؟!، وأفضل ورد مخصوص بالطريقة النقشبندية ...فإن أرواح المشايخ ببركة هذا الورد يعينون من استعان بهم»[٤].

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، تجاه البدع في الدعاء عند الصوفية .

---

١ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/ ٣٣٣، وانظر : تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، تأليف محمد أمين كردي ، خرج أحاديثه نجم الدين أمين كردي ،(بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ .) ص٤٥٢

٢ – تنوير القلوب ، ص ٤٥٢

٣ – فأين مكان الشهادتين والصلاة ، وغيرهما من أركان الإسلام ، عند هؤلاء القوم ؟!.

٤ – تنوير القلوب ، ص ٤٥٠

رأى علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، أن ما أقدم عليه الصوفية ، من التوجه بالدعاء إلى غير الله ، كالشيوخ وغيرهم ، هو من البدع المحدثة في الدين ، والتي لاتتفق مع نصوص الشرع الحكيم ٠

فقد شدد ابن رجب ، على أن هذا العمل باطل ، ولا يجوز التوجه بالدعاء إلا إلى الله ، لأن دعاء الله هو المتعين ، وليس سواه ، فقال : «اعلم أن سؤال الله – عزوجل – دون خلقه هو المتعين ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ، ونيل المطلوب ، وجلب المنافع ودرء المفاسد٠
لا يصل الذل والافتقار ، إلا إلى الله وحده ؛ لأنه حقيقة العبادة»[1]

وفرّق ابن أبي العز ، بين الدعاء المشروع والممنوع ، بقوله : « فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي : « بحق السائلين عليك » ، وبين قوله : «بحق نبيك » أو نحو ذلك ٠
فالجواب : أن معنى قوله : « بحق السائلين عليك » ، أنك وعدت السائلين بالإجابة ، وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله:

بحق فلان ، فإن فلاناً ، وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل ٠
فكأنه يقول: بكون فلان من عبادك الصالحين ، أجب دعائي!
وأي مناسبة في هذا ، وأي ملازمة ؟

١ – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ،تأليف الإمام ابن رجب الحنبلي ، تحقيق فؤاد علي حافظ ، ط١ ، (بيروت : مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ ، و: دار المعرفة)، ص ٢٥٦–٢٥٧

وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا تحب المعتدين ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي -ﷺ- ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة -رضي الله عنهم- ، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل ، التي يكتبها الجهال والطرقية »[١]

وقد بيّن الشاطبي ، أن الدعاء بابه مفتوح ، ولكن يشترط فيه الإخلاص ، وإفراد الله به دون شريك ، فقال :« فالدعاء بابه مفتوح في الأمور الدنيوية والأخروية ، شرعاً مالم يدع بمعصية ، والعبادة إنما القصد بها التوجه لله وإخلاص العمل له والخضوع بين يديه ، فلا يحتمل الشركة» [٢]

وذكر ابن أبي العز أن قول الداعي : « بجاه فلان عندك، أو يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة ، فأجب دعاءنا ، وهذا أيضاً محذور فإنه لو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة-رضي الله عنهم-، يفعلونه في حياة النبي -ﷺ-لفعلوه بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، ويطلبون منه أن يدعوا لهم ، وهم يؤمنون على دعائه ...»[٣]

وبيّن أن الإقسام على الله بحق المخلوق محذور أيضاً، فقال : فإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان ، فذلك محذور أيضاً ، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف بالخالق ؟»[٤].

١- شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧
٢ - الموافقات ، ١٣/ ١٥٠
٣ - شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩٩ ، وانظر : الفروع ، ١/ ٤٠٢
٤ - الطحاوية ، ص ٢٩٧، وانظر: ص ٢٩٩-٣٠٠

وأما بدعة الدعاء الجماعي ، التي أحدثها الصوفية ، فقد تصدى لها علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، وبينوا أنها بدعة غير مقبولة ٠

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ، في إجابته عن سؤال : عن هذا الذي يفعله الناس بعد كل صلاة من الدعاء الجماعي ٠
فأجاب: «٠٠٠ وأما دعاء الإمام والمأمومين جميعاً عقيب الصلاة ، فلم ينقل هذا أحد عن النبي -ﷺ- »[1]

وعد الشاطبي الدعاء بهيئة الاجتماع من البدع [2] ، وقال : « إن الدعاء بهيئة الاجتماع دائماً ، لم يكن من فعل رسول الله -ﷺ- كما لم يكن قوله ولا إقراره »[3]

وقال شيخ الإسلام : « أما دعاء الإمام والمأمومين جميعاً عقيب الصلاة ، فهو بدعة ، لم يكن على عهد النبي -ﷺ- بل إنما كان دعاؤه في صلب الصلاة ، فإن المصلي يناجي ربه ، فإذا دعا حال مناجاته له كان مناسباً ٠
وأما الدعاء بعد انصرافه من مناجاته وخطابه فغير مناسب ، وإنما المسنون عقب الصلاة هو الذكر المأثور عن النبي -ﷺ- عقب الصلاة : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[4] ٠

١ - الفتاوى ، ٥١٦/٢٢
٢ - انظر : الموافقات ، ٣/ ١٥٩
٣ - الاعتصام ، ١/ ٢٩٥
٤ - الفتاوى ، ٢٢/ ٥٢٠، ٥٢٣ ، أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب ، باب الذكر بعد الصلاة ، ٢٧١/١ ، حديث رقم (٨٤٤) : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

وأما موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، مما أحدثه الصوفية من أذكار وأدعية بدعية ، فهو موقف المنكر لهذا الفعل والرافض له ، لأنه لا يستند إلى دليل شرعي يعول عليه ٠

فقد رد الشاطبي على اختراع الصوفية لبعض الأدعية والأذكار ، فقال:إن « الدعاء أيضاً عبادة لا يزاد فيها ولا ينقص ، أعني الكيفيات المستعملة ، والهيئات المتكلفة التي لم يعهد مثلها فيما تقدم ، وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها ، في متقدم الزمان ولا متأخره ، ولا مستعمل النبي -ﷺ- والسلف الصالح ، ٠٠٠وهذا الموضع مزلة قدم للعوام وكثير من الخواص »[١] ٠

ونقل ابن الإمام في رده على من يخترعون الأدعية ، ويبتدعونها، قول القاضي عياض[٢] : « إن الله أذن في دعائه ، وعلّم الدعاء في كتابه لخليفته ، وعلّم النبي -ﷺ- الدعاء لأمته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء ؛ العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه -ﷺ- ، وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام ، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية ، يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي -ﷺ-، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين»[٣]

---

١ - الموافقات ، ٢/ ٤٤٦

٢ - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو المالكي ، ويعرف بالقاضي عياض ، محدث حافظ مؤرخ ، ناقد مفسر فقيه ، أصله من الأندلس وتحول جده إلى فاس ، ولد في سنة ٤٩٦ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ ، له العديد من المؤلفات منها : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٠ (معجم المؤلفين ، ٨/١٦)

٣ - سلاح المؤمن في الدعاء والذكر تأليف أبي الفتح محمد بن محمد بن علي ابن الإمام ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وقدم له محي الدين ديب مستو ط١ ،(دمشق : دار الكلم الطيب ، ١٤١٤هـ) ، ص ٢٢-٢٣

وبيّن ابن أبي العز أن : « الدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والاتباع ، لا على الهوى والابتداع»[١]

وقال ابن الإمام : «··· أنكر الأئمة –ﷺ– الإعراض عن الأدعية السنية »[٢] ·

وقد ذكر الشاطبي أن جملة ممن ينتمون إلى طريقة الصوفية ، ابتدعوا عبادات وأدعية وأذكار ، يتربصون بها في أوقات مخصوصة ، غير ما وقته الشرع ، وبيّن أن ذلك العمل بدعة ، لأن أصلها غير مشروع [٣] ·

وقال شيخ الإسلام : « لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء ···وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً ، وقد يكون فيه شرك ، مما لا يهتدي إليه أكثر الناس »[٤]

إلى أن قال : « وليس لأحد ، أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنونة ، ويجعلها عبادة راتبه ···بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله »[٥] ، فالشرع مبني على الاتباع ، لا على الابتداع ·

١ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩٧
٢ – سلاح المؤمن ، ص ٢٢
٣ – انظر : الاعتصام ٣١٨/١
٤ – الفتاوى ، ٢٢/ ٥١٠ –٥١١
٥ – الفتاوى ، ٢٢/ ٥١١

ويتكون من تمهيد ، ومبحثين ٠

التمهيد وفيه: تعريف الغلو ، والولي ، لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول : الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

التمهيد : تعريف الغلو ، والولي ، لغة واصطلاحاً ٠

أولاً: تعريف الغلو لغة واصطلاحاً ٠

أ. الغلو لغة :

« غَلا غُلُواً ، وغَلاءً : زاد وارتفع ، وغلا : جاوز الحد ، فهو غالٍ، وغلا فلان في الأمر والدين : تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط »[١]

ب- الغلو اصطلاحاً :

« تجاوز الحد في اتباع الحق »[٢] ، و «أن يتجاوز الحق ويتخطاه، بالإعراض عن الأدلة ، واتباع الشبه »[٣] ٠

ثانياً: تعريف الولي ، لغة واصطلاحاً :

أ- الولي لغة :

الوَليُّ : « كل من ولي أمراً أو قام به ، والولي النصير والمحب »[٤]
و« الوَلْيُ : القرب ، والدنو ، والمطر بعد المطر »[٥]

ب- الولي اصطلاحاً :

١ – المعجم الوسيط ، ٦٦٠/٢ ، باب (الغين) ، وانظر : أساس البلاغة ، ص ٤٥٤، باب (الغين)
٢ – تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٨٥ ، و المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٦٥
٣ – الكشاف ، ١/ ٦٥٢
٤ – المعجم الوسيط ، ٢/ ١٠٥٨ ، باب (الواو)
٥ – القاموس المحيط ، ١٧٣٢ ، باب (الياء)

« سمي الولي ولياً من موالاته للطاعات »[1] ، و« الولي ضد العدو، والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب »[2] ، «والولي : خلاف العدو ، وهو مشتق من الولي ، وهو الدنو والتقرب ، فولي الله هو : من والى الله بموافقته في محبوباته ، والتقرب إليه بمرضاته »[3]،

المبحث الأول: الغلو في الأولياء عند الصوفية ،

[1] – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيميه راجعه وفهرسه وقدم له أحمد حمدي إمام ، (جدة : دار المدني للنشر والتوزيع ، ١٩٨١م) ، ص ٨

[2] – قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني ، تحقيق وتقديم د: إبراهيم إبراهيم هلال ، (مكة المكرمة : توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، ١٣٩٧هـ ٠) ، ص ٢٣٧

[3] – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٠٩ ، وانظر: ص ٥٠٥

غلى بعض الصوفية في الأولياء غلواً يصل -بعض الأحيان – إلى خلع صفات القدسية عليهم ؛ بل ومنهم من يصرف بعض العبادات إلى أوليائه من دون الله !!٠

وقد وصل الحال ببعض الصوفية إلى هذا الحد من الغلو، لاعتقادهم العصمة لشيوخهم ، وأنه لا يجوز الاعتراض عليهم حتى ولو بالقلب ، وإنما يجب طاعتهم طاعة مطلقة وعدم منازعتهم ألبته ٠

فهذا القشيري يوصي المريد الصوفي : « أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه »[١]

وقال كذلك : « أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه »[٢] و« من قال لشيخه لِمَ لا يفلح »[٣]

وزعموا : « أن مدح الشيوخ من أعظم القربات ، وأقرب الوسائل إلى الوصول ، إذ هم باب الله الأعظم ، ويد الله الآخذة بالداخلين إلى حضرة الله ، فمن مدحهم فقد مدح الله ، ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾[الفتح : ١٠ الآية] ، ومن ذمهم فقد ذم الله»[٤] ٠

وقال القشيري : « اعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء، دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة من المعاصي والمخالفات »[٥] ، ثم يبيّن أنه : « يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ ، لا يفلح أبداً» ،«و من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان »[٦] ٠

---

١ – القشيرية ، ص ٣٨١

٢ – القشيرية ، ص ٣٨١

٣ – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، ١/١٧٥

٤ – إيقاظ الهمم ، ص ٢٧٢

٥ – القشيرية ، ص ٣٥٦، وانظر : روضة التعريف بالحب الشريف ، ٢/ ٥١٠

٦ – القشيرية ، ص ٣٨٠

وقد صرف بعض الصوفية ، بعض العبادات ، الخاصة بالله العلي العظيم ، إلى أوليائهم ، ومن هذه العبادات النذر .

نقل النبهاني : « أن الشيخ العلامة تقي الدين بن الصلاح جمعت المقادير الربانية بينه وبين ، الشيخ علي الكردي، في مكان .

فقال الشيخ علي : لا بد أن نضيف الشيخ تقي الدين اليوم بشيء بالفقيري ، فما تم كلامه إلا وقد مرّ قطيع غنم ، فقال لبعض أصحابه : قم هات هذا الرأس الذي هو خياره ، لعله يساوي مائة درهم .

فقال الشيخ تقي الدين في باطنه : هذا امتحان يريد الشيخ علي يطعمني الحرام وأنا لا أكله ، وحصل له هم كبير ، فلما استوى الطعام وهموا بمد السماط ، وهم الشيخ تقي الدين بقول غير صالح ، أقبل شخص سائلاً يقول : هل مرّ عليكم راعينا اليوم ؟

فقالوا : ما تريد ؟

قال : كان معه غنمي ، وفيها رأس صفته كيت وكيت ، وهو نذر للشيخ علي الحريري .

فأجابوه أن نعم قد أخذناه ، وها هو يوضع بين يدي الجماعة سماطاً .

فقال : الحمد لله الذي أوصله إلى صاحبه ، فنظر الشيخ علي إلى الشيخ تقي الدين ، وقال : ياسيدي وكيف العبد يتهجم على مولاه بما ظنه، فقال الشيخ تقي الدين : استغفر الله تعالى مما خطر لي ، ولم يكن عندي من التدبير ما يطلعني على الحق بوجه»[1].

ومن مظاهر غلو الصوفية ، بالأولياء الاستغاثة بهم ، فقد ذكر النبهاني من كرامات ، محمد بن علوي بن أحمد[2] ، إجابته لمن يستغيث به من دون الله ، فقال : « إن بعضهم ضلَّ في الطريق في البرية ، وأيقن

[1] – جامع كرامات الأولياء ، ٢/ ٣٤٠ – ٣٤١

[2] – محمد بن علوي بن أحمد ، توفي بمدينة تريم في حضرموت سنة ٧٦٧ هـ ودفن بقبرة زنبل وقبره معروف .(جامع كرامات الأولياء ٢٣٨/١١–٢٣٩)

بالهلاك ، ثم استغاث به ، ومشى فأحس بمن يقول هذه الطريق فإذا هو بالجادة »[1]

ولم تقتصر استغاثة بعض الصوفية بالأحياء ، بل تعدوا ذلك إلى دعاء الأموات ، والتماس العون والغوث منهم ، عندما يواجهون بعض المصاعب٠

فقالوا :« يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين[2]، ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم ٠ وهذه صفة زيارة القبور عموماً ، فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته ، فيتوسل إلى الله به[3] ، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته إلى النبي – ﷺ – »[4]

وأضافوا : « تحقق لذوي البصائر والاعتبار ، أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار ، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم ، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين ٠٠ولا يعترض على ذلك »[5] ويزعمون زوراً وبهتاناً أن «كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد مماته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض »[6]

[1] – جامع كرامات الأولياء ، ١/ ٢٣٨

[2] – لم تحل النوازل بالمسلمين إلا من هذه الدعوة وأمثالها ، فهي دعوة إلى الشرك الصريح ، وعبادة غير الله !!

[3] – دعوه صريحة للوثنية وعبادة الأصنام ، نسأل الله العافية والسلامة ٠

[4] – المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسن النيات لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج ، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه : توفيق حمدان ، ط١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ،١/ ١٨٤

[5] – المدخل ، ١٨٤/١

[6] – المدخل ، ١/ ١٨٥ ٠ حوت هذه الأقوال أنواعاً وألواناً من البدع والضلال والمنكرات والكذب المحض والتزوير ، الشيء الكثير ، فإنه لم يرد في الشرع ولا عن السلف توخي القبور وزيارتها لأجل الدعاء عندها ، أو دعاء أصحابها ، وإنما شرعت الزيارة للاعتبار والاتعاظ والاستغفار للميت ٠ (انظر: المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل ، تأليف د: محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط١ ، الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ ، ص٢٥)

وهذا علم من أعلام الصوفية يلجأ إلى الأموات ، ويدعوهم ويستغيث بهم ، من دون الله تعالى ، بل ويجاور القبور حتى تحل مشاكلهم ٠

قال : «وقد وقعت لي أنا علي بن عثمان الجلابي –الهجويري – واقعة ذات مرة ، وقمت بكثير من المجاهدة على أمل أن تحل تلك الواقعة ، فلم تحل ، وكانت وقد وقعت لي قبل تلك الواقعة من قبل ، فأقمت مجاوراً على قبر الشيخ أبي يزيد – البسطامي – إلى أن حلت»[1]

ونقل النبهاني عن أبي الحسن علي بن صالح المعروف بالكحال[2]:«أن من أصابه رمد وجاء إلى قبره وقرأ شيئاً من القرآن ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويحسن ظنه ،ويمسح على عينه من تراب القبر فإنه ينفعه ذلك ، وقد جربه جماعة ووجدوا عليه الشفاء »[3]

ولم يقتصر نفع أولياء الصوفية الأموات على أتباعهم – كما يزعمون زوراً وبهتاناً – بل تعدى ذلك إلى الحيوان ، فما على الوحوش التي تمرض ،إلا زيارة ضريح صوفي فتبرأ٠

ذكر النبهاني عن أبي الحسن[4] أحد أعلام الصوفية : «أن الوحوش كانت تأتي إلى قبره في مصر ، وبها الأوجاع فتبرأ»[5]

وكان التبرك بأولياء الصوفية الأحياء والأموات ، هو المظهر الآخر من مظاهر الغلو فيهم ، فقد أكد الغزالي : أن «زيارة قبور الصالحين مستحبة ، لأجل التبرك »[6]

١ – كشف المحجوب ، ص ٢٦٦ ، وانظر : طبقات الشعراني ، ١/ ٧٢

٢ – أبو الحسن علي بن صالح الأندلسي المعروف بالكحال ، قبره في مصر ٠[جامع كرامات الأولياء ٢/٣٣٣]

٣ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/٣٣٣

٤ – أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بمطيب الوحش ٠ (جامع كرامات الأولياء ٢/٣٣٨-٣٣٩)

٥ – جامع كرامات الأولياء ، ٢/ ٣٣٨

٦ – الإحياء ، ٤/ ٥٢١ ، وانظر: تنوير القلوب ، ص ٤٥٠

وقال القشيري : « لم يكن عصر في الحكم الإسلامي ، إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم ، إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء ، قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له ، وتبركوا به»[1]

وبيّن النبهاني ولع الصوفية بالتبرك ، بقوله : « ٠٠٠ثم إن الناس ازدحموا على الشيخ محمد [2] ، يقبلون رأسه ويده ، ويتبركون به ، حتى كادوا يقتتلوا »[3] ٠

ومن مظاهر غلو الصوفية في الأولياء ، تفضيلهم الولي على النبي ، فلم يقتصر الصوفية على ما مر ذكره من مظاهر الغلو ، بل تعدوا ذلك، إلى تفضيل الولي على النبي ٠

قال البسطامي : « خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله»[4]

وقال أبو الغيث بن جميل[5] : « خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله»[6]

وقال الجيلي[7] : « ٠٠٠قال المحمديون من الأولياء٠٠٠معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأتينا ما لم تؤتوه »[8]

---

[1] – القشيرية ، ص ٣٧٨

[2] – هو : أبو عبد الله محمد بن حسن بن مرزوق ، توفي سنة ٧٢١ هـ ٠(جامع كرامات الأولياء ، ١/ ٢٣١)

[3] – جامع كرامات الأولياء ، ٢٣٢/١

[4] – طبقات الشعراني ، ٢/ ١٦ ، وانظر : لطائف المنن ، ص ١٨٥–١٨٦

[5] – أبو الغيث بن جميل ، الملقب شمس الشموس ، مات سنة إحدى وخمسين وستمائه ودفن بقرب بيت عطاء باليمن ٠[الكواكب الدرية ٤٣/٢]

[6] – الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر تأليف عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ، ط٤، (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٤٠٢هـ) ، ١٢٤/١

[7] – عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، توفي سنة ٨٠٥، وقيل ٨٥٥هـ ٠ (الفكر الصوفي عند عبد االكريم الجيلي ، تأليف يوسف زيدان ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٩) ٠

[8] – الإنسان الكامل ، ١/ ١٢٤

وفضل ابن عربي الولي على النبي ، بتفضيله خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء ، وادعى أنه ذلك الولي الخاتم ٠

فقال : « وإن كان خاتم الأولياء [١] تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون أنزل ، كما أنه من وجه يكون أعلى !! ، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا إليه في فضل عمر -رضي الله عنه- في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي تأبير النخل ، فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء ،وفي كل مرتبة »

إلى أن قال : « ٠٠٠ولما مثّل النبي -ﷺ- النبوة بالحائط من اللبّن وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان -ﷺ- تلك اللبنة ، غير أنه -ﷺ- لا يراها كما قال لبنة واحدة [٢] ، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله رسول الله -ﷺ- ويرى في الحائط ، موضع لبنتين ، واللبن من ذهب وفضة ، فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما ، وتكمل بهما، لبنة ذهب ولبنة

---

[١] - يزعم ابن عربي أنه خاتم الأولياء ، كما محمد -ﷺ- خاتم الأنبياء ، وقد ألف رسالة في هذا الخصوص ، سماها : (عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب) ، ذكر فيها من الكذب والبهتان الشيء الكثير ، ومما ذكره فيها عن ختم الأولياء ، وأنه ذلك الولي الخاتم ، قصيدة مطلعها : حمدت إلهي والمقام عظيم فأُبدي سروراً والفؤاد كظيم

ثم قال :

فَرَافِق ربي قد أتاني مخبراً بتعيين ختم الأولياء كريم

وأول من افترى هذه البدعة - بدعة خاتم الأولياء - ، محمد بن علي الحكيم الترمذي ٠[انظر: عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، لابن عربي ، تحقيق خالد شبل أبو سليمان ، طبعة مكتبة عالم الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٥ ، والفتاوى ، ١١/ ٤٤٤]

[٢] - إشارة منه إلى قصر علم الرسول -ﷺ- ، وعدم صدقه فيما يخبر ٠

فضة ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط »[1]

وأكد رأيه هذا شعراً فقال :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[2]

وقد فضل ابن عربي نفسه صراحة ، على نبي الله، و كليمه موسى –عليه السلام– بقوله :

ولما أتاني الحق ليلاً مكلماً كفاحاً وأبداه لعيني التواضع
وأرضعني ثدي الوجود تحققاً فما أنا مفطوم ولا أنا راضع
ولم أقتل القبطي لكن زجرته بعلم فلم تعسر عليّ المراضع
وماذبح الأبناء من أجل سطوتي ولا جاء شراً يبطش رافع
فكنت كموسغيرأني رحمة بقمي[3]ولم تحرم علىّالمراضع[4]

هذه مكانة رسل الله – عليهم الصلاة والسلام –، وصفوة خلقة ، عند بعض الصوفية ، يصرحون أنهم أفضل من أنبياء الله – عليهم السلام – الذين اختارهم لرسالاته وحمل وحيه ، فليس وراء ذلك من التنقيص والاستهانه بهم شيء ، نعوذ بالله من أصحاب هذه الأقوال ، فما تحويه من الباطل والكذب والتزوير والتجهيل ، من أشد البدع والمنكرات في الدين ٠

---

[1] – فصوص الحكم ، ص ٦٢–٦٣

[2] – – هذا هو اللفظ المشهور للبيت ، ولكن ورد في الفتوحات المكية ، ٢/ ٢٤٩ ، هكذا

بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يجهل

وما ذكرت منقول من طبقات الشعراني ، ٢/ ٦٨

[3] – هكذا طبعت في الأصل ، وربما تكون صحتها : (بفمي) لأن السياق يقتضي ذلك ، والمعنى بها كما هي لا يستقيم٠

[4] – عنقاء مغرب ، ص ٢٣

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية ٠

الغلو في الدين محرم شرعاً ، قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ٠٠٠ ﴾[المائدة : ٧٧]، ومن هذا انطلق علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، في الرد على الصوفية ، وغلوهم في الأولياء، وارتكز رد علماء السلف ، على نصوص الشريعة المطهرة ، وبينوا أن الرسول -ﷺ- قد نهى عن الغلو في الدين ، وتجاوز الحد المشروع ٠

فقد استدل ابن رجب بحديث الرسول الكريم -ﷺ- ، الذي قال فيه: « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله »[١] ٠

وبيّن ابن رجب أن رسول الله -ﷺ- ، كان ينكر على من لا يتأدب معه في الخطاب ، بهذا الأدب ، فقال -ﷺ- : «لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، بل قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد »[٢] ٠

فإن كان الغلو في حق الرسول الكريم _ ﷺ_ محرماً ومنهياً عنه ، فمن باب أولى أن يكون أشد تحريماً في حق غيره من البشر ٠

---

١ - صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى ﴿ يأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ٠٠٠ ﴾ ٤٨٩/٢ حديث رقم ٣٤٤٥ ،

٢ - أخرجه الإمام أحمد في المسند ، (بيروت : دار صادر) ، ٥/ ٧٢ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط٤ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ) ، برقم ١٣٨ ولفظه : « لا تقولوا: ما شاء الله ، وما شاء محمد »٠ وسنن أبو داود ، كتاب الأدب باب لا يقال خبثت نفسي ، ٤/ ٢٩٥حديث رقم ٤٩٨٠ ، ونصه : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان »٠

ولهذا أنكر ابن كثير ، على من يغلو في شيخه ، من الصوفية ، ويزعم أنه شريك لله ، فقال في ترجمة الشيخ عدي بن سافر [1] ، شيخ الطائفة العدوية : « ... ثم انفرد عن الناس وتخلى ...، وبنى هناك زاوية ، واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى أن منهم من يغلو غلواً كثيراً منكراً ، ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً » .

ثم رد عليهم ، وبيّن موقفه من ذلك الغلو ، فقال : «وهذا الاعتقاد فاحش ، يؤدي إلى الخروج من الدين جملة »[2]

وشدد الذهبي على أن الطاعة المطلقة ، لا تكون إلا للمعصوم ، وطاعة الصوفية لأوليائهم ، لا تدخل ضمن ذلك ، لأن أولياءهم ليسوا بمعصومين ، فقال : «ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه : لِمَ ، إذا علمه معصوماً ، لا يجوز عليه الخطأ ، أما إذا كان الشيخ غير معصوم وكره قول: لم ؟ ، فإنه لا يفلح أبداً .

قال تعالى: ﴿ ...وتعاونوا على البر والتقوى ...﴾ [المائدة : ٢] .

وقال تعالى ﴿ ...وتواصوا بالحق... ﴾[العصر : ٣] »[3]

---

[1] – الشيخ عدي بن سافربن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري شيخ الطائفة العدوية ، أصله من البقاع غربي دمشق من قرية بيت نا ، ثم دخل بغداد واجتمع فيها بالشيخ عبد القادر ، مات سنة ٥٥٥ وله من العمر سبعون سنة .[البداية والنهاية ١٢/٧٥٧]

[2] – البداية والنهاية ، ١٢/٧٥٧

[3] – السير ، ١٧ / ٢٥١–٢٥٢، وانظر : السير ، ١٢/ ٩٣

وقد استدل العطار[١]، على حرمة ما يفعله بعض الصوفية ، من مغالاة بشيوخهم ، بقول الإمام محي الدين النووي ، عندما سئل عن السجود الذي يفعله بعض الناس بين يدي المشايخ ونحوهم ، ما حكمه ؟
فأجاب على ذلك بقوله : « هو حرام ، شديد التحريم »[٢]

وقال الشاطبي رداً على دعوى الصوفية : « ما عهد بالتجربة من أن الاعتراض على الكبراء قاض بامتناع الفائدة ،مبعد بين الشيخ والتلميذ، ولا سيما عند الصوفية ، فإنه عندهم الداء الأكبر ، حتى زعم القشيري عنهم أن التوبة منه لا تقبل ، والزلة لا تقال »[٣]٠

وقال ابن كثير ، في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلي : « كان فيه تزهد كبير ، ٠٠٠ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات ، أكثرها مغالاة »[٤] ٠

وذكر الشاطبي ، أن الصوفية كغيرهم من البشر، لم تثبت لهم العصمة حتى يطاعوا ، طاعة مطلقة ٠

---

[١] – الشيخ الإمام المفتي المحدث الصالح بقية السلف : علاء الدين أبو الحسن علي بن الموفق العطار إبراهيم بن الطبيب داود الدمشقي ، الشافعي ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس الغوصية و العلمية ، يلقب بـ " مختصر النواوي " ، ولد يوم الفطر سنة ٦٥٤ هـ وحفظ القرآن ، وأفتى ودرس وجمع وصنف ، ونسخ الأجزاء ، ودار مع الطلبة وسمع الكثير ، وله محاسن جمة ، وزهد وتعبد وأمر بالمعروف ، وله أتباع ومحبون ، أصيب بالفالج سنة ٧٠١ هـ فكان يمشي بمشقة ، ثم عجز ، وانقطع ، وكتب كثيراً بالشمال ، توفي رحمه الله ، في ذي الحجة سنة ٧٢٤ هـ ٠(ذيل تاريخ الإسلام ٢٨١-٢٨٣ ، والدرر الكامنة ، ٥/٣) ٠

[٢] – تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين ، تصنيف علاء الدين علي بن إبراهيم ابن العطار ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيده مشهور بن حسن آل سليمان ، ط١، (الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ ٠) ، ص ٢٢٤

[٣] – الموافقات ٣٩٩/٥ , ٤٩٧/٢

[٤] – البداية والنهاية ، ٧٦٨/١٢

فقال : « فالصوفية كغيرهم ممن لم تثبت له العصمة ، فيجوز عليهم الخطأ و النسيان ، والمعصية كبيرتها وصغيرتها»[١]

وبيّن أن الغلو في الشيوخ من سمات بعض الصوفية ، فقال: « ومنها – أي من مآخذ أهل البدع في الاستدلال – رأي قوم من التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه ، فالمقتصد منهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا على هذا المذكور ، وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ؛ لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون أبداً مبالغ المتقدمين ٠٠٠، والمتوسط يزعم أنه مساوٍ للنبي –ﷺ– ، إلا أنه لا يأتيه الوحي ، بلغني هذا عن طائفة من الغالية في شيوخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم ، على الاقتصاد منهم فيه ، والغالي يزعم فيه أشنع من هذا ٠٠٠»[٢]

وقال ابن كثير في ترجمة يوسف الأقميني [٣]: « ولما مات هذا الرجل ، دفن بتربه بسفح جبل قاسيون ٠٠٠ وهي مزخرفة قد اعتنى بها بعض العوام ممن كان يعتقده ، فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البدع »[٤]

وأما موقف علماء السلف ،في القرن الثامن الهجري، من صرف الصوفية بعض العبادات لشيوخهم ، والاستغاثة بهم ، ودعائهم والتبرك بهم ، فهو موقف المنكر لهذه الأفعال ؛ لأن هذه الأعمال من جنس العبادات ، التي لا يجوز التوجه بها إلا إلى الله العزيز الحكيم٠

---

١ – الاعتصام ، ١٧٦/١

٢ – الاعتصام ٢١٠/١

٣ – يوسف الأقميني ، كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد ، توفي سنة ٦٥٧ هـ، ودفن بالسفح ٠ (البداية والنهاية ٢٥٤/١٣)٠

٤ – البداية والنهاية ٢٥٤/١٣

قال شيخ الإسلام : « وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً ، تجدهم يستهزئون بما هو من دين الله وعبادته ، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ٠٠٠ومنهم من يذبح الشاة ويقول : باسم سيدي »[١]

وقال كذلك : « أما الزيارة البدعية ، فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج ، أو يطلب منه الدعاء و الشفاعة ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة ، لم يشرعها النبي -ﷺ- ولا فعلها الصحابة -رضي الله عنهم-لا عند قبر النبي -ﷺ- ولا عند غيره ، وهي من جنس الشرك ، وأسباب الشرك »[٢]

وقد ذكر الشاطبي : « أن الصحابة -رضي الله عنهم- ، بعد موته -ﷺ- لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك - التبرك - بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي -ﷺ- ، بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ، فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر -رضي الله عنه- ٠٠٠ولم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ، أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه ٠٠٠ فهو إجماع منهم على ترك تلك الأشياء »[٣]

ونقل الشاطبي أن أصحاب الحلاج : « بالغوا في التبرك به ، حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حتى ادعوا فيه الإلهية ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً »[٤]

---

[١] - الاستغاثة في الرد على البكري ، ٢/٥٨٠-٥٨١

[٢] - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ،تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه ، ط٣ ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ) ، ص ٢٤

[٣] - الاعتصام ، ٢/٣١٠-٣١١

[٤] - الاعتصام ، ٢/٣١١

وقال ابن كثير عن قبر السيدة نفيسة : «قلت : وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر فأنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظ كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز ، ٠٠٠والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي –ﷺ– بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ، ومن زعم أنها تفك من الخشب ، أو أنها تنفع وتضر بغير مشيئة الله ، فهو مشرك»[1] .

واستدل ابن مفلح على كراهة السلف للتبرك بالأشخاص بقول الطيالسي[2] : « ٠٠٠ عن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال : مسحت يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر ، فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض يده ويقول: عمن أخذتم هذا ؟ وأنكره إنكاراً شديداً »[3]

وقال الشاطبي : « كان مالك يكره المجيء على بيت المقدس ، خيفة أن يتخذ ذلك سنة ، وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء خوفاً من ذلك ، مع ما جاء من الآثار من الترغيب فيه ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه»[4]

وقال ابن عبد الهادي : « فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم ، ولا يقصد أن يدعو مخلوقاً من دون

---

[1] – البداية والنهاية ، ٧٠٣/١٠

[2] – الشيخ المحدث الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الصمد الطيالسي البغدادي ، توفي في شعبان سنة ٢٨٩هـ ٠ (السير ٤٢٩/١٣) .

[3] –الآداب الشرعية ٢٢٥/٢ ، والفروع ، ١٤٣/٢

[4] – الاعتصام ٢٩٠/١ ، وانظر : الموافقات ٨١/٣

الله ، ولا يجوز أن تتخذ مساجد ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم ، وهذا مشروع ؛ بل هو فرض على الكفاية متفق عليه بين المسلمين ، ولو جاء إنسان إلى سرير الميت يدعوه من دون الله ويستغيث به ، كان هذا شركاً محرماً بإجماع المسلمين »[١] .

وأما موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، من تفضيل الصوفية الولي على النبي[٢] ، فهو موقف الرافض لهذا الأمر ؛ لأنه ابتداع في الدين .

قال ابن أبي العز ، شارحاً قول الطحاوي : « ولا نفضل أحداً من الأولياء على الأنبياء – عليهم السلام – ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء »[٣]

قال ابن أبي العز : « يشير الشيخ –رحمه الله– إلى الرد على الاتحادية ، وجهلة المتصوفة ، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم، ومتابعة الشرع ، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل – عليهم السلام – قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ... ﴾ [النساء: ٦٤ الآية] ، وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وكثير من هؤلاء يظن ، أنه يصل برياسته ، واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه ، إلى ما وصل إليه الأنبياء من غير اتباع ، ومنهم من يظن أنه قد

---

١ –الصارم المنكي في الرد على السبكي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ط١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ) ، ص ٣٢٨ ، وانظر: ص ٢٨٦

٢ – قال التفتازاني " « ولا يبلغ الولي درجة الأنبياء ، لأن الأنبياء معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك ، مأمورون بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام بعد الاتصاف بكمالات الأولياء ، فما نقل عن بعض الكرامية ، من جواز كون الولي أفضل من النبي ، كفر وضلال ». [شرح العقائد النسفية ، ص ١٠٥]

٣ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٣

صار أفضل من الأنبياء !! ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل ، إنما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء !! ، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء !! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون ، وهو أن الوجود المشهود واجب بنفسه ليس له صانع مباين له ، ولكن هذا يقول : هو الله!! ، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية ، لكن فرعون في الباطن أعرف بالله منهم ، فإنه كان مثبتاً للصانع ، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق ؛ كابن عربي وأمثاله .

وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره ، قال : النبوة ختمت ولكن الولاية لم تختم ! .

وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة ، وما يكون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء مستفيدون منها ، كما قال :

مقام النبـوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة ، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] .

والنبوة أخص من الولاية ، والرسالة أخص من النبوة »[١]

وقال الذهبي : « قال أحمد السلمي في « محن الصوفية » : أحمد بن أبي الحواري ، شهد عليه قوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء »[٢]

علق الذهبي على هذا بقوله : « إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد ، وهو كان أعلم بالله من أن يقول ذلك »[٣]

ففي دفاع الذهبي عن أحد الصوفية ، دليل قوي على عدل السلف ، في أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم على المخالفين ، فهم من أدق الناس في الأقوال والأفعال والأحكام ، ولهذا نجد الذهبي يكذب هذه الرواية المنسوبة إلى أحد

---

[١] – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٣-٧٤٤
[٢] – السير ، ١٢/ ٩٣
[٣] – السير ، ١٢/ ٩٣

الصوفية ، ويلتمس له المخرج منها ، مما يؤكد أن منهج السلف لا يقوم على الهوى و الميل ، أو العداوة والبغضاء ، أو المجازفة ، فرحم الله السلف ما أعدلهم وأنصفهم ٠

وتحدث الشاطبي عن غلو بعض الصوفية ، في أوليائهم وزعمهم أن الولي هو النبي !

فقال : « حدثني بعض الشيوخ من أهل العدالة والصدق في النقل[١] ، أنه قال : أقمت زماناً في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها كثير ، قال : فخرجت يوماً من منزلي لبعض شأني، فرأيت رجلين منهم قاعدين ، فتوهمت أنهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهم ، فقربت منهما على استخفاء لأسمع من كلامهم - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم - ، فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ، وأنه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه المقابلة طرباً عظيماً ، ثم قال أحدهما للآخر: أتحب الحق ؟ هو النبي ، قال : نعم ، هذا هو الحق ، قال المخبر: فقمت من ذلك المكان فاراً أن يصيبني معهم قارعة »[٢]

وبيّن شيخ الإسلام أن : « لفظ "خاتم الأولياء " لفظ باطل لا أصل له ، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي[٣] ، وانتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء ، كابن حموية وابن عربي ، وبعض الشيوخ الضالين ، بدمشق وغيرها ، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي -ﷺ- من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان ، وقد غلطوا ، فإن خاتم الأنبياء ، إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك خاتم الأولياء ، فإن أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار»[٤] ٠

---

١ - هذا من أصول منهج السلف ، إذ إن التثبت من الرواية وعدالة ناقلها ، وصدقه ، وعدم رمي الناس بالضنون ، يتبعها صحة الواقعة و صواب الحكم ٠

٢ - الاعتصام ، ١/ ٢١٠ -٢١١

٣ - محمد بن علي بن الحسن الترمذي وكنيته أبو عبد الله ، لقي أبا تراب النخشبي ، وصحب يحيى الجلاء ٠[طبقات الصوفية ص ٢١٧ ، والرسالة القشيرية ، ص ٤٠٠]

٤ - الفتاوى ، ١١/ ٤٤٤

وقال ابن أبي العز : « قال ابن عربي أيضاً في "فصوصه " [1] : ولما مثل النبي –ﷺ– بالحائط من اللبن ، فرآها قد كملت إلا موضع لبنة فكان هو –ﷺ– موضع اللبنة ، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثّله النبي –ﷺ– ،ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين !! ويرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبينتين ، فيكمل الحائط ، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين : أن الحائط لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه من الأحكام ، كما هو آخذ عن الله في السر ، ما هو في الصورة الظاهرة ، متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن !! ، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إليه الرسول٠٠٠»[2]

ثم عقب ابن أبي العز على قول ابن عربي هذا بقوله : «فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب ، وللرسول –ﷺ– المثل بلبنة فضة ، فيجعل نفسه أعلى و أفضل من الرسول ٠٠٠ ، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه ؟!» [3]

هذا مجمل ردود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، وموقفهم اتجاه غلو بعض الصوفية ، في أوليائهم ومشايخهم ، أسأل الله العون والتوفيق والهداية والرشاد ٠

[1] – انظر النص في فصوص الحكم ، ص ٦٣

[2] – شرح العقيدة الطحاوية ،ص ٧٤٤–٧٤٥

[3] – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٥

ويتكون من تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد وفيه : تعريف الحال والمقـام ، لغة واصطلاحاً .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه المحبـة ، عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الخوف والرجاء ، عند الصوفية .

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الفقـر ، عند الصوفية .

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه التوكـل ، عند الصوفية .

المبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه الزهـد ، عند الصوفية .

التمهيد : تعريف الحال والمقام ، لغة واصطلاحاً ٠

أولاً : تعريف الحال ، لغة واصطلاحاً ٠

أ- الحال لغـة:

« حلَّ المكان ، وبه يَحُلُّ ٠٠٠نزل به ، كاحْتَلّهُ ، وبه فهو حال »[١] ٠ والحال : « ما عليه الإنسان من خير أو شر »[٢] ٠

ب- الحال اصطلاحاً :

« معنى يرد على القلب من غير تصنع ، ولا اجتلاب ولا اكتساب»[٣]

وعرفه ابن عربي أنه : « ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب »[٤]

ثانياً : تعريف المقام ، لغة واصطلاحاً ٠

أ- المقام لغة : « موضع القدمين »[٥]

ب- المقام اصطلاحاً :

« عبارة عما يوصل إليه بنوع تصرف »[٦]

وعرفه ابن عربي والكاشاني أنه : « عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام »[٧] ٠

---

١ – القاموس المحيط ، ص ١٢٧٤ ، (باب اللام) ٠

٢ – منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، (عام ١٣٨٤هـ) ، ١/ ٦٢٥

٣ – التعريفات ، ص ٨٥

٤ – اصطلاحات الصوفية ، ص ٩ ، وانظر : معجم اصطلاحات الصوفية ، ص ٨١

٥ – المعجم الوسيط ، ٢/ ٧٦٨، باب(القاف)

٦ – التعريفات ، ص ٢٤٤

٧ – معجم اصطلاحات الصوفية ، ص ١٠٧

فالأحوال والمقامات ، من المصطلحات التي درج الصوفية على ذكرها ، في أقوالهم ومؤلفاتهم ، وبالرغم من شهرتها لديهم ؛ إلا أنهم لم يتفقوا على عددها [1] ، كما أنها قد تتداخل فيما بينها ، فما يذكره أحد الصوفية من المقامات ، يذكره آخر من الأحوال ، فقد عد الطوسي الخوف والرجاء من الأحول[2] ، بينما ذكرهما السهر وردي من المقامات[3] .

وقد أشار السهر وردي إلى هذا التداخل والاختلاف ، فقال : «قد كثر اشتباه بين الحال والمقام ، لمكان تشابهما في نفسهما وتداخلهما ، فتراءى للبعض الشيء حالاً ، وتراءى للبعض مقاماً ، وكلا الرؤيتين صحيح ، لوجود تداخلهما ، ... على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق ، فالحال سمي حالاً لتحوله ، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً »[4] .

وقد نالت الأحوال و المقامات عند الصوفية ، عناية السلف في المناقشة والرد على ما يخرج منها عن إطار الشريعة ، لما لهذه الأحوال والمقامات من مساس بصحة العقيدة .

وقد استدل ابن مفلح على أهمية الأحوال والمقامات ، بقول شيخ الإسلام : « عمل القلب كالصبر والتوكل والخوف والرجاء ، وما يتبع ذلك واجب باتفاق الأئمة الأربعة»[5]

---

١ – انظر : اللمع ، ص٦٥ ، وقوت القلوب، ١٧٨/١ ، والإحياء ، ٣/٤، و ٤/ ٣٠٩ ،وعوارف المعارف ، ص ٤٢٣

٢ – اللمع ، ص ٨٩-٩١

٣ – عوارف المعارف ، ص ٤٤٨-٤٤٩

٤ – عوارف المعارف ، ص ٤٢٣

٥ – الفروع ، ٢٢٣/٢

إلا أن الشاطبي قد أعاب ما أحدثه الصوفية ، من الاستدلال بالمقامات ، فقال : « وأضعف هؤلاء –أهل البدع – احتجاجاً ، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها »[1] .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه المحبـة عند الصوفية .

المطلب الأول : المحبة عند الصوفية .

كثر كلام الصوفية عن المحبة ، واختلفوا في تصنيفها ، هل هي حال أم مقام ؟ .

١ – الاعتصام ، ٢١١/١، وانظر : البداية والنهاية ، ٣٤٣/١٣

فعدها الطوسي والسهر وردي من الأحوال[1] بينما عدها المكي من المقامات[2] ٠

والمحبة عند الصوفية ، لها أحوال ثلاثة :

فالحال الأول من المحبة : محبة العامة ، ويتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم ، وشرطها : صفاء الود مع دوام الذكر ٠

والحال الثاني من المحبة : محبة الصادقين والمتحققين : وهي تتولد من نظر القلب ، إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحققين ، وشرطها هتك الأستار ، وكشف الأسرار ، قال عنها إبراهيم الخواص : محو الإرادات ، واحتراق الصفات والحاجات ٠

وأما الحال الثالث من المحبة : محبة الصدّيقين والعارفين ، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا عله ، فكذلك أحبوه بلا علة[3] ٠

وسئل الجنيد عن المحبة ، فقال : « دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب »[4]

١ – اللمع ، ص ٨٦ ، و عوارف المعارف ، ص ٤٥٤

٢ – قوت القلوب ، ١٧٨/١

٣ – اللمع ، ص ٨٦–٨٧ " بتصرف يسير"

٤ – القشيرية ، ص ٣٢١ ، وعوارف المعارف ، ص ٤٥٧ ، وهذا القول فيه إشارة للفناء ٠ (انظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية تأليف أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس ، ط١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، ١٤١٩هـ ، ص ٣٠٦) ٠

وقال أبو عبد الله القرشي : « حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء »[1]

وقال الداراني[2]: « إن من خلق الله خلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا »[3]

وقالت رابعة العدوية[4] : « ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً لجنته، فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه ، وقالت في ذلك شعراً :

أحبك حبين حب الهوى — وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى — فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له — فكشفك لي الحجب حتىأراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي — ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[5]

وقال البسطامي:« ٠٠٠أهل المحبة محجوبون بمحبتهم»[6]

وزعموا أن :«المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس الجلال والشرب : مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال الأفعال »[7] ٠

---

١ –القشيرية ، ص ٣٢١ ، وهذا القول مثل سابقة ٠
٢ – أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية ، ويقال : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، وهو من أهل داريّا ، قرية من قرى دمشق ، مات سنة خمس عشرة ومائتين هـ ٠ (طبقات الصوفية ، ص ٧٥)
٣ – الإحياء ، ٤/ ٣١٣
٤ – القيسية ثم المصرية ، رأس العابدات ، كانت في عصر الحسن البصري ٠ (صفوة الصفوة ، ص ٢٣/٤ والكواكب الدرية، ٢٠٠/١) ٠
٥ – الإحياء ، ٣٢٨/٤
٦ – كشف المحجوب ، ص ٣١٨
٧ – إيقاظ الهمم ، ص ١٥٥

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه المحبة عند الصوفية ٠

محبة الله واجبة على كل مسلم ، وهي جزء من أصول العبادة ، كما ذكر ذلك ابن رجب ، عندما قال : « وقد عُلم أن العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والمحبة ، وكل منها فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين ٠

فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشدد في الخوف، والإعراض عن المحبة والرجاء ،٠٠٠وبدع كثير من أهل الإباحية والحلول

ممن ينسب إلى التعبد ، نشأت من إفراد المحبة ، والإعراض عن الخوف والرجاء »[١]

إلى أن قال : « وقد كثر في المتأخرين المنتسبين إلى السلوك ، تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها ، بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة ، إذ هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، وخال من ذكر كلام من سلف من سلف الأمة ، وأعيان الأئمة ، وإنما هو مجرد دعاوى قد تشرف بأصحابها على مهاوي ، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور ، وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر »[٢]

وقال ابن مفلح : « قال أحمد بن القاسم سمعت أبا عبد الله – أحمد بن حنبل – ورجل يسأله من أهل الشام – رجل غريب – فذكر أن ابن أبي الحواري وقوماً يتكلمون بكلام قد وضعوه في كتاب ، ويتذاكرونه بينهم ٠
فقال : ما هو ؟
قال : يقولون : المحبة لله أفضل من الطاعات ، وموضع الحب درجة كذا ، فلم يدعه أبو عبد الله يستتم كلامه ، وقال : هذا ليس من كلام العلماء ، لا تلتفت إلى من قال هذا ، وأنكر ذلك وكرهه»[٣]

وقال ابن رجب : « محبة الله تعالى على درجتين :
إحداهما واجبة : وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات ، وكراهة ما يكرهه من المحرمات ، ٠٠٠ومتى أخل العبد ببعض الواجبات ، وارتكب بعض المحرمات ، فمحبته لربه غير تامة»[٤]

١ – استنشاق نسيم الإنس ، ص ١٨–٢١، وانظر : التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، مراجعة وتعليق محمد حسن الحمصي ، ط٢ ، (دمشق ، بيروت : دار الرشيد ، ١٤٠٤ هـ)، ص ٣٠ ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع ، تصنيف الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان ، ط١ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ ، ص ٩١
٢ – استنشاق نسيم الإنس ، ص ٢١–٢٢
٣ – الآداب الشرعية ، ٨٢/٢
٤ – اختيار الأولى ، ص ٩٦–٩٧ ، وانظر : استنشاق نسيم الإنس ، ص٣١

الدرجة الثانية :

« درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة من محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات ،وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، إلى الرضاء بما قدره ويقضيه ، مما يألم النفوس من المصيبات ، وهذا فضل مستحب مندوب إليه »[١] ٠

وقد بيّن ابن القيم الأسباب الجالبة لمحبة الله – تعالى – والموجبة لها ، فقال : « قراءة القرآن بالتدبر والفهم لمعانيه ، وما أريد به ٠ والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ٠ ودوام ذكره على كل حال ٠ إيثار محابه على محابك عند غلبان الهوي ٠ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ٠ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ٠ انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى ٠ الخلوة وقت النزول الإلهي ٠ مجالسة المحبين والصادقين ٠ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله –عز وجل – »٠ [٢]

هذه الأسباب الجالبة لمحبة الله – جل شأنه – والتي من خلالها ينال المرء ثواب الدنيا ، والفوز يوم العرض الأكبر ، لا محبة الصوفية، التي لا تستند إلى دليل ، وتؤدي إلى بعض الانحرافات العقدية والشرعية ٠

---

١ – استنشاق نسيم الإنس ، ص ٣٥

٢ – مدارج السالكين ، ٣/ ١٧–١٨

المبحث الثاني: جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الخوف والرجاء، عند الصوفية .

المطلب الأول : الخوف والرجاء، عند الصوفية

اعتبر بعض الصوفية الخوف والرجاء من المقامات[١] ، بينما عدهما آخرون من الأحوال [٢]

ويذهب بعض الصوفية إلى الاستخفاف بالخوف والرجاء ، إلى درجة تجعله لا يبالي بما أعده الله – تعالى ذكر – من العذاب الأليم أو النعيم المقيم ، ولا بغضب جبار السموات والأراضين ، ولا سعة رحمة رب العلمين .

قالت رابعة العدوية : « ما عبدته خوفاً من ناره ، وحباً لجنته»[٣]

١ – قوت القلوب ، ١/١٧٨ ، وعوارف المعارف ، ص ٤٤٨-٤٤٩

٢ – اللمع ، ص ٨٩-٩١

٣ – الإحياء ، ٤/٣٢٨

وقال الواسطي : « إذا ظهر الحق على السرائر ، لا يبقى فيها فضله ، لرجاء ولا لخوف »[١]

وجاء عن رابعة : « ذات يوم ، رأى جماعة من الأصحاب رابعة في إحدى يديها نار ، وفي الأخرى ماء ، وهي تعدو مسرعة ، فسألوها : أيتها السيدة إلى أين أنت ذاهبة ؟ وما تبتغين؟
فقالت: أنا ذاهبة إلى السماء ، كي ألقي بالنار في الجنة ، وأصب الماء على الجحيم ، فلا تبقى هذه ولا تلك ، ويظهر المقصود ، فينظر العباد إلى الله دون رجاء ومن غير خوف ، ويعبدونه على هذا النحو : فلا طمع في جزاء أو خوف من عقاب ، ذلك أنه لو لم يكن ثمة رجاء الجنة وخوف الجحيم ، أفكانوا يعبدون الحق ويطيعونه »[٢] .

وقال أبو يزيد البسطامي : « الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة...»[٣]

١ –الرسالة القشيرية ، ص ١٢٨
٢ – الصوفية في نظر الإسلام ، ص ٢٦٩–٢٧٠، نقلاً عن مناقب العارفين للأفلاكي (بالفارسية)
٣ – كشف المحجوب ، ص٣١٨

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه الخوف والرجاء ، عند الصوفية ٠

الخوف والرجاء ، منزلتان عظيمتان ، في الطريق الموصل إلى رضا الله –جلا شأنه – والسلامة من عذابه وسخطه ، وهما ككفتي الميزان ، لا ينبغي أن تغلب إحداهما الأخرى بشكل دائم ٠

ولهذا المعنى أشار ابن رجب حين بيّن أن : « العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والمحبة ، وكل منها فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم ٠٠٠ »[١]

وبيّن ابن أبي العز : « أنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه ، راجياً رحمته ، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة »[٢]

وذكر الشاطبي أن الخوف والرجاء ، يسهلان الصعب على المؤمن ، بقوله : « فإن الخوف والرجاء يسهلان الصعب ، فإن الخائف من الأسد يسهل عليه تعب الفرار ، والراجي لنيل مرغوبه يقصر عليه الطويل من المسافات »[٣]

١ – استنشاق نسيم الإنس ، ص ١٨–٢١
٢ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٩١
٣ – الموافقات ، ٢/٤٠٦

وشدد ابن رجب على أن من تزل قدمه في منزلتي الخوف والرجاء ، سيكون شبيهاً بالفرق الضالة ، فقال : « فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشدد في الخوف والإعراض عن المحبة ، وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده ، والإعراض عن الخوف، وبدع كثير من أهل الإباحية والحلول ممن ينتسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة ، والإعراض عن الخوف الرجاء »(١)

ولهذا قال ابن أبي العز : « يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً ، فإن الخوف المحمود والصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، والرجاء المحمود : رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه ، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته ، قال ـ تعالى ـ :﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم﴾ ، [البقرة : ٢١٨] .

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا ، ويرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا الغرور والتمني الكاذب »(٢)

ويجب الجمع بين الرجاء والخوف ؛ لأن كلاً منهما مستلزم للآخر ، « فالرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ، والخوف يستلزم الرجاء ، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً ، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه ، فالخائف هارب من ربه إلى ربه»(٣)

---

١ – استنشاق نسيم الإنس ، ٢٠–٢١ ، وانظر: التخويف من النار ، ص ٣٠

٢ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٥٦

٣ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٥٧ ، وانظر: الموافقات ، ٤/٤٠٠

وقال ابن رجب عن الخوف والرجاء : « فأما الخوف والرجاء ، فأكثر السلف على أنهما يستويان ، لا يرجح أحدهما على الآخر »[1]

وفند ابن رجب زعم بعض الصوفية ، عدم خوفهم من النار ، أو رجاء الجنة ، بقوله : « ٠٠٠وبقي ههنا أمر آخر ، وهو أن يقال : ما أعده الله في جهنم من أنواع العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة ، لا يخافها العارفون ، كما أن ما أعده الله في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه ، وهذا أيضاً غلط، والنصوص الدالة على خلافه ، كثيرة جداً وظاهرة ، وهو أيضاً مناقض لما جبل عليه الخلق من محبة ما يلائمهم ، وكراهة ما ينافرهم ، وإنما صدر مثل هذا الكلام ، ممن يصدر منه في حال ، سكره واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله»[2]

وذكر ابن أبي العز ،خطأ من ظن أن الرجاء أضعف منازل السائرين إلى الحق – تبارك اسمه – ، فقال : « قال صاحب " منازل السائرين " – رحمه الله – الرجاء أضعف منازل المريد[3] ، وفي كلامه نظر ؛ بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد»[4] ٠

وقال ابن القيم معلقاً على قول الهروي : إن الرجاء أضعف منازل السائرين : « شيخ الإسلام حبيب إلينا ، والحق أحب إلينا منه ، وكل من عدا المعصوم –ﷺ– ، فمأخوذ من قوله ومتروك ، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ، ثم نبين ما فيه : أما قوله : " الرجاء أضعف منازل المريدين " ، فيعني بالنسبة إلى ما فوقه من المنازل ؛ كمنزلة المعرفة والمحبة

١ – التخويف من النار ، ص ٣١
٢ – التخويف من النار ، ص ٣٢
٣ – انظر : مدارج السالكين ، ٣٨/٢
٤ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٥٨

والإخلاص ، والصدق والتوكل ؛ لأن مراده ضعف حال هذه المنزلة في نفسها ، وإنها منزلة ناقصة »[١] .

وبيّن ابن رجب القدر الواجب من الخوف ، لأن بعض الناس قد أفرط في ذلك[٢] ، فقال : « القدر الواجب من الخوف ، ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات ، والانكفاء عن دقائق المكروهات ، والتبسط في فضول المباحات ، كان ذلك فضلاً محموداً ، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أوهماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله – عز وجل – ، لم يكن محموداً ، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي ، من شدة خوفه الذي أنساه القرآن[٣] ، وصار صاحب فراش ، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها ، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه ...»[٤] .

١ – مدارج السالكين ، ٢/ ٣٨-٣٩

٢ – ذكر الذهبي في السير أن : « عطاء السلمي نسي القرآن من الخوف ، ويقول : التمسوا لي أحاديث الرخص ليخف ما بي » [٦/٨٦]

٣ – انظر السير ، ٦/٨٦

٤ – التخويف من النار ، ص ٣٤

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه ، الفقر[١] عند الصوفية .

المطلب الأول : الفقر عند الصوفية .

يقرر بعض الصوفية ، أن الفقر مقام ، ويرون أن الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين ، ومبلّغ إلى الغايات ، وكرامة لأهل الولاية ، وأنه شعار الصالحين ودأب المتقين [٢]

قال بشر بن الحارث : « أفضل المقامات ، اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر »[٣]

وقال مظفر القرمسيني : « الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله تعالى حاجة »[٤]

وذكر الغزالي أن المرتبة العليا في الفقر : « أن يكون بحيث لو أتاه المال، لكرهه وتأذى منه وهرب من أخذه مبغضاً له »[٥]

وعرفوا الفقير أنه : « ...الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب »[٦]

وقرر الغزالي فضيلة الفقر مطلقاً ، وفضيلة الفقير على الغني [٧]

---

١ – الفقر لغة : ضد الغنى . واصطلاحاً – عند الصوفية – : عبارة عن فقد ما يحتاج إليه ، وأما فقد ما لا يحتاج إليه فلا يسمى فقراً . (لسان العرب ، ٥/ ٦٠ باب (الراء) و التعريفات ، ص ١٧٥)

٢ – انظر : اللمع ، ص ٧٤ ، وعوارف المعارف ، ٤٤٦

٣ – القشيرية ، ٢٧٤

٤ – القشيرية ، ص ٢٧٧ ، سبحان الله !!، ومَنْ مِنْ الخلق لا يكون له إلى الله حاجة ، ومن يستغني عن الخالق طرفة عين أو أقل من ذلك أو أكثر ؟

٥ –الإحياء ، ٤/ ٢٠٢

٦ – الرسالة القشيرية ، ص ٢٧٧

٧ – الإحياء ، ٤/ ٢٠٢

وقال : « اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا ٠٠٠والأكثرون إلى تفضيل الفقر »[١] ، وبيّن أن مراده من الفقر هو : « الفقر من المال على الخصوص »[٢]

وقال أبو بكر بن طاهر[٣] : « من حكم الفقير ، أن لا يكون له رغبة»[٤] ٠

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، تجاه الفقر، عند الصوفية ٠

١ – الإحياء ، ٤/٢٠٥

٢ – الإحياء ، ٤/ ٢٠٢

٣ – أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري ، من كبار مشايخ الجبل ، من أقران الشبلي٠ (طبقات الشعراني ، ١/١١٢)

٤ – عوارف المعارف ، ص ٤٤٦

الفقر أحد مقامات الصوفية ، درجوا على تفضيله مطلقاً ، دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى ، ونصوا على أن الفضيلة متعلقة بالفقر لا بغيره ، إلا أن علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، لهم موقف ورأي مخالف لذلك ، تجلت فيهما أصالتهم المنهجية والعلمية ٠

وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن يتميه تفصيلاً شافياً ، إذ ذكر روايتين لذلك أحدهما : إن الفقير الصابر أفضل ٠
والأخرى : إن الغني الشاكر أفضل ٠
وبيّن رأيه في المسألة بقوله : « وفي المسألة قول ثالث : وهو الصواب أنه ليس هذا أفضل مطلقاً ، ولا هذا أفضل من هذا مطلقاً ؛ بل أفضلهما أتقاهما ٠

كما قال تعالى:﴿ ٠٠٠ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ٠٠٠ ﴾[الحجرات : ١٣الآية](١)

فبيّن رحمه الله : أن الأفضلية ليست متعلقة بالفقر ، ولا بالغنى ، وإنما متعلقة بمن هما حاله ٠

ثم قال : « والنصوص الواردة في الكتاب والسنة حاكمة بالقسط ، فإن الله في القرآن لم يفضل أحداً ، بفقر ولا غنى ، كما لم يفضل أحداً بصحة ولا مرض ٠٠٠ بل قال : ﴿ ٠٠٠ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ٠٠٠ ﴾ ، وفضلهم بالأعمال الصالحة »(٢)

وقال ابن مفلح في الفقر :« لا يلزم الرضا بمرض ، وفقر وعاهة»(٣) ؛ لأن ذلك مما لم نتعبد به إلى الله ٠

---

١ - الفتاوى ، ١١/١٢٢-١٢٣
٢ - الفتاوى ، ١١/١٢٥
٣ - الفروع ، ٢/٢٢٣

وقد بيّن المسألة وفصل النزاع فيها ، ابن أبي العز ، وكان رأيه فيها مقارباً لرأي شيخ الإسلام ابن تيميه ، فقال : « أكرم المؤمنين هو الأطوع لله ، والأتبع للقرآن ، وهو الأتقى ، والأتقى هو الأكرم ، قال تعالى : ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ ، وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر ، وترجيح أحدهما على الآخر ، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى ، وإنما يرجع إلى الأعمال و الأحوال والحقائق ، فالمسالة فاسدة في نفسها ، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان ، لا بفقر ولا غنى .

والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ ، [الفجر: ١٥] .

فإن استوى الفقير الصابر والغني الشاكر في التقوى ، استويا في الدرجة ، وإن فضل أحدهما فيها ، فهو الأفضل عند الله ، فإن الفقر والغنى لا يوزنان ، وإنما يوزن الصبر والشكر »[١]

وقال شيخ الإسلام : « وقد تنازع الناس أيهما أفضل : الفقير الصابر ، أو الغني الشاكر ؟ والصحيح : أن أفضلهما أتقاهما ، فإن استويا في التقوى ،استويا في الدرجة »[٢] .

ومع ادعاء بعض الصوفية بأفضلية الفقر على الغنى ، فإن بعضهم يملك أموالاً طائلة ، ولا يطبقون ما يقولون ، فقد ذكر الذهبي أنه: « كان في خدمة أبي حفص – الصوفي – شاب يلزم السكوت ، فسأله الجنيد عنه . فقال : هذا أنفق علينا مئة ألف ، واستدان مئة ألف ، ما سألني مسألة إجلالاً لي»[٣]

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ، ٥١٠–٥١١
٢ – الفتاوى ، ٢١/١١
٣ – السير ، ٥١٢/١٢

فهل بعد ذلك دعوى لتفضيل الفقر –عند الصوفية – على الغنى، إلا من هذا الوجه ، والضحك على من يحسنون بهم الظن ، من محبي الخير ٠

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه،التوكل عند الصوفية ٠

المطلب الأول : التوكل عند الصوفية ٠

يعد الصوفية التوكل أحد مقاماتهم ، ولهذا نال عنايتهم في بيان ما يسوغ منه وما لا يسوغ – من وجه نظرهم – ٠

قال سري السقطي : « التوكل الانخلاع من الحول والقوة »[1]

وذكر الغزالي ثلاث درجات للتوكل ، فقال في الدرجة الثالثة : « وهي أعلاها ؛ أن يكون بين يدي الله تعالى ، في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل ، لا يفارقه إلا أنه يرى نفسه ميتاً ، تحركه القدرة الأزلية ، كما تحرك يد الغاسل الميت»،إلى أن قال : « وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه !»[2]

وقال سهل بن عبد الله عن التوكل : « التوكل وجه كله ليس له قفا، ولا يصح إلا لأهل المقابر !!» [3]

وسئل ذو النون المصري[4] عن التوكل ، فقال : « خلع الأرباب وقطع الأسباب »

وعلق الغزالي على هذا بقوله : « فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد ، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال »[5]

وقال أبو طالب المكي[6] : « قيل لبعض علمائنا ما التوكل ، فقال: التبري من الحول والقوة »[7]

---

١ –التعرف ، ص ١١٨

٢ – الإحياء ، ٤/ ٢٧٨

٣ – اللمع ، ص ٧٩

٤ – ذو النون إبراهيم المصري أبو الفيض ، ويقال: ثوبان بن إبراهيم ، وذو النون لقب ، ويقال: أبو الفيض بن إبراهيم ، توفي سنة ٢٤٥هـ . (طبقات الصوفية ، ص ١٥-١٦) .

٥ – الإحياء ، ٤/٢٨١

٦ – عمرو بن عثمان بن كرب ، وكنيته: أبو عبد الله ، كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة ، وهو عالم بعلوم الأصول ، مات ببغداد سنة ٢٩١هـ (طبقات الصوفية ، ص ٢٠٠-٢٠١)

٧ – قوت القلوب ، ٦/٢

ويعلل بعض الصوفية لجوءهم إلى ترك الأسباب – وظنهم أن ذلك من التوكل – إلى ما قد كتب في اللوح المحفوظ ، من أرزاق العباد، وأنه لا ينقص من ذلك شيء سواءً عملوا أم لم يعملوا [١]

وقال أحدهم[٢] : « إني لأستحي من الله تعالى ، أن أدخل البادية وأنا شبعان ، وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيي على الشبع زاداً أتزود بـه»[٣]

وقال أبو علي الروذباري[٤] : « إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع ، فألزموه السوق ، ومروه بالعمل والكسب »[٥]

وقال السهروردي : « اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسباب ، فمنهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ، ولا يتسبب بكسب ولا سؤال»[٦]

« وحكي عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول : إذا عرّج المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام ، فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به»[٧]

١ – انظر : قوت القلوب ٧/٢
٢ – القائل : أبو حمزة الصوفي. (القشيرية ص ١٦٧)
٣ – الرسالة القشيرية ، ص١٦٧
٤ – أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور ابن شهريار بن مهرذاذاز بن فرغدد بن كسرى ، من أهل بغداد ، سكن مصر وصار شيخها ، مات به ، صحب أبا القاسم الجنيد والنوري ، توفي سنة ٣٢٢هـ .(طبقات الصوفية ، ص ٣٥٤–٣٥٥)
٥ – القشيرية ، ص ١٦٩
٦ – عوارف المعارف ، ١٣٦
٧ – اللمع ، ص ٢٦٠

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه التوكل عند الصوفية ٠

وقع بعض الصوفية في منزلق خطير في مفهوم التوكل ، وظنوا أن التوكل مناف للأسباب التي هيئها الله لعباده ، ولذلك رأوا أن اتخاذ الأسباب قدح في عقيدة التوكل ، ومن هذا الفهم الخاطئ ، تصدى لهم علماء السلف ، في القرن الثامن ، فبينوا بطلان ما زعمه الصوفية في هذا الجانب ٠

قال ابن القيم : « فترك الأسباب المأمور بها : قادح في التوكل»(١)، وأضاف القول : « فإن من نفاها فتوكله مدخول٠ وهذا عكس ما يظهر في بداوات الرأي : أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل ، وأن نفيها تمام التوكل ، فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة ؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب ، في حصول المتوكل فيه» (٢)

١ – مدارج السالكين ، ٢/ ١٢٢
٢ – مدارج السالكين ، ٢/ ١٢٢

وقال ابن رجب : « اعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها ،وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به»[١]

ونبه ابن أبي العز على أن ترك الأسباب قد يؤدي إلى قدح في الشرع ، فقال : « ومما ينبغي أن يُعلم ما قاله طائفة من العلماء وهو : أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»[٢]

وبيّن الشاطبي أن تعاطي الأسباب من صفات السلف الصالح ، فقال:«وقد وجدنا من السلف الصالح – رحمهم الله – كثيراً يدخرون الأموال لمصالح أنفسهم ، ويأخذون في التجارة وغيرها بمقدار ما يحتاجون إليه ، في أنفسهم خاصة ، ثم يرجعون إلى عبادة ربهم ، حتى إذا نفذ ما اكتسبوا عادوا إلى الاكتساب »[٣]

وقال: « ومثل هذا محكي التزامه عن كثير من الفضلاء ، بل ومحكي عن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم –فإنهم كانوا في الاكتساب ماهرين ودائبين ومتابعين لأنواع الاكتساب »[٤]

وقال ابن رجب : « العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات ، والاجتهاد في الأعمال الصالحات ، وكل ميسر لما خلق له »[٥]

١ – جامع العلوم والحكم ، ص ٥٦٧
٢ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٦٧٩
٣ – الموافقات ، ٣٢٠/٢
٤ – الموافقات ، ٣١٥/٢
٥ – لطائف المعارف ، ص ٢١٦

وقال الشاطبي : « كان – عليه الصلاة والسلام – يستعد الأسباب لمعاشه وسائر أعماله ، ومن جهاد وغيره ، ويعمل بمثل ذلك الصحابة–رضي الله عنهم– »[1] ، وأكد أنها : « عمدة ما حافظت عليه الشريعة »[2]

وذكر ابن رجب : أنه لا يشرع «ترك الأسباب الظاهرة »[3]

وقال ابن أبي العز : « ظن بعض الناس ، أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب ، وأن الأمور إذا كانت مقدوره فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد فإن الاكتساب : منه فرض عين ، ومنه مستحب ، ومنه مباح، ومنه حرام ، ٠٠٠وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب ، ويمشي في الأسواق للاكتساب حتى قال الكافرون : ﴿ ٠٠٠ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق٠٠٠ ﴾ ، [الفرقان : ٧] ٠

و نجد كثيراً ممن يرى أن الاكتساب ينافي التوكل ، يرزقون على يد من يعطيهم ، إما صدقة وإما هدية ، وقد يكون ذلك من مكاس[4] أو والي شرطة أو نحو ذلك »[5] ٠

تقول الصوفية :« المقامات مكاسب ٠٠٠تحصل ببذل المجهود»[6]

وبهذا فهم يرون أن المقام لا يأتي إلا ببذل المجهود ، والمجهود لا يكون إلا ببذل الطاقة والسعي ، والطاقة والسعي من الأسباب ، والتوكل عندهم ينافي الأسباب ، وهو مقام لا يحصل إلا بها باعترافهم ، ولهذا فقد وقعوا في تناقض واضح في هذه المسألة ، وأصبحوا أمام خيارين لاثالث لهما، – إذا لم ينهجوا منهج السلف في هذه المسألة – :

---

١ – الموافقات ، ٥٦١/٣

٢ – الموافقات ، ٥٦٠/٣–٥٦١

٣ – لطائف المعارف ، ص ٧٧

٤ – مكس : الميم وكاف والسين ، كلمة تدل على جبي مال وانتقاص من الشيء ، ومكس : إذا جبى ، والمكس الجباية ٠ [معجم المقاييس في اللغة ، ص ٩٩٣ باب (الميم)]

٥ – شرح العقيدة الطحاوية ، ٣٥٢ ، وانظر : الفتاوى ٦٨/٨–٧٣ و ٥٢٦/٨–٥٣٩ ومدارج السالكين ٣/ ٤٩٥–٥٠١

٦ – التعريفات ، ص ٨٥

فإما أن ينفوا الأسباب – التي يترقون من خلالها ، من الأحوال إلى المقامات – كلياً ، وبالتالي فلا يحصلون على أي مقام من المقامات ، ومنها مقام التوكل ، فبهذا لا يكون من الصوفية متوكل ٠

وإما أن يثبتوا الأسباب ، – التي يرون أنها تنافي التوكل – ، وبالتالي فلا يكون هناك صوفي متوكل ٠

المبحث الخامس :جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه ، الزهد عند الصوفية .

المطلب الأول : الزهد عند الصوفية .

يعد الصوفية الزهد أساس الأحوال الرضية ، والمراتب السنية ، بل وأول قدم القاصدين إلى الله – عز وجل – [١]

قال القشيري : « سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الزهد أن تترك الدنيا كما هي ، لا تقول أبني رباطاً ، أو أبني مسجداً »[٢]

وقال ابن خفيف : « علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الأملاك .

وقال : الزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك»[٣]

وقال السري السقطي[٤]: « الزهد ترك حظوظ النفس ، من جميع ما في الدنيا »[٥] .

---

١ – انظر: اللمع ، ص ٧٢

٢ – القشيرية ، ص ١١٦

٣ –القشيرية ، ص ١١٦

٤ – سري بن المغلس السقطي ، وكنيته : أبو الحسن ، يقال إنه خال الجنيد ، وأستاذه ، صحب معروفاً الكرخي ، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، توفي سنة ٢٥١ هـ (طبقات الصوفية ص ٤٨).

٥ – عوارف المعارف ، ص ٤٤٢

وقال أبو سليمان –الداراني– : « من تزوج أو كتب الحديث ، أو طلب معاشاً ، فقد ركن إلى الدنيا »[١]

وقال الرندي : « وقال لي – الله – إن كنت ذا مال فما أنا منك ، ولا أنت مني »[٢]

« ويرد عن الشبلي أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة ، فقالوا له : ما تفعل ؟

قال : الحجر أولى بالماء ٠ قالوا : لم لا تعطيها للخلق ؟

قال : سبحان الله ! بم أحتج إلى ربي في أني رفعت الحجاب عن قلبي وجعلته على قلوب إخوتي المسلمين »[٣]

وقال الطوسي : « سمعت الوجيهي يقول : حمل إلى بنان الحمال ألف دينار ، وصبوها بين يديه ، فقال للذي صبه : ارجع وخذه ، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى لبُلْتُ عليها»[٤]

وقال كذلك : « حمل إلى الحسن النوري –رحمه الله – ثلثمائة دينار ، قد باعوا عقاراً له ، فجلس على قنطره ، وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ، ويقول: سيدي تريد أن تخدعني عنك بهذا »[٥]

وقال ذو النون : « إذا طلب العارف المعاش ، فهو لا شيء »[٦]٠

---

١ – قوت القلوب ، ٢/٢٥٢
٢ – المواقف ، ص ٥٤
٣ – كشف المحجوب ، ص ٤٦٢
٤ – اللمع ، ص ٢٥٦
٥ – اللمع ، ص ٢٥٧
٦ – اللمع ، ص ٢٦١

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، اتجاه الزهد، عند الصوفية ٠

يعد – ادعاء – الزهد أحد العلامات البارزة في التصوف ، ولكن لم يستطع القوم التمييز بين ما هو مشروع من الزهد ، وما هو غير مشروع، فالزهد يتكون من فعل وترك ؛ فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، ولكن بعض الصوفية تركوا جانب الفعل في الزهد المشروع ، وأخذوا بجانب الترك فقط ، مما أوقعهم في مخالفات شرعية٠

وقد حدد شيخ الإسلام ابن تيميه ، مفهوم الزهد الصحيح بجانبية، جانب الفعل وجانب الترك ، فقال : « الزهد المشروع : ترك ما لاينفع في الدار الآخرة ، وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع »[١]

وقال ابن رجب : « تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا ، وتنوعت عباراتهم عنه »[٢]

وذكر من هذه الأقوال والعبارات ، قول أبو مسلم الخولاني ونصه : «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، و لا إضاعة المال ، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك ، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لو بقيت لك »

---

١ – الفتاوى ، ١١/ ٢٨

٢ – جامع العلوم والحكم ، ص ٣٨٨

واستشهد بقول يونس بن ميسره[١] : « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وأن تكون حالك مع المصيبة ، وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء»

قال ابن رجب تعليقاً على ما مر ذكره : « ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب ، لا من أعمال الجوارح »[٢]

وعلق الذهبي على قول الجنيد : « ما أخذنا التصوف عن القال والقيل ، بل عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات »[٣]

بقوله :« هذا حسن ومراده : قطع أكثر المألوفات ، وترك فضول الدنيا ، وجوع بلا إفراط ، أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان ورفض سائر الدنيا ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل ، فقد عرض نفسه لبلاء عريض ، وربما خولط في عقله ، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، والسعادة في متابعة السنن ، فزن الأمور بالعدل ، وصم وأفطر ، والزم الورع في القوت ، وارض ما قسم الله لك ، واصمت إلا من خير »[٤] ، تكن من الزاهدين.

واستدل ابن مفلح على الزهد المشروع ، وغير المشروع ، بحديث الرسول -ﷺ- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: « أن نفراً من أصحاب رسول الله -ﷺ- سألوا أزواج النبي -ﷺ- عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج

---

١ – يونس بن ميسرة بن حليس ، قد ينتسب لجده ، ثقة عابد معمر ، مات سنة ٣٢ هـ (تقريب التهذيب ، ص ١٠٩٩-١١٠٠) .
٢ – جامع العلوم والحكم ، ص ٣٨٩
٣ – السير ، ١٤/ ٦٩
٤ – السير ، ١٤/ ٦٩-٧٠

، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي -ﷺ- ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعد : فما بال أقوام قالوا كذا ؟! ولكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١)

وانتقد ابن مفلح ما يضنه بعض الناس زهداً ، وبيّن أن سلوكهم ذلك خاطئ ومجانب للصواب ، فقال : « روي عن صفوان بن سليم -تابعي - أنه عاهد الله أن لا يضع جنبه إلى الأرض ، ما بقي في الدنيا ، وعن داود الطائي : أنه كان يسف السويق لئلا يشتغل بمضغ الخبز وغيره عن الذكر ، وعن غيرهما أيضاً من العباد معنى هذه الأحوال »

فقال تعليقاً على هذه التصرفات : « لعل ذلك لا يصح من عابد عالم ، وعابد جاهل لا عبرة برأيه ، فإن صح ذلك ، فإنه محجوج برسول الله - ﷺ- »(٢)

واستشهد بقول الإمام مالك -رضي الله عنه- : « كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا صاحب هذا القبر ، يعني رسول الله -ﷺ- »(٣)

وقال الذهبي منتقداً الرهبة وترك المباحات والتشديد على النفس باسم الزهد : « الطريقة المثلى هي المحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول

---

١ - أخرج البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ، ٣/٣٥٤حديث رقم ٥٠٦٣ ، عن « أنس بن مالك رضي الله عنهم يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »

٢ - الآداب الشرعية ، ٣/ ١٨٩-١٩٠

٣ - الآداب الشرعية ، ٣/١٩٠

الشهوات المباحة من غير إسراف ، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ [المؤمنون : ٥١]

وقال النبي -ﷺ- : «لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآتي النساء ، وأكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » [1]، فلم يشرع لنا الرهبانية ، ولا التمزق والوصال ، ولا صوم الدهر ، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة ، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه،كما قال تعالى:﴿لينفق ذو سعة من سعته...﴾ [الطلاق: ٧] .

وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا -ﷺ- »[2] ، وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك ، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى .

ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ... وولج الشيطان في باطنه وخرج وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه ...وليس ذلك في شريعتنا في شيء»[3]

---

١ – سبق تخريجه، ص ٣١٠

٢ –أخرج الإمام أحمد في المسند ، ١٢٨/٢ ، حديث رقم ١١٨٤٥ ، والنسائي في سننه ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، ٦١/٧ ، حديث رقم ٣٩٣٩ ، من حديث أنس -ﷺ- قال رسول الله -ﷺ- : « حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، وصححه الحاكم في المستدرك ، ١٦٠/٢

٣ – السير ١٢/ ٨٩-٩٠، وانظر : البداية والنهاية ٦٠٧/١٠-٦٠٨ ، والآداب الشرعية ١٩٥/٣-١٩٦، وتفسير القرآن العظيم ، ٣٥٩/١ ، والذيل على طبقات الحنابلة ، ٣/ ٢٣٩

ويتكون من تمهيد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف السماع لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول : السماع عنـد الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، اتجاه السماع عند الصوفية ٠

التمهيد : تعريف السماع ، لغة واصطلاحاً ٠

أولاً – السَّمَاعُ لغـة :

«ما سمعت به فشاع ، وتكلم به ، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع . والسماع الغناء »[1].

ثانياً- السماع اصطلاحاً :

« استجمام من تعب الوقت ، وتنفس لأرباب الأحوال ، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال »[2] .

المبحث الأول : السماع عند الصوفية .

يعد السماع أحد الموضوعات التي أهتم بها الصوفية غاية الاهتمام، وأفرده الكثير منهم بمباحث خاصة في مؤلفاتهم [3]

---

١ – لسان العرب ، ١٦٥/٨، (باب العين) و المعجم الوسيط ، ٤٤٩/١ ، باب (السين)

٢ – التعرف ، ص ١٧٨ ، ومعجم المصطلحات الصوفية ، ص ١٠٠ ، وانظر الرسالة القشيرية ، ص٣٣٥

٣ – انظر : اللمع ، ص ٣٣٨ ، والتعرف ، ص ١٧٨ ، وكشف المحجوب ، ٦٣٨

وقد اختلف المستمعون في السماع ، من الصوفية على طبقات ، فطبقة منهم اختارت سماع القرآن ، ولم يرد غير ذلك ، وطبقة اختارت سماع القصائد والأشعار [١] .

وقد بيّن ابن عربي مفهوم السماع عند الصوفية بقوله : «٠٠٠فاعلم أن السماع عند أهل الله مطلق ومقيد ، فالمطلق الذي عليه أهل الله [٢] ، ٠٠٠والمقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات ، التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله ، وهو الذي يريدونه غالباً بالسماع ، لا السماع المطلق»[٣] .

ثم قال : « السماع المطلق لا يمكن تركه ، والذي يتركه الأكابر ، إنما هو السماع المقيد المتعارف ، وهو الغناء »[٤]

فالسماع الذي يريده ويعنيه الصوفية غالباً ، هو السماع المصحوب بالنغمات والأصوات العذبة ، التي يتحرك لها الطبع ، ولهذا قال الطوسي : « النغمات الطيبة موافقة للطبائع ، ٠٠٠وهذه الأبيات والقصائد ٠٠٠موافقة للطبع »[٥]
وبيّن ذلك بقوله : « فمن اختار استماع القصائد على استماع القرآن ، اختار لحرمة القرآن ، وتعظيم ما فيه من الخطر ، لأنه حق والنفوس تخنس عندها وتموت حركاتها »[٦]

---

١ – انظر: اللمع ، ص ٣٥٢، ٣٥٦

٢ – قال عن هذا السماع : « وكذلك نقول في هذا الطريق : كل سماع لا يكون عنه وجد وعن ذلك الوجد وجد فليس بسماع ، فهذه رتبة السماع التي يرجع إليها أهل الله » [الفتوحات ٣٦١/٢]

٣ – الفتوحات ، ٣٦١/٢

٤ – الفتوحات ، ٣٦٢/٢

٥ – اللمع ، ص ٣٥٦–٣٥٧

٦ – اللمع ، ص ٣٥٧

وذكر الجنيد ، أن السماع سبب ،من أسباب تنزل الرحمة ، على الصوفية [١]

وقال القشيري : « سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، وهو مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، كما أنه مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم»[٢]

وقد تكلف الغزالي بإيراد ما يراه أدلة وشواهد ، على حل وإباحة السماع الصوفي ، فمما قال: « حكي عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر –عليه السلام– ، فقلت له : ما تقول في هذا السماع الذي تختلف في أصحابنا ؟

فقال : هو الصفو الزلال ، الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء »

ومما أورده أيضاً : « حكي عن ممشاد الدينوري أنه قال : رأيت النبي– ﷺ – ، في النوم فقلت : يا رسول الله ، هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال : ما أنكر منه شيئاً ، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ، ويختتمون بعده بالقرآن »[٣]

ثم أصدر حكمة بحل السماع الصوفي بقوله : « ولا يدل على تحريم السماع نص ، ولا قياس »[٤]

---

١ – التعرف ، ص ١٧٩

٢ – الرسالة القشيرية ، ص ٣٤٠

٣ – الإحياء ، ٢/٢٩٤ ، قلت : وهذا فيه اعتراف على أن سماع الصوفية غير القرآن ، كما بيّن ذلك ابن عربي ، بأن مقصودهم بالسماع ليس سماع القرآن .

٤ – الإحياء ، ٢/٢٩٤

وقد اشتهر عن الصوفية حال السماع ، أشياء منها الصعق ، والرقص ، واستماع آلات اللهو والطرب ، والألحان ٠

فالصعق خاص بسماع القرآن ،وبعض الأشعار ،كما ذكر ذلك الطوسي ، بقوله :« ولو ذكرت ما يدخل تحت هذا الباب ممن سمع القرآن فصعق وبكى ، ومن مات ، ومن انفصل بعض أعضائه ، ومن غشي عليه ٠٠٠إلى وقتنا لطال به الكتاب »[١]

وقد أورد حكاية عن الشبلي ، أنه كان يصلي خلف إمام له ، « فقرأ الإمام هذه الآية: ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلاً ﴾ ، [الإسراء : ٨٦] ٠

فزعق زعقة ظنوا أن قد طارت روحه »[٢] ، وأورد الهجويري مثل هذه الحكاية عن الشبلي أيضاً [٣]٠

وقال الهجويري : « ذهبت يوماً عند الشيخ أبي العباس الشقاني ، وكان يقرأ : ﴿وضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ٠٠٠ ﴾ [النحل: ٧٥] ٠ وكان يبكي ويصرخ حتى ظننت أنه قد فارق الدنيا »[٤]

وأورد الطوسي ما حكاة الدقي[٥]قال : «سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : رأيت شيخين اسم أحدهما جبلة والآخر زريق ، ولكل منهما تلامذة ومريدون ، فزار يوماً من الأيام جبلة زريق مع أصحابه ، فقرأ رجل من

---

١ – اللمع ، ص ٣٥٣
٢ – اللمع ، ص ٣٥٥
٣ – كشف المحجوب ، ٦٤١
٤ – كشف المحجوب ،ص ٦٤٢
٥ – محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي ، توفي بعد سنة ٣٥٠ هـ ، أقام بالشام ، وعاش أكثر من مئة سنة ، صحب أحمد بن الجلاء والرقاق ٠(القشيرية ص ٤١٢) ٠

أصحاب زريق شيئاً من القرآن ، فصاح من أصحاب جبلة رجل صيحة فمات ، فلما كان غداة يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذي قرأ بالأمس؟ فدعاه وقال له : اقرأ ، فقرأ شيئاً ، فصاح جبلة صيحة فمات القارئ في مكانه ، فقال : واحد بواحد والبادئ أظلم »[١]

وأما الرقص واستماع الأشعار والأنغام وآلات الطرب ، فهو مشهور عن الصوفية ، ومدون في كتبهم ويعللون ذلك أنه ترويح عن النفس ، وأما سماع القرآن فهو صدمة عند بعض الصوفية .

فقد نقل القشيري عن إبراهيم الخواص : « قال إبراهيم الخواص وقد سئل : ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ، ولا يتحرك في سماع القرآن ؟

فقال : لأن سماع القرآن صدمة ، ولا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه »[٢]

وذكر السهروردي أن الرقص قد يقع من بعض الصادقين من الصوفية ، وبين ذلك بقوله : « وقد يرقص بعض الصادقين ، بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال »[٣]

١ - اللمع ، ص ٣٥٩
٢ - الرسالة القشيرية ، ص ٣٤٣
٣ - عووارف المعارف ، ص ١٦٦

وقال القشيري : « روي عن أبي سعيد أحمد الخراز ، قال : رأيت علي بن الموفق في السماع ، يقول :أقيموني فأقاموه ، فقام وتواجد ، ثم قال : أنا الشيخ الزفان » ، والزفان هنا بمعنى الرقاص[1] .

وذكر الطوسي : « أن ذا النون المصري ، دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ، ومعهم قوّال ، فاستأذنوه في أن يقول شيئاً ، فأذن له في ذلك ، فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت في قلبي هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكا

فطاب قلبه وقام وتواجد ،وسقط على وجهه ، والدم يقطر من جبهته»[2]

«وعن أبي الحسين النوري ، أنه حضر مجلساً في سماع ، فسمع هذا البيت:

مازلت أنزل من ودادك منزلاً تتحير الألباب عند نزوله

قال : فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع في أجمة قصب قد كسحت وبقي أصولها كالسيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة ، والدم يخرج من رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه ، وعاش بعد ذلك أياماً قلائل ومات »[3]

ونقل السهروردي ، قول المكي – أبو طالب – : « قال : كان لعطاء جاريتان تلحنان ، وكان إخوانه يجتمعون إليهما ، وقال: أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين ، أعدهن للصوفية»[4]

١ – عوارف المعارف ، ص ٣٦٣والرسالة القشيرية ، ص ٣٤٧
٢ – اللمع ، ص ٣٦٢و عوارف المعارف ، ص ١٦٥
٣ – اللمع ، ص ٣٦٣
٤ – عوارف المعارف ، ص ١٦٤

وقد يكون سماع المغنين يغنون ،سبباً للصعق والموت عند الصوفية ، كما ذكر ذلك الهجويري بقوله : « يقول واحد من كبار المشايخ : سمعت مع درويش في بغداد صوت مغن كان يغني :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

فصرخ ذلك الدرويش ، وفارق الحياة »(١)

وقال كذلك : « يقول قائل : كنت أسير مع إبراهيم الخواص في طريق، فظهر طرب في قلبي ، فغنيت هذا الشعر :

صح عند الناس أني عاشق   غير أن لم يعلموا عشقي لمن
ليس في الإنسان شيء حسن   إلا وأحسن منه صوت حسن

فقال لي : أعد هذا الشعر ، فأعدته ، فضرب الأرض عدة ضربات من الوجد ، فلما نظرت كانت أقدامه تغوص في الحجر كما لو كانت تغوص في شمع ، ثم وقع مغشياً عليه ، فلما أفاق ، قال لي : كنت في روضة الجنة ، وأنت لم ترَ »(٢)

و« كان شاب يصحب الجنيد ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق ، فقال الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مرة أخرى لا تصحبني ، فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه ، حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة وذات يوم صاح صيحة تلفت فيها نفسه »(٣) .

---

١ – كشف المحجوب ، ص ٦٥٨
٢ – كشف المحجوب ، ص ٦٥٨
٣ – الرسالة القشيرية ، ص ٣٤٥

وقال القشيري : « واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة، إذا لم يعتقد المستمع محظوراً ، ولم يسمع على مذموم بالشرع، ولم ينجر في زمام هواه ، ولم ينخرط في سلك لهوه ، فهو مباح في الجملة »[١] ٠ وأضاف : « ٠٠٠ وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان ، فممن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس ، وأهل الحجاز فكلهم يبيحون الغناء ٠٠٠وأما الشافعي – رحمه الله تعالى – فإنه لا يحرمه٠٠٠»[٢]

ومن الآثار التي يزعم الصوفية أنها تبيح السماع والغناء، ما يروونه عن الرسول –ﷺ– أنه سمع منشداً يقول:

لقد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

« فتواجد رسول الله –ﷺ– ، وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداءه عن منكبيه ٠٠٠ثم قسم رداءه رسول الله –ﷺ– ، على من حاضرهم ، بأربعمائة قطعة ٠٠٠»[٣]

تلك هي مواقف الصوفية ، من السماع بمختلف أنواعه ، فهم يؤكدون حل السماع الذي يفعلونه ، تأسياً بالسلف – كما يزعمون – ، وأنه قربة إلى الله تعالى ٠

---

١ – المرجع السابق ، ص ٣٣٦

٢ – المرجع السابق ، ص ٣٣٦–٣٣٧

٣ – عوارف المعارف ، ص ١٨٩ ، قلت : ويكفي بيان بطلان هذا الزعم ، بل وفساده ما أوردة راوي هذه الرواية ، وهو السهروردي ، إذ قال معقباً على هذه الرواية: « وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله –ﷺ– يُشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم ، إلا هذا ٠ وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ، أن لو صح والله أعلم ٠ ويخالج سري أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي –ﷺ– ، مع أصحابه ، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ، ويأبى القبق قبوله ، والله أعلم بذلك » عوارف المعارف ، ص ١٨٩

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري،تجاه السماع عند الصوفية ٠

رد علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، على السماع عند الصوفية ، وبيّنوا ما يترتب عليه من المخالفات الشرعية ، وفندوا ما أحدثوه من بدع منكره في هذا المضمار ، ومن خلال ذلك أصلوا حكم الإسلام في السماع وما يصحبه من آفات ومخالفات ٠

فقد فرّق شيخ الإسلام ابن تيميه بين السماع الذي يُنتفع به في الدين ، وبين ما فيه ضرر ومحذور شرعي ،من السماع البدعي ، فقال:«فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده ، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم ، وزكاة نفوسهم ؛ فهو

سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين ، وأهل العلم وأهل المعرفة »(١)

وأما ما يعتري بعض الصوفية ، من أحوال عند السماع ، من صعق وفقدان الوعي ، فذكر شيخ الإسلام ، أن ذلك لم يكن معروفاً عند السلف الصالح ، فقال عند ما بين أحوال عباد البصرة : « غالب مايحكى من المبالغة في هذا الباب ، إنما هو عن عباد البصرة ، مثل حكاية من مات أو غشي عليه من سماع القرآن ، ونحو ذلك ٠٠٠وكان منهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن ، ولم يكن في الصحابة من هذه حالة، فلما ظهر ذلك أنكر طائفة من الصحابة والتابعين »(٢)

وبيّن ابن أبي العز ، أن الصعق لم يكن من صفات السلف الصالح ، ولو عند سماع القرآن ، فقال : « ٠٠٠وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة ، مبتدعون ضالون ، وليس للإنسان إن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ، ولو عند سماع القرآن ؛ بل كانوا كما وصفهم الله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آيته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾[الأنفال : ٢ الآية] (٣) .

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، المأخذ التي ذكرها المنكرون للصعق عند سماع القرآن ، بقوله : « والمنكرون لهم مأخذان : منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً ، ويذكر عن محمد بن سيرين أنه قال : ما بيننا وبين هؤلاء

---

١ – حكم السماع ، ابن تيميه ، تحقيق حماد سلامة ، راجعه ، د: محمد عويضه ، ط١ ، (الأردن : الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٤٠٨هـ) ، ص٩

٢ – التصوف والصوفية ، ص ١٠

٣ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٧١

الذين يصعقون عند سماع القرآن ، إلا أن يُقرأ على أحدهم وهو على حائط ، فإن خر فهو صادق ٠

ومنهم من أنكر ذلك ؛ لأنه رآه بدعة مخالفاً لما عرف من هدي الصحابة، كما نُقل عن أسماء ، وابنها عبد الله » ، ثم ذكر شيخ الإسلام رأي جمهور العلماء في هذه المسألة ، فقال :« والذي عليه جمهور العلماء ، أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليه ، وإن كان حال الثابت أكمل منه »[١]

وأما سماع الصوفية للشعر والغناء بالألحان وآلات اللهو والطرب، وما يتبعه من رقص وصعق وموت ، فقد اشتد إنكار علماء السلف في القرن الثامن ، على الصوفية في هذا الجانب ، إنكاراً شديداً ، بل إن من علماء القرن الثامن ، من أفرد هذه المسألة بالرد في مؤلف خاص ، منهم شيخ الإسلام ابن تيميه ، وابن قاضي الجبل ، ومحمد بن محمد الحنبلي[٢]، وابن رجب[٣] ،والأدفوي[٤] ٠

---

١ – الفتاوى ، ١١/٧-٨

٢ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الصالحي ، عرف بالمنبجي الحنبلي ، الإمام العالم ، له مصنف في الطاعون وأحكامه ، توفي في رمضان ، سنة ٧٧٤ هـ ٠

جمع رسالة في السماع والرقص ، من أجوبة شيخ الإسلام ابن تيميه وردوده ، على الصوفية في مسألة السماع والرقص ، سماها : « رسالة في السماع والرقص » ، وهي رسالة مفيدة وهامة في بابها ، وهي نقل من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ، –خاصة الجزء ١١/ ٥٥٧، وما بعدها – جاء في مقدمتها : « سئل شيخ الإسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية – رضي الله عنه– عن صفة (سماع الصالحين) ما هو ؟ وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات ، أم هو محرم أو مباح ؟

(رسالة في السماع والرقص ، جمع الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي ، علق عليها وخرج أحاديثها : محمد صبحي حسن حلاق ، ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٣هـ ، ص ١٣ ، وما بعدها ، شذرات الذهب ، ٦/ ٢٣٦، ومعجم المؤلفين ، ١١/٢٩٥)

٣ – انظر: حكم السماع ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه ، وفتاوى في الغناء ، أحمد بن الحسن المعروف بابن قاضي الجبل ، قدم له فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ، تحقيق حمد بن عبد العزيز الضويان ، ط١ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع ، ابن رجب ٠

٤ – للإمام أبي الفضل الأدفوي كتاب «الإمتاع في أحكام السماع » يذكر فيه أقوال المجيزين وأدلتهم ، وأقوال المانعين وأدلتهم ، اختصره الإمام الذهبي برسالة سماها : « رسالة الرخصة في الغناء والطرب بشرطة » بين فيها : أن الغناء المجرد عن الآلات الموسيقية ، قد أباحه غير واحد من العلماء ، بشرط : أن لا يكون باعثاً على تهييج الشهوة ، وألا يكون الشعر في معين٠

وهذه الرسالة ضمن مجموع برقم (٧١٥٩) في المكتبة الظاهرية ، في ٥٤ ورقة ٠

وقد أورد ابن قاضي الجبل في مؤلفه ، صوره استفتاء كتب في سنة أربعين وسبعمائة ، جاء فيه : « ما تقول ٠٠٠العلماء أحسن الله توفيقهم ، في السماع الذي يشتمل على الدف والشبابة وآلات اللهو والطرب ، أو التصفيق بالكف ونحو ذلك من اللهو ، مثل التغبير ونحوه ، ويحضره الرجال والنساء ، وربما اختلطوا بعضهم ببعض ، فربما جلس النساء مقابل الرجال ، فينظرون إليهم وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف والغناء ، ويزعمون أن ذلك قربة يقربهم إلى الله ، ويزيد في أذواقهم ومواجيدهم الإيمانية ، وأن من رقص غفر له٠٠٠»[١]

ثم ذكر ابن قاضي الجبل جواب العلماء ، على الاستفتاء المذكور، بدأه بجواب القاضي برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[٢] ، ومنه : « الله الموفق ،هذا الجواب المسؤل عنه بهذه الصفة المذكورة بدعة وحرام ، تسقط به العدالة ، وترد به الشهادة ، وتذهب به المروءة ، ولا يعرف في حله قولاً لأحد ممن يعتد »[٣] ٠

ثم أعقب ذلك بعدد من الآيات والأحاديث والآثار التي تحرم الغناء الواردة صفته في الاستفتاء المذكور[٤]

منها قوله تعالى: ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ٠٠٠﴾ [الأنفال : ٣٥ الآية] ٠

واستدل بقول ابن مسعود: « الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء العشب »

---

١ – فتاوى في الغناء ، ص ١٩

٢ – هو : إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الحنفي ، برهان الدين بن كمال الدين ، المشهور بابن عبد الحق ، انتهت إليه رياسة المذهب ، كان من أكابر العلماء يحفظ الفروع وكثير من المتون ، ويجانب أهل البدع ، ومات بدمشق في ذي الحجة ٧٤٤ ، وله ست وسبعون سنة ٠ (الدرر الكامنة ، ١/ ٤٦-٤٧)

٣ – فتاوى في الغناء ، ص ٢٣

٤ – انظر: فتاوى في الغناء ، ص٢٣-٣٢

وقول الشعبي[١]: « لُعن المغني والمغنَّى له» ، وقول الضحاك : « الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب »

إلى أن قال : « وقد بلغت الوقاحة بقوم من المتصوفة ، إلى أن ادعوا فيما ذكر في صدر الاستفتاء ، من حضور السماع والرقص، أنه يثير ساكن المحبة ، ويحرك كامن الوجد ، ولعمري لو كان السماع خالياً من الصور الحسان ، وحسن صوت المغني ، لا فيه دف ولا مزمار لما أشرقت نفسه به ، ولا اتخذه قربة ، فعلم أن الذي حمله على ذلك ٠٠٠شهوات نفسانية ، وطلبات دنيوية ، وهذه طرائق أرباب البطالة ، ومن غلبت عليهم محبة ما دعاهم الشيطان إليه ، فنعوذ بالله من الخذلان، ولو بسط القول في تأصيل أفعالهم وأقوالهم وحقيقة أحوالهم ، لرأيت بدائع البدع ، ومنكرات الشنع ، فالله أسال العصمة والهداية ، وبلطفه الاستعانة و الكفاية ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[٢]

ثم ذكر ابن قاضي الجبل ، صفة جوابه[٣] على الاستفتاء المذكور ، ومنه : « اللهم وفق ٠ الهيئة المسؤل عنها من السماع ،بدعة محرمة باتفاق الجمهور من العلماء ، فاعل هذا والحال هذه أثم ساقط المروءة ، مردود الشهادة ، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذم ذلك والنهي عنه ، وكشف وجه فساده ، وكثر ذم السلف والأئمة الأربعة[٤] ، وغيرهم من

١ – عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، علاّمة العصر ، أبو عمرو الهمذاني ، ثم الشعبي ، مولده في إمرة عمر بن خطاب –ﷺ– لست سنين خلينا منها ٠(السير ٤/٢٩٤–٢٩٥) ٠

٢ – فتاوى في الغناء ، ص٢٩، ٣١، ٣٤

٣ – انظر : كشف الغطاء ، ص ٣٧

٤ – انظر : فتاوى في الغناء ، ص ٣١–٣٢ ، والسير ، ١٠/ ٩١ ، والآداب الشرعية ، ٢١٧/١

سئل الإمام مالك عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : « إنما يفعله عندنا الفساق » وقال : « إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب »٠

ومذهب أبي حنيفة من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسق والتلذذ به كفر ! هذا لفظهم »٠

وأما الشافعي ، فقال : « إن الغناء لهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب إليه حله»

وأما مذهب الإمام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : « سألت أبي عن الغناء ؟ فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، وقال عبد الله سمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة ، بقول أهل الكوفة في

العلماء ، لهذه الأفاعيل ، والنهي عن هذه الأباطيل ، ولو بسط ذلك لاحتمل مجلدات ، وقد تضمنت هذه الحالة المسؤل عنها وجوهاً نهى عنها شرعاً ، واجتماع الدف والشبابة والغناء منهي عنه باتفاق الجمهور ، وحضور النساء مع الرجال على تلك الحالة غير سائغ أيضاً ، ومن أعظم البدع والمنكرات دعواهم كون ذلك قربة يتقرب به إلى الله سبحانه ، فإن هذه الدعوى كذب من القول، وباطل من الكلام ، وافتراء على الشريعة المطهرة ، طهرها الله تعالى عن مثل أفعال هؤلاء الجهلة الضلال مرتكبي الباطل ، مظهري المحال ٠٠٠وقولهم أن الرقص سبب للمغفرة ، وإن المنُكِر عليهم محجوب ، كذب وبهت »[١]

ووصف ابن كثير سماع الصوفية ، بأنه سماع شيطاني ، فقال في ترجمة الشيخ أبو الرجال المنيني[٢] : « الشيخ الزاهد العابد ٠٠٠، كانت له أحوال ومكاشفات ٠٠٠، وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريئاً من هذه السماعات الشيطانية »[٣]

وقد استفتي الشاطبي بسؤال عن سماع الصوفية ، ونصه:«٠٠٠وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون أنهم سلكوا طريقة الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي ، ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد ، ثم في الغناء والرقص ، إلى آخر الليل ٠٠٠هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟»

النبيذ ، وأهل المدينة في السماع ، وأهل مكة في المتعة لكان فاسقاً » ٠ [إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، بتحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، بيروت : دار المعرفة ، ١ / ٢٢٦-٢٢٩]

١ – فتاوى في الغناء ، ص ٣٥-٣٦

٢ – الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مرعي ، من بحتر المنين ، وقد بلغ ثمانين سنة وتوفي بمنين ، في منزله سنة ٦٩٤هـ ٠ (البداية والنهاية ١٣/٣٩٠-٣٩١) ٠

٣ – البداية والنهاية ، ١٣/٣٩٠-٣٩١

فأجاب الشاطبي : « بأن ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة طريقة رسول الله -ﷺ- ، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان»[١]٠

وقال عن الغناء : « لا يجوز لأحد أن يستمع إلى الغناء»[٢]

وقال ابن رجب في ترجمة إسحاق بن أحمد[٣] : « له رسائل كثيرة إلى الأعيان بالإنكار عليهم والنصح لهم ، ورأيت كتاباً أرسله إلى الخليفة ببغداد ، وأرسل أيضاً إلى الشيخ علي بن إدريس الزاهد – صاحب الشيخ عبد القادر – رسالة طويلة تتضمن إنكار الرقص والسماع والمبالغة في ذلك ، وله في معنى ذلك عدة رسائل إلى غير واحد »[٤]

وقال في طريق الصوفية : « وأدخلوا في هذه الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء ، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص ، ٠٠٠ وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً»[٥]

وعد الشاطبي سماع الغناء من البدع ، حين قال : « وأما غير العالم ، وهو الواضع لها – البدعة – لا يمكن أن يعتقدها بدعة ، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، ٠٠٠كمن عد السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السنية »[٦]

---

١ – الاعتصام ، ٢١٥/١ ، ونظر: ١٧٥/١

٢ – الموافقات ، ٥٢٩/٣ ، وانظر: ٢١٢/١

٣ – إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثي ، القوة الزاهد ، أبو الفضل ، له أجزاء حديثية مجموعة ، توفي سنة ٦٣٤هـ ٠ (الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٢٠٥، ٢١١)

٤ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٢٠٥/٤

٥ – فضل علم السلف ، ص ٤٥

٦ – الاعتصام ، ٢٥٤/٢

وقال ابن رجب ، في ترجمة ،الحافظ عبد الغني المقدسي[1] ، ومثنياً عليه : « وكان – رحمه الله – قوياً في بدنه ، وفي أمر الله ، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر ، ويكسر الطنابير والشبابات »[2]

وقال في ترجمة المعمر بن علي[3] : « خرج مرة فلقي مغنية قد خرجت من عند تركي ، فقبض على عودها وقطع أوتاره »[4]

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾، [لقمان : ٦] ٠

إن لهو الحديث هو: الغناء [5] ، وذكر أن المعازف واللعب واتباع الشهوات ، وكل ما يصد عن ذكر الله ، هي ما كانت تتلوا الشياطين [6]

وقال ابن رجب عن سماع آلات اللهو : « فأما سماع آلات اللهو ، فلم يحك في تحريمه خلاف »[7]

وقسم ابن رجب استماع الغناء وآلات الملاهي إلى قسمين ، فقال :

---

١ – عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحافظ الزاهد ، أبو محمد ، ويلقب تقي الدين ، حافظ وقته ومحدثه ، ولد بجماعيل من أرض نابلس ، سنة ٥٤١ هـ وتوفي سنة ٦٠٠هـ ٠ (الذيل على طبقات النابلة ، ٤/٥، ٢٩)

٢ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/١٢-١٣

٣ – المعمر بن علي بن أبي عمامة البقال البغدادي ، ولد سنة ٤٢٩هـ وكان فقيهاً مفتياً واعظاً ، بليغاً ،فصيحاً له قبول تام ، توفي سنة ٥٠٦هـ ٠ (الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٠٧)

٤ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣/١٠٧

٥ – تفسير القرآن العظيم ، ٣/٤٥٠-٤٥١

٦ – تفسير القرآن العظيم ، ١/١٣٩

٧ – نزهة الأسماع ، ص ٦٤

« القسم الأول : أن يقع على وجه اللعب واللهو ، فأكثر العلماء على تحريم ذلك ، أعني سماع الغناء وسماع آلات الملاهي كلها ، وكل منها حرام بانفراد ...

والقسم الثاني : أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى ، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك، ومن يتشبه بهم ، ممن ليس منهم ، وإنما يتستر بهم ، ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه ، من نيل لذته ، فهذا المتشبه بهم مخادع ملبس ، وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد ، وأما الصادقون في دعواهم ذلك وقليل ماهم ، فإنهم ملبوس عليهم حيث تقربوا إلى الله – عز وجل – ، بما لم يشرعه الله تعالى ، واتخذوا ديناً لم يأذن الله به »[1].

وقد بيّن الشاطبي أن من يصعق ، أو يموت من سماع الذكر أو الموعظة ، دون تعمد لا ينكر عليه ذلك ، لأنه خارج عن إرادته ، فقال : «نعم لا ينكر اتفاق الغشي ونحوه ، أو الموت لمن سمع الموعظة بحق ، فصعق عن مصابرة الرقة الحاصلة بسببها »[2]

ثم ذكر حال الشاب الذي كان يصحب الجنيد ، فصعق ومات ، من السماع ، فقال : «فهذا الشاب قد ظهر مصداق ما قاله السلف ، لأنه لو كانت صيحته الأولى غلبته ، لم يقدر على ضبط نفسه، وإن كان بشدة ...وعليه أدبه الشيخ ، حين أنكر عليه ووعده بالفرقة ، إذ فهم منه أن تلك الزعقة من بقايا رعونة النفس ، فلما خرج الأمر عن كسبه – بدليل موته – كانت صيحته عفواً لا حرج عليه فيها ، إن شاء الله »[3]

---

١ – نزهة الأسماع ، ص ٢٤، ٦٨ ، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/١٩٥–٢٠٠

٢ – الاعتصام ، ١/٢٢٦

٣ – الاعتصام ، ١/٢٢٧

ثم ذكر أن ما يقع للصادقين : « بخلاف هؤلاء القوم الذين لم يشموا من أوصاف الفضلاء رائحة ، فأخذوا بالتشبه بهم فأبرز لهم هواهم التشبه بالخوارج ، وياليتهم وقفوا عند هذا الحد المذموم ، ولكن زادوا على ذلك الرقص والزمر والدوران والضرب على الصدور ، وبعضهم يضرب على رأسه ، وما أشبه ذلك من العمل المضحك للحمقى، لكونه من أعمال الصبيان والمجانين ، المبكي للعقلاء ، رحمة بهم ، إذ لم يتخذ مثل هذا طريقاً إلى الله ، وتشبهاً بالصالحين »[١]

وقد نقل ابن رجب ، ذم الشيخ أبي عبد الله الخياري للصوفية ، وما يقع منهم من مخالفات شرعية عند السماع ،جاء ذلك في قصيدة له يصف بها شيخاً[٢]، حضر سماع الصوفية ، فقال:

« عملت دعوة للصوفية والعلماء على اختلاف مذاهبهم ، فمنهم من أكل وانصرف ، ومنهم من حضر السماع ، وكان البراندسي ممن عجز عن الخروج مع من أكل وانصرف ، فأقام وأُغلق الباب دونه ، وحضر السماع ، فحيث علم أهل البصرة تخلفه دون جميع أصحابه ٠٠٠قالوا فيه شعراً ، وهجره جماعة من عوامهم ،فأنشدني الشيخ أبو عبد الله الخياري لنفسه فيه :

أيها الشيخ من ينافق خلوة
يظهر الله ذلك الفعل جلوة
كنت تفتي أن السماع حرام
كيف حل السماع يوم الدعوة؟
عشت ما عشت بين زهد ونسك
وتسميت في الشريعة قدوة
ثم خلعت العذار في اللهو والرقص

---

١ – الاعتصام ، ٢٢٧/١

٢ – هو : الشيخ علي بن محمد علي الزيتوني الفقيه أبو الحسن البغدادي ، المعروف بالبراندسي ، ختم القرآن سنة ٥٠٨ هجرية ، ٠ (الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣٦٦/٣)

وبين البلى وبينك خطـوة
كنت حقاً لورقص الطفل حوقلت
وأنكرت بارتعاد وسطـوه
كيف جاز الجلوس بين حداة
لم يفت سماعهم غير قهوة
لا تبهرج فليس عندك عـذر
يلزم القوم ما أتوك عنـوة
إنما أنت حين خبـرت أن
الرقص من بعد صحاح وكسوة
ودجاج وبط حثك البخـل
فلا تعتذر بقولك شقوة
ودع الآن شغلك بالفقه
وخذ في لباس دلق وركوة [١]

وقال الإمام ابن القيم ، في الذين يستمعون الغناء وآلات اللهو ، ويرقصون على أنغامها من الصوفية : «فلو رأيت عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبت انصبابة واحدة إليه ، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان ، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟ ويحق لهم ذلك ، وقد خالط خُمارُه النفوس ، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَّيا الكؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان ، قلوب تمزق وأثواب تشقق وأموال في غير طاعة الله تنفق ،٠٠٠ويا شماتة أعداء الإسلام بالدين ،يزعمون أنهم خواص الإسلام ، قضوا حياتهم لذة وطرباً ، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن»[٢]

١ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣/ ٣٦٦–٣٦٧
٢ – إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٤

واستشهد ابن القيم بقصيدة أحد العلماء [١] ،وذمة لما يفعله الصوفية من السماع المحرم ومما جاء فيها :

ألا قل لهم قول عبد نصوح   وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في دينا   بأن الغناء سنة تتبع ؟
وأن يأكل المرء أكل الحمار   ويرقص في الجمع حتى يقع؟
وقالوا : سكرنا بحب الإله   وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أُشبعت   يُرقِّصها ريها والشبع
ويسكره النّاي ثم الغنا   ويس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنهى   ألا مُنكِرٌ منكم للبدع
تهان مساجدنا بالسماع   وتكرم عن مثل ذاك البيع[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ، فمن زعم أن الأئمة الأربعة يبيحون الغناء : « فيقال له : هذا من الكذب على الأئمة الأربعة ، فإنهم متفقون على تحريم المعازف ، التي هي آلات اللهو ، كالعود ونحوه »[٣]

وقال أيضاً : « وذكر زكريا بن يحي الساجي[٤] – وهو أحد الأئمة المتقدمين المائلين إلى مذهب الشافعي – أنه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد ، من أهل البصرة ، وما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو القاسم القشيري ، وغيرهما : عن مالك وأهل المدينة ، في ذلك فغلط ، وإنما وقعت الشبهة فيه ، لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع ، إلا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم ، بل قال إسحاق بن عيسى الطباع

١ – ظهير الدين أبو إسحاق بن نصر الموصلي ٠ [البداية والنهاية ، ١٣/ ٧٨]
٢ – إغاثة اللهفان ١/ ٢٣١ ، و البداية والنهاية ٧٨/٣١ ، فقارن بينهما ٠
٣ – منهاج السنة ، ٣/ ٤٣٩
٤ – زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر الساجي البصري ، الحافظ ، أحد الأئمة الثقات ، مات بالبصرة سنة ٣٠٧هـ وله كتاب : إختلاف الفقهاء ، وعلل الحديث ٠ (طبقات الشافعية ، أبن قاضي شهبة ، ١/٩٤-٩٥)

: سألت مالكاً عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء ، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق ...»[١]

وقال ابن القيم عن حديث تواجد رسول الله -ﷺ- : «ومن ذلك حديث " حضر رسول الله -ﷺ- سماعاً ، ورقص حتى شق قميصه " فلعن الله واضعه ، ما أجرأه على الكذب السمج؟!»[٢]

وقال الشاطبي ، عن هذا الحديث أيضاً :« فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة ، والمكذوب فيها على رسول الله -ﷺ- التي لا يقبلها أهل صناعة الحديث ، في البناء عليها كحديث ... أن النبي -ﷺ- تواجد واهتز عند السماع ، حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وما أشبه ذلك، فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث - على ما هو معلوم - جاهل ومخطئ ، في نقل العلم الشرعي ، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به ، في طريق العلم ، ولا طريقة السلوك »[٣]

فهذه جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه السماع الذي ابتدعه الصوفية ، بينوا ما يتفق مع مقاصد الشرع الحكيم من السماع ، وذكروا الأنواع المحرمة منه انطلاقاً من النصوص الشرعية ، وأقوال سلف الأمة المقتدى بأفعالهم وأقوالهم .

---

١ - الفتاوى ، ٥٧٧/١١ ، وانظر مدارج السالكين ، ٥٢٢/١

٢ - المنار المنيف ، ص ١٠٦

٣ - الاعتصام ، ١٨٢/١

ويتكون من : تمهيد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف اللباس والشعار ، لغة واصطلاحاً ٠

المبحث الأول : اللباس والشعار عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه اللباس والشعار ، عند الصوفية٠

التمهيد : تعريف اللباس والشعار ٠

أولاً : تعريف اللباس ٠

اللباس : جمعه أَلْبِسَة ولُبُس ، وهو : ما يستر الجسم، واللبِاس – بالكسر – ما يلبس »[١]

و« اللِباس – بكسر اللام جمع ألبسة – ما يلبس مما يستر الجسم»[٢]

ثانياً : تعريف الشعار :

« علامة تتميز بها دولة ، أو جماعة »[٣]، « وشعار القوم في الحرب علامتهم ، ليعرف بعضهم بعضاً»[٤]

و« العلامة التي تتميز بها دولة أو جماعة ، من قول أو نقش أو غيرهما»[٥] .

المبحث الأول : اللباس والشعار ، عند الصوفية .

اللباس من حاجات النفس البشرية وضرورتها ، لدفع الحر والبرد، والستر ، والصوفي يرد النفس في اللباس ، قال السهروردي عن حال الصوفية مع اللباس : «... الفقراء يلبسون المرقع ، وربما كانوا يأخذون الخرق من

١ –المعجم الوسيط ، ٨١٣/٢، باب (الباء) ومختار الصحاح ، ص ٥١٩ ، باب(الباء)
٢ – معجم لغة الفقهاء ، ص ٣٨٨
٣ – المعجم الوسيط ، ٤٨٤/٢ ، باب(الشين)
٤ – مختار الصحاح ، ص ٢٩٨، باب (الشين)
٥ – معجم لغة الفقهاء ، ص ٢٦٣

المزابل ، ويرقعون بها ثوبهم ، وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح ٠٠٠٠فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب»[١]

وقد درج بعض الصوفية ، على تخريق الثياب الجديدة ، وأصبح ذلك أمراً معتاداً لديهم ، كما قال الهجويري : « اعلم أن تخريق الثياب بين هذه الطائفة أمر معتاد، وقد فعلوا هذا في المجامع الكبرى التي كان المشايخ الكبار – رضي الله عنهم – حاضرين فيها »[٢]

وذكر الطوسي عن أبي سليمان الداراني ، أنه قال : «يلبس أحدكم عباءة بثلاث [٣] دراهم ، وشهوته في قلبه خمسة دراهم ، فما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه ، وبلغني أنه كان يقول : في قصر الثوب ثلاث خصال محمودة : استعمال السنة ، والنظافة وزيادة خرقه »[٤]

وقد اشترط الغزالي في من تصرف له الوصية ، الموصى بها للصوفية ، أن يكون متصفاً بخمس صفات : « الصلاح ، والفقر ، وزي الصوفية ، وأن لا يكون مشتغلاً بحرفة ، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة في الخانقاة »[٥]

وقد اتخذ الصوفية من لبس الصوف شعاراً لهم ، حتى اشتهروا به[٦]، بل واشتق اسمهم منه[٧] ، وزادوا على ذلك لبس المرقعات ، وخرقة التصوف التي يتوارثونها جيلاً عن جيل ٠

---

١ – عوارف المعارف ، ص ٣١٩
٢ – كشف المحجوب ، ص ٦٦٢
٣ – الصواب : ثلاثة
٤ – اللمع ، ص ٢٤٨
٥ – الإحياء ، ١٦٧/٢
٦ – مقدمة ابن خلدون ص ٣٨١
٧ – انظر: اللمع ، ص ٤١، والتعرف ، ص ٩ ، وكشف المحجوب ، ص ٢٢٧

قال الطوسي : « دخل جماعة على بشر بن الحارث ، وعليهم المرقعات ، فقال لهم بشر : يا قوم ، اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي ، فإنكم تعرفون به ، وتكرمون له ، فسكتوا كلهم ، فقام شاب من بينهم فقال : الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله لنظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله ، فقال له بشر : أحسنت يا غلام ! مثلك من يلبس المرقعة»[١]

وأما لبس المرقعة التي اشتهروا بها كذلك ، فذكر الهجويري إنها شعار المتصوف ، فقال : « اعلم أن لبس المرقعة شعار المتصوف »[٢]

وقال : « فالمرقعة سمة الصالحين ، وعلامة الطيبين ، ولباس الفقراء المتصوفين »[٣]

وقال السهروردي عن لبس خرقة التصوف : « لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد ، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه»[٤]

وقال كذلك : «ففي الخرقة معنى المبايعة ، والخرقة عينة الدخول في الصحبة »[٥]

وقال أيضاً :« ويد الشيخ في لبس الخرقة ، تنوب عن يد رسول الله – ﷺ–»[٦] .

١ – اللمع ، ص ٢٤٨ ، وعوارف المعارف ، ص ٣١٩ –٣٢٠

٢ –كشف المحجوب ،ص ٢٤١

٣ –كشف المحجوب ، ص ٢٥٤

٤ – عوارف المعارف ، ص ٩٤

٥ – عوارف المعارف ، ص ٩٢

٦ – عوارف المعارف ، ص ٩٤

فهذه أحوال الصوفية باللباس ، أحدثوا طقوساً وألبسة لم يوجبها الشرع الحنيف .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه اللباس والشعار ، عند الصوفية .

بدأ علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، جهودهم تجاه اللباس والشعار عند الصوفية ، من أن ما أحدثوه من لباس وشعار ، لم يرد في الشرع الحنيف ما يؤيده ، ولم يكن من مقاصد الدين القويم ، حرمان النفس من طيب اللباس ، فضلاً عن تعذيبها وإذلالها باللباس الوضيع المبتدع.

قال ابن رجب عن الصوفية ، وما أحدثوه من بدع في اللباس : «أدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ، ليست من الدين في شيء ...بعضها

زعموا أنه لكسر النفوس أو التواضع ، كشهوة اللباس ، وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة »[١]

وبيّن الأدفوي[٢] أن الاقتصار على : « لباس واحد لا يفعل غيره، فعل مردود على فاعله محكوم ببطلان أواخره وأوائله ، ليس فيه قربة٠٠٠»[٣] .

وقال رداً على اشتراط الغزالي ، للزي الصوفي لمن يصلح له الوقف والوصية من الصوفية : « فقوله – أي الغزالي– إنه يعتبر الزي ، لا أصل له من الشرع ، ولم ينقل ذلك ، ولا نقل عن أحد من الأقدمين المعتبرين ، بل الاقتصار عليه مخالف لما كان عليه –ﷺ– وأصحابه –رضي الله عنهم–، فقد لبس–ﷺ – ، جبه ضيقة الكمين ، ولبس حلة ، وكان يتعمم بعمامة ويرخي طرفها بين كتفيه ، وتحنك أيضاً بالعمامة ، ولبس عمامة سوداء ، وتردى برداء ، وكذلك الصحابة لبسوا أنواعاً مختلفة»[٤]

وذكر الشاطبي أن : « ٠٠٠لبس الطيالس[٥] ، وتوسيع الأكمام وأشباه ذلك ، من الأمور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح، فإنها أمور جرت في الناس ، وكثر العمل بها وشاعت وذاعت، فلحقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة »[٦]

---

١ – فضل علم السلف ، ص ٤٥

٢ – جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل ، كمال الدين ، أبو الفضل الأدفوي الشافعي ، ولد بعد سنة ٦٨٠ وقيل ٦٨٥ هـ ، في النصف من شعبان ، في بلدة أدفو ، ومن تصانيفه الطالع السعيد في تاريخ الصعيد ، والبدر السافر ، والموفي في معرفة التصوف والصوفي ، والإسعاف ، والإمتاع في أحكام السماع ، قال ابن حجر : « كل مجاميعة جيده » وقال : « ومن خط البدر النابلسي : كان عالماً فاضلاً متقللاً عن الدنيا » ، وكان من فضلاء أهل العلم ، توفي رحمه الله في صفر سنة ٧٤٨ هـ في القاهرة ٠ (الدرر الكامنة ١/ ٥٣٥–٥٣٦ ، البدر الطالع بمحاسن كمن بعد القرن السابع ،تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، توزيع مكتبة الباز مكة المكرمة ، ١٤١٨هـ) ، ١/ ١٢٦–١٢٧، شذرات الذهب ١٥٣/٦ الأعلام ، ١٢٢/٢– ١٢٣ ، معجم المؤلفين ، ١٣٦/٣)

٣ – الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ، تأليف الإمام كمال الدين أبي الفضل جعفر الأدفوي ، حققه وقدم له وعلق عليه ، د: محمد عيسى صالحية ، ط١ ، (الكويت : مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ) ، ص ٥٦

٤ – الموفي ، ص ٥٤

٥ – الطيالس : قطعة قماش تلبس على الكتفين ،وتتدلى على شكل ذوائبتين ، وتكون طويلة ٠ [الموفي ، ص ٥٥]

٦ –الاعتصام ، ٣٦٢/٢

وقال ابن مفلح : « إن الطيالسة من شعار اليهود ، ولهذا كره لبسها»[١]

وقال ابن مفلح : « روى بقية عن الأوزاعي ، قال : بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة ، وفي الحضر بدعة »[٢]

ونقل ابن كثير كلام أبي سليمان الدارني : « إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي ، وخيار هذه الأمة أصحاب القطن، أبو بكر الصديق وأصحابه –ﷺ– »[٣]

وذكر ابن كثير أنه : « في رجب – سنة ٧٠٤ هجرية – أُحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيميه ، شيخ كان يلبس دلقاً[٤] كبيراً متسعاً جداً ٠٠٠فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جانب ، وقطعوه ، حتى لم يدعوا فيه شيئاً »[٥]

وقد كره علماء السلف ، ما يقدم عليه الصوفية ،من لباس الشهرة واتخاذهم ذلك شعاراً يعرفون به٠

---

١ – الآداب الشرعية ، ٤٩٥/٣

٢ – الآداب الشرعية ، ٤٩٨/٣

٣ – البداية والنهاية ، ١٠ /٦٩٨

٤ – الدلق : نوع من اللباس يجعل تحت العباءة الفوقانية ، وقد يكون كالمعطف واسعاً بدون فتحة سوى فتحة الكتفين ، ويحاك من حرير الطرح الأزرق اللون ، أو الصوف الأسود٠[الموفي ، ص ٢١]

وذكر الأدفوي أن الصوفي في العرف الخاص : « من يلبس لبسة مخصوصة من دلق أو فرجية أو جلنك ، وله عمامة لطيفة يرخي منها عذبة قصيرة من قدامه » [الموفي ، ص ٤٧] ٠

وقد ذكر الهجويري أن أكثر لباس الصوفية الملابس الزرقاء وبين سبب ذلك بقوله : « أما معنى أن أكثر ثيابهم زرقاء ، فمنه : أنهم وضعوا أصل طريقتهم على السفر والسياحة ، ولا يبقى الثوب الأبيض في السفر على حاله ويصعب غسله ويطمع فيه كل شخص ٠

ثم قال : إن لبس الأزرق شعار أصحاب الوفاة والمصائب ، وهو لأناس رداء الحزن والمحنة ، وخربة المصيبة ، ومفازة الغم ٠٠٠٠فلما رأى المريدون أنهم لم يبلغوا مقصودهم في الدنيا ، لبسوا الأزرق ، وجلسوا في مأتم الوصال » ٠ [كشف المحجوب ، ص ٢٥١]

٥ – البداية والنهاية ، ٤٤٢/١٣

قال ابن رجب : «فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين ، لدعوى الصلاح ليشتهر بذلك عند الناس ، كان ذلك كبراً ورياءً ، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين ، وقالوا: إنه شهرة »[١]

وبيّن كراهية السلف لاتخاذ لباس الصوف ، وإظهاره شعاراً خاصاً بفئة دون أخرى : « فلهذا كره من كره من السلف ؛ كابن سيرين وغيره لباس الصوف ، حيث صار شعار الزاهدين ، فيكون لباسه إشهاراً للنفس وإظهاراً للزهد»[٢]

وقال ابن مفلح : « كان بكر بن عبد الله المزني[٣] ، يقول : إلبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية» وقال أيضاً :«كان الحسن يقول: إن قوماً جعلوا خشوعهم في لباسهم ، وكبرهم في صدورهم ، وشهروا أنفسهم بلباس الصوف ، حتى أن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبراً من صاحب المِطرف بمطرفه»[٤]

وقال ابن مفلح عن اللباس ، الذي يتخذ شعاراً وشهرة :«ويكره شهرة وخلاف زي بلده ، وقيل يحرم ٠

وقال شيخنا – أحمد بن حنبل – يحرم شهرة ، وهو ما يقصد به الارتفاع وإظهار التواضع ، كما كان السلف يكرهون الشهرة من اللين المرتفع ، والمنخفض»[٥]

---

١ – اختيار الأولى، ص ٨٠

٢ – اختيار الأولى ، ص ٨٠

٣ – بكر بن عبد الله المزني ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ثبت جليل ، مات سنة ١٠٦هـ (تقريب التهذيب ، ص ١٧٥)

٤ – الآداب الشرعية ، ٤٩٨/٣ ، و انظر: تفسير القرآن العظيم ، ٤٥٧/٣

٥ – الفروع ، ٢٠٣/١ ، وانظر: ٣٠٥/١-٣٠٦

وقال الشاطبي : « ومن ذلك –التشدد في الدين –الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة ، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم ، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه»[١]

ونقل ابن مفلح : أن التخصص بلبس الصوف مكروه عند جماعة من العلماء [٢]

ونقل ابن كثير عن الثوري كراهة لبس ثياب الشهرة ، فقال : «قال الثوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل دينه»[٣]

هذه جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري تجاه اللباس والشعار عند الصوفية ، بينوا ما يتفق مع مقاصد الشرع الحنيف ، وما يخالفه ، ويظهر من ردود علماء السلف على لباس الصوفية ، أنهم لا يكرهون لباساً معيناً ، سواء كان ثميناً ، أو زهيداً لذاته ، وإنما كانت الكراهة لما يصاحب اللباس من إيحاء للآخرين ، بإظهار الزهد والورع من خلاله ، وهو مالم يرد عليه في الشرع من دليل .

---

١ – الاعتصام ، ٢٨٦/١

٢ – الفروع ، ٣١٣/١

٣ – تفسير القرآن العظيم ، ٤٥٧/٣

ويتكون من : تمهيد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف الرموز والغموض ٠

المبحث الأول: الرموز والغموض عند الصوفية ٠

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري، تجاه الرموز والغموض ، عند الصوفية ٠

التمهيد : تعريف الرموز والغموض ٠

أولاً – تعريف الرموز :

أ- الرموز لغة :

الرموز جمع رمز ، و « الرمز: الإيماء والإشارة والعلامة ، والكناية الخفية »[1]

ب- الرموز اصطلاحاً :

« الرمز : معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر ، لا يظفر به إلا أهله »[2]

وعرف ابن عجيبة الرموز بقوله : «أما الرموز فهي إيماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم »[3]

وقد ورد الرمز في التنزيل الحكيم في قوله تعالى: ﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ٠٠٠﴾ ، [آل عمران : ٤١]

والرمز في الآية المذكورة ، يعني : الإشارة ، والإشارة قد تكون باليد ، وبالعين وبالإيماء بالرأس ٠

وقيل : الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام ، وهو الصوت الخفي [4] ٠

١ – المعجم الوسيط ، ٣٧٢/١ ، باب (الراء) ، وانظر : أساس البلاغة ، ص ٢٥١ ، باب(الراء)

٢ – اللمع ، ص ٤١٤

٣ – إيقاظ الهمم ، ص ١٥٣ ٠ وقال : « الإشارة أدق من العبارة ، والرمز أدق من الإشارة ٠ فالأمور ثلاثة : عبارات وإشارات ورموز ، وكل واحد أدق مما قبله ، فالعبارة توضح ، والإشارة تلوح ، والرمز يفرّح : أي يفرّح القلوب بإقبال المحبوب وقالوا : علمنا كله إشارة ، فإذا صار عبارة خفي ، أي خفي سره ، فإذا صار عبارة بإفصاح اللسان لم يظهر سره على الجنان » ٠ [إيقاظ الهمم ، ص ١٥٣]

٤ – تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السلام محمد علي شاهين ، ط١ ، (بيروت :دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ) ، ٢٤٤/١ ، وانظر : تفسير

ثانياً – تعريف الغموض :

« غَمَضَ المكان غموضاً : انخفض انخفاضاً شديداً حتى لا يرى ما فيه. وغمض الشيء والكلام : خَفيَ

والغامض : الخفي ، يقال : حسب غامض : غير معروف ، وكلام غامض : غير واضح »[١] .

المبحث الأول : الرموز والغموض ، عند الصوفية .

الرموز والغموض سمة بارزة من سمات التصوف ، وقد أشار الصوفية إلى الغاية من استعمال الرموز ، وتعمد الغموض

القرآن العظيم ، ١/٣٧٠ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، رتبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ،ط١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ،١/ ٣٥٤-٣٥٥

١ – المعجم الوسيط ، ٢/٦٦٢ ، باب (الغين) ، وانظر: أساس البلاغة ، ص ٤٥٦ ، باب(الغين)

قال القشيري : « نِعمَ ما فعل القوم من الرموز ، فإنهم إنما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله – عز وجل – ، أن تظهر لغيرهم ، فيفهموها على خلاف الصواب ، فيضلوا في أنفسهم ، ويُضلوا غيرهم»[1]

وقالوا : « علمنا هذا إشارة ، فإذا صار عبارة خفي»[2]

وقد استدل بعض الصوفية ، على ما يفعلونه من الرموز والغموض بالأبيات الشعرية التالية :

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولااستحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسناً
إني لأكتم من علمي جواهره   كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا[3]

وقال الكلاباذي : « من تتبع كتب القوم وفهم إشاراتهم ، علم أن قولهم ما حكيناه عنهم ، فإن هذه المسألة – مسألة الفناء والبقاء – وأمثالها ليست بمنصوصات ولا مفردات ، بل يُعرف ذلك من قولهم ، بفهم رموزهم ، ودرك إشاراتهم »[4]

وبيّن القشيري أن الصوفية يتعمدون الغموض في كلامهم ، حتى لا يفهمه غيرهم ، فقال : « وهم يستعملون ألفاظاً فيما بينهم ، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون ألفاظهم

---

١ – اليواقيت والجواهر ، للشعراني ، ١٩/١

٢ – إيقاظ الهمم ، ص ١٤٥ ، وقد علق ابن عجيبة على هذه العبارة بقوله :« قد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة ، وإشارة لطيفة ، وغزل رقيق ، بحيث لا يأخذ السامع منها شيئاً »

٣ – الفتوحات المكية ، ٧٠/١ ، وإيقاظ الهمم ، ص١٤٥ ، وتُنسب هذه الأبيات : لزين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب –ﷺ–.

٤ – التعرف ، ص١٥١

مستبهمة [١] على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها »[٢]

وقد وضع الطوسي باباً في كتاب " اللمع " سماه : « شرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية » ، لشدة صعوبتها وغموضها [٣].

« ويرد عن أبي حمدون[٤] أنه سئل عن الملامة ، فقال : إن طريقها صعب ومغلق على الخلق ، ولكني أقول عنها شيئاً فهي: " رجاء المرجئة[٥] ، وخوف القدرية[٦] "، وتحت هذا المعنى رمز »[٧]

وقال الهجويري : « لكل المشايخ ، في هذا المعنى – الفناء والبقاء – لطيفة بالرمز »[٨]

وقال كذلك : « ولمشايخ الصوفية في تحقيق المحبة ، رموز أكثر من أن يمكن حصرها »[٩]

وقال القشيري : « يقول مظفر القرمسيني : الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله تعالى حاجة ».

---

١ – بمعنى : غامضة ، الرسالة القشيرية ، ص ٥٣

٢ – القشيرية ، ص ٥٣

٣ – اللمع ، ص ٤٠٩

٤ – حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري ، شيخ أهل الملامة بنيسابور ، ومنه انتشر مذهب الملامية ، توفي سنة ٢٧١هـ .(طبقات الصوفية ، ص١٢٣)

٥ – لأنهم قالوا : بالإرجاء في الإيمان ، وقالوا : لا تضر مع الإيمان معصية ، وقيل :الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا ، من كونه من أهل الجنة ، أو من أهل النار . (الملل والنحل ، ص ١٣٩ ، والفرق بين الفرق ، ص ٢٠٢)

٦ – لأنهم غلوا في إثبات القدر . (انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٩٧)

٧ – كشف المحجوب ، ص ٢٦٤، وانظر : طبقات الصوفية ، ص ١٢٩

٨ – كشف المحجوب ، ص ٤٨٥

٩ – كشف المحجوب ، ص٥٥٤

قال الأستاذ أبو قاسم : « وهذا اللفظ فيه شيء من الغموض»[١]

ومن الأمثلة التي تبين استعمال الصوفية ، للرموز والغموض ، وفي آن واحد ، ما كتبه الدسوقي[٢] إلى أحد مريديه : « وإنني أحب الولد وباطني خلي من الحقد والحسد ، ولا بباطني شظا ، ولا حريق لظى ، ولا جوى[٣] من مضى ، ولا مضض[٤] غضا ، ولا نكص[٥] نصا ، ولا سقط نطا ، ولا ثطب غظا ، ولا عطل حظا ، ولا شنب سرى، ولا سلب سبا ، ولا عتب فجا ، ولا سمداد صدا ، ولا بدع رضا ، ولا شطف جوا ، ولا حتف حرا ، ولا خمش خيش ، ولا حفص عفص ، ولا خفض خنس ، ولا حولد كنس ، ولا عنس[٦] كنس ، ولا عسعس[٧] خدس ، ولا جيقل خندس ، ولا سطاريس ، ولا عيطافيس ، ولا هطا مرش ، ولا سطا مريش٠٠٠» [٨]

وقال : « ٠٠٠بهبساني الحداقة سهبري النسافة ، موز الرموز ، عموز النهوز ، سلاحات أفق فردفانية ، أمق شوامق ، اليرامق حيد وفرقيد وفرغاط الأسباط ، ومبيط البساط ٠٠٠»[٩].

---

١ – الرسالة القشيرية ، ص٢٧٧

٢ – إبراهيم الدسوقي القرشي ٠(طبقات الشعراني ، ١/١٦٥)

٣ – جوى : فلان جوى : مرض صدره ، وضاق صدره ، وتطاول مرضه ٠ (المعجم الوسيط ، ١/١٤٩)

٤ – مضض : أمضّني الوجع والهم ٠(أساس البلاغة ص ٥٩٧)

٥ – نكص : على عقبيه نكوصاً ٠ (أساس البلاغة ، ص ٦٥٤)

٦ – عنس : يدل على شدة في شيء ، وقوة ، وهو من أسماء الناقة ٠ (معجم المقاييس في اللغة ، ص ٧٠٨)

٧ – عسعس : مضى وأظلم ٠ (أساس البلاغة ، ص ٤٢٠)

٨ – طبقات الشعراني ، ١/١٦٨ وانظر مثل ذلك من الرموز والغموض في : الفوائد والعوائد ، شهاب الدين حمد بن عبد اللطيف الشرجي ٠ ط٢(مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٨هـ) ، ص ٥٥، وشرح الجلجوتية الكبرى لأبي العباس أحمد بن علي البوني ، (مصر : طبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة) ، ص ١١٠

٩ – طبقات الشعراني ، ١/١٦٨ ٠قلت :هذا كلام يصعب على الأفهام لكثرة رموزه ، وشدة غموضه ، فإن كان أرباب التصوف وقفوا حائرين أمام هذا الكلام ، فكيف الحال بغيرهم ، ولهذا نجد الشعراني عجز عن فهم مثل هذا الكلام ، وهو الناقل له ، فقال في ترجمة شيخه علي الخواص ، بعد أن ذكر طرفاً من كلامه : « ٠٠٠ثم أطال الكلام في ذلك بما لا تسعه العقول ، فتركته لدقته ، وغموضه » طبقات الشعراني ، ٢/١٦٩

وقال الهجويري بعد ما ذكر رموز شيوخه في المحبة : « وأذكر قدراً منها على سبيل التبرك » لأنه لم يفهمها ٠كشف المحجوب ، ص٥٥٤، وانظر : حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى ، ط٥ ، (حلب : مكتبة العرفان ، ١٤١٤هـ) ، ص ٥٢١ ، وعقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمود المراكبي ، (القاهرة : مطابع دار الطباعة والنشر

وعلل ذلك بقوله : « إن ألسن القوم ، إذا دخلوا الحضرات مختلفة ، وفي إشاراتهم ، وكلماتهم ، ما يفهم ، وما لا يفهم٠٠٠»[١]

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الرموز والغموض ، عند الصوفية ٠

حذر علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، من خطورة لجوء بعض الصوفية ، إلى الرموز والغموض ؛ لأن ذلك يفضي إلى أشياء خطيرة ، ومزالق مريعة ، ويخفي تحته ضلالاً كثيراً ٠

قال الذهبي محذراً من خطورة هذا الأمر : « متى رأيت الصوفي مكباً على الحديث فثق به ، ومتى رأيته نائياً عن الحديث فلا تفرح به ، لاسيما إذا انضافت إليه جهله بالحديث ، عكوفه على ترهات الصوفية ، ورموز الباطنية »[٢]

وقال في ترجمة ابن الأعرابي : « ٠٠٠كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة زل عن سواء السبيل ، وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة »[٣]٠

الإسلامية ، ١٩٩٦م)، ص ٤٦، ونشأة الفلسفة الصوفية ، ص٧٧، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص ١٠ ، ونظرية الاتصال عند الصوفية ، ص ٢٢٠

١ – طبقات الشعراني ، ١٧٠/١

٢ – السير ، ٢١٣/١٢ ، وانظر : ما ذكره الإمام الشاطبي حول رموز الباطنية في الاعتصام ، ٢٠٧/١

٣ – السير ، ٤١٠/١٥

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ، في بعض الألفاظ التي يستعملها بعض الصوفية : « ٠٠٠إنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة ؛ بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم»(١)

وقال الأدفوي عن بعض أقسام الصوفية : « وقسم حصل لهم غلو في طريق ابتدعوها ، وعقائد اخترعوها ، ووقفوا مع ألفاظ مزخرفة جمعوها ، فأُدخلوا في جملة الكفار ، وحكم عليهم باستحقاق النار »(٢)

وذكر الذهبي أن في إشارات بعض الصوفية ، انحراف واضح عن الدين ، فقال في ترجمة الفارسي : «الشافعي الصوفي ٠٠٠له تصانيف في إشارات القوم ، فيها انحراف بيّن عن السنة »(٣)

وقال كذلك : « ٠٠٠كذا تُكلم في السلمي ، من أجل تأليف كتابه " حقائق التفسير " ، فياليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة »(٤)

وأشار الشاطبي ، إلى أن بعض من لا يفهم مقاصد الصوفية في كلامهم لغموضة ، قد يقع في سوء القال ، ولا يفرق بين ما هو جائز وغير جائز (٥)

---

١ – الفتاوى ، ١٣٨/٢

٢ – الموفي ، ص ٧٠

٣ – السير ، ١٨٠/٢٢

٤ – السير ، ٤٤٢/١٣

٥ – انظر : الموافقات ،١٢٢/٤–١٢٣

وقال الذهبي في ترجمة النوري : « شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطائف الحقائق ، وله عبارات دقيقة ، يتعلق بها من انحرف من الصوفية ، نسأل الله العفو »[١]

ونقل قول أبي عثمان الصوفي : « علوم الدقائق علوم الشياطين ، وأسلم الطرق من الاغترار لزوم الشريعة »[٢]

وأكد ابن أبي العز ، أن المنهج السليم والطريق القويم ، هو في : «التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية »[٣]
وبيّن أن ذلك : « هو سبيل أهل السنة والجماعة »[٤]

وقال ابن رجب عن رموز الصوفية في أشعارهم : « وإن ذكر في شيء من الأغاني التوحيد ، فغالبه من يسوق ظاهره إلى الإلحاد : من الحلول والاتحاد ، وإن ذكر شيء من الإيمان والمحبة أو توابع ذلك ، فإنما يعبر عنه – بل يرمز له – بأسماء[٥] قبيحة ، كالخمر وأوعيته ، ومواطنه وآثاره ،

---

١ – السير ، ١٤/٧٠

٢ – السير ، ١٦/٣٢١

٣ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٠

٤ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٠

٥ – من الرموز التي استأثرت بالتكرار عند الصوفية ، رمز المرأة ، و رمز الحب ، ورمز الخمر ، ورمز الطبيعة، فكل هذه الأسماء استخدمت من قبل – بعض – الصوفية كأدوات رمزية للتعبير عن اعتقادات ، أو ظواهر ، أو أحاسيس ، بخلاف الدلالة اللغوية والمعنوية ، للكلمة الأساسية ، مما أوقعهم بانحرافات عقدية خطيرة ، تفضي إلى الخروج من الملة ٠

انظر في هذا الخصوص : (فصوص الحكم (القاشاني) ، ص ٣٣٣ ، ومصرع التصوف ، ص ٣١، ٥٣، ٧٠ ، ٧٤، ٩٨، ١١١، ١٢٥، ، ١٤٣، ، ١٤٦ ، والرمز الشعري عند الصوفية ، د: عاطف جودة نصر ، ط١، بيروت : دار الأندلس ، ١٩٨٣م ، ص ١٢٣–١٦٢ (رمز المرأة) ، و ص ٢٥٧–٢٨٧، (رمز الطبيعة)، و ص ٣٢٧–٣٤٠ (رمز الخمر) ، و شعر عمر بن الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي ، د: عاطف جودة نصر ، عين شمس : مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٩٢م ، ص١١٢–١٣٠ و ص ٢٤٩–٢٦٩ ، (الرمز الغزلي ، والحب الصوفي) ، و ص١٣١–١٤٣ ، (الرمز الخمري) ، ومجلة البلاغة المقارنة ألِف ، القاهرة :

ويذكر فيه الوصل والهجر ، والصدود والتجني ، فيطرب بذلك السامعون وكأنهم يشيرون إلى أن الله تعالى ، يفعل مع عباده المحبين له المتقربين إليه ، كما يذكرونه ، فيبعد من يتقرب إليه ، ويصد عمن يحبه ويطيعه ، ويعرض عمن يُقبل عليه ، وهذا جهل عظيم»[1]

واستدل ابن القيم على خطورة الرموز والغموض، عند الصوفية ، بما نسب إلى أبي سليمان الداراني ، من أنه رؤى بعد موته ، فقال : « ما كان شيء أضر عليَّ من إشارات القوم »[2]

وأحسب مما تقدم أن علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، أدركوا خطورة ما تنطوي عليه رموز الصوفية ، وغموض عباراتها ، من الضلال ، والإبهام المتعمد ، في الكلمات المجملة والمتشابهة[3] ، لصرف الأذهان عما يقولون ويعتقدون ،لأنهم لا يستطيعون أن يبيحوا ويظهروا ما يريدون ، ولهذا كان بعضهم أذكي من بعض ، فقد قال الشبلي : « كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج ، شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت » [4].

الجامعة الأمريكية ، العدد الخامس ، ربيع ١٩٨٥م –البعد الصوفي في الأدب ، رمز الخمر في الشعر العربي القديم ، محمد أحمد بريري ، ص ٧٣–٩٢).

١ – نزهة الأسماع ، ص ٨٨–٨٩

٢ – مدارج السالكين ، ٤١/٢

٣ – انظر : مجموعة الرسائل والمسائل ، ٣١/٢ ، والسير ، ٢٠/ ٤٤١

٤ – دراسات في التصوف الإسلامي ، ص ٢٦٥

ويتكون من تسعة مباحث :

المبحث الأول : مواقف الإمام ابن عبد الهادي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثاني : مواقف الإمام محمد ابن الإمام ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثالث : مواقف الإمام الذهبي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الرابع : مواقف الإمام ابن مفلح ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الخامس : مواقف الإمام ابن قاضي الجبل ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث السادس : مواقف الإمام ابن كثير ، العملية والقولية في الرد على الصوفية٠

المبحث السابع: مواقف الإمام الشاطبي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث الثامن: مواقف الإمام ابن أبي العز الحنفي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

المبحث التاسع : مواقف الإمام ابن رجب الحنبلي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية ٠

تمهيد:

لم أترجم في هذا الفصل ، إلا للعلماء المكثرين في الرد على الصوفية ، أما العلماء المقلون في الرد ، فلم أترجم لهم في هذا الموضع ، وإنما ترجمت لهم عند أول ذكر لهم في ثنايا الرسالة ؛ وذلك لأن ردودهم لا يمكن أن تفرد لقلتها ٠

أما شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم ، فلم أترجم لهم في هذا الفصل، ولم استعرض أقوالهما هنا ؛ لأنه سبق بحث جهودهما وردودهما على الصوفية، برسائل علمية مستقلة ، وقد بينت ذلك في مقدمة الرسالة [١] ٠

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن عبد الهادي ، ومواقفه العملية[٢] والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن عبد الهادي ٠

١- اسمه ونسبه :

محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل ، ثم الصالحي [٣]

٢- مولده :

ولد الإمام ابن عبد الهادي ، في رجب سنة ٧٠٤هـ
وقيل في سنة ٧٠٥هـ [٤]

١ - انظر : ص ٧

٢ - يعد التأليف من أبرز المواقف العملية لكثير من علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، في الرد على الصوفية

٣ - الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٣٦ ، والدرر الكامنة ، ٣/ ٣٣١ ، والرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيميه شيخ الإسلام كافر ، تأليف ابن ناصر الدين الدمشقي ، حققه : زهير الشاويش ، ط٣، (لبنان بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١١هـ) ، ص٦٣

٤ - الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/٤٣٦ ، والدرر الكامنة ، ٣/٣٣١

٣- مؤلفاته: للإمام ابن عبد الهادي عدد من المؤلفات منها : كتاب في الأحكام في ثمان مجلدات ، والصارم المنكي في الرد على السبكي ، والمحرر في الحديث ، واختصر التعليق لابن الجوزي وزاد عليه وحرره ، وشرح التسهيل في مجلدين ، والعقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميه[١]

٤- عقيدته وثناء العلماء عليه :

الإمام ابن عبد الهادي سلفي العقيدة ، وعلى مذهب أهل السنة والجماعة٠

قال الإمام الذهبي : « ٠٠٠الإمام الأوحد الحافظ ، ذو الفنون شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي ٠٠٠ اعتنى بالرجال والعلل ، وبرع وجمع ، وتصدى للإفادة والاشتغال ، في القراءات ، والحديث ، والفقه ، والأصول، والنحو ، وله توسع في العلوم ، وذهن سيال »[٢]

وقال ابن رجب : « عني – ابن عبد الهادي – بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في ذلك ، وتفقه على المذهب وأفتى ٠٠٠ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيميه مدة »[٣]

وقال ابن ناصر الدين[٤] : « كان إماماً في علوم : كالتفسير ، والقراءات، والحديث ، والأصول ، والفقه ، واللغة العربية »[٥]

٥- وفـاته :

توفي الإمام ابن عبد الهادي ، في عاشر جمادى الأولى ، سنة ٧٤٤هـ [٦] ٠

الطلب الثاني : مواقف ابن عبد الهادي العملية والقولية في الرد على الصوفية٠

---

١ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٣٧- ٤٣٨ ، والدرر الكامنة ، ٣٣٢/٣

٢ – تذكرة الحفاظ ، ٤/ ٢٠٢

٣ – ذيل طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٣٦

٤ – محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي ، الشهير بابن ناصر الدين ، محدث حافظ مؤرخ ناظم ، ولد بدمشق ، في أواسط المحرم وبها نشأ ، وتوفي في ١٦ رجب سنة ٨٤٥هـ (معجم المؤلفين ،١١٢/٩)

٥ – الرد الوافر ، ص ٦٣

٦ – تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٠٢ ، والدرر الكامنة ، ٤/ ٤٣٢

تستند أغلب ردود الإمام ابن عبد الهادي ، العملية والقولية ، على الصوفية ، على مارد به عليهم شيخه ، شيخ الإسلام ابن تيميه ، ومن تلك الردود ما نقله ابن عبد الهادي ، تحت عنوان : " مواقف الشيخ – يعني ابن تيميه – في إبطال حيل أهل الطر الدجالين ، فقال :

« وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة – سنة خمس وسبعمائة– اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية ، عند نائب السلطان بالقصر ، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبوا أن يسلّم إليهم حالهم ، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ، ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه ، فانتدب لهم الشيخ ، وتكلم باتباع الشريعة ، وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها بقول ولا فعل ، وذكر لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزّبد من الحلوق٠

وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم يدلكه بالخل ، ثم يدخل النار ، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك ، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا ، وكانوا جمعاً كثيراً ٠

وقال الشيخ صالح [1] : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ، ما تنفق قدام الشرع ٠

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد ، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت رقبته »[2]

هذا موقف من مواقف شيخ الإسلام ابن تيميه ، العملية والقولية ، ذكره الإمام ابن عبد الهادي ، في الرد على الصوفية ، وبيان أباطيلهم – المخالفة لمنهج السلف ، واعتقاد أهل السنة والجماعة – التي لا تنطلي إلا على من ليس له حظ ، من العلم الشرعي٠

ثم ذكر موقفاً آخر لشيخه في مواجهة الصوفية ، فنقل القول أنه: «٠٠٠ أقام بمصر يقرئ العلم ويجتمع عنده خلق ، إلى أن تكلم في الاتحادية ، القائلين بوحدة الوجود ، وهم :

١ – لم أقف على ترجمته

٢ – العقود الدرية ، ص ١٩٤–١٩٥ ، والبداية والنهاية ، ١٤/ ٤٤٥

ابن سبعين ، وابن عربي ، والقونوي ، وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية الفقراء ، وسعوا فيه ، وأنه تكلم في صفوة الأولياء ، فعمل له محفل ، ثم أخرجوه على البريد»[١]

وقد أشاد الإمام ابن عبد الهادي ، بمن تصدى للصوفية ، وبين ضلالهم ، وانحرافهم عن الصراط المستقيم ، فقال في الشيخ عماد الدين : « منهم – من أصحاب شيخ الإسلام – الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد ... الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، كان رجلاً صالحاً ورعاً ، كبير الشأن ... كان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ ...»[٢]

ذكرها ابن عبد الهادي بتمامها ، ومنها : « ...و أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية ، من قولهم بالحلول والاتحاد وتأله المخلوقات ...»[٣]

فعلق ابن عبد الهادي على نهاية الرسالة بقوله : « فرحم الله من قام بحمل الإصرار ، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار ، إلى عالم الأسرار ، نفع الله من وقف عليها ، وأصغى إلى ما يفتح منها ولديها ، آمـين»[٤]

وقال ابن عبد الهادي ، في ما يفعله الجهال ، من بدع عند زيارة القبور ، وتعظيم الأموات : « وقد آل الأمر بكثير من الجهال ، إلى النحر عند قبور من يشدون الرحال إلى قبورهم ، وحلق رؤوسهم عند قبورهم »[٥]
فوصفهم أنهم : عباد قبور [٦] .

١ – العقود الدرية ، ص ١٩٧
٢ – العقود الدرية ، ص ٢٩٠
٣ – العقود الدرية ، ص ٣٠٣
٤ – العقود الدرية ، ص ٣٢١
٥ – الصارم المنكي ، ص ٣٣٩
٦ – انظر : الصارم المنكي ، ص ٣٣٩

هذه ردود العالم السلفي ، الإمام ابن عبد الهادي ، على الصوفية، اتسمت بالالتزام بمنهج الشرع الحنيف ، والنقل عن من يؤمن سلامة اعتقاده ، والله – تعالى أعلم – ٠

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للإمام محمد ابن الإمام ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية٠

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام محمد ابن الإمام ٠

١- اسمه ونسبه :

محمد بن محمد بن علي بن هُمام – بالضم والتخفيف – بن راجي الله بن سرايا بن ناصر بن داود العسقلاني الأصل ، المصري ، المعروف بابن الإمام الشافعي ، أبو الفتح تقي الدين بن تاج الدين (١)

٢- مولده :

ولد ابن الإمام ، في شعبان سنة ٦٧٧هـ (٢)

٣- مؤلفاته :

سلاح المؤمن في الدعاء والذكر ، وقد اشتهر هذا الكتاب ، حتى أصبح يذكر للتعريف بمؤلفه ، وله كتاب في الاهتداء في الوقف والابتداء ، وكتاب متشابه القرآن (٣)

١ – طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبه ، رتب فهارسه د: عبد الله أنيس الطباع ، ط١، (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ) ، ٣/٦٥ و طبقات الشافعية للأسنوي تحقيق كمال يوسف الحوت ، ط١،(لبنان : بيروت،دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ) ، ٢/ ١٤٦ ، والسير ٢٢/ ٣٦٢ ، والدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣ ، وشذرات الذهب ، ٦/ ١٤٤

٢-– الدرر الكامنة ، ٤/ ٢٠٣ ، وشذرات الذهب ، ٦/ ١٤٤

٣ – الدرر الكامنة ، ٤/ ٢٠٣ ، وشذرات الذهب ، ٦/ ١٤٤ ، وسلاح المؤمن ، ص ١٢

٤- عقيدة وثناء العلماء عليه :

وصفه الإمام الذهبي بالإمام ، فقال عنه : «الإمام البارع»[١]

وقال ابن قاضي شهبه[٢] : « سمع من جماعة ، وكان إماماً بالجامع الصالحي ٠٠٠ وصنف كتاباً حسناً في الأذكار والأدعية »[٣] ٠

ولم أقف على ما يقدح بعقيدته ٠

٥- وفاتــه :

توفي ابن الإمام في ربيع الأول سنة ٧٤٥هـ [٤]

---

١ – السير ، ٢٢/ ٣٦٢

٢ – أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب الأسدي الشافعي ، المعروف بابن قاضي شهبة ، من مؤلفاته : كتاب في الفرائض ، وطبقات الشافعية ، توفي بدمشق سنة ٧٩٠هـ ٠ (معجم المؤلفين ، ١٤٠/٢)

٣ – طبقات الشافعية ، ٦٦/٣ ، و شذرات الذهب ، ٦/ ١٤٤

٤ – السير ، ٢٢/ ٣٦٢ ، والدرر الكامنة ، ٤/ ٢٠٣ ، وشذرات الذهب ، ٦/ ١٤٤

المطلب الثاني : مواقف ابن الإمام ، العملية والقولية في الرد على الصوفية :

١- فائدة الدعاء :

أظهر ابن الإمام في رده على الصوفية وغيرهم ، بيان فائدة الدعاء ، فقال : « قال الغزالي – رحمه الله – في كتاب " الإحياء" [١] ، فإن قلت : فما فائدة الدعاء ، والقضاء لا مرد له ؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، والدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله – عز وجل– أن لا يُحمل السلاح ٠٠٠وأن لا تسقى الأرض بعد نبت البذور ٠

فيقال : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، بل ربط الأسباب بالمسببات ، وهو القضاء الأول ، الذي هو كلمح البصر ، أو هو أقرب ، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير ، وهو القدر ، والذي قدر الخير قدره بسبب ، وكذلك الشر ، قدر لرفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ٠

ثم في الدعاء من الفائدة : أنه يستدعي حضور القلب مع الله – عز و جل– وذلك منتهى العبادات ، فالدعاء يرد القلب إلى الله – عز وجل – بالتضرع والاستكانة » ، « ولذلك كان البلاء موكولاً بالأنبياء – عليهم السلام – ثم الأولياء ، لأنه يرد القلب بالافتقار إلى الله – عز وجل – ويمنع نسيانه»[٢]

٢- اختراع الأدعية :

١- الإحياء ، ٤/ ٢٠٤

٢- سلاح المؤمن ، ص ٣٥

ورد ابن الإمام على الذين يخترعون الأدعية المبتدعة ، ولا يرجعون فيها إلى ما جاء بالشرع ، بقول القاضي عياض – رحمه الله – : « إن الله أذن في دعائه ، وعلّم الدعاء في كتابه لخليقته ، وعلم النبي – ﷺ– الدعاء لأمته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه –ﷺ– ، وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام ، فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي –ﷺ– ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء – عليهم السلام – والصالحين »[١] .

٣– الإعراض عن الأدعية السنية :

ورد على من يعرض عن الأدعية السنية الشرعية ، بقوله : « فمن أولى ما انصرفت إلى حفظه عناية ذوي الهمم ... ما كان بفضل الله تعالى لأبواب الخير مفتاحاً ، وبنص رسول الله –ﷺ– ، للمؤمنين سلاحاً ، وذلك التحميد والثناء ، والتمجيد والدعاء ، أمر الله تعالى به في كتابه العظيم، وفيه رغب رسوله الكريم ، وإليه جنح المرسلون والأنبياء ، وعليه عول الصالحون والأولياء ، وإن أحسن ما توخاه المرء لدعائه ، في كل مهم، وتحراه لكل خطب مدلهم ، ما تحصّل به مقصود الدعاء ، مع بركة التأسي والاقتداء ، ويكون لفظه وسيلة لقبوله ، وهو ما جاء في كتاب الله ، أو سنة رسوله –ﷺ– ، وقد أنكر الأئمة – رضي الله عنهم– ، الإعراض عن الأدعية السنية »[٢]

تلك هي مواقف الإمام ابن الإمام ، وردوده على الصوفية ، في مسألة الدعاء ، وبيان حدود الدعاء المشروع ، والدعاء الممنوع .

المبحث الثالث : ترجمة موجزة للإمام الذهبي ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية .

١– سلاح المؤمن ، ص ٢٢–٢٣

٢– سلاح المؤمن ، ص ٢٢

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام الذهبي ٠

١- اسمه ونسبه :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل ، الفارقي ، ثم الدمشقي الذهبي [١]٠

٢- مولده: ولد الإمام الذهبي ، بدمشق ، في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ[٢] ٠

٣- مؤلفاته : الإمام الذهبي كان مكثراً من التصنيف ، قال ابن حجر : «كان أكثر أهل عصره تصنيفاً»[٣] ، وأحصى له بعض الباحثين[٤] أكثر من مائتين وخمسين مؤلفاً ، بعضها يتجاوز العشرين جزءاً ٠

ويعد كتابه " تاريخ الإسلام " من أشهر كتبه ، واختصر منه مختصرات كثيرة منها : العبر ، وسير أعلام النبلاء ، ملخص التاريخ [٥] ، وله من المؤلفات أيضاً : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، وتذكرة الحفاظ ، وتجريد الأصول في أحاديث الرسول ، والمشتبه في أسماء الرجال ، ومعجم الشيوخ، وكتاب الكبائر ٠

٤- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

الإمام الذهبي سلفي العقيدة ، ومن أهل السنة والجماعة ٠

١- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، (جمعية المستشرقين الألمانية)، ٢/ ١٦٣-١٦٨ ، ذيل تذكرة الحفاظ ، للحسيني ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ص ٣٤-٣٥ ، طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، (مصر : دار إحياء الكتب العربية) ، ٩/ ١٠٠، الدرر الكامنة ، ٣٣٦/٣- ٣٣٨ ، الرد الوافر ، ص ٦٦ ، شذرات الذهب ، ١٥٣/٦-١٥٦

٢- اتفقت على ذلك جميع المصادر التي ترجمت له ، وجاء في الدرر الكامنة ٣٣٦/٣: « ولد في ثالث ربيع الآخر»

٣-الدرر الكامنة ، ٣/ ٣٣٧

٤- منهج الإمام الذهبي في العقيدة ، ص ٧٢-٨٣

٥- الدرر الكامنة ، ٣٣٧/٣ ، ومعجم المؤلفين ، ٨/ ٢٨٩-٢٩٠

قال ابن ناصر الدين الدمشقي : « كان آية في نقد الرجال ، عمدة في الجرح والتعديل ، عالماً بالتفريع والتأصيل ، إماماً في القراءات ، فقيهاً في النظريات ، له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات ، قائماً بين الخلف، ينشر السنة ، ومذهب السلف»[١] ٠

وقال ابن حجر : « ٠٠٠رغب الناس في تواليفه ، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها، قراءة ونسخاً وسماعاً »[٢]

ووصفه ابن العماد[٣] : بـ «الإمام الحافظ »[٤]٠

٥- وفاته : توفي الإمام الذهبي – رحمه الله – ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة ، سنة ٧٤٨ هـ [٥] ٠

المطلب الثاني: مواقف الإمام الذهبي ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

يعد الإمام الذهبي ، أحد علماء السلف ،المكثرين من الردود على الصوفية، فقد رد عليهم في كثير من مسائل التصوف ، مبرزاً خطأ الصوفية في بعض ما ذهبوا إليه ، ومؤصلاً لمنهج السلف ، واعتقادهم ٠

١- مصادر التلقي عند الصوفية :

١- الرد الوافر ، ص ٦٧

٢- الدرر الكامنة ، ٣/ ٣٣٧

٣ – عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الدمشقي الصالحي الحنبلي ، المعروف بان العماد ، أبو الفلاح ، مؤرخ ، فقيه ، أديب ، ولد في صالحية دمشق ، في ٨رجب سنة ١٠٣٢هـ وأقام بالقاهرة مدة طويلة ، توفي بمكة المكرمة ، في١٦ ذي الحجة سنة ١٠٨٩هـ ٠(معجم المؤلفين ، ٥/١٠٧)

٤- شذرات الذهب ، ٦/ ١٥٣

٥- السير ، ١٣/ ٥٢٥ ، والوافي بالوفيات ، ٢/١٦٥ ، والدرر الكامنة ، ٣/ ٣٣٨

أنكر الإمام الذهبي ، على الصوفية مصادر تلقيهم [١] ، لأنها تخالف مصادر السلف في التلقي ، فقال : « إذا رأيت السالك التوحيدي ، يقول: دعنا من النقل و العقل ، وهات الذوق والوجد ، فأعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر ، أو قد حل فيه ، فإن جبنت منه فاهرب ، وإلا فاصرعه وابرك على صدره ، واقرأ عليه آية الكرسي ، واخنقه »[٢]

وقال في الذوق والوجد ، – وهما من مصادر تلقي الصوفي ووسائلهم في الحصول على المعرفة والعلم – : « لاينهض الذوق والوجد ، إلا على تأسيس الكتاب والسنة»[٣]

وقال عن الكشف الصوفي : « ۰۰۰فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال، ولا بإخبار عن مُغيب ، فابن صائد ، وإخوانه الكهنة لهم خوارق ، والرهبان فيهم من قد تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة ، على غير أساس ولا توحيد ، فصفت كدورات أنفسهم ، وكاشفوا وفشروا ، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة، وأرباب الولاية ، المنوطة بالعلم والسنن ، فنسأل الله إيمان المتقين ، وتأله المخلصين ، فكثير من المشايخ ، نتوقف في أمرهم ، حتى يتبرهن لنا أمرهم»[٤]

وقال في ترجمة يونس بن يوسف : «كان شيخاً زاهداً ، كبير الشأن له الأحوال والمقامات والكشف ، وفي الجملة لم يكن الشيخ يوسف من أُولي العلم ، بل من أُولي الحال والكشف ، وكان عرياً من الفضيلة ۰۰۰ وكان شيخنا ابن تيميه يتوقف في أمره أولاً، ثم أطلق لسانه فيه ۰۰۰ فلا يغتر المسلم بكشف ، ولا بحال ، فقد تواتر الكشف والبرهان ، للكهان وللرهبان ، وذلك من إلهام الشياطين »[٥] .

١- انظر: منهج الذهبي في العقيدة ، ص ٥٠٥

٢- السير ، ٤/٤٧٢

٣- السير ، ٨/٥٠٩

٤- السير ، ٢٢/١٧٨-١٧٩ ، وانظر : تاريخ الإسلام (ط٦٢) ، ص ٤٢٤

٥- تاريخ الإسلام ، (ط٦٢) ، ص ٤٢٤-٤٢٦

وقال في ترجمة الباجريقي : « ٠٠٠ الشيخ الضال الزنديق : محمد بن المفتي الكبير جمال الدين عبد الرحيم ٠٠٠ حصل له حال وكشف ما وانقطع، فصحبه جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكان له قوة تأثير وتصرف في الجهلة ، فقصده أناس فضلاء للسلوك ، فرأوا من بلايا منافية للشرع ، فشهدوا عليه بما يبيح للدم»[١]

وقال في ترجمة يوسف القُميّني : « الشيخ يوسف القميني ٠٠٠كان للناس في هذا اعتقاد زائد ، لما يسمعون من مكاشفاته التي تجري على لسانه، كما يتم للكاهن ، سواء في نطقه بالمغيبات ٠

وقد رأيت غير واحد من هذا النمط ، الذين زال عقلهم ، أو نقص ، يتقلبون في النجاسات ٠٠٠ وبالفحش ينطقون ، ولهم كشف كما والله للرهبان كشف ، وكما للساحر كشف ، وكما لمن يصرع كشف ، وكما لمن يأكل الحية ويدخل النار حال ، مع ارتكابه للفواحش ، فوالله ما ارتبطوا على مسيلمة والأسود ، إلا لإتيانهم بالمغيبات »[٢]

وقال في ترجمة الحريري : « ٠٠٠كبير الفقهاء البطلة ٠٠٠ أكثر الناس يغلطون فيه ، كان مكاشفاً لما في الصدور ، بحيث قد أطلعه الله على سرائر أوليائه ، قلت – القائل الإمام الذهبي – : ما هذا ؟
اتق الله ، فالكهنة وابن صائد ، مكاشفون لما في الضمائر »[٣]

وقال في ترجمة ابن عربي : «٠٠٠ وهذا الرجل كان قد تصوف، وانعزل وجاع وسهر ، وفُتح عليه بأشياء وامتزجت بعلم الخيال والخطرات والفكرة ، فاستحكم به ذلك ،

١- ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥
٢ – السير ، ٢٣/ ٣٠٢ – ٣٠٣
٣ – السير ٢٣/ ٢٢٤، ٢٢٦-٢٢٧

حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً ، اعتقده من الله ، ولا وجود لذلك أبداً في الخارج »[١]

وقال عن الخلوات والرؤى وخطرات النفس ، عند الصوفية :
« ٠٠٠ ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة ، إلا واضطرب وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى وسمع خطاباً لا وجود له في الخارج ، ٠٠٠ وإن كان جاهلاً بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق »[٢]

وأضاف الإمام الذهبي : « ثم العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ، وسمع خطاباً يتولد ، من الجوع والسهر ، لا وجود لذلك الخطاب ، – والله – في الخارج ، وولج الشيطان في باطنه وخرج ، فيعتقد أنه وصل وخوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له »[٣] .

وعن منهج الاستدلال عند الصوفية ، نقل الإمام الذهبي قول سهل التستري : « إنما سمي الزنديق زنديقاً ؛ لأنه وزن دق الكلام ، بمخبول عقله، وقياس هوى طبعه ، وترك الأثر ، والإقتداء بالسنة ، وتأول القرآن بالهوى»[٤] .

وقال : « ٠٠٠وفي الجملة ففي تصانيفه – أي السلمي – ، أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي : "حقائق تفسيره" أشياء لا يسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة

١ – تاريخ الإسلام ، (ط٦٤) ، ص ٣٥٤
٢ – السير ، ١٧ / ٥٧٧–٥٧٨
٣ – السير ، ١٢/ ٩٠
٤ – السير ، ١٣/ ٣٣٢

الباطنية ، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن الكلام بهوى ، فإن الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدى الصحابة والتابعين -ﷺ- »[١] .

٢- الحلول ووحدة الوجود :

قال في ترجمة الحلاج : « ٠٠٠تبرأ منه سائر الصوفية[٢] والمشايخ والعلماء ، لما سترى من سوء سيرته ومروقه ، ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشعبذة[٣]٠٠٠، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهال ، نسأل الله العصمة في الدين»[٤] .

وقال عن الحلاج أيضاً : «٠٠٠ ولكن مقالته نبرأ إلى الله عنها، فإنها محض الكفر ، نسأل الله العفو والعافية ، فإنه يعتقد حلول الباري – عز وجل– في بعض الأشراف ، تعالى الله عن ذلك »[٥] .

وقال عن ابن عربي : « ٠٠٠ثم تزهد ، وتفرد ، وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم ، وأنجد ، وعمل الخلوات ، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة ، فواغوثاه بالله »[٦] .

---

١ – السير ، ٢٥٢/١٧

٢ – انظر : ص ١٨٢ من هذا البحث

٣ – شعبذ: مهر في الاحتيال ، ورأى الشيء على غير حقيقته ، معتمداً على خداع الحواس ، وشعبذ : زين الباطل لإيهام أنه حق ٠ (المعجم الوسيط ، ٤٨٤/٢ ، (باب العين) ٠

٤ – السير ، ١٤/ ٣١٤ ، وانظر : ١٤/ ٣١٨و٣٤٢-٣٤٣

٥ –السير ، ١٤/ ٣١٥ ، وانظر : ٣٢٥/١٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩

٦ – السير ، ٢٣/ ٤٨-٤٩ ، وانظر : ذيل تاريخ الإسلام (ط٦٤) ، ص ٣٥٣ ، والعقد الثمين ، ٢/ ١٨٥-١٨٦

ووصف الإمام الذهبي ، ابن عربي ، أنه : « قدوة أهل الوحدة »[١] ، وذكر له بعض الأشعار ، التي تبين فساد عقيدته [٢] .

وقال في ترجمة ابن سبعين : « كان من زهاد الفلاسفة ، من القائلين بوحدة الوجود ، له التصانيف ، وأتباع يقدمهم يوم القيامة »[٣] .

٣- الفنـاء :

قال الإمام الذهبي : « ... يقال إنه - أي أبو سعيد الخراز - أول من تكلم في علم الفناء ...قصد خيراً ، فولد أمراً كبيراً ، تشبث به كل اتحادي ضال به»[٤] .

وقال في ترجمة الهروي : « ... وفي " منازلة " إشارات إلى المحو والفناء ، وإنما مراده بذلك الفناء : هو الغيبة عن شهود السوى ، ولم يرد محو السوى في الخارج ...»[٥] .

وقال الإمام الذهبي ، تعليقاً على قول النوري : « سبيل الفانين الفناء في محبوبهم ، وسبيل الباقين البقاء ببقائه ، ومن ارتفع عن الفناء والبقاء، فحينئذ لا فناء ولا بقاء »

قال : « ... مرادهم بالفناء ؛ فناء الأوصاف النفسانية ونحوها ، ونسيانها لا شتغالهم بالله -تعالى - وبعبادته ، فإن ذات العارف وجسده لا ينعدم ما عاش ، والكون وما

---

١ - تاريخ الإسلام ، (ط٦٤) ، ص ٣٥٢ ، وانظر : ذيل تاريخ الإسلام (ط٦٤) ، ص ٣٥٨
٢ - انظر : ص ١٩٦ من هذا البحث
٣ - العبر ، ٣/ ٣٢٠
٤ - السير ، ١٣/ ٣٢٠ ، وانظر هذا الخبر في طبقات الصوفية ، ص ٢٢٧
٥ - السير ، ١٨/ ٥١٠

حوى فمخلوق ، والله خالق كل شيء ومبدعه ، أعاذنا الله وإياكم من قول الاتحادية، فإنه زندقة»[1] .

وقال : « ... فإن الفناء والبقاء ، من ترهات الصوفية ، أطلقه بعضهم ، فدخل من بابه كل إلحادي ، وكل زنديق ... » .

وقال : « ...إنما أراد قدما الصوفية بالفناء ، نسيان المخلوقات وتركها ، وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله ، ولا يسلم إليهم هذا أيضاً ؛ بل أمرنا الله ورسوله -ﷺ- ، بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها ، والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها ...» [2] .

٤- سقوط التكاليف الشرعية :

نقل الإمام الذهبي : « أن الباجريقي قال : إن الرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله - تعالى - وداروا بهم »

فقال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا القول : « يشير إلى أن الفرائض والعبادات حجاب عن الله - تعالى - ، قلت : هذه الطائفة الخبيثة مدفونون في الإبخاش ، لو أظهروا زندقتهم لقتلوه[3] »[4]

وقال : « وعندي مجموع ، من كلام الشيخ الحريري فيه : إذا دخل مريدي بلاد الروم ، وتنصر ، وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر كان في شغلي ، وسأله رجل : أي الطرق أقرب إلى الله ؟ قال : اترك السير وقد وصلت ! »[5]

١ - السير ، ١٤/ ٧٢-٧٣ ، وانظر : السير ١٥/٤٠٩-٤١٠

٢ - السير ، ١٥/ ٣٩٣

٣ - هكذا في الأصل ، والصواب : لو أظهروا زندقتهم لقتلوهم ، أو لو أظهروا زندقتهم لقتلوا .

٤ - ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٦

٥ - السير ، ٢٣/ ٢٢٥

وقال الإمام الذهبي ، في ترجمة الباجريقي : « ٠٠٠فصحبة جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع ٠٠٠وحكي عنه التهاون بالصلوات ٠٠٠وكان أصحابه ، يقصدون قبره يوم الجمعة ، ويتركون صلاة الجمعة»[١]
وقال عن الحريري : «٠٠٠ كان مستخفاً بأمر الصلوات »[٢]

وقال عن بعض الصوفية : « وقد رأيت غير واحد من هذا النمط ، الذين زال عقلهم أو نقص ، يتقلبون في النجاسات ، ولا يصلون»[٣]

وعن صلاة الرغائب ، قال الذهبي : « علي بن عبد الله بن جهضم ، الزاهد أبو الحسن ، شيخ الصوفية بحرم مكة ، ٠٠٠متهم بوضع الحديث ، ٠٠٠اتهموه بوضع صلاة الرغائب »[٤] ٠

وقال عن حديث صلاة الرغائب : « والحديث موضوع ، ولا يعرف إلا من رواية ابن جهضم ، وقد اتهموه بوضع الحديث »[٥]

٥ – طاعة الولــي :

١ – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥– ٢٦٦ ، وانظر : كتاب الكبائر للذهبي ، ص ١٦٨ ، عن حكم تارك صلاة الجمعة ٠
٢ – السير ، ٢٣/ ٢٢٥
٣ – السير ، ٢٣/ ٣٠٣
٤ – ميزان الاعتدال ، ٥/ ١٧٢ ، وانظر : ص ٢٣٢ من هذا البحث ٠
٥ – تاريخ الإسلام ، (وفيات ٤٠١–٤١٠و٤١١–٤٢٠) ، ص٣٥١

قال الإمام الذهبي : « نقل السلمي حكاية منكرة » أنه « كان بين أبي سليمان الداراني ، وأحمد بن أبي الحواري[١] ، عقد لا يُخالفه في أمر ، فجاء يوماً وهو يتكلم في مجلسه ، فقال أحمد : إن التنور قد سجر ، فما تأمر؟ فلم يجبه ، فأعاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : اذهب فاقعد فيه – كأنه ضاق به – وتغافل أبو سليمان ساعة ، ثم ذكر ، فقال : اطلبوا أحمد فإنه في التنور ، لأنه على عقد أن لا يخالفني ، فنظروا فإذا هو في التنور ، لم يحترق منه شعرة»[٢] .

فقال الإمام الذهبي ، تعليقاً على الطاعة المطلقة للشيوخ عند بعض الصوفية : « ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه : لِمَ ، إذا علمه معصوماً ، لا يجوز عليه الخطأ ، أما إذا كان الشيخ غير معصوم ، وكره قول : لم ؟ فإنه لا يُفلح أبداً »[٣] .

٦- الكرامات :

قال في ترجمة الحلاج : «فانظر إلى ترامي هذا المسكين ، على الكرامات والخوارق ، فنعوذ بالله من الخذلان »[٤]

وقال : « ليس في كبار المشايخ ، من له أحوال وكرامات ، أكثر من الشيخ عبد القادر ، ولكن كثيراً منها لا يصح ، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة»() .

٧- السماع :

---

١ – أحمد بن أبي الحواري ، وكنيته أبو الحسن ، وأبو الحواري اسمه ميمون ، من أهل دمشق ، صحب أبا سليمان الداراني ، وغيره ، مات سنة ٢٣٠ هـ .(طبقات الصوفية ، ص ٨٩-٩٩)

٢ – السير ، ١٢/ ٩٣

٣ – السير ، ١٧ / ٢٥١-٢٥٢

٤ – السير ، ١٤/ ٣٢٥ ، وانظر : السير ، ١٢/ ٢١٢-٢١٣

نقل الإمام الذهبي ، قول الإمام الشافعي ، في السماع : « خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير ، يشغلون به عن القرآن »[١]

وقال : « قيل سئل أبو علي – الروذ باري – عمن يسمع الملاهي ، ويقول : هي حلال لي ، لأني قد وصلت إلى رتبة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ؟ فقال : نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر »[٢]

٨- الرمـوز والغموض :

قال الإمام الذهبي : « متى رأيت الصوفي ، مكباً على الحديث فثق به ومتى رأيته نائياً عن الحديث ، فلا تفرح به ، لاسيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث ، عكوف على ترهات الصوفية ، ورموز الباطنية »[٣] .

وقال في ترجمة ابن الأعرابي : « ...كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل ، وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية ، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم ، إلا بحجة »[٤]

وقال في ترجمة الفارسي : « الصوفي ...له تصانيف في إشارات القوم ، فيها انحراف بيّن عن السنة »[٥]

---

١ – السير ، ١٠/ ٩١
٢ – السير ، ١٤/ ٥٣٦
٣ – السير ، ١٢/ ٢١٣
٤ – السير ، ١٥/ ٤١٠
٥ – السير ، ٢٢/ ١٨٠

وقال : « ٠٠٠كذا تُكلم في السلمي ، من أجل تأليف كتاب : " حقائق التفسير " فياليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة »[١]

وقال في ترجمة النوري : « شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطائف الحقائق ، وله عبارات دقيقة ، يتعلق بها من انحرف من الصوفية ، نسأل الله العفو»[٢]

٩- ذم المبتدع من الصوفية :

قال في ترجمة أحمد بن عطاء [٣]: « شيخ الصوفية العابد القانت ٠٠٠القدري المبتدع ، فما أقبح بالزهاد ركوب البدع ، نعوذ بالله من ترهات الصوفية ، فلا خير إلا في الاتباع ، ولا يمكن الاتباع إلا بمعرفة السنن »[٤]

١٠-الرهبانية :

قال في الرهبانية ، التي يبتدعها بعض الصوفية : « العابد العري من العلم ، متى زهد وتبتل وجاع ، وخلا بنفسه ، وترك اللحم والثمار ٠٠٠لازمته خطرات النفس ٠٠٠وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي ، صاحب كرامات وتمكن ، وربما حصل له شك ، وتزلزل إيمانه ، فالخلوة والجوع أبو جاد[٥] الترهب ، وليس ذلك من شريعتنا في شيء ، بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت ، والورع في المنطق ، وحفظ اللسان ، وملازمة الذكر٠٠٠ وتناول الطيبات »[٦]

١ – السير ، ١٣/ ٤٤٢

٢ – السير ، ١٤/ ٧٠

٣ –أحمد بن عطاء الهجيمي البصري ، القدري المبتدع ، كان تلميذ شيخ البصر عبد الواحد بن زيد ، توفي سنة ٢٠٠هـ (السير ، ٩/٤٠٨-٤٠٩)

٤ – السير ، ٩ / ٤٠٨-٤٠٩

٥ – لم أقف على معنى هذه الكلمة ، وقد كرر ذكرها الإمام الذهبي أكثر من مرة ٠

٦ – السير ، ١٢ / ٩٠

وعلق الإمام الذهبي على قول الجنيد : « مأخذنا التصوف عن القال والقيل ، بل عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المألوفات ».

قائلاً : « هذا حسن ، ومراده : قطع أكثر المألوفات ، وترك فضول الدنيا ، وجوع بلا إفراط ، إما من بالغ في الجوع ، كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا ، ومألوفات النفس ، من الغذاء والنوم والأهل ، فقد عرض نفسه لبلاء عريض ، وربما خولط في عقله ، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة »[١]

وقال في ترجمة الأبهري : « قيل إنه عمل له خلوة ، فبقي خمسين يوماً لا يأكل شيئاً .

وقد قلنا : إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ ، فإذا كان سرد الصيام والوصال قد نُهي عنهما ، فما الظن ؟ ... ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة إلا واضطرب ، وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى مرأىً وسمع خطاباً لا وجود له في الخارج ، فإن كان متمكناً من العلم والإيمان ، فلعله ينجو بذلك من تزلزل توحيده ، وإن كان جاهلاً بالسنن وبقواعد الإيمان ، تزلزل توحيده ، وطمع فيه الشيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، وربما تزندق ، وقال : أنا هو ، نعوذ بالله من النفس الأمارة ، ومن الهوى، ونسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا آمين»[٢]

١١- الشطح:

---

١ - السير ، ١٤ / ٦٩-٧٠

٢ - السير ، ١٧/ ٥٧٦-٥٧٧

قال في ترجمة يونس بن يوسف[١] : « شيخ الطائفة اليونسية[٢] ، أولي الزعارة والشطارة والشطح ، وقلة العقل ، أبعد الله شرهم ٠٠٠وفي الجملة لم يكن الشيخ يونس، من أولي العلم ٠٠٠ وله أبيات منكرة ، كقوله :

موسى على الطور لما خر لي ناجى — واليثربي أنا جبتوه حتى جا

وأما اليونسية : فهم شر الطوائف الفقراء ، ولهم أعمال تدل على الاستهتار والانحلال ، قالاً وفعلاً ، أستحي من الله ، ومن الناس من التفوه بها ٠٠٠وذلك البيت وأمثاله ، يحتمل أن يكون قد نظمه على لسان الربوبية ٠٠٠وإن كان عنى نفسه ، فهذه زندقة عظيمة ٠٠٠»[٣] .

تلك هي مواقف وردود الإمام الذهبي ، من الصوفية وبدعها ، والتي يظهر من خلالها قوته في الحق ، ومعرفته في الشرع ، ونصرته لمنهج السلف الصالح ، في التأصيل والردود ٠

١ –يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخازني المشرفي ، كان شيخاً زاهداً ، ولم يكن من أهل العلم ، بل من أهل الحال والكشف ، وكان عرياً من الفضيلة ، ولد سنة ٦١٩ هـ ٠ (تاريخ الإسلام (ط٦٢) ، ص ٤٢٤–٤٢٥)

٢ – نسبة إلى يونس بن يوسف ، مات سنة ٦١٩هـ ٠(الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٣٥٨)

٣ – تاريخ الإسلام ، (ط٦٢) ، ص ٤٢٤–٤٢٣

المبحث الرابع : ترجمة موجزة للإمام ابن مفلح ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية .

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن مفلح :

١- اسمه ونسبه :

محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ، ثم الصالحي ، الفقية الحنبلي، شمس الدين ، أبو عبد الله [١]

٢- مولده : ولد في حدود سنة ٧١٠ ، وقيل سنة ٧١٢هـ [٢]

٣- مؤلفاته:

جمع الإمام ابن مفلح ، مصنفات عدة ، منها على "المقنع" نحو ثلاثين مجلداً ، وعلى "المنتقى" مجلدين ، وله كتاب "الفروع" ، قد اشتهر في الآفاق ، وهو من أجل الكتب وأنفسها ، وله حاشية على " المقنع " ، وله كتاب في أصول الفقه ، و" الآداب الشرعية"[٣]

٤- عقيدته ،وثناء العلماء عليه :

---

١ - الدرر الكامنة ، ٤/ ٢٦١ ، و المقصد الأرشد ، ٢/ ٥١٧-٥١٨ ، وشذرات الذهب ، ٦/ ١٩٩

٢ - الدرر الكامنة ، ٤/٢٦١

٣ - المقصد الأرشد ، ٢/ ٥٢٠

الإمام ابن مفلح ، سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة ، « وحيد دهره ، وفريد عصره ، شيخ الحنابلة في وقته ، بل شيخ الإسلام ، وأحد الأئمة الأعلام ٠٠٠ كان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد ٠٠٠وكان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة وورع ٠٠٠ودين متين »[١] .

« وكان بارعاً فاضلاً متقناً ، في علوم كثيرة »[٢] ، قال عنه الإمام ابن القيم : « ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح »[٣]

٥- وفاته:

توفي الإمام ابن مفلح - رحمه الله - في رجب سنة ٧٦٣ هـ[٤]

١ - المقصد الأرشد ، ٢/ ٥١٨-٥١٩ ، وشذرات الذهب ، ٦/١٩٩

٢ - الدرر الكامنة ، ٤/ ٢٦٢

٣ - شذرات الذهب ، ٦/ ١٩٩

٤ - الدرر الكامنة ، ٤/ ٢٦٢ ، والمقصد الأرشد ، ٢/ ٥٢٠

المطلب الثاني: مواقف الإمام ابن مفلح ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية:

١- التلقي والاستدلال :

نقل ابن مفلح ، قول الإمام أحمد بن حنبل ، عندما سئل عمن يتكلم في الوساوس والخطرات ، فنهى عن مجالستهم ، وقال للسائل : « احذرهم »[١]

ونقل كذلك تحذير الإمام أحمد من كتب الحارث المحاسبي ، عندما قال للسائل : « إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، وعليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك، قيل له : في هذه الكتب عبرة ، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي ، صنفوا مثل هذه الكتب ، في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع »[٢]

وقال في أصل الذوق والوجد : « فإن ما كان من باب الذوق والوجد ، لا يعرفه إلا من كان له ذوق وحس ، ولفظ الذوق وإن كان قد يُظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان ، فاستعماله في الكتاب والسنة ، يدل على أنه أعم من ذلك ، مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافي، كما أن لفظ الإحساس عام فيما يحس بالحواس الخمس ، بل وبالباطن ، وأما في اللغة فأصله الرؤية[٣]، كما قال تعالى : ﴿ ٠٠٠هل تحس منهم من أحد٠٠٠ ﴾[مريم : ٩٨][٤]

١ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٨٢

٢ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٨٢-٨٣

٣ – انظر تأصيل الرؤية على منهج السلف ، في الآداب الشرعية ، ٣/ ٤٢٧-٤٣٦

٤ – الآداب الشرعية ، ١/ ١٦٥-١٦٦

٢- الوصال ، وصيام الدهر :

قال ابن مفلح : « يكره الوصال ، وهو أن لا يفطر بين يومين ؛ لأن النهي رفق ورحمة ٠٠٠وقيل يحرم »[١] ٠ وقال : « يكره صوم الدهر »[٢]

٣- الرهبانية :

استدل الإمام ابن مفلح ، بقول ابن الجوزي[٣] ، على ذم ما يفعله بعض الصوفية من الرهبانية والتقشف ، بقوله : « ولقد تخبط في هذا الأمر خلق كثير من الصالحين ، صحت مقاصدهم وجهلوا الجادة ، فمشوا في غيرها وفي هؤلاء الذين حملوا على أنفسهم ، من عاجله المرض والموت ، وفيهم من رجع القهقرى ، ومنهم من تخبط فلا من هؤلاء ولا من هؤلاء ٠

فأما العلماء الفهماء ، فإنهم على قانون الحكمة وسبيل العلم ؛ فإياك أن تعرض عن الجادة السليمة ، احذر من الإقتداء بجهال المتصوفة والمتزهدين ، الذين تركوا الدنيا على زعمهم ، فالصادق منهم في تركها عامل بواقعه لا بالعلم ، والمبهرج منهم خسر الدنيا والآخرة »[٤]

وأضاف القول : « ومن جهل هؤلاء أنهم لو رأوا عالماً يرفق بنفسه عابوه ، ولو رأوا عليه قميص كتان ، قال زاهدهم : هذا ما يعمل بعلمه ؟»[٥]

---

١ – الفروع ، ٣/ ٨٦

٢ – الفروع ، ٣/ ٨٥

٣ – انظر : تلبيس إبليس ، ص ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٧

٤ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٢٤٣

٥ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٢٤٣

واستدل ابن مفلح ، بقول الإمام أحمد ، على بطلان ما يفعله الصوفية من السياحة ، فقال – وقد سؤل الإمام أحمد – : « ما تقول في السياحة ؟ . قال : لا ، التزوج ولزوم المسجد »[١] .

٤- السماع :

أورد ابن مفلح ، قول ابن الجوزي [٢]، في ذم ما يفعله الصوفية ، من السماع المحرم ، فقال : « إني لأعجب من الصوفية ، إذا مات لهم ميت ، كيف يعملون دعوة ويرقصون ، ويقولون : وصل إلى الله – عز وجل – ، أفأمنوا أن يكون وقع في عذاب ، فهؤلاء سدوا باب الخوف ، وعملوا على زعمهم على المحبة والشوق ، وما كان العلماء هكذا »[٣]

وذكر أنه يسن صون المسجد : « عن إنشاد شعر قبيح ومحرم ، وغناء ، وعمل سماع »[٤]

وقال : « قال الشيخ تقي الدين – رحمه الله – : وآلات اللهو ، لا يجوز اتخاذها ، ولا الاستئجار عليها ، عند الأئمة الأربعة »[٥]

٥- الأحوال والمقامات :

---

١ – الآداب الشرعية ، ١/ ٤٦٠

٢ – انظر: تلبيس إبليس ، ص ٣٠٨

٣ – الآداب الشرعية ، ١/ ١٧٨

٤ – الآداب الشرعية ، ٣/ ٣٨٨

٥ – الآداب الشرعية ، ١/ ٢١٧

قال الإمام ابن مفلح : « قال شيخنا عمل القلب ؛ كالصبر والتوكل والخوف والرجاء ، وما يتبع ذلك ، واجب باتفاق الأئمة الأربعة»[١]

وقال : « قال أحمد بن القاسم[٢] : سمعت أبا عبد الله – أحمد بن حنبل – ورجل يسأله من أهل الشام – رجل غريب – فذكر أن ابن أبي الحواري وقوماً معه ، يتكلمون بكلام قد وضعوه في كتاب ، ويتذاكرونه بينهم ، فقال : ما هو ؟ قال : يقولون : المحبة لله أفضل من الطاعة ، وموضع الحب درجة كذا ، فلم يدعه أبو عبد الله يستتم كلامه ، وقال : هذا ليس من كلام العلماء ، لا يلتفت إلى من قال هذا ، وأنكر ذلك وكرهه »[٣]

٦- ذم الصوفية :

قال ابن مفلح : « قال في " الفنون " [٤] : ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفة ، فهؤلاء يفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول ، وهؤلاء يفسدون الأعمال ، ويهدمون قوانين الأديان ٠

قال : وقد خبرت طريق الفريقين ، غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح ، والمتكلمون عندي خير من الصوفية ؛ لأن المتكلمين قد يردون الشك ، والصوفية يوهمون التشبيه والأشكال ، والثقة بالأشخاص ضلال ، مالله طائفة أجل ، من قوم حدثوا عنه وما أحدثوا ، وعولوا على ما رووا ، لا على ما رأوا »[٥] ٠

---

١ – الفروع ، ٢/ ٢٢٣

٢ – أحمد بن أبي بكر (القاسم) بن الحارث بن زرارة بمن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو مصعب الزهري ، المدني الفقيه ، مات سنة ٢٤٢هـ ٠(تقريب التهذيب ، ص٨٧)

٣ – الآداب الشرعية ، ٢/ ٨٢

٤ – يقصد ابن عقيل ، والفنون كتاب ضخم ، مفقود ٠

٥ – الآداب الشرعية ، ١/ ٢٢٨

هكذا وقف الإمام ابن مفلح ، من الصوفية ، مستنداً في مواقفه على كتاب الله ، وسنة رسوله الكريم -ﷺ- ، ومستدلاً بأقوال أئمة الإسلام العدول ، على ضلال الصوفية ، في بعض ما ذهبوا إليه ٠

المبحث الخامس : ترجمة موجزة للإمام ابن قاضي الجبل ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن قاضي الجبل ٠

١- اسمه ونسبه :

أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي ، شرف الدين ابن شرف الدين ابن قاضي الجبل ، أبو العباس [١]

٢- مولده : ولد في شعبان ، سنة ٦٩٣هـ [٢]

٣- مؤلفاته:

الفائق في الفقه ، أصول الفقه ، الرد على الهراسي ، شرح المنتقى لابن تيميه ، وسماه : " قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام " ، تنقيح الأبحاث في رفع التيمم للأحداث ، ومسألة المناقلة[٣] .

٤- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

الإمام ابن قاضي الجبل ، سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة .

قال ابن حجر : « اشتغل بالعلم فبرع في الفنون ، وكان بارعاً في العلوم بعيد الصيت ، قديم الذكر ، وله نظم وذهن سيال ، وأفتى في شبيبته ، يقال إن ابن تيميه أجازه بالإفتاء ، وكان يعمل الميعاد ، فيزدحم إليه الفضلاء والعامة »[٤]

---

١ - الدرر الكامنة ١/١٢٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٥٣

٢ - الدرر الكامنة ، ١/ ١٢٠

٣ - الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٥٤ ، وفتاوى في الغناء ، ص ٧

٤ - الدرر الكامنة ، ١/ ١٢٠

وقال ابن رجب : « كان له باع طويل في التفسير ، لا يمكن وصفه ، كان له في الأصول والفروع ، القدم العالي ، وفي شرف الدنيا المحل السامي ٠٠٠كيف لا ؟ وهو تلميذ ابن تيميه ، وقد قرأ عليه ، واشتغل كثيراً ، وقرأ عليه مصنفات في علو شتى»[١]

وقال ابن ناصر الدين : « الشيخ الإمام العلامة ، ذو الفنون ،٠٠٠ شرف الدين ، مفتي المسلمين ، مفيد الطالبين»[٢]

٥- **وفاته :** توفي ابن قاضي الجبل – رحمه الله – في رجب سنة ٧٧١هـ[٣]

الطلب الثاني : مواقف الإمام ابن قاضي الجبل ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

ألف الإمام ابن قاضي الجبل، كتاباً كاملاً – فتاوى في الغناء – ، جمع فيه فتاوى وردود العلماء ، على مسألة السماع عند الصوفية ، وما يصحبها من آفات ، وما ينتج عنها من مخالفات ٠

١ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٤/ ٤٥٣
٢ – الرد الوافر ، ص ١٣٨
٣ – الدرر الكامنة ، ١/ ١٢١

فقال : « رب يسر وأعن يا كريم ٠٠٠صورة استفتاء كُتب في سنة أربعين وسبعمائة – من الهجرة – ، لأمر أوجب ذلك ، وسُئل عنه أئمة أهل العلم والدين ، فأجابوا عنه ، لا أخلى الله الوجود من عدول العلم وحملته ، الذين يبينون للناس ما أُنزل إليهم من ربهم ويعتصمون بطريقة نبيهم»[١]

وأضاف : « فإنما يهلك الناس إذا صاروا نوعاً واحداً ، وصنفاً واحداً، لا يتفاضلون في علم ولا دين٠٠٠»[٢]

ثم أورد صورة الاستفتاء ، فقال : « ما تقول ٠٠٠ العلماء أحسن الله توفيقهم ، في السماع الذي يشتمل على الدفِّ والشبابة وآلات اللهو والطرب٠ أو التصفيق بالكف ونحوه من اللهو ، مثل : التغبير ونحوه ، ويحضر الرجال والنساء ، وربما اختلطوا بعضهم ببعض ، فربما جلس النساء مقابل الرجال ، فينظرون إليهم وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف والغناء ، ويزعمون أن ذلك قربة يقربهم إلى الله ، ويزيد في أذواقهم ومواجيدهم الإيمانية ، وأن من رقص غُفر له ٠

يقول ذلك بعضهم ، وأن من أنكر ذلك عليهم محجوب ، ليس من أهل الحقيقة ، بل هو من أهل القشور ، وهم أهل اللباب ، وربما قالوا : نحن وصلنا إلى ما لم يصل إليه الفقهاء ، وربما ارتفعت بينهم الأصوات والشخير والنخير والزعقات ، وربما أظهروا أشياء يسمونها الإشارات ، كإخراج الآذن والدم وملابسة النار ومسك الحيات ، ويزعمون أن هذه كرامات وأحوال ، وأنهم يدعون بها الناس إلى الله ، ويقولون : لنا الحقيقة ولغيرنا الشريعة ٠

---

١ – فتاوى في الغناء ، ص ١٩

٢ – المرجع السابق ، ص ١٩

فهل هذه أفعال طاعة وقربة ؟ . ودين شرعه الله لعباده ؟ .ورضيه لهم، كما يزعمه هؤلاء القوم أم لا؟ وهل فعل رسول الله -ﷺ- شيئاً من ذلك أم لا؟

وما يجب على من نسب ذلك إلى رسول الله -ﷺ- وأصحابه ، واتخذه ديناً ؟ وهل هذا من الحق أم من الباطل؟ وهل هذه طريقة أولياء الله وحزبه وأتباع رسوله ؟ أم طريقة أهل اللهو واللعب والباطل ؟ وهل يسوغ الإنكار على هؤلاء ويثاب من ينكر عليهم بيده أو بقلبه أو بلسانه أم لا ؟ وهل ذلك من المنكر الذي قال فيه رسول الله -ﷺ- : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1].

ثم إن هؤلاء القوم منهم من يقول : إن هذا السماع قربة يتقرب بها ، ومنهم من يقول: إنه مباح ، وربما قال أصحاب هذا القول : إن الشافعي هو الذي قد قال بإباحة السماع .

فهل قال الشافعي بإباحة ذلك أم لا ؟ ومنهم من يقول: هو ذنب صغير يمحوه الاستغفار . يقول ذلك وهو مصر على فعله ، لزعمه أن الاستغفار الذي يمحوه هو : مجرد نطقه بالاستغفار من غير أن يقلع بقلبه عنه . فهل هذا الاستغفار يزيل هذا الذنب من غير عزم بقلبه على تركه أم لا ؟ .

ومنهم من يحتج على ذلك وأنه مباح بحديث الحبشة الذين لعبوا في المسجد بالحراب ، وعائشة – رضي الله عنها – تنظر إليهم من وراء النبي -ﷺ- [2].

ومنهم من يحتج بحديث بنات النجار ، وأنهن ضربن بالدف أمام النبيﷺ[3].

---

١ – صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ٦٩/١ حديث رقم ٤٩

٢ – أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ، باب أصحاب الحراب في المسجد ، ١٦٣/١ ، حديث رقم ٤٥٤ ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « لقد رأيت رسول الله – ﷺ – يوماً على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله -ﷺ- يسترني بردائه ، أنظر إلى لعبهم » . وفي صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب الحراب والدرق يوم العيد ، ٣٠٢/١ حديث رقم ٩٥٠ ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت النبي -ﷺ- ، وإما قال : أتشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه خدي على خده ، وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة ، حتى إذا مللت ، قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال ، فاذهبي »

٣ – حديث بنات النجار ، أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح ، باب الغناء والدف ، ٦١٢/١ ، حديث رقم ١٨٩٩ ، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – : « أن النبي -ﷺ- مر ببعض المدينة ، فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقولن :

نحن بنات النجــار يا حبذا محمد من جــار

فقال النبي -ﷺ- : « الله يعلم إني لأحبكن » ، وفي الزوائد إسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

والمسؤل من السادة[١] العلماء تبيين ذلك كله ، وتعريف الصراط المستقيم ، وفرضنا السؤال ، وفرضكم الجواب ٠ قال –تعالى–: ﴿٠٠٠فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[النحل : ٤٣] ، وقال –تعالى– : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه٠٠٠﴾ ، [آل عمران : ١٨٧] ٠

وصلى الله على سيدنا محمد و أله وصحبه وسلم »[٢]

هذه صورة الاستفتاء ، الذي أورده الإمام ابن قاضي الجبل كاملاً ، ثم أورد بعده أجوبة العلماء عليه ، فقال : « صفة الجواب الثالث [٣] ،وهو جواب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[٤]: الله الموفق ، هذا الجواب المسؤل عنه بهذه الصفات المذكورة بدعة وحرام ، تسقط به العدالة ، وترد به الشهادة ، وتذهب به المروءة ، و لا يعرف في حله قولاً لأحد ممن يعتد ٠

وقد قال تعالى:﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ٠٠٠ ﴾ [الأنفال : ٣٥]

فالمكاء التصفيق ، والتصدية الصفير[٥] ٠

---

١ – السيد هو : الله – تعالى ذكره وتقدست أسماؤه – ٠

٢ – فتاوى في الغناء ١٩–٢١ و كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : ربيع أحمد خلف ، ط١، (بيروت : دار الجيل ،١٤١٢هـ) ، ص ٢٠–٢٢

٣ – بداء بالجواب الثالث مباشرة ، ولم يذكر الجواب الأول و الثاني ، فلعله سقط لم يستدركه محقق الكتاب ، وقد وجدت الجواب الأول ، في كتاب كشف الغطاء عن مسألة حكم سماع الغناء ، فصاحب الجواب الأول : تقي الدين السبكي ، والجواب الثاني : الشيخ جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي ، وجواباً لابن كثير ، لم يذكره ابن قاضي الجبل ٠ (ص ، ٢٤ ، ٢٧، ٣٩)

٤ – إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد الحنفي ، برهان الدين بن كمال الدين ، المشهور : بابن عبد الحق ، انتهت إليه رئاسة المذهب ، مات بدمشق سنة ٧٤٤ هـ ٠(الدرر الكامنة ، ١/٤٦–٤٧ ، وكشف الغطاء ، ص ١٤)

٥ – ذكر ابن كثير في تفسيره أن : « المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق » ، ٢/ ٣١٩ ، وقال الزمخشري: «المكاء : ٠٠٠من مكا يمكو إذا صفر ، ٠٠٠والتصدية : الصفير » ، الكشاف ، ٢/ ٢١١

وقال –تعالى– ﴿ ...واجتنبوا قول الزور ﴾ [الحج : ٣٠] ، قال محمد بن الحنيفية[١]: هو الغناء [٢].

وقال – تعالى – ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ﴾، [النجم : ٥٩،٦٠،٦١] .

قال عبد الله بن عباس : سامدون في لغة أهل اليمن ؛ لغة حمير ، هو: الغناء ، يقال سمد فلان إذا غنى [٣].

ولو كانت هذه الصفة المذكورة من جملة الدين ، ومما يتقرب به إلى الله – سبحانه– لوجب إظهار شرعها من الشارع ، وبيان حكمها لئلا يكون الدين بدونها ناقصاً ، وقد قال – تعالى – ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ [المائدة: ٣].

ويقول تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ [الشعراء : ٢٢٤]

وبحديث أبي أمامة أن النبي –ﷺ– : « نهى عن شراء المغنيات وبيعهن ، وتجارة بهن وأكل أثمانهن حرام » [٤]...

---

١ – محمد بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، أبو القاسم ، تابعي ثقة ، كان رجلاً صالحاً ، مات برضوى سنة ٧٣هـ ودفن بالبقيع .(تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه د: بشار عواد ، ط١، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ) ،٤٤٤/٦–٤٤٥

٢ – إغاثة اللهفان ، ١/ ٢٤١

٣ – انظر: ذم الملاهي (مع كتاب العقل وفضله) تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، ويسري عبد الغني ، ط١ ، (لبنان بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٣هـ) ، ص ٧٣ ، ولسان العرب ، ٣/ ٢١٩ ، (باب الدال) .

٤ – أخرجه ابن ماجة في سننه ، حقق نصوصه ، ورقم كتبه ، وأبوابه ، وأحاديثه ، وعلق عليه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، كتاب التجارات ، باب ما لا يحل بيعه ، ٧٣٣/٢ ، حديث رقم ٢١٦٨ ، ولفظه : « نهى رسول الله –ﷺ– عن بيع المغنيات ، وعن شرائهن ، وعن كسبهن ، وعن أكل أثمانهن » . وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة .

ويقول – عليه السلام – « لأن يمتلئ بطن أحدكم قيحاً يريه خير له من أن يمتلئ شعراً »[1] .

قال أبو عبيدة [2]: يريه يأكل بطنه ، ويقال وراه يريه[3] ، قال الشاعر[4] :

وراهن ربي مثل ما قد ورينني	وأحمى على أكبادهن المكاويا

وبقوله – ﷺ- : « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى »[5]

وبحديث زمارة الراعي، وأنه – ﷺ- وضع أصبعيه في أذنيه ، وعدل عن الطريق حتى انقطع صوتها [6].

وكذلك ابن عمر فعل . فلولا أن ذلك ممنوع من سماعة في شريعته ، لما وضع أصبعيه في أذنيه .

وقد قال ابن مسعود: "الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب "[7].

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ، ١٢٠/٤ ، حديث رقم ٧١٥٥ عن أبي هريرة –رضي الله عنه – : « قال رسول الله –ﷺ- : لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً » . وفي لفظ آخر عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن النبي –ﷺ- قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً » . ١٢٠/٤ ، حديث رقم ٦١٥٤

٢ – معمر بن المثنى أبو عبيده التيمي ، مولاهم ، البصري النحوي اللغوي ، صدوق أخباري ، وقد رمي برأي الخوارج ، مات سنة ثمان ومئتين ، وقيل بعد ذلك ، وقد قارب المائة . [تقريب التهذيب ، ص ٩٦٢] .

٣ – قال ابن فارس : « فالوري داء يدخل الجسم ، ويقال : وري جلده يري ورياً ، ووراه غيره » . (معجم المقاييس في اللغة ، ص ١٠٨٩ ، باب الواو)

٤ – القائل : عبد بني الحسحاس . (معجم المقاييس في اللغة ، ص ١٠٨٩)

٥ – قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : « حديث جابر : كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى . لم أجد له أصلاً من حديث جابر ، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرجه ولده في مسنده». الإحياء ٣١٠/٢

٦ – حديث زمارة الراعي ، أخرجه الإمام أحمد في المسند ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، ٣٨/٢ ، حديث رقم ٤٣٠٧ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح باب الغناء والدف ، ٦١٣/١ ، حديث رقم ١٩١٠ ، عن مجاهد قال : « كنت مع ابن عمر فسمع صوت طبل ، فأدخل إصبعيه في أذنيه ، ثم تنحى حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله –ﷺ- » .

٧ – أخرج أبو داود في سننه منه : « الغناء ينبت النفاق في القلب » ، باب كراهة الغناء والزمر ، ٢٨٢/٤ ، حديث رقم ٤٩٢٧ مرفوعاً إلى النبي –ﷺ- ، وكذا البيهقي في السنن الكبرى ، ١٠ / ٢٢٣ ، و السنة ، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، دراسة وتحقيق د: عطية بن عتيق

ونحوه عن عمر بن عبد العزيز ، وقال عثمان : "ما تمنيت ، ولا تغنيت ، ولا مست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله -ﷺ- "[1] فتنزه عن الغناء وتبجح بتركه .

وقد قال ابن عمر لقوم وفيهم رجل يتغنى : " ألا لا سمع الله لكم ، ألا لا سمع الله لكم"[2] .

وقد سئل القاسم بن محمد[3] عن الغناء : فقال للسائل : " أنهى عنه واكرهه "[4].

وقال الشعبي[5] : " لعن المغني والمغنى له "[6]

وقال الضحاك : " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب " [7]

أما قول علماء الأمصار ، وأئمة الفتوى في سائر الأقطار ،فقد قال أئمتنا : " لو استأجر للغناء والنوح ، أو قراءة شعر ، لم يجز ، ولا أجر له ، لأنها معصية ، والإجارة على المعصية باطلة " ، ولقد بالغ أئمتنا في هذا حتى منعوا منه أهل الذمة أيضاً :

قال أبو يوسف[8] في حق أهل الذمة : " إنهم يمنعون من المزامير ، وضرب العيدان ، والغنـاء ، والصنوج ، والطبول ، واللعب بالحمام وطيرانها في الرستاق[9] ، والسوار في الهدية ، ولا من يغني من الناس ؛ لأنه يجمعهم على كبيرة ، وفي شروط العدالة ، أن لا نلعب بشيء من الملاهي ، وننظر في هذا إن كانت مستشنعة ؛ نحو الحداء وضرب

الزهراني ، ط١، (الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ) ، ص ٧٣ ، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ١ / ٢٤٧ : « هو صحيح عن ابن مسعود ومن قوله »

١ – أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الطهارة وسننها ، باب كراهة مس الذكر باليمين ، ١/١١٣ ، حديث رقم ٣١١ ، ولفظه : « ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله -ﷺ- »

٢ – انظر : ذم الملاهي ، ص ٧٤ ، وتلبيس إبليس ، ص ٣٠٦

٣ – القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، ثقة ، أحد فقهاء المدينة ، مات سنة ١٠٦للهجرة . (تقريب التهذيب) .

٤ – انظر : ذم الملاهي ، ص ٧٤ ، وتلبيس إبليس ، ص ٣٠٦

٥ – الضحاك بن مزاحم ، أبو إسحاق ، أو أبو الفضل ، محمد الخراساني ، صدوق كثير الإرسال ، مات بعد المائة . (تقريب التهذيب ، ص ٤٥٩) .

٦ – انظر : ذم الملاهي ، ص ٧٤ ، وتلبيس إبليس ، ٣٠٦

٧ – انظر : تلبيس إبليس ،ص ٣٠٦

٨ – يعقوب بن إبراهيم ، ابن صاحب رسول الله -ﷺ- عبد الرحمن ابن عوف الإمام الحافظ الحجة ، أبو يوسف الزهري .[السير ، ٩/٤٩١]

٩ – الرستاق – معربه تعني – موضع فيه مزدرع ، وقرى أو بيوت مجتمعة. [المعجم الوسيط ١/٣٤١، (باب الراء)] .

القضيب، جازت شهادتهم ، إلا أن يتفاحش ، بأن يرقصوا به ، فيدخل في حد المعاصي والكبائر ، وحينئذ تسقط العدالة ٠

وقد جعل أبو حنيفة الغناء من جملة ما يبتلى به المرء ، وهو مذهب سائر الكوفيين : سفيان الثوري ،وحماد والشعبي ، لا خلاف بينهم في ذلك ، وكذلك أهل البصرة لا يخالفون فيه ويكرهونه ، إلا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري[١] أنه كان لا يرى بأساً وكذلك إبراهيم بن سعد[٢][٣] ٠

وأما مالك فإنه نهى عن الغناء واستماعه ، وقال: " إذا اشترى جارية فوجدها مغنية ، كان له ردها بالعيب " ، وهو مذهب أهل المدينة ، إلا إبراهيم بن سعد [٤].

وقد سئل مالك عما يترخص به أهل المدينة من الغناء ، فقال : " إنما يفعله عندنا الفساق "[٥]

---

١ – عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبير ، البصري ، قاضيها ، ثقة ، فقيه ، مات سنة ٦٨للهجرة (تقريب التهذيب ، ص ٦٣٧) ٠

٢ – إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن صاحب رسول الله –ﷺ– ، عبد الرحمن بن عوف ، الإمام الكبير أبو إسحاق القرشي الزهري العوفي المدني ، توفي ١٨٣هـ ٠ قال الإمام الذهبي عن إبراهيم بن سعد : « كان ممن يترخص في الغناء ، على عادة أهل المدينة ، وكأنه لِيْمَ في ذلك ، فنزعج على المحدثين ، وحلف أنه لا يحدث حتى يغني قبله ، فيما قيل» ٠(السير ٨/ ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧)

٣ – انظر :تحريم الغناء والسماع ، تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، (مع رسالة في تحريم الجبن الرومي) ، حققهما وقدم لهما ووضع فهارسهما : عبد المجيد تركي ، ط١ ، (بيروت : دار الغروب الإسلامي ، ١٩٩٧م) ، ص ١٦٥، إذ قال الطرطوشي : «٠٠٠وما خالف في الغناء إلا رجلان ! إبراهيم بن سعد ، فإن الساجي حكى عنه أنه لا يرى بأساً ، والثاني عبيد الله بن الحسن العنبري ، قاضي البصرة ، وهو مطعون فيه ، ٠٠٠وأما إبراهيم بن سعد ، فرجل من أهل الحديث ، ليس من أهل الاجتهاد والفتيا في الدين ، ثم لم يوضح الراوي – المقصود به الساجي – صفة ما أجازه من الغناء ، فلعله نشيد القصائد التي لا تطرب ، ولا تلحن على نغمات الموسيقى ٠٠٠» ٠ تحريم الغناء والسماع ، ص ١٦٤–١٦٥ ، و تلبيس إبليس ، ص ٣٠٦ ، وإغاثة اللهفان ، ٢٣٠/١ ، وقال ابن القيم : « عبيد الله بن الحسن العنبيري ، قاضي البصرة ، وهو مطعون فيه » ٠

٤ – انظر: تحريم الغناء والسماع ، ص ١٦١ ، وتلبيس إبليس ، ص ٣٠٠ ، وإغاثة اللهفان ، ٢٢٦/١

٥ – انظر :تحريم الغناء والسماع ، ١٦٢ ، و تلبيس إبليس ، ص ٢٩٩ ، وإغاثة اللهفان ، ٢٢٧/١

وأما الشافعي ٠٠٠ فيقول: " تركت شيئاً بالعراق يقولون له التغبير ، أحدثه الزنادقة ، يصدون به الناس عن القرآن " [١].

قال البيهقي : " الرجل يغني يتخذ الغناء صناعة له ، يؤتى عليه ويؤتى له ، ويكون مشهوراً معروفاً ، والمرأة ، قال الشافعي: " لا تجوز شهادة واحد منهما ، لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ، فإن من فعل هذا كان منسوباً إلى السفه ، ومن رضي هذا لنفسه كان مستخفاً ، وإن لم يكن محرماً بيّن التحريم ٠

وحكى الطبري [٢]عن الشافعي : " أن الرجل إذا جمع الناس لسماع غناء الجارية فهو سفيه مردود الشهادة ، وغلظ في ذلك حتى قال : هو دياثة ، وحكي كراهته للتغبير : وهو الطقطقة بالقضيب ، وقال : " وضعته الزنادقة "٠

أما الإمام أحمد ، فقال الأثرم[٣] : "سمعت أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – يقول : " التغبير محدث " ٠

قال أبو الحارث [٤]سألت أبا عبد الله ، وقلت له : " أنه ترق عليه القلوب" ٠
فقال: " هو بدعة " ، وكرهه ونهى عن استماعه ٠

---

١ – انظر : تلبيس إبليس ، ص ٣٠٠ ، وإغاثة اللهفان ، ٢٢٩/١

٢ – الطبري هو : القاضي أبو الطيب الطبري (توفي ٤٥٠ هـ) ، تحريم الغناء والسماع ، ص ١٦٣ ، وانظر : تلبيس إبليس ، ص ٣٠١

٣ – الإمام الحافظ العلامة : أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم الطائي ، أحد الأعلام ، مصنف السنن ، وتلميذ الإمام أحمد ، ولد في دولة الرشيد ، ومات في مدينة إسكاف في حدود الستين ومئتين ، (السير ١٢/ ٦٢٣-٦٢٤، ٦٢٦)

٤ – أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ ، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، أكثر رواية المسائل عنه ٠ (تاريخ بغداد ، ١٢٨/٥)

قال عبد الله بن داود[1] : " أرى أن يضرب صاحب التغبير " ، والتغبير اسم لهذا السماع ٠

وروي[2] عن أحمد أنه قال : " الغناء ينبت النفاق في القلب ، فلا يعجبني" ، وذهب بعض أصحاب الرأي إلى تحريمه ٠

قال أحمد : " فمن مات وخلف ولداً يتيماً وجارية مغنية ، فاحتاج الصبي إلى بيعها ، تُباع ساذجة ٠ قيل له : إنها تساوي مغنية ثلاثين ألف ، وتساوي ساذجة عشرين دينار ، قال : " لا تباع إلا على إنها ساذجة " [3] ٠

فهذا كتاب ربنا – سبحانه – وهذه سنة نبيه نبي الرحمة –ﷺ–، وهذه أقوال أئمة الدين ، والأمناء على شريعة سيد العالمين ، الذين استعملهم الله لخدمتها ، وجعل أقوالهم المأخوذ بها ، ينهون عن السماع الموصوف بهذه الصفات من فعله ، ويجعله بعضهم مسقطاً للعدالة ، وبعضهم ذاهباً للمروءة ، وبعضهم من قبيل السفهاء والمجانين ورعونات النفس ، فبأي شيء يعدل عن ذلك ٠ أم في أي مسلك يبتغي فيه الهدى من المسالك ٠ ثم لم يكتف بإباحة فعله على الوجه المسؤل عنه ، حتى جعلوه قربة وطاعة، ومثار إشراق النفوس بالأنوار الإلهية ، وذلك كذب وافتراء ، وما أشبههم بالدخول تحت مفهوم قوله – تعالـى – : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ٠٠٠ ﴾،[الشورى : ٢١] ٠

وإن ذلك قريب من الكذب على الله وعلى رسوله ، لا سيما إن اجتمعوا فيه على الصور الحسان ، والملابس الجميلة ، واتخاذ الأرائح من العنبر ونحوه، مما يحرك النفوس

---

١ – قال محقق كتاب كشف الغطاء ، ربيع بن أحمد : « بعد بحث طويل يترجح لي أنه :الخريبي – إن شاء الله– » (كشف الغطاء ، ص ٣٤) وهو : «عبد الله بن داود بن عامر الهمداني ، أبو عبد الرحمن الخريبي ، ثقة عابد مات سنة ٢١٣هـ » ٠ (السير ، ٩/ ٣٤٦)

٢ – عبد الله ابن الإمام أحمد ، انظر : إغاثة اللهفان ، ٢٢٩/١

٣ – انظر : المغني ،لابن قدامة ، تحقيق وتعليق محمد سالم محيسن و شعبان محمد إسماعيل (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ طبع) ، ٢٤٦/٤–٢٤٧ ، و إغاثة اللهفان ، ٢٣٠/١

الشهوانية إلى إكثار النظر وتكريره ، وربما دعته نفسه إلى ملامسة بدنه ، فإن تمكن الشيطان منه دعاه إلى أفحش من ذلك ٠

قال بقية[١] : اللوطية على ثلاثة أقسام : قسم ينظرون ،وقسم يصافحون ، وقسم يفعلون ذلك الفعل القبيح[٢] ، ودعوى هؤلاء جواز ذلك ، وأنه قول الشافعي ، فالكلام في اجتماع هذه الأمور : من الرقص والغناء واستعمال آلة[٣] الضرب ،وحضور المرد والنساء ، وربما كان ذلك في بيت من بيوت الله – سبحانه – ، فهذا قدر لم يفعله أحد بحله ٠

وقد بلغت الوقاحة بقوم من المتصوفة إلى أن ادعوا فيما ذُكِر في صدر الاستفتاء من حضور السماع والرقص : أنه يثير ساكن المحبة ، ويحرك كامن الوجد ٠

ولعمري لو كان السماع خالياً من الصور الحسان ، وحسن صوت المغني ، لا فيه دف ولا مزمار ، لما أشرقت نفسه به ، ولا اتخذه قربة ، فعلم أن الذي حمله على ذلك أنما[٤] هو شهوات نفسانية ، وطلبات دنيوية ، وهذه طرائق أرباب البطالة ، ومن غلبت عليهم محبة ما دعاهم الشيطان إليه، فنعوذ بالله من الخذلان ٠

ولو بسط القول ، في تفاصيل أفعالهم وأقوالهم ، وحقيقة أحوالهم ، لرأيت بدائع البدع ومنكرات الشنع ، فالله أسأل العصمة والهداية ، وبلطفه الاستعانة والكفاية ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[٥] ٠

١ – بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي ، أبو يُحمد ، مات سنة ٩٧هـ ٠ (تقريب التهذيب ، ١٧٤)

٢ – انظر: تحريم الغناء والسماع ، ص ٢٥٦

٣ – في فتاوى في الغناء « إلى » ، وما ذكرت مأخوذ من كشف العطاء ، ص ٣٥

٤ – في فتاوى في الغناء « أنها » ، والمعنى بها لا يستقيم ، وما أثبت مأخوذ من كشف الغطاء ، ص ٣٦

٥ – فتاوى في الغناء ، ص ٢٣–٣٥ ، وكشف الغطاء ، ص ٢٨– ٣٦ ٠ وأورد ابن قاضي الجبل صفة الجواب الرابع والخامس ، فذكر: «صفة الجواب الرابع ، جواب الشيخ أبي عمر بن الوليد المالكي ، قال : الحمد لله وهو حسبي : مثل المكتوب أعلاه يقول أبو عمرو بن الوليد المالكي » وصفة الجواب الرابع : « جواب أخيه الشيخ عبد الله ، قال : ولذلك يقول عبد الله بن الوليد المالكي » ، ص ٣٥

ثم أورد ابن قاضي الجبل صفة الجواب السادس[١] ،وهو جوابه على هذا الاستفتاء ، فقال : « اللهم وفق للصواب ، الهيئة المسؤل عنها من السماع ، بدعة محرمة باتفاق الجمهور من العلماء ، فاعل هذا والحال هذه آثم ساقط المروءة مردود الشهادة ٠ وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة ، على ذم ذلك والنهي عنه ، وكشف وجه فساده ٠

وكثر ذم السلف والأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء لهذه الأفاعيل ، والنهي عن هذه الأباطيل ، ولو بسط ذلك لاحتمل مجلدات ، وقد تضمنت هذه الحالة المسؤل عنها ، وجوهاً نهي عنها شرعاً ، واجتماع الدف والشبابة والغناء ، منهي عنه باتفاق الجمهور ، وحضور النساء مع الرجال على تلك الحالة غير سائغ أيضاً ٠

ومن أعظم البدع والمنكرات : دعواهم كون ذلك قربة يتقرب به إلى الله –سبحانه – ، فإن هذه الدعوى كذب من القول ، وباطل من الكلام ، وافتراء على الشريعة المطهرة ، طهرها الله – تعالى – عن مثل أفعال هؤلاء الجهلة الضلال ، مرتكبي الباطل ، مظهري المحال ٠

فقد عملوا الطريقة في الحقائق ، فإنه إنما يتقرب إلى الله – عز وجل– بما شرع، لا يتقرب إليه بالمحرمات ومنكرات البدع ٠

وقولهم إن الرقص سبب للمغفرة ، وإن المنِكر عليهم محجوب ، كذب وبهت ٠

وإمساكهم النيران وإظهار الآذن ، ونحو ذلك من أفعالهم كدم الآخرين ، الذي يتخيل إلى الرائي كونه دماً حقيقياً ، أمور منكرة ، ليست أحوالاً للصلحاء ، و لا كرامات للأولياء ، ومن اعتقد ذلك كرامة ؛ فهو أضل منهم٠

والحقيقة هي التقرب إلى طاعة الله – تعالى – بالإخلاص ، وإصلاح الباطن علماً واعتقاداً وأدباً ، موافقاً للأفعال الظاهرة ، هي من الشريعة المأمور بها ٠

ومن فعل الهيئة المسؤل عنها ، من السماع فقد خالف أمر الشريعة في ذلك ، وخالف مدلول الحقيقة ، إذ لم يراع أمر الباطن ، بالكف عن استماع الملاهي المطربات٠

---

١ – انظر : كشف الغطاء ، ص ٣٧

وهذه الأفعال لم يفعلها أحد من السلف الماضين ، ولا الأئمة المتَّبعين، بل كثر الذم لها من السلف ، وتبعهم على ذلك الدهماء من الخلف ، ويسوغ الإنكار على هؤلاء، ويثاب المُنْكِرُ عليهم بإنكاره ٠

فليس الاستغفار من غير عزم القلب والندم ، توبة معتبرة ، وحديث اللعب بالحراب ، ليس فيه دلالة على هذا السماع ، وحديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – في ذكر بنات النجار وهن يضرب بدف ، فيه ذكر الدف غير ذي الجلاجل – وهي الأجراس الصغيرة – بمفرده من غير شبابة ، وليس النزاع فيه ٠

فقد جاء في الدف بمفرده غير هذا ، وإذا رفع أمر هؤلاء الفاعلين لهذه الهيئة المنكرة ، والأفعال المبتدعة ، إلى ولي الأمر – أيده الله تعالى – منعهم عن مثل هذه الأفعال ، وزجرهم عن اختلاط النساء بالرجال في هذه الحال ، وعزرهم التعزير الرادع لأمثالهم ، بمثله ليكون ذلك سبباً صاداً لأمثال هؤلاء عن ارتكاب مثل ذلك ، ويجب المبالغة بالتعزير على قولهم أن ما وصلوا إليه هو اللباب دون غيرهم ، إنهم متقربون بأفعالهم المنكرة ، فإن التقرب إلى الله – تعالى – إنما يكون بما أمر به وحض عليه ، ودعى إليه ٠

قال الشيخ موفق الدين الحنبلي[١] : " هذه الأفعال معصية ولعب ، ذمه الله ورسوله ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله – تعالى – بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل وسيلته إلى الله معصيته ، كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو و اللعب ديناً ، كان كمن سعى في الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله – عز وجل– من غير طريق رسول الله –ﷺ– وسنته ، فهو آيس من الوصول إلى المراد" ٠

وقال الشيخ تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح الشافعي :" حق على ولاة الأمر – وفقهم الله وسددهم – قمع هذه الطائفة ، وبذل الوسع في إعدام أفعالهم الخبيثة ، واستتابتهم ، وإن لا يأخذهم في الله لومة لائم " ٠

---

١ – موفق الدين المقدسي ، أحد الأئمة الأعلام ، أبو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٦٢٠هـ ٠ (السير ١٦٥/٢٢، وشذرات الذهب ، ٨٨/٥) ٠

وقال : " وقولهم في السماع إنه من القربات والطاعات ، قول مخالف لإجماع المسلمين ، وإجماعهم على خلاف هذا ، منقول محفوظ معلوم ، ثم قال: ليعلم أن الدف والشبابة والغناء ، إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب ، والله تعالى أعلم»[١] .

هذه مواقف وردود علماء السلف ، أئمة الهدى ، على ما أحدثه الصوفية ، من الغناء والسماع المحرم ، جمعها الإمام ابن قاضي الجبل ، فبين من خلالها حرمة ما يقدم عليه الصوفية ، من غناء وسماع ، وما يصحبهما من محرمات أخرى ، وأن هذه الأفعال مخالفة للدين القويم ، وهدي خير المرسلين -ﷺ- .

١ - فتاوى في الغناء ، ص ٣٥-٣٩ ، وانظر: إغاثة اللهفان ، ١/٢٢٨- ٢٢٩

المبحث السادس : ترجمة موجزة للإمام ابن كثير ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام ابن كثير ٠

١- اسمه ونسبه :

عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القيسي البصروي الدمشقي الشافعي [١]٠

٢- مولده : ولد الإمام ابن كثير ، سنة ٧٠٠ هـ ، أو بعدها بيسير[٢] ، بقرية من أعمال بصرى[٣]٠

٣- مؤلفاته :

للإمام ابن كثير العديد من المؤلفات منها : تفسير القرآن العظيم ، و فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته ولغاته ، جامع المسانيد والسنن والهادي إلى أقوم السنن ، الأحكام الكبرى ، ولم يكمل ، وجمع التاريخ ، الذي سماه : البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وجرح أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي، وشرع في شرح البخاري[٤]٠

٤- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

---

١ - الدرر الكامنة ، ١/ ٣٧٣-٣٧٤ ، و شذرات الذهب ، ٦/ ٢٣١ ، والبدر الطالع ، ١٠٢/١

٢ - الدرر الكامنة ، ١/ ٣٧٤، و شذرات الذهب ، ٦/ ٢٣١

٣ - البدر الطالع ، ١٠٢/١

٤ - مقدمة تفسير القرآن العظيم ، ص ٩-١١ ،و الدرر الكامنة ، ١/ ٣٧٤

الإمام الحافظ ابن كثير ، سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة ٠

قال ابن حجر : « كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته »[١]

« ومن جملة مشايخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميه ، ولازمه وأحبه حباً عظيماً ٠٠٠ وأفتى ودرس ، وله تصانيف مفيدة ، منها التفسير المشهور»[٢]

قال الحسيني[٣] : « أفتى ودرس وناظر في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال ، والعلل ٠٠٠ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ ، وقال في المعجم المختص هو: فقيه متقن ومحدث محقق ، ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة »[٤]

٥- **وفاته** : توفي الإمام ابن كثير – رحمه الله – سنة ٧٧٤ هـ [٥] ٠

المطلب الثاني : مواقف الإمام ابن كثير العملية والقولية ، في الرد على الصوفية٠

١ – الدرر الكامنة ، ١/ ٣٧٤

٢ – البدر الطالع ، ١٠٣/١ ، وانظر : شذرات الذهب ، ٢٣١/٦

٣ – محمد الحسيني الدمشقي الشافعي أبو المحاسن ، مؤرخ ، من آثاره: في ذكر التواريخ والآثار ، توفي سنة ٧٦٥هـ ٠(معجم المؤلفين ، ٩/ ٢٦٤)

٤ – ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ، ص ٣٨

٥ – الدرر الكامنة ، ١/ ٣٧٤ ، و شذرات الذهب ، ٦/ ٢٣٢،وانظر: ترجمته في مقدمة تفسير القرآن العظيم ، تقديم د : يوسف المرعشلي، فهي ترجمة وافية ٠

١- التلقـي:

قال في ترجمة البعلبكي[١]: «٠٠٠وقعت له كائنة في أيام ، الظاهر أنه أصيب في عقله ، أو زال فكره ، أو قد عمل على الرياضة ، فاحترق باطنه من الجوع ، فرأى خيالات لا حقيقة لها ، فاعتقد أنها أمر خارجي ، وإنما هي خيال فكري فاسد »[٢]

٢- الاستدلال :

قال الإمام ابن كثير، مفنداً زعم الصوفية ، واستلالهم بالقرآن الكريم – كذباً وبهتاناً – على إسقاط التكاليف : « ويستدل بهذه الآية الكريمة ، وهي قوله – تعالى – : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ ،[الحجر : ٩٩] ، على أن العبادة ؛ كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً ، فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – أن رسول الله –ﷺ– ، قال : " صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب "[٣] ٠

ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين : المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ٠

فإن الأنبياء – عليهم السلام – كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه ، وصفاته وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات ، إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت »[٤] ٠

٣- الكشف :

قال في ترجمة يوسف الأقميني : « ويزعمون – أتباعه من الصوفية– أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا

---

[١] – زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي ، صنف في الحديث ، والفقه ، والتصوف ، وأعمال القلوب ، توفي سنة ٧٣٤هـ ٠ (البداية والنهاية ٥٨٨/١٤)

[٢] – البداية والنهاية ، ٥٨٨/١٤

[٣] – سبق تخريجه ، ص

[٤] – تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٥٨١

يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ؛ كالرهبان وغيرهم ، وكالدجال وابن صياد وغيرهم ، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي ، ولا سيما من يكون مجنوناً ، أو غير نقي الثياب من نجاسة .

فلا بد من اختيار صاحب الحال ، بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله –ﷺ– ، فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكاشف ، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أو لا »[1] .

فهذا هو الميزان الحق ، وطريق النجاة ، فيعرض كل حادث على منهج الشرع الحنيف ، سواء من هؤلاء الدجالين ، أو من يماثلهم في كل زمان ومكان ، فما وافقه قبلناه ، وما يعارضه ، رفضناه .

وقال في ترجمة الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري : « كان مشهوراً بدمشق ، ويذكرون له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ، ومن لا يعقل ...وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »[2]

وقال في ترجمة الرحبي[3] : « كان يذكر له مكاشفات ، واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: " كان عرياً من العلوم الشرعية " »[4] .

---

[1] – البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٥٤

[2] – البداية والنهاية ، ٣٤٣/١٣

[3] – حماد ين مسلم الرحبي الدباس ، كان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات ، وينفق على أصحابه ، توفي ٥٢٦ هـ . (البداية والنهاية ، ٧٠٢/١٢) .

[4] – البداية والنهاية ، ٧٠٢/١٢

٤- موت الخضر – عليه السلام – :

قال تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ٠٠٠﴾ ، [الأنبياء : ٣٥] ٠

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة :« استدل بهذه الآية الكريمة ، من ذهب من العلماء إلى أن الخضر – عليه السلام – ، مات وليس بحي الآن ؛ لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً »[١] ٠

٥- الحلول والاتحاد :

قال الإمام ابن كثير : « وقد أخطأ الحلاج في المقامين ، – أي اتباع التنزيل ، وخوف التحويل – ، فلم يتبع التنزيل ، ولم يبق على الاستقامة ، بل تحول عنها إلى الاعوجاج ، والبدعة والضلالة ، نسأل الله العافية »[٢]

وقال : « ومما يدل على أنه – الحلاج – كان ذا حلول في بدء أمره ، أشياء كثيرة ، منها : شعره ٠٠٠ »[٣]

وقال : « ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله »[٤]٠

وقال في ترجمة العفيف التلمساني : « وقد نُسب هذا الرجل، إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد ، في الحلول ، والاتحاد ، والزندقة ، والكفر المحض»[٥] ٠

---

[١] – تفسير القرآن العظيم ، ١٨٧/٣

[٢] – البداية والنهاية ، ١٦١/١١

[٣] – البداية والنهاية ، ١٥٩/١١ ، وانظر : ص من هذا البحث ٠

[٤] – البداية والنهاية ، ١٥٨/١١

[٥] – البداية والنهاية ، ٣٧٥/١٣

وقال في ترجمة محمد بن سوار الحريري : « وكان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر ، بارعاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه ، ما يشير إلى نوع الحلول والاتحاد، على طريقة ابن عربي ، وابن الفارض، ٠٠٠والله أعلم بحاله ، وحقيقة أمره »[١]

وقال في ترجمة أبي العباس بن عطاء ، أحد أئمة الصوفية : « كان موافقاً للحلاج ، في بعض اعتقاده على ضلال ، ٠٠٠وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج ، وأظهر موافقته»[٢] .

٦- العبـادات :

وذكر في ترجمة علي الكردي أنه : « ٠٠٠ما رآه أحد يصلي ، ولا يصوم»[٣]

وقال في ترجمة إبراهيم الشاغوري : « ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ،ولا يصوم مع الناس »[٤]

وقال في ترجمة سليمان التركماني : « ٠٠٠ كان لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها ، ولا يصلي الصلوات ، ولا يأتيها »[٥]

وقال في ترجمة القميني : « وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استتابه الشيخ تقي الدين بن تيميه ، وضربه على ترك الصلوات ، ومخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة »[٦] .

---

١ – البداية والنهاية ، ٣٢٨/١٣

٢ – البداية والنهاية ، ١٧١/١١

٣ – البداية والنهاية ، ١٢٧/١٣

٤ – البداية والنهاية ، ٣٤٣/١٣

٥ – البداية والنهاية ، ٤٨٣/١٤

٦ – البداية والنهاية ، ١٤/ ٥٣٥

وقال في ترجمة الشاغوري : « لم يكن ممن يحافظ على الصلوات»[1] .

وقال في ترجمة علي الحريري: « كان عند هذا الحريري ، من الاستهزاء بأمور الشريعة ، والتهاون فيها ، من إظهار شعائر أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ...وترك الإنكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات وكثرت النفقات ، فأضل خلقاً كثيراً ، وأفسد جماً غفيراً »[2] .

ونقل ابن كثير عن الكردي ، أنه : « مر يوماً على الخطيب جمال الدين الدولعي فقال له : يا شيخ علي أكلت اليوم كسيرات يابسة وشربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشيخ علي الكردي : ما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟
قال : لا . فقال : يا مسلمين من يقنع بكسرة يابسة ، يحبس نفسه في هذه المقصورة ، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج »[3]

وقال في ترجمة ابن سبعين : « كان إذا رأى الطائفين حول البيت ، يقول عنهم : كأنهم الحمير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال »[4] .

٧- الإباحيـة :

---

[1] – البداية والنهاية ، ٣٤٣/١٣

[2] – البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٠٥

[3] – البداية والنهاية ، ١٢٧/١٣– ١٢٨

[4] – البداية والنهاية ، ١٣/ ٣٠٣

نقل الإمام ابن كثير عن غير واحد من العلماء ، في ترجمة محمد بن طاهر[١]، ما نصه : « ٠٠٠ صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ٠٠٠ لا يحتج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية»٠

ثم نقل له من شعره قوله في هذه الأبيات :

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت	به خوارج أقوام من الناس
وعج على ديرداريا فإن به الرهـ	ـبان ما بين قسيس وشماس
واشرب معتقة من كف كافرة	تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الأوتار من رشإٍ	مهفهف طرفه أمضى من الماس[٢]

٨- الغلو في الأولياء :

قال الإمام ابن كثير في ترجمة السيدة نفيسة ، تعليقاً على اعتقاد أهل مصر فيها: « وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر ، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظاً كثيرة جداً ينبغي أن يعرفوا إنها لاتجوز ، ٠٠٠والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي –ﷺ– ، بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ، ومن زعم أنها تفك الخشب ، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك »[٣]

---

١ – محمد بن طاهر بن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي ، ولد سنة ٤٤٨ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٥٠٧هـ (البداية والنهاية ، ١٢/٦٦٧–٦٦٨)

٢ – البداية والنهاية ، ١٢/ ٦٦٧

٣ – البداية والنهاية ، ١٠ / ٧٠٣

وقال : « فكل من كان تقياً كان ولياً» [1] ، فليست الولاية مقصورة على أحد ، أو مختص بها أحد من المؤمنين دون غيره ٠

وقال في ترجمة الشيخ عبد القادر : « لأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات ، أكثرها مغالاة »[2] ٠

٩- الكرامات :

قال في ترجمة اليونيني[3] : « ذكر أنه كان يحج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحي العباد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء »[4]

وقال في ترجمة الشاغوري : « وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذل خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »[5] ٠

ونقل ابن كثير في التفسير عن القرطبي أنه قال : « قال علماؤنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق العادات ، فليس ذلك دالاً على ولايته ، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة »٠ ثم أضاف : « وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضاً ، بما ثبت عن ابن صياد أنه قال هو الدخ[6] حين خبأ له رسول الله -ﷺ-: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾

[1] - تفسير القرآن العظيم ، ٤٣٨/٢

[2] - البداية والنهاية ، ٧٦٨/١٢

[3] - عبد الله اليونيني ، الملقب أسد الشام ،من قرية ببعلبك ، يقال لها : يونين ، توفي سنة ٦١٧ هـ ٠ (البداية والنهاية ١١٠/١٣)

[4] - البداية والنهاية ، ١١٠/١٣

[5] - البداية والنهاية ، ٣٤٣/١٣

[6] - الدخ : الدخان ، (لسان العرب ، ١٤/٣، باب الخاء)

[الدخان : ١٠] ، وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب ، حتى ضربه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – ٠

وبما ثبتت به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة، من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب ، وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة»[١]٠

١٠- السماع :

أفتى[٢] الإمام ابن كثير ، بحرمة ما يفعله الصوفية ، من السماع المبتدع، وبيّن الأدلة على ذلك ، فقال : « حسبي الله ونعم الوكيل ، استعمال آلات الطرب والاستماع إليها حرام ، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية ،

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال : " حدثني أبو عامر ،أو أبو مالك والله ما كذبني ، أنه سمع النبي –ﷺ– ، يقول : " ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير والمعازف " ، وذكر الحديث بطوله ٠ وقد رواه البخاري في صحيحه معلقاً

---

١ – تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٨١–٨٢ ، وانظر : ١٥١/١ ، وحديث الدجال أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة ، ٢٢٥١/٤ ، حديث رقم ٢١٣٧ ، عن النواس بن سمعان قال : « ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رجعنا إليه عرف ذلك فينا ٠فقال :"ما شأنكم" قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة ،فخفضت فيه ورفعت ،حتى ظنناه في طائفة النخل ٠ فقال : "غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم ،وإن يخرج ،ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ،والله خليفتي على كل مسلم ،إنه شاب قطط ،عينه طافئة ، شبيه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ٠ إنه خارج خلة بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وشمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا " قلنا :يا رسول الله وما لبثه في الأرض ٠ قال : "أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : "يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ٠ قال : " لا ولكن اقدروا له" قلنا : " يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : " كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذراً ٠٠٠»

٢ – انظر نص الاستفتاء في ص ٣٩٠ من هذا البحث ٠

بصيغة الجزم[١] ، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[٢]، وأبو داود[٣] وابن ماجة[٤] ، في سننهما بأسانيد صحاح، لا مطعن فيها ، وصححه غير واحد من الأئمة ، والمعازف هي آلات الطرب قاله الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في صحاحه[٥] ، وهو معروف في لغة العرب وعليه شواهد ، ثم نقل غير واحد من الأئمة إجماع العلماء على تحريم اجتماع الدفوف والشبابات ، ومن الناس من حكى في ذلك خلافاً شاذاً ، وأما انفراد كل واحد من الدف واليراع [٦] ، ففيه نزاع معروف في مذهب الإمام الشافعي .

والذي عليه أئمة الطريقة العراقية التحريم ، وهم أقعد بمعرفة المذهب من الخراسانين ، ويتأيد ما قالوه بالحديث المتقدم ، ولا يستثنى من ذلك إلا ضرب الدف للجواري في مثل أيام الأعياد ، وعند قدوم الغائب المعظم ، وفي العرس كما دلت على ذلك الأحاديث كما هو مقرر في مواضع ، ولا يلزم من إباحة ذلك في بعض الأحوال إباحته في كل حال ، كما أن في لبس الحرير إباحة ذلك للحكة ، وفي السفر وفي الحرب إذا فاجأته ولم يجد غيره ونحو ذلك ، و يقول أحد إن الحرير لبسه مباح في كل حال ، ولذلك نظائر .

وأما الآثار عن السلف فكثيرة جداً ، فمن ذلك قول عبد الله بن مسعود وناهيك به فقهاً وعلماً وعملاً ونصحاً : " الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الربيع البقل " ، صح عنه ذلك ، ومن الناس من يرفعه إلى النبي -ﷺ- ، والصحيح أنه موقوف ، وقال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ ،[لقمان : ٦] ، هو : الغناء .

---

١ - أخرجه البخاري ، كتاب الأشربة ،باب ما جاء فيمن يستحل الخمر وتسميته بغير اسمه ، ١٣/٤ ، حديث رقم ٥٥٩٠ ، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال حدثني أبو عامر - أو أبو مالك - الأشعري ، والله ما كذبني : « سمع النبي -ﷺ- يقول : ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والخمر والمعازف ...» .

٢ - في مسنده ، باقي مسند الأنصار ، حديث رقم ٢١٧٢٥

٣ - في سننه كتاب اللباس ، حديث رقم ٤٠٣٩

٤ - في سننه كتاب الفتن ، حديث رقم ٤٠٢٠

٥ - الصحاح ، ٤/ ١٤٠٣ ، (باب الفاء)

٦ - اليراع : القصب ، المفرد منه يراعة ، وهي مزمار الراعي .

روى الترمذي[1]وغيره في ذلك حديثاً أنها أنزلت في القينات ، وأن ثمنهن حرام، ولو استقصينا الأحاديث والآثار المروية في هذا المقام لضاق هذا الموضع عنه »[2]

وأضاف القول : « وأما اتخاذ هذا الطرب قربة وطريقة ومسلكاً يتوصل به إلى نيل الثواب ، فهو بدعة شنعاء لم يقله أحد من الأنبياء ، ولا نزل به كتاب من السماء ، وفيه مشابهة بالذين قال الله – تعالى – فيهم : ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ... ﴾، [الأنعام : ٧٠] ، وقال –تعالى– : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ ، [الأنفال : ٣٥] .

يعني التصفيق والصفير اللذين الدف والشبابة أطم وأعظم منهما .

وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله –ﷺ– ، قال : " الجرس مزمار الشيطان " [3] ، فإذا كان في الجرس ، فما ظنك بالدف المصلصل، بالصنوج ، والشبابات ، المتنوعة ، الأشكال ، والأصوات .

ولهذا قال الصديق – رضي الله عنه – لتينك الجاريتين اللتين كانتا تضربان بالدف عند ابنته عائشة – رضي الله عنها – يوم العيد ، فانتهرهما وقال : "أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله –ﷺ– ، فقال النبي –ﷺ– : " دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا " [4] ، فأقره على قوله : "مزمور الشيطان " ، واستثنى من ذلك يوم العيد لمثل تلك الجواري ، إظهاراً للفرح والسرور .

كما أُقِرَّت الحبشة على لعبهم يوم العيد في المسجد بالحراب ، ولا يقول أحد إنهم لو أرادوا ذلك في كل وقت وحين يقرون عليه.

والمقصود أن اتخاذ هذا السماع المحرم قربة من أكبر المنكرات وأعظم المبتدعات ، ولهذا لما اشتبه أمره على بعض المتصوفة بعد القرون الثلاثة ، ورأوا أن لهم فيه وجداً وذوقاً

---

[1] – سبق تخريجه في ص ٣٩٤

[2] – كشف الغطاء ، ص ٣٩-٤١

[3] – صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة ، باب كراهة الكلب والجرس ، ١٦٧٢/٣ ، حديث رقم ٢١١٤ ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، أن رسول الله ﷺ قال : « الجرس مزامير الشيطان »

[4] – صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ، ٧٧/٣ ، حديث رقم ٣٩٣١

ولم يحيطوا علماً بمفسدته ووخيم عاقبته ، أنكر عليهم الأئمة أشد الإنكار ، حتى قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : " تركت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير، يصدون به عن القرآن " ٠

فهذا قوله في التغبير ، وهو عبارة عن التوقيع بقضيب أو نحوه على جلد يابس ، وإنشاد أشعار ربانية مرققة للقلوب ومحركة للسواكن ، ومع هذا وسمهم بالزنادقة ٠

فكيف لو رأى ما أحدثه هؤلاء الذين في زماننا من الاستماع والرقص على الدفوف والشبابات من وجوه حسان ؛ إما مرد وإما نسوان ، ويزعمون أنهم في ذلك الحال في الحضرة الربانية والمعارف الروحانية ، ويقول قائلهم : " من رقص غفر له"، أو ما أشبه ذلك ، فإن أضافوا مع ذلك مخالطة النسوان والأحداث مع الشخير والنخير ، وإظهار الأحوال من الأذن والأصباغ ونحو ذلك مما غالبه مصنوع مفتعل ، يجعلونه ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وأنهم من الأولياء الواصلين ،كان ذلك أبعد لهم عن الحق وأضل سبيلاً عن الهدى ٠

والعلماء لا ينكرون وقوع الكرامات من الأولياء ، وأن ذلك قد كان ويكون ، مما لا ينحصر ولا يمكن عده كثرة ، ولكن من كان على الطريقة المستقيمة والسنة القويمة كان حاله موافقاً صحيحاً نافعاً ، فإنه إنما يصدر عن الولي العارف ، إما حجة في الدين أو حاجة للمسلمين ، كما كانت الكرامات المروية عن السلف – رضي الله عنهم أجمعين – ، وقد توجد الحال عن غير متبع للكتاب والسنة ، ولكن يكون ذلك وبالاً وحجة عليه ، كالعالم إذا لم ينتفع بعلمه ٠

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي[1] ، قلت للشافعي : " كان صاحبنا – يعني الليث بن سعد – يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة" ٠

فقال الشافعي : " قصر – رحمه الله – إذا رأيتم الرجل يمشي على النار ويطير في الهواء فلا تغتروا به ، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة " ٠

[1] – يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي ، أبو موسى المصري ، ثقة ، مات ٢٦٤هـ (تقريب التهذيب ، ١٠٩٨) ٠

فهذه نصوص الأئمة – رحمهم الله – في مثل هذا المقام ...والآيات والأحاديث كثيرة جداً ، والمقصود أنه لم يكن –ﷺ– لا هو ولا أصحابه – رضي الله عنهم – يستمعون هذا السماع المبتدع ، وإنما كان سماعهم الإصغاء إلى القرآن وتدبر آياته ، واستنباط المعاني العظيمة منه ، كما وصفهم الله – تعالى – بذلك في كتابه ، كما قال الله – تعالى – : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ، [الأنفال : ٢] .

...وفي هذا إشارة لمنصف من نفسه ، فمن يهيج عند سماع الأبيات ولا يتأثر بسماع الآيات ، ينوح ويبكي عند سماع الصوت الرغيد ، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد ، فمن كانت هذه صفته فليس هو على الطريقة الصحيحة ، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا ، نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة ، والله سبحانه وتعالى أعلم »(١)

١١– اللبـاس:

نقل ابن كثير ، قول أبي سليمان الداراني ، في ذم ما يفعله بعض الصوفية في اللباس ، فقال : « إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف، فليس بصوفي ، وخيار هذه الأمة ، أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه »(٢)

وقال : « وفي رجب –سنة أربع وسبعمائة – ، أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيميه ، شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً ، يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جانب، وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً »(٣) .

---

١ – كشف الغطاء ، ص ٤١–٤٥ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ١٣٩/١ و ٤٥٠/٣–٤٥١ ، والبداية والنهاية ، ٣٦٦/٩و٣٨٧/١١،٢١٥ و٦٦٧/١٢و٣٩١/١٣،٢٨٦،٢٠٥و٥٧٠/١٤،٤٤٥

٢ – البداية والنهاية ، ٦٩٨/١٠

٣ – البداية والنهاية ، ٤٤٢/١٣

ما سبق ذكره مواقف وردود ، إمام من أئمة الدين ، وعلم من أعلام المسلمين ، الإمام ابن كثير ، بيّن ما يعتري أفعال الصوفية من البدع ومخالفتها لما شرعة الله ، وسنة خير البرية -ﷺ- ٠

المبحث السابع : ترجمة موجزة للإمام الشاطبي ، ومواقفه العملية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام الشاطبي ٠

١- اسمه ونسبه :

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، أبو إسحاق، الشهير بالشاطبي ، من أئمة المالكية [١] ٠

٢- مولده :

ولد الإمام الشاطبي نحو سنة ٧٢٠ ، وقيل سنة ٧٣٠ هـ [٢]

٣- مؤلفاته :

١ - الموافقات ، ١/ د ، والإفادات ، ص ١٧ ، والأعلام ، ٧٥/١ ، ومعجم المؤلفين ، ١١٨/١

٢ - الموافقات – المقدمة – ص ، د ، والإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها ،تأليف عبد الرحمن آدم علي ، ط١ ، (الرياض : مكتبة الرشد ، وشركة الرياض للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ) ، ص ٤٤ ، ومقدمة فتاوى الإمام الشاطبي ، تحقيق د/ محمد أبو الأجفان ، ط٢، (تونس : ١٤٠٦ هـ) ، ص ٣٢

للإمام الشاطبي عدد من المؤلفات منها : عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول ، والموافقات في أصول الأحكام ، والاعتصام ، والإفادات والإنشادات ، والإتقان في علم الاشتقاق [١] .

٤- عقيدته ، وثناء العلماء عليه :

الإمام الشاطبي سلفي العقيدة ، ومن المتمسكين بمنهج السلف[٢] و«كان ثبتاً ورعاً صالحاً زاهداً سنياً ...»[٣]

وهو : « الإمام المجدد العلامة المصلح ، الزاهد الورع المحتسب ، الناصر للسنة ، القامع للبدعة ...اتخذ القرآن والسنة له نبراساً وإماماً »[٤]

٥- وفاته :

توفي الإمام الشاطبي – رحمه الله – سنة ٧٩٠ هـ [٥] .

[١] – الاعتصام ، ص٦ ، ومعجم المؤلفين ، ١/١١٨

[٢] – انظر : الاعتصام ، ١/٢١٠

[٣] – نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي ، بهامش الديباج المذهب ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ)، ص ٤٦

[٤] – الموافقات – المقدمة – للشيخ بكر عبد الله أبو زيد ، ص٦

[٥] – الأعلام ، ١/٧٥ ،ومعجم المؤلفين ، ١/١١٨

المطلب الثاني : مواقف الإمام الشاطبي العملية والقولية ، في الرد على الصوفية .

الإمام الشاطبي ، أحد علماء السلف في القرن الثامن ، الذين كان لهم مع الفقراء الصوفية ، مواقف عملية وقولية ، وتعرض لأذاهم نتيجة لمواقفه الرافضة للبدع وأهلها، وبيّن حاله مع هؤلاء ، فقال « وتارة نسبت إلى معاداة أولياء الله ، وسبب ذلك أني عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة ، المنتصبين ـ بزعمهم ـ لهداية الخلق ، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء ...»[1] .

١ – الفقراء [2]:

سئل الإمام الشاطبي – رحمه الله – عن طائفة الفقراء في هذا الزمان ، وانتحالهم لأمور ذكرها السائل؟

فقال في ذلك : « سألت وفقني الله وإياك عن قوم يتسمون بالفقراء ، يجتمعون في بعض الليالي ، ويأخذون في الذكر ثم الغناء والضرب بالأكف والشطح ، إلى آخر الليل ، واجتماعهم على إمامين من أئمة ذلك الموضع ، يترسمان برسم الشيوخ في تلك الطريقة،

[1] – الاعتصام ، ١٦/١

[2] – الفقراء : اسم من أسماء الصوفية .

وذكرت أن كل من يزجر ذلك الفعل يحتجون بحضور الفقهاء معهم ، ولو كان حراماً أو مكروهاً لم يحضروا معهم »[1]

ثم قال : « والجواب – والله الموفق للصواب – أن اجتماعهم للذكر على صوت واحد إحدى البدع ، المحدثات التي لم تكن في زمان رسول الله –ﷺ– ، ولا زمان الصحابة –رضي الله عنهم– ، ولا من بعدهم ولا عرف ذلك قط من شريعة محمد – عليه السلام –، بل من البدع التي سماها رسول الله –ﷺ–، ضلالة وهي مردودة .

ففي الصحيح أنه –عليه السلام – قال : " من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد "[2].

وفي رواية : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود " [3]. وفي الصحيح : أنه –ﷺ– كان يقول في خطبته : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد –ﷺ– ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل بدعة ضلالة " [4].

وفي رواية : " كل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار " [5] .

وهذا الحديث يدل على أن صاحب البدعة في النار، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وعن الحسن البصري ، أنه سئل فقيل له : " ما ترى في مجلسنا هذا ؟ قوم من أهل السنة والجماعة ، لا يطعنون على أحد ، نجتمع في بيت هذا يوماً وفي بيت هذا يوماً ، فنقرأ كتاب الله ، وندعوا الله ربنا ،ونصلي على النبي –ﷺ– ، وندعو لأنفسنا ، ولعامة المسلمين ؟.

قال : " فنهى الحسن عن ذلك أشد النهي ؛ لأنه لم يكن من عمل الصحابة –رضي الله عنهم– ولا التابعين ، وكل ما لم يمت عليه السلف الصالح فليس من الدين ، فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء فلو كان فيه خير لفعلوه "

---

[1] – الإفادات والإنشادات ، ص ١٧٦

[2] – صحيح البخاري كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود ، ٢/٢٦٧ ، حديث رقم ٢٦٩٧

[3] – صحيح مسلم كتاب الأقضية ، باب الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور ، ٣/١٣٤٣–١٣٤٤، حديث رقم ١٧١٨، وجاء في الحديث : « فهو رد » بدل « فهو مردود » .

[4] – صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢/٥٩٢ ، حديث رقم ٨٦٧

[5] – أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ٢/٥٩٢ ، حديث رقم ٨٦٧ ، دون : « وكل بدعة ضلالة » . وأخرجه النسائي كاملاً في سننه باب صلاة العيدين باب كيف الخطبة ، ٣/١٨٨ ، حديث رقم ١٥٧٨

وقد قال – تعالى – : ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ ، [المائدة : ٣] .

وقال مالك بن أنس : " فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، وإنما يعبد الله بما شرع " .

وهذا الاجتماع لم يكن مشروعاً قط ، فلا يصح أن يعبد الله به.

وأما الغناء والشطح فمذمومان على ألسنة السلف الصالح .

فعن الضحاك : " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب " .

وقال المحاسبي : " الغناء حرام ؛ كالميتة " .

وسئل مالك بن أنس عن الغناء الذي يفعل بالمدينة ؟ فقال : " إنما يفعله عندنا الفساق " .

وهذا محمول على غناء النساء ، وأما الرجال فغناؤهم مذموم أيضاً ، بحيث إذا داوم أحد على فعله ، أو سماعه سقطت عدالته ، لما فيه من إسقاط المروءة ، ومخالفة السلف .

وعن التنيسي[١] قال : " كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال له رجل من أهل نصيبين[٢] : " يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية ، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون ؟

فقال مالك : أصبيان هم ؟

قال : لا.

قال : أمجانين هم ؟

قال : لا ، قوم مشائخ وغير ذلك عقلاء .

فقال مالك : ما سمعت أن أحد من أهل الإسلام يفعل هذا إلا أن يكون مجنوناً أو صبياً".

فهذا بيّن أنه ليس من شأن أهل الإسلام .

---

١ –عبد الله بن يوسف التنيسي ، أبو محمد الكلاعي ، أصله من دمشق ، ثقة من أثبت الناس في الموطأ ، مات سنة ثماني عشرة ومائتين هـ . (تقريب التهذيب ، ص ٥٥٩). وقد ذكر الدكتور محمد أبو الأجفان محقق فتاوى الإمام الشاطبي أنه : « بشر بن بكر التنيسي ، أبو عبد الله البجلي ، دمشقي الأصل ، ثقة يُغْرِبُ ، من التاسعة ، مات سنة خمس ومائتين ، وقيل : سنة مائتين . والصواب – والله أعلم – أنه الأول ، لأنه اشتهر بلقب التنيسي ، ولإشارة ابن حجر أنه : « من أثبت الناس في الموطأ » .(تقريب التهذيب ، ص ١٦٨ ، وفتاوى الإمام الشاطبي ، ص ١٩٥) .

٢ – مدينة في بلاد الشام ، انظر: معجم البلدان ، ٥/٢٣٣

ثم قال : " ولو فعلوه على جهة اللعب كما يفعله الصبي ، لكان أخف عليهم ، مع ما فيه من إسقاط الحشمة وإذهاب المروءة ، وترك هدي الإسلام وأرباب العقول ، ولكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله والتعبد به ، وأن فاعله أفضل من تاركه ، وهذا أدهى وأمر ، حيث يعتقدون اللهو واللعب عبادة ، وذلك من أعظم البدع المحرمات الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النار ، والعياذ بالله " ٠

وأما ما ذكرتم من شأن الفقيهين الإمامين ، فليسا بفقيهين إذا كانا يحضران شيئاً من ذلك ، وحضورهما ذلك على الانتصاب إلى الشيخوخة قادح في عدالتهما ، فلا يصلّى خلف واحد منهم ،حتى يتوب إلى الله من ذلك، ويظهر عليهما أثر التوبة ، فإنه لا تجوز الصلاة خلف أهل البدع ٠ نص على ذلك العلماء " ٠

وعلى الجملة ، فواجب على كل من كان قادراً ، على تغيير ذلك المنكر الفاحش، القيام بتغييره وإخماد نار الفتنة به ، فإن البدع في الدين هلاك ، وهي في الدين أعظم من السم في الأبدان ،والله الواقي بفضله ، والسلام على من يقف على هذا ، من كاتبه الشاطبي ، ورحمة الله وبركاته٠ انتهى٠ »[١]

٢-التلقـي :

قال الإمام الشاطبي عن الذوق والوجد : « ٠٠٠ ولم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم ، إلا بعد عرضها وبذلك وصى شيوخهم ، وإن كان ما جاء به صاحب الوجد والذوق ، ٠من الأحوال والعلوم والفهوم ، فليعرض على الكتاب والسنة، فإن قبلاه صح ، وإلا لم يصح »[٢]

١ - الإفادات والإنشادات ، ص ١٧٦-١٧٨، وانظر : ص ٣٨

٢ - الاعتصام ، ١/١٧٦

وقال : « ... فإذا رأيت أحداً سمع موعظة ؛أي موعظة كانت ، فظهر عليه من الأثر ما ظهر على السلف الصالح ، علمت أنها رقة ، وهي أول الوجد ، وأنها صحيحة، لا اعتراض عليها .

وإذا رأيت أحد سمع موعظة قرآنية ، أو سنية ، أو حكمة ، ولم يظهر عليه من ذلك الآثار شيء ، حتى يسمع شعراً مرقماً ، أو غناءً مطرباً فتأثر ، فإنه لا يظهر عليه في الغالب من تلك الآثار شيء ، وإنما يظهر عليه انزعاج بقيام أو دوران ، أو شطح أو صياح ، أو ما يناسب ذلك ، وسببه أن الذي حل بباطنه ، ليس بالرقة المذكورة أولاً ، بل هو الطرب الذي يناسب الغناء ، لأن الرقة ضد القسوة ،والطرب ضد الخشوع ،كما يقوله الصوفية ، والطرب مناسب للحركة ، لأنه توازن الطباع ، ولذلك اشترك فيه الإنسان والحيوان»[1] .

وقال عن أصحاب الوجد : « فالحاصل من هؤلاء ، أنهم أحسنوا الظن بأنهم فيما هم عليه مصيبون ، وأساؤوا الظن بالسلف الصالح ، أهل العمل الراجح الصريح ، وأهل الدين الصحيح »[2] .

وقال أيضاً عن المتواجدين : « بخلاف هؤلاء القوم الذين لم يشموا من أوصاف الفضلاء رائحة ، فأخذوا بالتشبه بهم ... ولكن زادوا على – التواجد – ذلك الرقص والزمر والدوران والضرب على الصدور ، وبعضهم يضرب رأسه ، وما أشبه ذلك من العمل المضحك للحمقى ، لكونه من أعمال الصبيان والمجانين ، المبكي للعقلاء رحمة لهم ، إذ لم يتخذ مثل هذا طريقاً إلى الله ، وتشبهاً بالصالحين »[3] .

---

[1] – الاعتصام ، ٢٢٩/١

[2] – الاعتصام ، ٢١٩/١

[3] – الاعتصام ، ٢٢٧/١

ثم بيّن الإمام الشاطبي ، التواجد الذي كان يبدو على جملة من السلف الصالح ، فقال: « والذي يظهر في التواجد ، ما كان يبدوا على جملة من أصحاب رسول الله -ﷺ- ، وهو البكاء واقشعرار الجلد ، التابع للخوف الآخذ بجامع القلوب »[1] .

وقال عن الكشف الصوفي : «وليس الاطلاع على المغيبات ولا الكشف الصحيح، بالذي يمنع من الجريان على مقتضى الأحكام العادية ، والقدوة في ذلك رسول الله -ﷺ- ، ثم ما جرى عليه السلف الصالح ، وكذلك القول في انخراق العادات ، لا ينبغي أنُ يبنى عليها في الأحكام الظاهرة»[2]

وقال عن الكشف الصوفي ، وما في حكمه : « ... إن هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر ، إلا بشرط : أن لا تخرم حكماً شرعياً ، ولا قاعدة دينية ، فإن ما يخرم قاعدة شرعية ، أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه ، بل هو : إما خيال ، أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان ، وقد يخالطه ما هو حق ، وقد لا يخالطه ، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهه معارضته لما هو ثابت مشروع »[3]

وقال أيضاً : « إن مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها ، وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك ، بل من أعمال الشيطان »[4]

ثم بيّن الضوابط التي ينبغي مراعاتها ، عند العمل بالكشف ، إذا كان لايخرق قاعدة شرعية ، فقال : «... فالقول في ذلك أن الأمور الجائزات ، أو المطلوبات ، التي فيها سعة ، يجوز العمل فيها بمقتضى ما تقدم - أي عدم خرق قادة شرعية - وذلك على أوجه

---

[1] - الاعتصام ، ٢٢٤/١

[2] - الموافقات ، ٥٠٦/٢

[3] - الموافقات ، ٤٥٧/٢ ، وانظر : ٤٤٦/٢-٤٤٧، ٤٥٤

[4] - الموافقات ، ٤٧٥/٢

، أحدهما : أن يكون في أمر مباح ٠٠٠والثاني : أن يكون العمل عليها لفائدة يرجو نجاحها ٠ والثالث : أن يكون فيه تحذير أو تبشير ، ليستعد لكل عدته ، فهذا أيضاً جائز ؛ كالإخبار عن أمر ينزل ٠٠٠»[١] ٠

وقال عن الرؤيا : « العلوم المأخوذة من الرؤيا ، مما لا يرجع إلى بشارة ، ولا نذارة ، فإن كثيراً من الناس يستدلون على المسائل العلمية بالمنامات وما يُتلقى منها تصريحاً ، فإنها وإن كانت صحيحة ، فأصلها الذي هو الرؤيا، غير معتبر في الشريعة في مثلها ٠٠٠وإنما ذكرت الرؤيا تأنيساً ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء من الاستشهاد بالرؤيا»[٢]

وفرق بيّن رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – ورؤيا غيرهم ، فقال : « من هنا يعلم أن كل خارقة حدثت ، أو تحدث إلى يوم القيامة ، فلا يصح ردها و لا قبولها ، إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة ، فإن ساغت هناك ، فهي صحيحة مقبولة في موضعها ، وإلا لم تقبل ، إلا الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء – عليهم السلام – ، فإنها لا نظر فيها لأحد ، لأنها واقعة على العصمة قطعاً ، فلا يمكن فيها غير ذلك ، ولأجل هذا حكم إبراهيم – عليه السلام – في ذبح ولده بمقتضى رؤياه[٣] ، وقال له ابنه – كما جاء في كتاب الله تعالى ذكره– : ﴿ ٠٠٠يا أبت أفعل ما تؤمر٠٠٠﴾ ، [الصافات : ١٠٢] ٠

وإنما النظر فيما انخرق من العادات على يد غير المعصوم »[٤]

---

١ – الموافقات ، ٢/٤٧١-٤٧٣

٢ – الموافقات ، ١/١١٤-١١٥ ، وانظر : حاشية رقم ٢ ص ١١٤

٣ – قال تعالى: ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ [الصافات ، ١٠٢]

٤ – الموافقات ، ٢/٤٨١، وانظر : ص ٤٨٢

وقال مبيناً حال الصوفية ، وموقفهم من الكشف : « ومما يتعلق به بعض المتكلفين أن الصوفية هم المشهورون باتباع السنة ، المقتدون بأفعال السلف الصالح ··· ولكنهم في كثير من الأمور ، يستحسنون أشياء لم تأت في كتاب ولا سنة ، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح ، فيعملون بمقتضاها، ويثابرون عليها ، ويحكمونها طريقاً لهم مهيعاً ، وسنة لاتخلف ، بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال » إلى أن قال : « فمن ذلك أنهم يعتمدون في كثير من الأحكام على ، الكشف والمعاينة ، وخرق العادة ، فيحكمون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام »[1]

ثم قال : « ···فمثل هذه الأشياء ، إذا عرضت على قواعد الشريعة، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة أو الهاتف المجهول ، أو تحريك بعض العروق ، لا يدل على التحليل ولا التحريم ··· »[2] .

٤- الاستدلال :

قال الإمام الشاطبي عن استدلال الصوفية بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف : « ···وكثير من فرق الاعتقادات ، تعلق بظواهر من الكتاب والسنة في تصحيح ما ذهبوا إليه ، مما لم يجر له ذكر ، ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين ، وحاش لله من ذلك »[3]

ومن ذلك استدلال الصوفية ، على الرقص ، بقوله تعالى : ﴿ ···إذ قاموا فقالوا ربنا··· ﴾[الكهف : ١٤] .

فقال : « أين فيه أنهم قاموا يرقصون ، أو يزفنون ، أو يدورون على أقدامهم؟ ، ونحو ذلك ، فهو من الاستدلال الداخل تحت هذا الجواب[4] »[5]

---

[1] – الاعتصام ، ١٧٢/١

[2] – الاعتصام ، ١٧٢/١

[3] – الموافقات ، ٢٨٢/٣

[4] – أي باب اختلاف المناط في المسائل .

[5] – الاعتصام ، ٢٣٠/١ ، وانظر : الموافقات ، ١٩٦/٤–١٩٧

ومنه : «٠٠٠استدلالهم على الرقص في المساجد وغيرها ، بحديث لعب الحبشة في المسجد بالدرق والحراب » [١]

ومنه : « اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة ، المكذوب فيها على رسول الله -ﷺ- والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها٠٠٠كحديث ٠٠٠أن النبي -ﷺ- تواجد واهتز عند السماع ، حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وما أشبه ذلك فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث - على ما هو معلوم - جاهل ومخطئ في نقل العلم ، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عمن يعتد به ، في طريقة العلم ، ولا طريقة السلوك »[٢]

وقال عن الاستدلال بكلام أرباب الأحوال من الصوفية : « كلام أرباب الأحوال من أهل الولاية ، فإن الاستدلال به من قبيل ما نحن فيه ، وذلك أنهم قد أوغلوا في خدمة مولاهم ، حتى أعرضوا عن غيره جملة ، فمال بهم هذا الطريق إلى أن تكلموا بلسان الاطراح لكل ما سوى الله ، وأعربوا عن مقتضاه ، وشأن من هذا شأنه لا يُطيقه الجمهور ، وهم إنما يكلمون به الجمهور ، وهو وإن كان حقاً ففي رتبته لا مطلقاً ؛ لأنه - في حق الأكثر - من الحرج ، أو تكليف ما لا يطاق ، بل ربما ذموا بإطلاق ما ليس بمذموم ، إلا على وجه دون وجه ، وفي حال دون حال ، فصار أخذه بإطلاق موقعاً في مفسدة »[٣]

وقال عن الاستدلال بأعمال المشار إليهم بالصلاح : « الاستدلال على تثبيت المعاني ، بأعمال المشار إليهم بالصلاح ، بناء على مجرد تحسين الظن لا زائد عليه ، فإنه ربما تكون أعمالهم حجة ، ٠٠٠ فإذا أُخذ ذلك بإطلاق فيمن يحسن الظن به ، فهو - عند ما يسلم من القوادح - من هذا القسم[٤] ، لأجل ميل الناس إلى من ظهر منه الصلاح

١ - الموافقات ، ٣/ ٢٨٢
٢ - الاعتصام ، ١/ ١٨٢
٣ - الموافقات ، ١/ ١١٧
٤ - أي من القسم الثاني : وهو المعدود في ملح العلم لا في صلبه ، (انظر : ١/١١٠)

، وفضل ، لكنه ليس من صلب العلم ، لعدم اطراد الصواب في عمله ، ولجواز تغيره ،فإنما يؤخذ – إن سلم – هذا المأخذ »[١]

وقال عن استدلال الصوفية بالأشعار : « الاستناد إلى الأشعار في تحقيق المعاني العلمية والعملية ، وكثيراً ما يجري مثل هذا لأهل التصوف في كتبهم وفي بيان مقاماتهم ٠٠٠ وأما إذا نظرنا إلى الأمر في نفسه ، فالاستشهاد بالمعنى ، فإن كان شرعيّاً فمقبول، وإلا فلا»[٢]

وقال عن الاستدلال بأعمال الشيوخ ، أو رؤية النبي –ﷺ– : «وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: " رأينا فلاناً الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ،واعملوا كذا ٠

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي –ﷺ– ، في النوم ، فقال لي : كذا ، وأمرني بكذا ٠

فيعمل بها ويترك بها ، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء – عليهم السلام – لا يحكم بها شرعاً ، على حال ، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن شرعتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها »[٣]

٥- الحلـول:

قال الإمام الشاطبي في الحلول : « وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم : كالباطنية وسواهم ، لأن مذهبهم راجع إلى مذهب الحلولية القائلين بما يشبه قول النصارى ، في اللاهوت والناسوت »[٤]

---

[١] – الموافقات ، ١/١١٦–١١٧، وانظر : الفتاوى ، ١٠/٤٣٠،و١١/١٥

[٢] – الموافقات ، ١/١١٦

[٣] – الاعتصام ، ١/٢١١–٢١٢

[٤] – الاعتصام ، ١/١٠٣

وقد كفر الشاطبي الحلولية فقال : « تكفير مادل الدليل على كفره ، كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر ، كالإباحية ، والقائلين بالحلول »[١]

وقال أيضاً : « وكل من اتبع بيان سمعان في بدعته التي اشتهرت عند العلماء ، مقلداً فيها على حكم الرضاء بها ورد ما سواها ، فهو من الإثم مع من اتبع ، فقد زعم أن معبوده في صورة الإنسان ، وأنه يهلك كله إلا وجهه ، ثم زعم أن روح الإله حل في علي – رضي الله عنه – ، ثم فلان ، ثم في بيان نفسه »[٢]

٦- إسقاط التكاليف :

قال الإمام الشاطبي ، مبيناً حكم من يزعم سقوط التكاليف الشرعية: «أن يتركها تديناً ، فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدين بضد ما شرع الله ، ومثاله : أهل الإباحية القائلين بإسقاط التكاليف ، إذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدوه »[٣]

وأضاف : « أن الشريعة قد ورد طلبها ، على المكلفين على الإطلاق والعموم ، لا يرفعها عذر إلا العذر الرافع للخطاب رأساً ، وهو زوال العقل ، فلو بلغ المكلف في مراتب الفضائل الدينية إلى أي مرتبة بلغ ، بقي التكليف عليه كذلك إلى الموت ، ولا رتبه لأحد يبلغها في الدين كرتبة رسول الله –ﷺ– ، ثم رتبة أصحابه البررة ، ولم يسقط عنهم من التكليف مثقال ذرة ٠٠٠فمن رأى أن التكليف قد يرفعه البلوغ إلى مرتبة ما من مراتب الدين ، –كما يقوله أهل الإباحية – كان قوله بدعة مخرجة عن الدين »[٤]

٧- الدعـاء :

---

[١] – الاعتصام ، ١٤١/١

[٢] – الاعتصام ، ١٣٤/١

[٣] – الاعتصام ، ٣٠/١

[٤] – الاعتصام ، ١٩٨/١-١٩٩، وانظر: الموافقات ، ٨٢/٥-١٠٥، ٨٣

قال الإمام الشاطبي : « الدعاء أيضاً عبادة ، لا يزاد فيها ولا ينقص ، أعني الكيفيات المستفعلة ، والهيئات المتكلفة التي لم يعهد مثلها فيما تقدم ، وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها في متقدم الزمان ، ولا متأخرة ، ولا مستعمل النبي -ﷺ- ، والسلف الصالح ، والتي روعي فيها طباع الحروف في زعم أهل الفلسفة ، ومن نحا نحوهم ٠٠٠٠ وهذا الموضع مزلة قدم للعوام ولكثير من الخواص »[1]

وعد الإمام الشاطبي الاجتماع للدعاء ، بدعة ، فقال : « وتقرير السؤال أن يقال في البدع مثلاً : " فعل ما سكت الشارع عن فعله ، أو ترك ما أذن في فعله " ، ٠٠٠فالأول كسجود الشكر عند مالك ، حيث لم يكن ثم دليل على فعله ، والدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات »[2].

٨- من نوادر البدع عند الصوفية :

وقال الإمام الشاطبي عن نوادر البدع عند الصوفية : « ومن نوادرها - البدع - التي لا ينبغي أن تفعل ، ما جرى به عمل جملة ممن ينتمي إلى طريقة الصوفية ، في تربصهم ببعض العبادات أوقاتاً مخصوصة ، غير ما وقته الشرع فيها ، فيضعون نوعاً من العبادات المشروعة في زمن الربيع ، ونوعاً آخر زمن الصيف ، ونوعاً آخر زمن الخريف ،ونوعاً آخر زمن الشتاء ٠٠٠ وهذا كله إن فرضنا أصل العبادة مشروعاً ، فإن كان أصلها غير مشروع ، فهي بدعة حقيقية مركبة ، كالأذكار والأدعية بزعم العلماء أنها مبنية على علم الحروف »[3]

٩- الأوليـاء :

---

[1] - الموافقات ، ٤٤٦/٢

[2] - الموافقات ، ٣/ ١٥٩ ، وانظر : الموافقات ، ٤٩٧/٣-٥٠٢، والاعتصام ، ١/ ٢٩٢-٢٩٧،و ٣٢١-٣٢٢

[3] - الاعتصام ، ٣١٨/١

قال الإمام الشاطبي ، عن تعظيم الصوفية ، لشيوخهم والغلو فيهم : «ومنها – مأخذ أهل البدع في الاستدلال – : رأي قوم التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه ، فالمقتصد منهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة إلا هذا المذكور ،وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون أبداً مبالغ المتقدمين ، فخير القرون الذين رأوا رسول الله –ﷺ– وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهذا يكون الأمر أبداً إلى قيام الساعة »[1]

وأضاف : « ... لا يزال الدين في نقص فهو أصلي لا شك فيه ، وهو عند أهل السنة والجماعة ، فكيف يعتقد بعد ذلك في أنه ولي أهل الأرض ؟ وليس في الأمة ولي غيره ؟ لكن الجهل الغالب والتعظيم ، والتعصب للنحل ، يؤدي إلى مثله أو أعظم منه .

والمتوسط يزعم أنه مساوٍ للنبي –ﷺ– ، إلا أنه لا يأتيه الوحي ، بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيوخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه ، والغالي يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى أصحاب الحلاج في الحلاج »[2] .

ونقل الشاطبي قول من يوثق به فقال : « وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل أنه قال : " أقمت زماناً في بعض القرى البادية، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها – يعني الصوفية – كثير قال: فخرجت يوماً من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم قاعدين ، فتوهمت أنهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهم ، فقربت منهما على استخفاء لأسمع من كلامهم – إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم – فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ، وأنه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه المقابلة طرباً عظيماً، ثم قال أحدهما للآخر : أتحب الحق ؟ هو النبي ، قال : هذا هو الحق
قال المخبر : فقمت من ذلك المكان فاراً أن يصيبني قارعة »[3]

[1] – الاعتصام ، ٢١٠/١
[2] – الاعتصام ، ٢١٠/١
[3] – الاعتصام ، ٢١٠/١ –٢١١

وقال كذلك : « ما عهد بالتجربة من أن الاعتراض على الكبراء قاض بامتناع الفائدة ، مبعد بين الشيخ والتلميذ ، ولا سيما عند الصوفية ، فإنه عندهم الداء الأكبر ، حتى زعم القشيري[١] عنهم أن التوبة منه لا تقبل والزلة لا تقال »[٢]

وقال : « ولقد زل – بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال – أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين ، واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل »[٣] فمنهم : « ... نابتة متأخرة الزمان ممن يدعي التخلق بخلق أهل التصوف المتقدمين ، أو يروم الدخول فيهم ، يعمدون إلى ما نقل عنهم في الكتب من الأحوال الجارية عليهم أو الأقوال الصادرة عنهم ، فيتخذونها ديناً وشريعة لأهل الطريقة ، وإن كانت مخالفة للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، أو مخالفة لما جاء عن السلف الصالح ، لا يلتفتون معها إلى فتيا مفتٍ ولا نظر عالم ، بل يقولون : إن صاحب هذا الكلام ثبتت ولايته ، فكل ما يفعله أو يقوله حق ، وإن كان مخالفاً فهو أيضاً ممن يقتدى به ؛ والفقه للعموم ؛ وهذه طريقة الخصوص »[٤]

وأضاف : « فتراهم يحسنون الظن بتلك الأقوال والأفعال ولا يحسنون الظن بشريعة محمد –ﷺ– ، وهو عين أتباع الرجال وترك الحق ، مع أن أولئك المتصوفة الذين ينقل عنهم لم يثبت أن ما نقل عنهم كان في النهاية دون البداية ، ولا علم أنهم كانوا مقرين بصحة ما صدر عنهم أم لا ، وأيضاً فقد يكون من أئمة التصوف وغيرهم من زل زلة يجب سترها عليه ، فينقلها عنه من لا يعلم حاله ... فكذلك أهل التصوف لا بد في الاقتداء بالصوفي من عرض أقواله وأفعاله على حاكم يحكم عليها ...والحاكم هو الشرع وأقوال العالم تعرض على الشرع أيضاً ...ولكن هؤلاء الرجال النابتة لا يفعلون ذلك ، فصاروا

١ – أشار محقق الموافقات أن هذا القول في الرسالة القشيرية ص ١٥٠ ، ولكني لم أعثر عليه بالنسخة التي بين يدي من الرسالة القشيرية .

٢ – الموافقات ، ٣٩٩/٥ ، وانظر : ٤٩٧/٢ و الاعتصام ، ٣٥٤/٢

٣ – الاعتصام ، ٥٨٣/٢

٤ – الاعتصام ، ٥٨٤/٢–٨٨٥

متبعين الرجال من حيث هم رجال ، لا من حيث هم راجحون بالحكم والحق ، وهو خلاف ما عليه السلف الصالح »[1] .

١٠- الكـرامات :

قال الإمام الشاطبي : « إن جميع ما أعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات ، وغيرها من الفضائل ؛ إنما هي مقتبسة من مشكاة نبينا -ﷺ-، لكن على مقدار الاتباع ، فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وساطة نبوته ، ...فكل مانقل عن الأولياء ، أو العلماء أو ينقل إلى يوم القيامة ؛ من الأحوال ، والخوارق ، والعلوم ، والفهوم وغيرها فهي أفراد وجزئيات داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي -ﷺ- »[2].

وقال : « خوارق العادات معجزات وكرامات للنبي -ﷺ-، وفي حق الأمة كرامات »[3]

وبيّن كيفية الحكم على الكرامات بقوله : « ... ينظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد ؛ فإن كان لها أصل في كرامات الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، ومعجزاته ، فهي صحيحة ، وإن لم يكن لها أصل ؛ فغير صحيحة ، وإن ظن ببادئ الرأي إنها كرامة ، إذ ليس كل ماظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة ، بل منها ما يكون كذلك ، ومنها ما لا يكون كذلك »[4]

١١- الأحوال والمقامات :

[1] - الاعتصام ، ٢/٥٨٥ ، وانظر : الموافقات ، ١/٥٤٢ ، و ٢/٤١٢-٤١٣ ، و الإمام الشاطبي ،ص١٤٥

[2] - الموافقات ، ٢/٤٣٨-٤٤٠

[3] - الموافقات ، ٢/٤٢٧

[4] - الموافقات ، ٢/٤٤٤ ، وانظر: ٢/٤١٥

قال الإمام الشاطبي عن المقامات ، التي يستدل بها الصوفية : «وأضعف هؤلاء – أهل البدع في الاستدلال – احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها »[١] .

وقال عن تعاطي الأسباب : « الذي للمكلف تعاطي الأسباب ، وإنما المسببات من فعل الله وحكمه »[٢] .

وقال: « وقد كان – عليه الصلاة والسلام – يستعد الأسباب لمعاشه وسائر أعماله من جهاد وغيره ، ويعمل بمثل ذلك أصحابه ، والسنة الجارية
في الخلق ، الجريان على العادات »[٣] .

وقال عن الخوف والرجاء : « فإن الخوف والرجاء يسهلان الصعب، فإن الخائف من الأسد يسهل عليه تعب الفرار ، والراجي لنيل مرغوبه يقصد عليه الطويل من المسافات ، ولأجل الدخول في الفعل على قصد الاستمرار وضعت التكاليف على التوسط ، وأسقط الحرج ، ونهي عن التشديد »[٤] .

١١- السماع :

أجاب الإمام الشاطبي عن السماع الصوفي ، وما يصحبه من البدع ، فقال : « ... وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد ، ثم الغناء والرقص إلى آخر الليل ...هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

---

[١] – الاعتصام ، ٢١١/١

[٢] – الموافقات ، ٣٠٢/١ ، انظر: ص ٣٠٨

[٣] – الموافقات ، ٥٦١/٣ ، وانظر : ٣٢٨/١

[٤] – الموافقات ، ٤٠٦/٢ ، وانظر : ٤٠/٤

فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة طريقة رسول الله – ﷺ – ، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان ، فنفع الله بذلك من شاء من خلقه »[١]

وأضاف : « ومن ذلك – البدع والمحدثات – أشياء ألزموها المريد حالة السماع من طرح الخرق ، ٠٠٠٠ إلى أشياء اخترعوها في ذلك لم يعهد مثلها في الزمان الأول، وذلك من نتائج مجالس السماع الذي اعتمدوه ٠

والسماع في طريقة التصوف ليس منها بالأصل ولا بالتبع ، ولا استعمله أحد من السلف ممن يشار إليه حاذياً في طريق الخير »[٢]٠

وقال: « ولا يجوز لأحد أن يستمع الغناء »[٣]٠

وقال : « فهذه مجالس الذكر على الحقيقة – مجالس الذكر صحيح إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم[٤]– وهي التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء ، الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف[٥] ، وقل منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ٠٠٠إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ، ثم يقولون : تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم ٠٠٠٠ على صوت واحد يشبه الغناء ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ٠

وكذبوا : فإنه لو كان حقاً لكان السلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ، وقد قال تعالى

---

١ – الاعتصام ، ٢١٥/١

٢ – الاعتصام ، ١٧٥/١

٣ – الموافقات ، ٥٢٩/٣

٤ – الاعتصام ، ٢١٧/١

٥ – يكثر الإمام الشاطبي من ذكر هذه العبارة ، وذلك لأنه يفرق بين الصوفية الأوائل المتمسكين بمنهج الشرع ، والمتأخرين منهم الذين تلبسوا بأنواع البدع والمنكرات ، ووضح ذلك بقوله : « نقلنا عن جملة ممن اشتهر منهم ينيف على الأربعين شيخاً ، جميعهم يشير أو يصرح بأن الابتداع ضلال والسلوك عليه تيه ، واستعماله رمي في عماية ، وأنه مناف لطلب النجاة ٠٠٠وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ٠٠٠ فهم الحجة لنا على كل ما ينتسب إلى طريقتهم ولا يجري على منهاجهم ، بل يأتي ببدع محدثات وأهواء متبعات ، وينسبها إليهم ٠٠٠فكثير اً ما ترى المتأخرين ممن يتشبه بهم يرتكب من الأعمال ما أجمع الناس على فساده شرعاً ٠٠٠» [الاعتصام ، ٧٧/١]

: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا تحب المعتدين ﴾ [الأعراف : ٥٥] ، **والمعتدون في التفسير** هم الرافعون أصواتهم بالدعاء »[١] ٠

١٢- اللبـاس :

قال الإمام الشاطبي : « ومن ذلك – التشدد في الدين – الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة ، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه »[٢]

وقال: « ٠٠٠ولبس الطيالس وتوسيع الأكمام[٣] ، وأشباه ذلك من الأمور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فإنها أمور جرت في الناس، وكثر العمل بها وشاعت وذاعت ، فلحقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة »[٤]

هذه مواقف وردود الإمام الشاطبي ، على الصوفية ، تميزت بالعمق والفهم الصحيح لمقاصد الشرع الحنيف ٠

---

[١] – الاعتصام ، ٢١٨/١– ٢١٩ ، وانظر : الاعتصام ، ٢/ ٣٥٤، والموافقات ، ٢٨٣/٣

[٢] – الاعتصام ، ٢٨٦/١

[٣] – أنواع من لباس الصوفية ٠

[٤] – الاعتصام ، ٣٦٢/٢

المبحث الثامن : ترجمة موجزة للإمام ابن أبي العز الحنفي ، ومواقفه العلمية والقولية ، في الرد على الصوفية ٠

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن أبي العز الحنفي ٠

١ – اسمه ونسبه :

الإمام صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي[١]

٢ – مولـده :

ولد في دمشق سنة ٧٣١ هـ [٢]

٣ – مؤلفاته :

للإمام ابن أبي العز الحنفي ، عديد من المؤلفات ، منها : شرح العقيدة الطحاوية ؛ وهو كتاب مشهور ، والتنبيه على مشكلات الهداية ، والنور اللامع في ما يعمل به في الجامع ، والاتباع [٣] ٠

٤ – عقيدته ، وثناء العلماء عليه:

[١] – الدرر الكامنة ، ٨٧/٣ ، وشذرات الذهب ، ٣٢٦/٦ ، وقد ذكر ابن العماد : أن اسمه «محمد» ، وهو : وهم ، والصواب ما ذكر ٠ (انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، بتحقيق د : التركي ، ص ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ، ١٥٩/٧)

[٢] – الدرر الكامنة ، ٨٧/٣

[٣] – شرح العقيدة الطحاوية ،ص ٨٥-٨٦ ، و معجم المؤلفين ، ١٥٦/٧

عقيدة الإمام ابن أبي العز الحنفي ، عقيدة السلف الصالح ، أهل السنة والجماعة[١] .

قال ابن العماد : « مهر ، ودرّس ، وأفتى ، وخطب بحسبان مدة ، ثم ولي قضاء دمشق »[٢] .

٥- وفاته :

توفي ابن أبي العز - رحمه الله - سنة ٧٩٢ هـ [٣].

المطلب الثاني : مواقف الإمام ابن أبي العز الحنفي ، العملية والقولية في الرد على الصوفية :

١ - شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٩-٨١ ، و منهج وآراء الإمام ابن أبي العز الحنفي في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية ، (رسالة ماجستير) للشيخ عبد الله بن عبيد العتيبي ، (الرياض : كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨) ، ص ٣٥

٢ - شذرات الذهب ، ٣٢٦/٦

٣ - الدرر الكامنة ، ٨٧/٣ ، و شذرات الذهب ، ٦ /٣٢٦

١- ذم الصوفية :

قال الإمام ابن أبي العز، عندما ذكر أهل التحريف [١]، وعد منهم الصوفية : « ...وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة : إنما نريد الأعمال بالعمل الحسن ، والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدّعون من الباطل الذي يسمونه : حقائق، وهي جهل وضلال »[٢]

وقال واصفاً بعض الصوفية:« والرهبان وهم جهال المتصوفة ، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع ، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية ، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله ، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه -ﷺ- والتعويض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان ، وحظوظ النفس »[٣] .

٢- التلقي :

وقال عن التلقي عند الصوفية : « وقال أصحاب الذوق والوجد : إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع ، قدمنا الذوق والكشف !» [٤]

وقال عن زعم بعض الصوفية ، وتعلقهم بقصة الخضر- عليه السلام- : «وأما من تعلق بقصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق : فهو ملحد زنديق ، فإن موسى -عليه السلام- لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ، ولهذا قال : " أنت موسى بني إسرائيل؟ ".

قال : نعم .

---

١ - شرح الطحاوية ، ص ١٤

٢ - المرجع السابق ، ص ١٥

٣ - المرجع السابق ، ص ٢٣٥

٤ - المرجع السابق ، ص ٢٣٦

ومحمد –ﷺ– مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى –عليهما السلام – حيين لكانا من أتباعه ، وإذا نزل عيسى – عليه السلام –إلى الأرض إنما يحكم بشريعة محمد –ﷺ– .

فمن ادعى أنه مع محمد –ﷺ– كالخضر مع موسى ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة : فليجدد إسلامه ، ويشهد شهادة الحق ، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان ، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم ، وأهل الاستقامة »[١]

وقال عن الكشف : « وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان : كونية ودينية [٢] ، فكلماته الكونية : هي التي استعاذ بها النبي –ﷺ– ، في قوله : " أعوذ بكلمات الله التامات " [٣] وقال تعالى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، [يس : ٨٢] ، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات ، وسائر الخوارق .

والنوع الثاني : الكلمات الدينية ؛ وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله–ﷺ– ، وهي أمره ونهيه وخبره ، وحظ العبد منها العلم بها ، والعمل والأمر بما أمر الله به ، كما أن حظ العبد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها ، أي : بموجبها فالأولى تدبيرية كونية .

والثانية شرعية دينية. فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية .

وقدرة الأولى التأثير في الكونيات ، إما في نفسه كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء وجلوسه في النار ، وإما في غيره بإصحاح وإهلاك وإفقار .

---

١ – المرجع السابق ، ص ٧٧٤

٢ – انظر : الفتاوى ، ٢٧٠/١١ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٨ ، وشفاء العليل ، ص٢٨٢

٣ – سبق تخريجه

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، باطناً وظاهراً ، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله ، فيطاع في ذلك طاعة شرعية .

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة ، لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له ، فإنه إن اقترن بالدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، وقد يكون مع الدين ، وقد يكون مع عدمه ، أو فساده أو نقصه »[١] .

وبيّن الإمام ابن أبي العز ، أنواع الفراسة ، وذكر منها: « فراسة رياضية : وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي ، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق ، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ، وهذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية ، ولا تكشف عن حق نافع ، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة ، وأصحاب عبارة الرؤيا ، والأطباء ونحوهم »[٢] .

٢- الاستدلال :

قال الإمام ابن أبي العز ، في منهج أهل البدع في الاستدلال: «كل فريق من أرباب البدع ، يعرض النصوص على بدعته ، وما ظنه معقولاً : فما وافقه قال إنه محكم ، وقبله ، واحتج به ! وما خالفه قال : إنه متشابه ، ثم رده ...فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم »[٣]

وبيّن منهج أهل السنة في هذه المسألة فقال : « وطريق أهل السنة : أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوا بمعقول ، ولا قول فلان »[٤]

[١] – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٩-٧٥٠

[٢] – المرجع السابق ، ص ٧٥٣-٧٥٤ ، وانظر : ص ٧٦٦-٧٦٧

[٣] – المرجع السابق ، ص ٥٠٠

[٤] – المرجع السابق ، ص ٥٠٠

وأضاف : « أما الأمور الإلهية والمعارف الدينية ، فهذه العلم فيها مأُخذ عن الرسول -ﷺ- لا غير »[1]

٣- الحلول والاتحاد :

قال : « قالت طائفة من السلف : من انحرف من العلماء ففيه شبهة من اليهود ،ومن انحرف من العباد ففيه شبهة من النصارى ، ...وأكثر المنحرفين من العباد من المتصوفة ونحوهم ، فيهم شبه من النصارى ، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبان ، والحلول والاتحاد ، ونحو ذلك » [2] .

وقال : « وهذا القول[3] قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد ، وهو أقبح من كفر النصارى ، فإن النصارى خصوه بالمسيح ، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات... » [4] .

٤- الفنــاء :

وقال عن الفناء عند الصوفية : « ولا شك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد[5] الذي أدَّعوا أنه توحيد الخاصة ، وخاصة الخاصة ، ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية ، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد...»[6] .

[1] - المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، وانظر: ص ٢٣١-٢٣٢

[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٠١

[3] - أي إدخال نفي الصفات في مسمى التوحيد . (شرح الطحاوية ، ص ٢٤)

[4] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص٢٥

[5] - قسموا التوحيد إلى ثلاثة أنواع هي : الأول: توحيد العامة ، والثاني: توحيد الخاصة ، والثالث : توحيد خاصة الخاصة .(شرح الطحاوية ، ص٥٣)

[6] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص٥٥ ، وانظر : مدارج السالكين ، ٥١٨/٣

٥- الرهبانيـة :

قال : « وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ، ويتركون الجمع والجماعات ، فهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، قد طبع الله على قلوبهم ٠٠٠»[١]

٦- الدعاء :

قال ابن أبي العز : « ذهب قوم من المتفلسفة وغالية الصوفية، إلى أن الدعاء لا فائدة منه !

قالوا : لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب ، فلا حاجة إلى الدعاء ، وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء !! وقد يخص بعضهم بذلك خواص العارفين ! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص !! وهذا من غلطات بعض الشيوخ ، فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام ، فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية ، فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم ، حتى أن الفلاسفة تقول : "ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بفنون اللغات ، مُحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات" ، هذا وهم مشركون ٠

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين : فإن قولهم عن المشيئة الإلهية ، إما أن تقتضيه، أو لا تقتضيه ، ثمَّ قسم ثالث وهو : أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه ، وقد يكون الدعاء من شرطه ، كما توجب الثواب مع العمل الصالح ، ولا توجبه مع عدمه ، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب ولا توجبه مع عدمها ٠٠٠فإن قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال : لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال : لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب ، فقول هؤلاء كما أنه مخالفة للشرع ، فه و مخالف للحس والفطرة »[٢] ٠

---

[١] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص٧٧٣ ، وانظر: ٧٨٨-٧٩٠

[٢] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٦٧٨-٦٧٩

وأضاف : « وقولهم : إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء٠ قلنا : بل قد يكون إليه حاجة ، من تحصيل مصلحة أخرى ، عاجلة و آجلة ، ودفع مضرة أخرى عاجلة و آجلة ٠

وكذلك قولهم : وإن لم تقتضيه فلا فائدة منه ٠ قلنا : بل فيه فوائد عظيمة من جلب منافع ، ودفع مضار ٠٠٠ بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه وإقراره به ، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم ، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه ، وما يتبع ذلك من العلوم العلية ، والأحوال الزكية ، التي هي من أعظم المطالب»[١]

وقال : « فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً ، والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً ، والمانع مفقود : حصلت النكاية في العدو ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة ، تخلف الأثر ، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانع من الإجابة ، لم يحصل الأثر »[٢]

٧- الأوليـاء :

قال الإمام ابن أبي العز : « الولي خلاف العدو ، وهو مشتق من الولي ، وهو الدنو والقرب ، فولي الله : هو من والى الله بموافقته في محبوباته ، والتقرب إليه بمرضاته»[٣] ، « والولاية نظير الإيمان ٠٠٠وأن أهلها في أصلها سواء ، وتكون كاملة وناقصة ، فالكاملة للمؤمنين المتقين ٠٠٠وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ، ليست بكثرة صوم ولا صلاة ، ولا تمزق ولا رياضة »[٤] ٠

---

١ - المرجع السابق ، ص ٦٨٠ ، وانظر : ص ٢٩٦-٢٩٧، ٢٩٩

٢ - المرجع السابق ، ص ٦٨٣-٦٨٤

٣ - المرجع السابق ، ص ٥٠٩

٤ - المرجع السابق ، ص ٥٠٦-٥٠٧

وقال الإمام ابن أبي العز شارحاً قول الإمام الطحاوي[١] : « ولا نفضل أحداً من الأولياء ، على أحد من الأنبياء – عليهم السلام – ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء »٠

قال : « يشير الشيخ – رحمه الله تعالى – إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة ، وإلا فأهل الاستقامة يوصفون بمتابعة العلم ، ومتابعة الشرع ، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل٠٠٠ »[٢] ٠

وقال عن جهلة الصوفية : « وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه ، إلى ما وصلت إليه الأنبياء ، من غير اتباع لطريقتهم »[٣] ، وأضاف : « ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء !! ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء !! ، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء !! ٠٠٠وهو– يقصد ابن عربي – لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره قال : النبوة ختمت ولكن الولاية لم تختم ! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة ، وما يكون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء مستفيدون منها ٠٠٠»[٤]

وقال : « فلا طريقة إلا طريقة الرسول –ﷺ– ، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا عقيدة إلا عقيدته ، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً ، ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ، ملتزماً لطاعته فيما أمر ٠٠٠ لم يكن مؤمناً ، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى ، ولو طار في الهواء ،

١ – أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري الطحاوي المصري الحنفي ، فقيه مجتهد ، محدث حافظ ، مؤرخ ، من آثاره : أحكام القرآن ، المختصر في الفقه ، العقيدة الطحاوية ، وغيرها ، توفي سنة ٣٢١هـ ٠(معجم المؤلفين ، ٢/١٠٧)

٢ – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٢–٧٤٣

٣ – المرجع السابق ، ص ٧٤٣

٤ – المرجع السابق ، ص ٧٤٣ ، وانظر : ص ٧٤٤–٧٤٥

ومشى على الماء، وأنفق من الغيب ، وأخرج الذهب من الجيب ، ولو حصل من الخوارق ماذا عسى أن يحصل »[1] .

٨- **الأحوال والمقامات :**

قال عن التوكل وفعل الأسباب : « قال تعالى : ﴿ ...ومن يتوكل على الله فهو حسبه ... ﴾ ، [الطلاق : ٣] ، أي : فهو كافيه ، لا يحوجه إلى غيره ، وقد ظن بعض الناس – يعني الصوفية – أن التوكل يُنافي الاكتساب ، وتعاطي الأسباب ، وأن الأمور إذا كانت مقدوره فلا حاجة إلى الأسباب ! وهذا فاسد، فإن الاكتساب : منه فرض ، ومنه مستحب ، ومنه مباح ، منه مكروه ، ومنه حرام ، ... وقد كان النبي –ﷺ– ، أفضل المتوكلين ، يلبس لأمَةَ الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب ، حتى قال الكافرون : ﴿ ...مال لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ... ﴾ [الفرقان : ٧] ، ولهذا تجد أكثر ممن يرى أن الاكتساب يُنافي التوكل ، يرزقون على يد من يطعمهم ؛ إما صدقة وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكاس ، أو من والي شرطة ، أو نحو ذلك »[2].

قال : « ومما ينبغي أن يُعلم ما قاله طائفة من العلماء وهو : أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، ومعنى التوكل والرجاء ، يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع ، وبيان ذلك : أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ، ورجاؤه والاستناد إليه ، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا ؛ لأنه ليس بمستقل ،ولا بد من شركاء وأضداد، ومع هذا كله فإن لم يُسخر مسبب الأسباب ، لم يُسخر »[3].

---

[1] – المرجع السابق ، ص ٧٦٨

[2] – المرجع السابق ، ص٣٥٢

[3] – المرجع السابق ، ص ٦٧٩-٦٨٠

وعن تنازع الصوفية في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر ، قال: « أكرم المؤمنين هو الأطوع لله ، والأتبع للقرآن ، والأتقى هو الأكرم ، قال – تعالى – : ﴿ ... إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ... وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر ، وترجيح أحدهما على الآخر ، وأن التحقيق : أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى ، وإنما راجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق ، فالمسألة فاسدة في نفسها ، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان ، لا بفقر ولا غنى .... والفقر والغنى ابتلاء من الله – تعالى – كما قال – تعالى– : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ﴾ [الفجر : ١٥] ، فإن استوى الفقير الصابر ، والغني الشاكر في التقوى ، استويا في الدرجة ، وإن فضل أحدهما فيها ، فهو الأفضل عند الله ، فإن الفقر والغنى لا يوزنان ، وإنما يوزن الصبر والشكر »[1] .

وأضاف القول : « ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر : وهو أن الإيمان نصف صبر ، ونصف شكر ، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر ، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر ، وفرعاً من الشكر ، وأخذوا في الترجيح ، فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً ، باذلاً ماله في وجوه القرب ، شاكر لله عليه ، وفقيراً متفرغاً لطاعة الله ، ولأوراد العبادات ، فإن تساويا تساوت درجتهما والله أعلم، ولو صح التجريد ، لصح أن يقال : أيما أفضل معافى شاكر ، أو مريض صابر ، ومطاع شاكر ، أو مهان صابر ، وآمن شاكر ، أو خائف صابر ؟ ونحو ذلك »[2] .

وقال عن الخوف والرجاء : « يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً ، فإن الخوف المحمود الصادق ، ما حال بين صاحبة وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط . والرجاء المحمود : رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله ، فهو راج لثوابه ، أو

[1] – المرجع السابق ، ص ٥١٠–٥١١

[2] – المرجع السابق ، ص ٥١١

رجل أذنب ذنباً ، ثم تاب منه إلى الله ، فهو راج لمغفرته ، قال – تعالى – :﴿ إن الذين أمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا ، ويرجو رحمة الله ، بلا عمل، فهذا الغرور والتمني والرجاء الكاذب ... »[١] .

وقال : « يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه ، راجياً رحمته ، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد ، في سيره إلى الله – تعالى – إلى الدار الآخرة»[٢].

٩- السماع :

قال الإمام ابن أبي العز ، فيمن يصعق عند سماع الأنغام الحسنة : «الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة ، مبتدعون ضالون ! وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ! ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ، ولو عند سماع القرآن »[٣] .

---

[١] – المرجع السابق ، ص ٤٥٦ ، وانظر: ص ٤٥٧-٤٥٨

[٢] – المرجع السابق ، ص ٧٩١

[٣] – المرجع السابق ، ص٧٧١ ، وانظر : ص ٧٧٢-٧٧٣

١٠- المـلاميَّة :

وقال عن الملامية من الصوفية : « والطائفة الملامية ، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ، ويقولون : نحن متبعون في الباطن ، ويقصدون إخفاء المرائين ! ردوا باطلهم بباطل آخر !! والصراط المستقيم بين ذلك»[1]٠

هذا ما سطره الإمام ابن أبي العز ، في الرد على الصوفية ، وما قام به من جهود في سبيل نصرة دين الله القويم ، وتبصير من انحرف من الصوفية ، بمعالم الحق، والطريق المبين ٠

[1] – المرجع السابق ، ص ٧٧١

المبحث التاسع : ترجمة موجزة للإمام ابن رجب ، ومواقفه العملية والقولية في الرد على الصوفية .

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن رجب .

١- اسمه ونسبه :

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي ، زين الدين [١].

٢- مولده :

اختلف في تاريخ مولده ، فقيل ولد ببغداد سنة ٧٠٦هـ [٢] ، وقيل ولد سنة ٧٣٦هـ ، وهو الراجح [٣].

٣- مؤلفاته :

منها: شرح الترمذي ، وقطعة من البخاري ، وذيل الطبقات للحنابلة ، والقواعد الفقيهة ، وجامع العلوم الحكم ، وأهوال القبور ، وغيرها [٤] ،

وذكر بعض الباحثين أن مؤلفاته تبلغ أكثر من سبعين مؤلفاً [٥].

٤- عقيدته ،وثناء العلماء عليه :

---

١ - الدرر الكامنة، ٣٢١/٢ ، والمقصد الأرشد ، ٢/ ٨١ ،وشذرات الذهب ، ٣٣٩/٦ ، ومنهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ، إعداد : علي بن عبد العزيز الشبل ، تقديم فضيلة الشيخ: صالح الفوزان ، (الرياض : دار الصميعي، ١٤١٤هـ) ، ص٤٠

٢ - الدرر الكامنة، ٣٢١/٢

٣ - المقصد الأرشد ، ٨١/٢ ،ومنهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص٤١

٤ - الدرر الكامنة ، ٣٢٢/٢ ، والمقصد الأرشد ، ٦٢/٢

٥ - منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص ٨٧-١١٣

الإمام ابن رجب سلفي العقيدة ، من أهل السنة والجماعة[1]

قال ابن حجر : « الشيخ المحدث الحافظ »[2]

قال مؤلف المقصد الأرشد : « الشيخ العلامة الحافظ الزاهد ، شيخ الحنابلة»[3]

وجاء في شذرات الذهب : « كانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب إليه ، وله مصنفات مفيدة ٠٠٠ أتقن الفن – فن الحديث – وصار أعرف أهل عصره بالعلل ، وتتبع الطرق ، وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق »[4].

٥- وفاتـه :

توفي الإمام ابن رجب – رحمه الله – في شهر رجب سنة ٧٩٥ هـ [5].

المطلب الثاني : مواقف الإمام ابن رجب ، العملية والقولية ، في الرد على الصوفية.

[1] – منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ، ص ٣٨ ، ٦٧

[2] – الدرر الكامنة ، ٣٣١/٢

[3] – المقصد الأرشد ، ٨١/٢

[4] – ٣٣٩/٦-٣٤٠

[5] – الدرر الكامنة ، ٣/ ٣٢٢ ، وشذرات الذهب ، ٣٣٩/٦-٣٤٠

١- التلقي :

قال الإمام ابن رجب : « ومما أحدث من العلوم : الكلام في العلوم الباطنة ، من المعارف وأعمال القلوب ، وتوابع ذلك ، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف ، وفيه خطر عظيم ، وقد أنكره أعيان الأئمة ؛ كالإمام أحمد وغيره»[١] .

وقال في ترجمة ابن شيخ الحزاميين : «وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى من جميع طرائقه وأحواله ، وأذواقه وسلوكه، واقتفى آثار الرسول – ﷺ – وهديه وطرائقه المأثورة عنه في كتب السنن والآثار ، واعتنى بأمر السنة أصولاً وفروعاً ، وشرع في الرد على طوائف المبتدعة ، الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم »[٢] .

٢- الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود :

قال : « قد اتسع الخرق في هذا الباب – باب إحداث العلوم – ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة ... وإلى دعوى الحلول ، والاتحاد ، أو القول

بوحدة الوجود ، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان»[٣]

قال في ترجمة الهروي : « وله كلام في التصوف والسلوك دقيق .

وقد اعتنى بشرح كتابه " منازل السائرين " جماعة . وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية ، واضمحلال ما سوى الله –تعالى – في الشهود ، لا في الوجود ، فتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد ، حتى انتحله قوم من الاتحادية وعظموه لذلك ، وذمه قوم من أهل السنة ، وقدحوا فيه بذلك ، وقد برأه الله من الاتحاد ، وقد انتصر له شيخنا أبو عبد الله بن

[١] – فضل علم السلف ، ص ٤٤

[٢] – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣٥٩/٤

[٣] – فضل علم السلف ، ٤٤–٤٥ ، وانظر: استنشاق نسيم الإنس ، ص ٢١

القيم في كتابه الذي شرح فيه " المنازل" وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل »(١)

٣- **العبـادات :**

قال عن بدعة صلاة الرغائب : « ٠٠٠الأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب، في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، كذب وباطل ، لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ٠٠٠لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم ، وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة ، فلذلك لم يعرفها المتقدمون، ولم يتكلموا فيها » (٢) ٠

وقال عن صيام الدهر : « كان رسول الله -ﷺ- ينكر على من يسرد صوم الدهر ، ولا يفطر منه ، ويخبر عن نفسه : أنه لا يفعل ذلك٠٠٠»(٣)

٤- **الأوليـاء :**

قال الإمام ابن رجب : « فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين : أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده ٠

والثانـي: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل ، فظهر بذلك إلى أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله – تعالى – وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله – ﷺ– ،فمن ادعى ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق ، تبيّن أنه كاذب في دعواه»(٤)٠

---

١ - الذيل على طبقات الحنابلة ، ٦٧/٣

٢ - لطائف المعارف ، ص ١٣١

٣ - المرجع السابق ، ص ١٣٦-١٣٧

٤ - جامع العلوم والحكم ، ص ٤٧٦ ٠ هذا بخلاف ما يدعيه بعض الصوفية ، من أن الولي إذا وصل إلى مرتبة معينة ، سقط عنه التكليف والأمر والنهي ٠

وقال عن كراهة السلف للشهرة والغلو : « ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يشهر الإنسان نفسه ، بالعلم والزهد والدين ، أو إظهار الأعمال والأقوال والكرامات ، ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه ، وتقبيل يده ، وهو محب لذلك ، ويقيم عليه ، ويفرح به ويسعى في أسبابه ، ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة »[١] .

وقال عن تفضيل بعض الصوفية الأولياء على الأنبياء : « وقد اتسع الخرق في هذا الباب – مما أحدث من العلوم الباطنة – ، ودخل فيه أقوام إلى أنواع الزندقة والنفاق ، ودعوى أن أولياء الله ، أفضل من الأنبياء ، أو أنهم مستغنون عنهم ، وإلى التنقيص بما جاءت به الرسل من الشرائع »[٢].

٥- الكرامات :

قال في ترجمة الشيخ عبد القادر : « كان الشيخ عبد القادر – رحمه الله – في عصره معظماً ، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العباد والزهاد ، وله مناقب وكرامات كثيرة ، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري ، في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ، ثلاث مجلدات ، وكتب فيها الطم والرم ، وكفى بالمرء كذباً ، أن يحدث بكل ماسمع .

وقد رأيت بعض هذا الكتاب ، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه من الشطح ، والطامات، والدعاوى ، والكلام الباطل، مالا يحصى ، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر – رحمه الله – »[٣] .

---

١ – ذم المال والجاه ، ص ٦٦

٢ – فضل علم السلف ، ص ٤٤

٣ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣/ ٢٩٣

٦- الأحوال والمقامات :

أوضح الإمام ابن رجب أن مفهوم الزهد عند السلف ، ليس بإضاعة المال ، أو تحريم الحلال ، فقال: « تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا ، وتنوعت عباراتهم عنه ، – ومنها – : ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال، وإنما الزهادة في الدنيا: أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك ، وإذا أصبت بمصيبة، كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها ، من إياها لو بقيت لك »[١] ٠

وقال عن التوكل وتعاطي الأسباب : « اعلم أن تحقيق التوكل ، لاينافي السعي في الأسباب التي قدر الله – سبحانه وتعالى – المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله – تعالى – أمر بتعاطي الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به »[٢] ، وأضاف القول أنه :« لا يشرع ترك الأسباب الظاهرة »[٣] لأن « العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات والاجتهاد في الأعمال الصالحات ، وكل ميسر لما خلق له »[٤] ٠

وقال عن الخوف والرجاء والمحبة: «وقد علم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والمحبة ، وكل منها فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم ، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها ، وأهمل الآخرين ٠

---

١ – جامع العلوم ، ٣٨٨-٣٨٩

٢ – المرجع السابق ، ص ٥٦٧

٣ – لطائف المعارف ، ص ٧٧

٤ – المرجع السابق ، ص ٢١٦

فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء ٠

وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده ، والإعراض عن الخوف ٠

وبدع كثير من أهل الإباحية ؛ ممن ينتسب إلى التعبد ، نشأت من إفراد المحبة ، والإعراض عن الخوف والرجاء »[١]٠

٧- السماع :

ألف الإمام ابن رجب مصنفاً كاملاً ، في بيان حكم السماع المحدث، وذلك عندما سؤل عن ذلك ، فقال : « سئلت عن السماع المحدث وما يتضمنه : من سماع الغناء وآلات اللهو ٠هل هو محظور أم لا ؟ وهل ورد في حظره دليل صريح أم لا ؟ وعن سماعه : من المرأة الأجنبية ، وعمّن يفعله قربة وديانة ؟ »[٢]٠

ثم قال : « فأجبت والله الموفق : هذه المسائل قد انتشر فيها بين الناس المقال، وكثر القيل والقال ، وصنف الناس فيها : تصانيف مفردة ، وذكرت في أثناء التصانيف ضمناً، وتكلم فيها : أنواع الطوائف ؛ من الفقهاء ، وأهل الحديث ، والصوفية ، ثم منهم من يميل إلى الرخصة ، ومنهم من يميل إلى المنع والشدة ٠

واستيفاء الكلام في ذلك يستدعي تطويلاً كثيراً ، ولكن سنشير – إن شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه – إلى نكت مختصرة وجيزة وضابطة لكثير من مقاصد هذه المسائل ٠٠٠ فنقول : سماع الغناء وآلات الملاهي على قسمين :

فإنه تارة يقع على وجه : اللعب واللهو ، وإبلاغ النفوس حظوظها ، من الشهوات واللذات ٠

---

[١] – استنشاق نسيم الأنس ، ص ١٨–٢١ ، وانظر : التخويف من النار ، ص ٢٩–٣٤، واختيار الأولى ، ص ٩٦، و نزهة الأسماع، ص ٩١ ، وتحقيق كلمة الإخلاص ، تأليف الحافظ ابن رجب الحنبلب ، تحقيق وتخريج : إبراهيم عبد الله الحازمي ، ط١ ، (الرياض : دار الشريف للنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ) ، ٢٥–٣٠

[٢] – نزهة الأسماع ، ص٢٣

وتارة يقع على وجه التقرب إلى الله – عز وجل – باستجلاب صلاح القلوب، وإزالة قسوتها وتحصيل رقتها .

القسم الأول : أن يقع على وجه اللعب واللهو ، فأكثر العلماء ، على تحريم ذلك ، أعني سماع الغناء ، وسماع آلات الملاهي كلها ، وكل منها محرم بانفراد ، وقد حكى أبو بكر الآجري ،وغيره إجماع العلماء على ذلك ، والمراد بالغناء المحرم : ما كان من الشعر الرقيق الذي فيه : تشبيب بالنساء ونحوه ، مما توصف فيه محاسن من تهيج الطباع بسماع وصف محاسنه، فهذا هو الغناء المنهي عنه... فأما ما لم يكن فيه شيء من ذلك فإنه ليس بمحرم ،وإن سمي غناء ، وعلى هذا حمل الإمام أحمد حديث عائشة – رضي الله عنها– في الرخصة في غناء نساء الأنصار ، وقال : هو غناء الركبان أتيناكم أتيناكم [١] »[٢] .

وقال : « وقد حكى زكريا بن يحيى الساجي[٣] في كتابه اختلاف العلماء : اتفاق العلماء على النهي عن الغناء ، إلا إبراهيم بن سعد المدني ، وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ، وهذا في الغناء دون سماع آلات الملاهي ، فإنه لا يعرف عن أحد ممن سلف الرخصة فيها ، وإنما يعرف ذلك عن بعض المتأخرين من الظاهرية والصوفية ، ممن لا يعتد به»[٤] .

وأضاف القول : « القسم الثاني : أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو ،وبدونها ، على وجه التقرب إلى الله – تعالى – ، وتحريك القلوب إلى محبته ، والأنس به والشوق إلى لقائه ، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك ، ومن تشبه بهم ، فهذا المتشبه بهم ، مخادع ملبس ، وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد ، وأما الصادقون في دعواهم ذلك وقليل ما هم ، فإنهم ملبوس عليهم ، حيث تقربوا إلى الله – تعالى – بما لم يشرعه الله – تعالى – ، واتخذوا ديناً ، لم يأذن الله فيه »[٥].

---

١ – يبق تخريجه .

٢ – نزهة الأسماع ، ص ٢٥-٢٦

٣ – هو أبو يحيى البصري ، ثقة فقيه محدث .[طبقات الشافعية ، ٣/٢٩٩]

٤ – نزهة الأسماع ، ٥٩-٦٠

٥ – المرجع السابق ، ص ٦٨

وقال كذلك : « وأدخلوا في هذا الطريق – التصوف – أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء ، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب : كالغناء والرقص ، ... شابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً »[١].

٨- اللبـاس :

قال الإمام ابن رجب عن لباس الصوفية : « وأدخلوا في هذه الطريقة أشياء كثيرة ، ليست من الدين في شيء ...بعضها زعموا أنه يكسر
النفوس، أو التواضع ، كشهوة اللباس ، وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة»[٢]

وقال : « فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ، ليشتهر بذلك عند الناس ، كان ذلك كبراً ورياء ، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين ، وقالوا : إنه شهرة»[٣] .
« فلهذا كره من كره من السلف ، كابن سيرين وغيره ، لباس الصوف حيث صار شعار الزاهدين ، فيكون لباسه إشهاراً للنفس ، وإظهاراً للزهد »[٤] .

ما سلف تسطيره ، هي مواقف وجهود الإمام ابن رجب الحنبلي ، في الرد على الصوفية ، وبيان ضلالهم ، في كثير من المسائل الشرعية التي تطرق لها ، وهذه المواقف والجهود ، تدفع كل ما يثار من شبه ، حول ابن رجب ، وموقفه من التصوف، وتنفي عنه الانتساب إلى التصوف والصوفية[٥]

---

١ – فضل علم السلف ، ص ٤٥ ، وانظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ٣/ ٣٦٦، و ٤/١٩٥-٢٠٠

٢ – فضل علم السلف ، ص ٤٥

٣ – اختيار الأولى ، ص٨٠

٤ – المرجع السابق ، ص ٨٠

٥ – انظر : منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ، ص ٧٩

ويتكون من تمهيد وسبعة مباحث :

التمهيـد : عموم أساليب السلف ووسائل في الرد على أهل البدع ٠

المبحث الأول : الاستتابة ، وإتلاف المنكر ٠

المبحث الثاني : التثريب والتوبيخ والتكفير ٠

المبحث الثالث : المناظـرة ٠

المبحث الرابع : ذم الكتب الصوفية وإحراقها ٠

المبحث الخامس : الضـرب ٠

المبحث السادس : السجن ٠

المبحث السابع : الشهادة بما يوجب القتل ، والفتوى بالقتل ٠

التمهيـد :

تنوعت أساليب علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، ووسائلهم في الرد على الصوفية ، وذلك تبعاً لتلبس الصوفية بالمنكر ، ومدى شناعة المنكر في ذاته ، وقد أشار الإمام الشاطبي ، إلى أنواع الأحكام والوسائل والأساليب ، التي يقام بها في الجملة، للرد على المبتدعين ومنهم الصوفية ، قال : « فنقول : إن القيام عليهم بالتثريب – التقبيح – أو التنكيل ، أو الطرد، أو الإبعاد ، أو الإنكار ، هو بحسب حالة البدعة في نفسها ، من كونها عظيمة المفسدة في الدين أم لا ، وكون صاحبها مشتهراً بها أو لا ، وداعياً إليها أو لا، ومستظهراً بالأتباع ، وخارجاً عن الناس أو لا ، وكونه عاملاً بها على جهة الجهل أو لا »[1] ٠

[1] – الاعتصام ، ١/١٤٠

ثم ذكر الإمام الشاطبي ، تلك الأساليب والوسائل ، التي تكلم بها علماء السلف في رد المبتدعين ، فقال :

الأول : الإرشاد والتعليم ، وإقامة الحجة ٠

الثاني : الهجران ، وترك الكلام والسلام ٠

الثالث : التغريب ٠

الرابع : السجن ٠

الخامس : ذكرهم بما هم عليه ، وإشاعة بدعتهم ، كي يُحذروا ٠

السادس : القتال ٠

السابع : القتل ، إن لم يرجعوا من الاستتابه ، بعد إظهار البدعة ٠

الثامن : من أسر بدعته وكانت كفراً، أو ما يرجع إليه ، فالقتل بلا استتابه، لأنه من باب النفاق ؛ كالزنادقة ٠

التاسع : تكفير ما دل الدليل على كفره ، كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر ، كالإباحية ، والقائلين بالحلول ، كالباطنية ٠

العاشر : لا يرثهم ورثتهم من المسلمين ، ولا يرثون إذا ماتوا ، ولا يصلى عليهم ، ولا يدفنون في مقابر المسلمين ٠

الحادي عشر: الأمر بأن لا يناكحوا ٠

الثاني عشر : تجريحهم على الجملة ، فلا تقبل شهادتهم ، ولا روايتهم ، ولا يكونوا ولاة ، ولا قضاة ٠

الثالث عشر: ترك عيادة مرضاهم ٠

الرابع عشر: ترك شهود جنائزهم ٠

الخامس عشر: الضرب [1] ٠

[1] – الاعتصام ، ١/١٤١ " بتصرف يسير "

وقد طبق علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، جُلَّ هذه الوسائل والأساليب ، في مبتدعة الصوفية ، وتدرجوا معهم : من الوعظ والإرشاد والتعليم ، مروراً بباقي الوسائل والأساليب ، وانتهاءً بالقتل ، لمن لم تندفع
بدعته وفساده إلا بالقتل ٠

المبحث الأول : والاستتابة ، وإتلاف المنكر ٠

استعمل علماء السلف هذا الأسلوب ، ضد بعض مبتدعة الصوفية ، والذين كانوا يحتاجون لهذا الأسلوب ، مع وسيلة إتلاف المنكرات ، التي كان يتلبس بها بعض الصوفية ٠

قال الإمام ابن كثير : « في رجب – سنة ٧٠٤ هـ – أُحضر إلى الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً ، يسمى الشيخ المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه ، حتى لم يدعوا منه شيئاً ، وأمر بحلق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أظفاره ، وكانوا طوالاً جداً، وحف شاربه

المسبل على فمه ، المخالف للسنة ، واستتابه من كلام الفحش ، وأكل ما يغير العقل من الحشيش وما لا يجوز من المحرمات وغيرها ٠

وبعدها استحضره الشيخ محمد الخباز البلاسي فاستتابه أيضاً عن أكل المحرمات، ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوباً ، أن لا يتكلم في تعبير المنامات ، ولا في غيرها بما لا علم له به»[١] ٠

وقال ابن رجب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي : « وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات »[٢] ٠

وقال في ترجمة المعمر بن علي : « خرج مرة فلقي مغنية ، قد خرجت من عند تركي ، فقبض على عودها وقطع أوتاره »[٣] ٠

وقال ابن كثير : « وفي هذا الشهر – رجب سنة ٧٠٤هـ – بعينه ، راح الشيخ تقي الدين ابن تيميه إلى مسجد التاريخ ، وأمر أصحابه ، ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك ، ٠٠٠تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك ، فأزاح عن المسلمين شبهة ، كان شرها عظيماً ، وبهذا وأمثاله حسدوه ، وأبرزوا له العداوة »[٤]٠

المبحث الثاني : التثريب والتوبيخ والتكفير ، لمن اشتهر بالابتداع من الصوفية٠

١ – البداية والنهاية ، ٤٤٢/١٣–٤٤٣

٢ – الذيل على طبقات الحنابلة ، ١٣/٤

٣ – المرجع السابق ، ١٠٧/٣

٤ – البداية والنهاية ، ٤٤٣/١٣ ، وانظر : شذرات الذهب، ٩/٦ ، وينبغي أن يلاحظ أن إزالة المنكر بالإتلاف ليست مخولة لكل أحد ، وإنما لمن له الولاية في ذلك ، أو يتولى الحسبة ، ٠

استعمل علماء السلف ، هذا الأسلوب ، لبيان ضلال بعض الصوفية ، و انحرافهم عن الصراط المستقيم ، و فساد عقيدتهم ، حتى لا يغتر بهم من يجهل حالهم ومآلهم ٠

قال شيخ الإسلام ابن تيميه : « ابن الفارض – من متأخري الاتحادية– صاحب القصيدة التائية المعروفة : " بنظم السلوك " ، وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب ، وما أحسن تسميتها : " بنظم الشكوك"»[١]٠

وقال الإمام ابن أبي العز ، في ابن عربي : « فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب ، وللرسول بلبنة فضة ، فيجعل نفسه أعلى من الرسول ؟! »[٢] ٠

ووصف شيخ الإسلام ابن تيميه ، العفيف التلمساني ، بالفاجر التلمساني ، وأنه أحذق القوم بالكفر [٣] ٠

وقال الإمام الذهبي في علي بن أبي الحسن الحريري : « كبير الفقهاء البطلة»[٤]٠

وقال في ترجمة الباجريقي : « الضال الزنديق » [٥] ٠

---

[١] – الفتاوى ، ٤/٧٣–٧٤ ، وانظر : ٢٤٧/١١

[٢] – شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٤٥

[٣] – انظر: الفتاوى ، ٢/١٦٩–١٧٠ ، والرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ،جمعه وأعده عبد الرحمن السحيباني، ط١ ، (الرياض : دار الوطن ، ١٤١٦هـ) ، ص ٢٦ ، والموسوعة الصوفية ، تأليف د: عبد المنعم الحفني ، ط١ ، (القاهرة : دار الرشاد ، ١٤١٢هـ) ، ص ٨٥

[٤] – السير ، ٢٢٤/٢٣

[٥] – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥

وقال شيخ الإسلام في الحلاج : « من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات ، التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد »[1] .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة يونس بن يوسف : « شيخ اليونسية ، أُولي الزعارة، والشطح ، والخواثة ، وخفة العقل »[2].

المبحث الثالث : المناظرة :

المناظرة وسيله شرعية لإفحام الخصوم ، وقد استخدم علماء السلف المناظرة وسيلة من الوسائل ، التي يدفعون بها بدع الصوفية .

قال الإمام ابن عبد الهادي ، يصف المناظرة التي جرت بين شيخ الإسلام ابن تيميه ، وطائفة من الصوفية : « اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية ، عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم ، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه ، فانتدب لهم الشيخ وتكلم باتباع الشريعة، وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها ، بقول ولا فعل ، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار ... وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم يدلكه بالخل ، ثم يدخل ، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك ، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا . وكانوا جمعاً كثيراً .

---

[1] - الفتاوى ، ٤٨٠/٢

[2] - السير ، ١٧٩/٢٢، وانظر : تاريخ الإسلام ، (ط٦٢) ، ص ٤٢٤

وقال الشيخ صالح شيخ المنيبيع : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ، ما تنفق قدام الشرع »[1] ، « فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديدية من رقابهم ، وأن من خرج منهم عن الكتاب والسنة ، ضرب عنقه »[2] .

المبحث الرابع : ذم الكتب الصوفية ، وإحراقها .

جمع علماء السلف ، بين أسلوب الذم ، ووسيلة الإحراق ، لدرء خطر الكتب الصوفية ، التي تزخر بالبدع ، وتخالف المنهج الشرعي .

قال الإمام الشاطبي عن كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب المكي :«لأبي طالب آراء خالف فيها العلماء ، حتى أنه ربما خالف الإجماع في بعض المواضيع ، ولكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير ، والتحريض على طلب الآخرة ، فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتابه " قوت القلوب " طالعوه متحرزين ، وأما العوام ، فلا يحل لهم مطالعته »[3].

كما حذر العلماء من كتب الغزالي ، وقاموا بإحراقها [4] .

وقال الذهبي : « ومما نقم عليه – الغزالي – ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتاب " كيمياء السعادة و العلوم " وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملة ، وكان الأولى به – والحق أحق ما يقال – ترك ذلك التصنيف ، والإعراض عن الشرح له»[5]

---

[1] – العقود الدرية ، ص ١٩٤–١٩٥

[2] – البداية والنهاية ، ٤٤٥/١٣

[3] – الإفادات والإنشادات ، ص ٤٣–٤٤

[4] – انظر: السير ، ٢٤٠/١٩ ، و٢٠ /١٢٤ ، والعقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية ، ص ٣٤–٣٥

[5] – السير ، ٣٢٦/١٩ ، ونقل الذهبي عن أبي علي الصدفي : « ...قال والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داعية في ذلك ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، وأخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون الأمة ، والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها ، فامتثل ذلك » السير ، ١٩/ ٣٢٧

وقال عنها شيخ الإسلام ابن تيميه : « وتجد أبا حامد الغزالي – مع أنه له من العلم بالفقه ، والتصوف والكلام والأصول ، وغير ذلك ، مع الزهد والعبادة ، وحسن القصد ، وتبحره في العلوم الإسلامية أكثر من أولئك – يذكر في كتابه " الأربعين " ونحوه كتاب " المضنون به على غير أهله"[١] : فإذا طلبت ذلك الكتاب واعتقدت فيه أسرار الحقائق وغاية المطالب ، وجدته قول الصابئة المتفلسفة بعينه »[٢]

وقال الإمام الذهبي عن كتاب " فصوص الحكم " لابن عربي : «٠٠٠وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أرداء تواليفه كتاب" الفصوص"، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر »، وأضاف : « ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل ، إلا كتاب " الفصوص " »[٣] ٠

وقال عن تصانيف السلمي : « وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي حقائق تفسيره أشياء لا يسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية »[٤] ٠

وذكر الإمام الذهبي ، أيضاً عدداً من كتب الصوفية ، في موضع الذم، فقال : « قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي: شهدت أبا زُرعة – وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه – فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ؛ عليك بالأثر ؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك ٠ قيل له : في هذه الكتب عبرة ٠ فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس ، ما أسرع الناس إلى البدع !» [٥] وأضاف الإمام الذهبي القول :« وأين مثل الحارث ، فكيف لو رأى أبو زُرعة تصانيف المتأخرين كـ " القوت " لأبي

---

١ – قال شيخ الإسلام : « وأما المضنون به على غير أهله ، فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه ، وأما أهل الخبرة به وبحاله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه» ، [الفتاوى ، ٦٥/٤] ٠

٢ – الفتاوى ، ٦٣/٤

٣ – السير ، ٢٣/ ٤٨-٤٩

٤ – السير ، ٢٥٢/١٧

٥ – قلت : منقول مثل هذا القول عن الإمام أحمد " انظر : ص "

طالب ، وأين مثل : " القوت " ! كيف لو رأى " بهجة الأسرار " لابن جهضم ، و " حقائق التفسير " للسلمي لطار لُبُّه٠

كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في "الإحياء" من الموضوعات ٠ كيف لو رأى : الغنية " للشيخ عبد القادر ! كيف لو رأى " فصوص الحكم " ، و" الفتوحات المكية !"» [١]

المبحث الخامس : الضرب ٠

وكذلك استخدم علماء السلف ، الضرب كوسيلة من الوسائل ، بعد استنفاد أسلوب الاستتابة والتعليم ، لردع المبتدعة من الصوفية ٠

قال ابن كثير في ترجمه إبراهيم الموله[٢] : « وقد استتابه الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، وضربه على ترك الصلوات ، ومخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله ، في الأمكان النجسة »[٣]٠

وقال ابن القيم ، عن السماع المبتدع عند الصوفية ، وأسلوبه ووسيلته، في إزالته : « قلت : ومن أعظم المنكرات تمكينهم من إقامة هذا الشعار الملعون هو وأهله، في المسجد الأقصى عشية عرفه ، ويقيمونه أيضاً في مسجد الخيف أيام منى ، وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً ، ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه ، والناس في الطواف ، فاستدعيت حزب الله ، وفرقنا شملهم »[٤]٠

---

١ – ميزان الاعتدال ، ٢/١٦٥-١٦٦

٢ – إبراهيم الموله ، الذي يقال له : القميني ؛ لإقامته بالقمامين ، توفي كهلاً ، سنة ٧٢٥هـ (البداية والنهاية ، ١٤/٥٣٥)

٣ – البداية والنهاية ، ١٤/٥٣٥

٤ – إغاثة اللهفان ، ١/٢٣١

المبحث السادس : السجن ٠

قال الإمام الذهبي في ترجمة الحريري : « شهد عليه خلق كثير ، بما يوجب القتل ، ولم يقدم السلطان على قتله ، بل سجنه مرتين »[١] ٠

المبحث السابع : الشهادة بما يوجب القتل ، والفتوى بالقتل ٠

قال الإمام الذهبي في ترجمة الباجريقي : « فشهدوا عليه بما يبيح للدم»[٢] ٠

وأضاف « وحكي عنه – الباجريقي – التهاون بالصلوات ، وذكر نبينا – ﷺ – من غير تعظيم ، ولا صلاة ٠٠٠فحكم القاضي ٠٠٠ بإراقة دمه بشهادة عدد ، اعتمد منهم على ستة ، فاختفى ، ثم انسحب إلى العراق » [٣]٠

وقال ابن كثير في ترجمة الحريري : « ولقد أفتى في قتله مراراً ، جماعة من علماء الشريعة »[٤] ٠

وقال شيخ الإسلام ، عن قتل الحلاج : « إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة ، والإلحاد »[٥] ٠

هذه مجمل أساليب ووسائل السلف ، في الرد على الصوفية ، وعند تتبع هذه الوسائل والأساليب ، تظهر براعة السلف وشجاعتهم ، في الحق ومقارعة الخصوم ، بالحجة والبرهان

---

[١] – السير ، ٢٢٥/٢٣ ، وانظر : خبر سجن الحلاج ومقتله في السير ، ٣٣٢/١٤

[٢] – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥

[٣] – ذيل تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٥ ، وانظر: ص ٢٦٦ ، وانظر: خبر مقتل الحلاج في السير ، ٣٣٢/١٤ ، والموسوعة الصوفية ، ص ١٢٦-١٣١

[٤] – البداية والنهاية ، ٢٠٥/١٣

[٥] – الفتاوى ، ٤٨٠/٢

، وأنهم لم يكونوا يوماً متعسفين ، أو باحثين عن التشفي من الخصوم، وإنما حاديهم إلى ذلك ، النصح لله – تعالى ذكره – ، ولكتابه الكريم ، ولرسوله –ﷺ– ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، وعودة الناس إلى الصراط المستقيم ، وتحكيم شرع الله القويم ، والابتعاد عن الشطح ، والتحريف ، والتأويل ، وسلوك طريق أهل الزيغ والضلال ٠

الحمد لله الذي يسر وأعان ، وهيأ لي السبل بفضله وكرمه وتوفيقه ، حتى أنهيت هذه الرسالة ، فله الشكر والثناء والحمد٠

وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات لتي توصلت لها بهذه الرسالة :

التمهيد : عرفت في التمهيد ، السلف في اللغة ، والقرآن الكريم، والسنة النبوية ، وتوصلت من خلال ذلك أن السلف يعني : السبق والتقدم ٠

وأما السلف في الاصطلاح فقد تباينت الأقوال فيه إلى عده آراء ، فهناك فمن يرى أن السلف هم : الصحابة رضي الله عنهم فقط ، وهناك من أضاف للصحابة رضي الله عنهم التابعين ، ومنهم من يرى أنهم أصحاب القرون الثلاثة الأولى ، ومنهم من يرى أنهم من كانوا قبل الخمسمائة هجرية ٠

واخترت تعريف السلف بأنهم : " الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم ، وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول ، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين ، وعظم شأنهم فيه ، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول ، خلفاً عن سلف ، إلى قيام الساعة "٠

وعرفت القرن ، في اللغة ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وظهر لي أن القرن ، يطلق على المدة الزمنية المحددة بمائة سنة ، وكذا على أهل الزمان الواحد ٠

وعرفت التصوف وتبين لي اختلاف أهل العلم في تحديد معنى التصوف ، إلى أقوال عديدة ، اخترت منها أنه منسوب إلى الصوف ، كما لم يرد التصوف ، في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وإنما الوارد فيهما كلمة الصوف المعروف ٠

وخلصت إلى أنه لا يمكن ، ترجيح أي من التعاريف الاصطلاحية للتصوف ، لأن تعاريف الصوفية للتصوف يكتنفها الغموض ، وتطغى عليها الإشارات والعبارات العامة ٠

ثم بينت حالة الأمة الإسلامية ، في القرن الثامن الهجري ، من الناحية السياسية ، والدينية ، والفكرية ، والاجتماعية ، باختصار ، فكان هذا القرن من الناحية السياسية ، قرن صراعات داخلية وضعف ٠

وأما الناحية الدينية والفكرية ، لهذا القرن فكانت أثرى من سواهما، وبرز خلال هذا القرن أعلام وأئمة من العلماء ، لا تزال آثارهم خالدة ، ووقفوا في وجه المبتدعة ، وصنفوا المصنفات العديدة ٠

وانتشرت الصوفية في هذا القرن ، بطرقها المختلفة ، وأصبح لها مكانة في المجتمع ، وصارت الخوانق والربط من دور التعليم ، وآذوا أهل السنة والجماعة بمساعدة بعض السلاطين٠

وأما الناحية الاجتماعية ، في القرن الثامن الهجري ، فقد تأثر المجتمع ، بما مر به من أحداث عاصفة ، من حروب وهجرات، واختلاط مع الأمم الأخرى ، فدخلته أفكار جديدة ، كما انتشرت في المجتمع بعض المفاسد ، والأمراض الفتاكة ٠

ثم تعرضت لنشأة التصوف ، وتبين لي أن أصح الأقوال، إن نشأة التصوف كانت : في القرن الثاني الهجري ٠

وأما تطور التصوف ، فقد كان في بداياته سهلاً ، وكان على سمة السلف الصالح، في العقائد والأصول ، وكانت مخالفاته في الغالب ، في السلوك ومظاهر التعبد والمبالغة في الزهد والعبادة والخوف ، حتى وصل في القرون التالية ، إلى انحراف بين وخطير ، في السلوك والاعتقاد ، من القول بالفناء ، والاتحاد والحلول ، ووحدة الوجود ، والقول بسقوط التكاليف الشرعية ، وغيرها من البدع المحدثة ٠

الباب الأول : بحث في هذا الباب ، منهج الصوفية في التلقي والاستدلال ، وجهود علماء السلف في الرد عليهم ٠

فظهر لي أن منهج – بعض – الصوفية في التلقي والاستدلال ، مخالف لمنهج السلف ، حيث اعتمد الكثير من الصوفية ، على غير المصادر الشرعية ، من كتاب كريم وسنة نبوية شريفة ، في التلقي والاستدلال ، وعندما استدلوا بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، أخطئوا في ذلك ، واعتمدوا في التلقي على الكشف – الذي عولوا عليه كثيراً – وما يصاحبه من خطرات وهواتف ووساوس ، ونتيجة لذلك أهملوا العلم الشرعي٠

وقد بين علماء السلف ، ضلال وخطأ الصوفية ، فيما ذهبوا إليه، من الحكم بمقتضى الكشف ، والإلهام ، والخواطر ، والرؤى ، مستدلين على ذلك ، بنصوص الشرع الحنيف ، وكان جهد علماء السلف واضحاً في هذه المسألة ٠

ثم بينت الذوق والوجد ومعناهما عند الصوفية ، وظهر لي أن – بعض – الصوفية يقدمون الذوق والوجد على الشرع ، ولذلك حكموا بهما، وقد تصدى لهم علماء السلف ، وبينوا أن هذا المنهج خاطئ ، وبعيد عن مقاصد الشرع الحنيف ٠

وفي الفصل الثاني من الباب الأول : عرفت الاستدلال ، ثم بينت منهج الصوفية ، في الاستدلال بالقرآن الكريم ، وكانت حقيقة منهجهم يقوم على التحريف ، والتأويل الفاسد ، للقرآن الكريم ، مما يخرج الآيات الكريمة ، عن مدلولها الذي قصده الشارح ، حتى زعم بعضهم بسقوط التكاليف الشرعية عنه ، مستدلاً على ذلك بتحريف الآيات القرآنية ، وهو زعم بين بطلانه وفساده ، علماء السلف ٠

وبحثت منهج الاستدلال ، بالسنة النبوية المطهرة ، وتبين لي أن عمدة منهج الصوفية ، الاستدلال بالأحاديث الضعيفة ، وكذا توجيه الأحاديث الصحيحة ، غير وجهتها الصحيحة ، وفهمها بغير ما يقتضيه نص الحديث .

ثم شرعت في بيان جهود علماء السلف ، في الرد على الصوفية ، في هذا المجال ، وبينت أراء وأقوال السلف ، التي فندوا من خلالها مزاعم الصوفية ، وانحرافهم في الاستلال بالسنة النبوية الشريفة .

وذكرت منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية ، وتبين من خلال هذا المنهج أن الصوفية ، يقدمون أقوال وأفعال الشيوخ ، على نصوص الشرع ، حتى ولو كانت معارضة له ، ويرى بعضهم عدم الخروج عن هذه القاعدة .

وتطرقت لجهود علماء السلف ، في الرد عليهم في هذه المسألة ، إذ بين علماء السلف ، أن هذا المنهج خاطئ ، ولا يمت إلى الشرع بصلة ، لأن الشيخ والعالم – مهما كانت منزلته – بشر غير معصوم ، يصيب ويخطئ ، فلا يجب الإقتداء به – مطلقاً – ، إلا بالمعصوم من البشر ، وهو رسول الله – ﷺ – .

وذكرت في الباب الثاني : الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية ، فبينت معنى الحلول ، ووحدة الوجود .

وفي بحثي للحلول عند الصوفية ، ظهر لي بجلاء ، أن هناك من الصوفية ، من ينتحل هذه العقيدة الفاسدة ، مصرحاً بها حيناً ، وملمحاً بها حيناً آخر .

وكذلك ظهر لي وجود ، عقيدة وحدة الوجود الفاسدة ، عند بعض الصوفية ، من خلال أشعارهم وأقوالهم .

وقد بينت رد علماء السلف ، على هاتين العقيدتين الفاسدتين ، المخالفتين للشرع والعقل ، وتشدد علماء السلف النكير على من قال بهذه العقيدة الفاسدة ، ورموهم بالكفر والخروج من الملة ٠

وفي الفصل الثاني من هذا الباب ، عرفت الفناء ، وبينت أن هناك فرق بين الفناء الذي يدعية الصوفية ، والفناء الذي ورد في النصوص الشرعية ، وأنه لا صلة بين الفنائين ٠

وظهر لي من خلال البحث أن الفناء الذي يدعيه بعض الصوفية ، ما هو إلا مقدمة ، للولوج في مزالق ، الاتحاد ، والحلول، ووحدة الوجود ٠

ثم بينت فهم السلف ، للفناء عند الصوفية ، ومعرفتهم ما يترتب عليه ، من المحاذير الشرعية ، ولذلك حذروا منه وتصدوا له بقوة ٠

وذكرت في الفصل الثالث ، بدع الصوفية في العبادات ، وأنهم يزعمون بسقوط التكاليف الشرعية ، ومن صلاة ، وصيام، وحج ، وبينت بدعهم في الدعاء ٠

ثم ذكرت تصدي علماء السلف لهم ، وبيان فساد عقيدتهم ، وسوء مقالتهم ، مستدلين على ذلك ، بنصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال سلف الأمة ٠

وفي الفصل الرابع ، ذكرت معنى الولي ، ومعنى الغلو ، وبينت ما يثبت غلو الصوفية بأوليائهم ، وأن منهم من يفضل الولي على النبي ، وأن منهم من يأخذ بكلام الولي مطلقاً ، ويرى عدم الخروج على الولي بأي حال من الأحوال ٠

بل أن هناك من الصوفية ، من يصرف بعض العبادات ، إلى الأولياء ، زاعماً أحقيتهم لها ، من دون الله ٠

ثم ذكرت رد علماء السف ، على هذه البدع الشنيعة ، وبينت حرمة الغلو في الدين ، من خلال أقوال وجهود علماء السلف ، وأنه لا يجوز صرف شيء من العبادات ، إلا لله جلا شأنه ، وتعالى ذكره ٠

وفي الباب الثالث ، ذكرت بدع الصوفية في السلوك والأحوال ، فذكرت في الفصل الأول ، تعريف الحال والمقام ، وبينت اختلاف الصوفية ، في الأحوال والمقامات ، ثم ذكرت المحبة عند الصوفية ، واختلافهم حيالها هل هي حال أم مقام ، وبينت ما وقع فيه بعضهم من محذورات في المحبة ، وكذلك في الخوف والرجاء ، ثم مقام الفقر عند الصوفية ، فظهر أن بعض الصوفية يذهب إلى تفضيل الفقر على الغنى مطلقاً ، وبحثت التوكل عند الصوفية ، وبينت ما وقعوا فيه من خلط بين التوكل والتواكل ، وما وقعوا فيه من نفي الأسباب ، نتيجة لعدم الفهم الصحيح للتوكل المشروع ، وذكرت الزهد عند الصوفية ، وكان مفهومهم للزهد يقتضي ترك الدنيا ، والإعراض عنها بالكلية ٠

أما في المبحث الثاني : فذكرت جهود علماء السلف ، في الرد على الصوفية ، في هذه الموضوعات ، وخلصت إلى أن علماء السلف ، يروا أن الواجب أن يكون العبد بين الخوف والرجاء والمحبة ، وأن يعبد الله بهذه الثلاث خصال ، لأن إفرادها يكون به خطر عظيم ، وزلل بين ٠

ثم ذكرت ، موقف السلف ، من الفقر والغنى ، وكان موقف السلف، يؤكد على أن الفضيلة ليست متعلقة بالفقر ، أو الغنى ، وإنما تتعلق بمن هما حالة ٠

ثم بينت جهود السلف ، في بيان التوكل الحقيقي ، وبيانهم لخطأ الصوفية ، في هذه المسألة ، وقرر السلف ، أن التوكل لا ينافي اتخاذ الأسباب المشروعة ، حسب النصوص الشرعية ٠

ثم أوضحت مفهوم الزهد عند السلف ، أن المفهوم الصحيح، مخالف لما هو عند الصوفية ، فالزهد المشروع ، ليس بترك الدنيا بالكلية ، وإنما هو : ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة٠

وفي الفصل الثاني ، عرفت السماع عند الصوفية ، ثم بينت أقسام السماع عند الصوفية ، وأنهم عندما يطلقون السماع ، يعنون به السماع المقيد بالألحان والنغمات ، وأنهم يذهبون إلى حل هذا السماع ، بل ويتعبدون الله به٠

وأعقبت ذلك ببيان جهود السلف ، وردهم على قول الصوفية ، بحل السماع ، فكان موقفهم : أن السماع المصحوب بالأنغام ، محرم بنص الشريعة ، وأقوال الأئمة العدول ، ولا عبرة بما يقوله الصوفية ، ومن ماثلهم ٠

وفي الفصل الثالث ، عرفت اللباس والشعار، وبينت أن الصوفية ، اختصوا بلباس خاص ، وهو الصوف والمرقعات ، واتخذوا ذلك شعاراً خاصاً بهم يميزهم عن غيرهم ٠

ووجدت من جهود علماء السلف ، في الرد على الصوفية، في اللباس والشعار ، أن علماء السلف ، يؤكدون أن لباس الصوف ليس له أفضلية ، على غيره من الألبسة ، وأن من أصر على لبسة دون غيره دائماً ، دخل في الشهرة المنهي عنها شرعاً ، وأن الاقتصار على لبس الصوف ، ليس من سنة الرسول الكريم –ﷺ– ، ولا من عمل الصحابة رضي الله عنهم ٠

وفي الفصل الرابع ، عرفت الغموض والرموز ، وظهر لي في هذا الفصل ، أن الصوفية يتعمدون الرموز والغموض ، بكلامهم ، وأن ذلك من الأسس المتعارف عليها عندهم ، خوفاً على انكشاف ما يضمرون من عقائد باطلة ومخالفات زائفة ٠

ووجدت أن علماء السلف ، قد حذروا من هذا الأسلوب في القول ، وبينوا أن اتباع هذا النهج ، موقع في الزلل ، والضلال ، زبينوا ضلال الصوفية المستخدمين لهذا الأسلوب ، وشددوا على اتباع الكتاب الكريم والسنة والمطهرة ، في الألفاظ والأساليب ، لأن ذلك أسلم وأصوب ، وأبعد عن الزلل والانحراف ٠

وفي الباب الرابع ، الفصل الأول ، ترجمت لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري ، المكثرين في الرد على الصوفية ، وكان لهم جهد بارز وواضح في الرد على أغلب مسائل البحث ، وبينت مواقفهم في الرد على الصوفية ، مرتبين حسب تاريخ الوفاة ، وهم :

١- الإمام ابن عبد الهادي ٠

٢- الإمام ابن الإمام ٠

٣- الإمام الذهبي ٠

٤- الإمام ابن مفلح ٠

٥- الإمام ابن قاضي الجبل ٠

٦- الإمام ابن كثير ٠

٧-الإمام الشاطبي ٠

٨- الإمام ابن أبي العز ٠

٩- الإمام ابن رجب ٠

وفي الفصل الثاني ، بينت عموم أساليب ، علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، ووسائلهم في الرد على الصوفية ، وظهر لي أن علماء السلف في هذا القرن ، استخدموا كافة الأساليب ، والوسائل الممكنة والمشروعة ، في الرد على الصوفية ، ابتداءً من النصح والإرشاد ، والتعليم ، مروراً بباقي الأساليب والوسائل ، وانتهاءً بالقتل ، لمن لم تندفع بدعته إلا بالقتل ٠

المقترحات :

وبعد ٠٠٠فإني أوصي بمزيد من الاهتمام ،وبذل المزيد من الجهد والعناية ، بتراث السلف ، الفكري والعملي ، من خلال الاعتناء بمؤلفاتهم ، لأنهم أصحاب فكر ومنهج متمسك بالكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وهم أصحاب المنهج القويم ، الذين وقفوا في وجه أصحاب البدع والضلال ٠

وكذلك الاهتمام بدراسة التصوف ، وبيان ما فيه من البدع المخالفة لمنهج الدين الحنيف ، والرد على ما به من مخالفات وبدع ، حتى لا تشيع هذه البدع والخرافات ، بين المسلمين ، وحتى لا يتقبلونها ، وهم بها جاهلين ، لأن الصوفية يسلكون طرقاً منحرفة ، وشعارات براقة وخادعة لمن لا يعرفهم ٠

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آلة وصحابته أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ٠

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
ومن أظلم	١١٤	البقرة	١٥٧
إن الذين آمنوا	٢١٨	==	٢٩١،٤٥٢
فمن جاءه موعظة من ربه	٢٧٥	==	٢٢
فله ما سلف	٢٧٥	==	٢٢
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا	٢٨٦	==	١٨
قل إن كنتم تحبون الله	٣١	آل عمران	٢٧٤
قال رب اجعل لي آية	٤١	==	٣٤٦
وإذ أخذ الله	١٨٧	==	٣٩٢
خلق منها زوجها	١	النساء	١٩٨
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم	٢٢	==	٢٢
إلا ما قد سلف	٢٣	==	٢٢
وما أرسلنا من رسول	٦٤	==	٢٧٤
فلا وربك لا يؤمنون	٦٥	==	١٣٩
وتعاونوا على البر والتقوى	٢	المائدة	٢٦٨
اليوم أكملت لكم دينكم	٣	==	٣٩٤،٤٢٣
والله يعصمك من الناس	٦٧	==	١١٣
قل يا أهل الكتاب	٧٧	==	٢٦٧
ألم يروا كم أهلكنا	٦	الأنعام	٣١

ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً	٤٨	==	٨٨
وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً	٧٠	==	٤١٦
وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم	١١٩	==	٤٦
ادعوا ربكم تضرعاً	٥٥	الأعراف	٢٥١
إنما المؤمنون	٢	الأنفال	٣٢٣،٤١٨
وما كان صلاتهم	٣٥	==	٣٢٥،٣٩٣، ٤١٦
يا أيها الذين أمنوا قاتلوا	١٢٣	التوبة	١٢٣
ولقد أهلكنا القرون	١٣	يونس	٣١
ألا إن أولياء الله	٦٢	==	٢٧٤
إلا قوم يونس	٩٨	==	١٤٧
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	٩٩	الحجر	١٤٥،١٥٢، ٢٢١،٢٢٣
فاسألوا أهل الذكر	٤٣	النحل	٣٩٢
وضرب الله مثلاً	٧٥	==	٣١٦
ومن أصوافها وأوبارها	٨٠	==	٤٢
ولئن شئنا لنذهبن	٨٦	الإسراء	٣١٦
وإذ قاموا فقالوا ربنا	١٤	الكهف	١٥٣،٤٢٩
هذا فراق بيني وبينك	٧٨	==	١٢٧
هل تحس منهم من أحد	٩٨	مريم	٣٨٣
وما جعلنا لبشر من قبلك	٣٥	الأنبياء	١٢٦،٤٠٩

واجتنبوا قول الزور	٣٠	الحج	٣٩٣
يا أيها الرسل	٥١	المؤمنون	٣١١
ما لهذا الرسول	٧	الفرقان	٤٥١
وقروناً بين ذلك	٣٨	==	٣١
قال رب المشرق والمغرب	٢٨	الشعراء	١٤٧
والشعراء يتبعهم الغاوون	٢٢٤	==	٣٩٤
ومن أضل ممن أتبع هواه	٥٠	القصص	٤٦
ومن الناس من يشتري	٦	لقمان	٣٢٩،٤١٦
خلق السماوات والأرض	٤	السجدة	٢١٠
...يا أبتِ افعل	١٠٢	الصافات	١٢٢
كم أهلكنا من قبلهم	٣	ص	٣١
فطفق مسحاً بالسوق	٣٣	==	١٥٣
إني مسني الشيطان	٤١	==	١٤٦
فلم يك ينفعهم إيمانهم	٨٥	غافر	١٤٧
أم لهم شركاء	٢١	الشورى	٤٠٠
فجعلناهم سلفاً ومثلاً	٥٦	الزخرف	٢٢
فارتقب يوم تأتي السماء	١٠	الدخان	٤١٤
إن الذين يبايعونك	١٠	الفتح	٢٥٩
إن أكرمكم عند الله	١٣	الحجرات	٢٩٦،٢٩٧، ٤٥١
والأرض مددناها	٧	ق	١٤٦

وكم أهلكنا قبلهم من قرن	٣٦	==	٣١
أفمن هذا الحديث تعجبون	٥٩	النجم	٣٩٣
كل من عليها فان	٢٦	الرحمن	٢٠٤
وهو الأول والآخر	٣	الحديد	١٤٨
ومن يتوكل على الله	٣	الطلاق	٤٥٠
لينفق ذو سعة من سعته	٧	==	٣١١
واذكر اسم ربك	٧٢	المزمل	١٣٥
فإذا نقر في الناقور	٨	المدثر	٧٨
فأما الإنسان	١٥	الفجر	٢٩٧،٤٥١
وتواصوا بالحق	٣	العصر	٢٦٨

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهـــرس الآثار

فهـــرس الأشعار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأماكن

فهرس الفرق والمذاهب والطرق والجماعات

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهـرس المــراجع

١.القرآن الكريم .
٢.الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ، تأليف سيدي أحمد المبارك ، مكتبة الصفا بالأزهر ، والمكتبة التوفيقية .
٣.إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين ، تصنيف محمد بن محمد الحسني الزبيدي ، لبنان بيروت : دار إحياء التراث العربي .
٤.الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، القاهرة : الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٣٩٣هـ
٥.إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام للإمام تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد ، بيروت : دار الكتب العلمية .

٦.الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، د: ريتشارد موتيل ، الرياض : الناشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ

٧.إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، بيروت : دار الكتب العلمية٠

٨.أخبار الدول وآثار الأول ، تأليف العالم أبي العباس أحمد بن يوسف ؛ الشهير بالقرافي ، بيروت : عالم الكتب ٠

٩.الآداب الشرعية ، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ٠

١٠.آداب المريدين ، تأليف أبي النجيب ضياء الدين السهر وردي ، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة : دار الوطن ٠

١١.الأذكار من كلام سيد الأبرار ، محي الدين النووي ، اعتنى به وفهرسه : محي الدين الشامي ، ط٣ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٩هـ ٠

١٢.الأربعين في شيوخ الصوفية ، لأبي سعيد أحمد الماليني ، تحقيق د: عامر حسن صبر ، ط ١ ، لبنان : بيروت دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٧هـ ٠

١٣.أساس البلاغة ، تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت : دار الفكر، ١٤١٥هـ ٠

١٤.أساس البلاغة ، جار الله محمود الزمخشري ، مطر : القاهرة ، مطبعة دار عالم الكتب المصرية ، ١٣٤١هـ

١٥.أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تأليف عز الدين أبن الأثير أبي الحسن الجزري ، تحقيق وتعليق الشيخ : علي محمد معوض ، وآخرون ، بيروت : دار الكتب العلمية ٠

١٦.الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد علي ، ط٣ ، القاهرة : مطبعة

لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٨م

١٧.الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ : علي محمد معوض ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .

١٨.الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط١ ، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٩م

١٩.إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بان قيم الجوزية ، بتحقيق وتصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ، بيروت : دار المعرفة.

٢٠.الإفادات والإنشادات ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي دراسة وتحقيق د: محمد أبو الأجفان ، ط٢ ، بيروت:مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ

٢١.إلجام العوام عن علم الكلام ، أبو حامد محمد الغزالي ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ،ط١ ، بيروت : الكتاب العربي ١٤٠٦ هـ

٢٢.الألواح ابن سبعين ، نسخة خطية بمجموعة الخزانة التيمورية (١٤٩تصوف) .

٢٣.الإمام الشاطبي ، عقيدته وموقفه من البدع وأهلها ، تأليف عبد الرحمن آدم علي ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٨هـ .

٢٤.الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، تأليف عبد الكريم إبراهيم الجيلي ، ط٤ ، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٤٠٢هـ .

٢٥. الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تأليف عبد الوهاب الشعراني ، حققه وقدم له : طه عبد الباقي سرور ، بيروت : مكتبة المعارف

٢٦.الأوامر والنواهي ، تأليف الإمام أبو علي حسين بن المبارك الموصلي الصيرفي ، تم التحقيق والإعداد بمركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز ، ط١، مكة المكرمة ، الرياض : مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٧هـ ٠
٢٧.إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة الحسني ، بيروت : المكتبة الثقافية ، ١٤٠٨هـ ٠
٢٨.إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة الحسني ، بيروت : المكتبة الثقافية ، ١٤٠٨هـ ٠
٢٩.ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، د: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، ط١ ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م ٠
٣٠.الاتقان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ، ط٤ ، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٨هـ ٠
٣١.اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن القيم ، إعداد وتحقيق د: عواد عبد الله المعتق ، ط١ ، الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٨هـ
٣٢.اجتماع الجيوش الإسلامية ، للإمام ابن القيم ، إعداد وتحقيق د : عواد عبد الله المعتق ، ط١ ، الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٨هـ
٣٣.اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ، ابن رجب الحنبلي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، بشير محمد عيون ، ط٢ ، دمشق ، بيروت : مكتبة دار البيان ، الرياض: مكتبة المؤيد ، ١٤١٣هـ ٠
٣٤.الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، د: مصطفى السباعي ، ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ
٣٥.الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيميه ، دراسة وتحقيق عبد الله السهلي ، ط١ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٧ هـ

٣٦.الاستقامة ، لابن تيميه ، تحقيق د: رشاد سالم ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة السنة ، ١٤٠٩هـ

٣٧.استنشاق نسيم الإنس من نفحات رياض القدس ، ابن رجب الحنبلي ، حققه وخرج نصوصه ، د: أحمد عبد الرحمن الشريف ، ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الرياض : دار الخاني ، ١٤١١هـ .

٣٨.اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧م .

٣٩.الاعتصام ، للإمام الشاطبي ، علق عليه وخرج أحاديثه : محمود طعمه حلبي ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ

٤٠.الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ .

٤١.البحر المحيط – التفسير الكبير – تأليف أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان ، الرياض : مكتبة ومطابع النصر الحديثة .

٤٢.البداية والنهاية . للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، اعتنى بها عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون ، ط٣ ، لبنان: بيروت ، دار المعرفة ، ١٤١٨ هـ .

٤٣.البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني ، جمعه محمد بن محمد الحسني اليمني الصنعاني ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط١، لبنان بيروت : دار الكتب العلمية ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز ، ١٤١٨هـ .

٤٤. البرق اليماني في الفتح العثماني ، تأليف قطب الدين محمد بن أحمد المكي ، أشرف على طبعة : حمد الجاسر ، ط١، الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٧٨هـ .

٤٥.البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق د: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، وآخرون ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٥هـ ٠

٤٦.بصائر ذوي التمييز في الكتاب العزيز ،محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٧هـ ٠

٤٧.تاج العروس ، محمد الزبيدي ، بيروت : دار مكتبة الحياة٠

٤٨.تاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر ابن الوردي ، ط١ ، لبنان : بيروت ٠

٤٩.تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم حسن ، ط١ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م٠

٥٠.تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ، لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه ، د: بشار عواد ، والشيخ شعيب الأرنؤوط ، ود: صالح مهدي عباس ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ ٠

٥١.التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ، محمد شاكر ، ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ٠

٥٢.تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، لبنان : بيروت ، دار سويدان ٠

٥٣.تاريخ الفكر العربي ، د: عمر فروخ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م٠

٥٤.تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، عمر فروخ ، ط١ ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٢م٠

٥٥.تاريخ المماليك البحرية ، د : علي إبراهيم حسن ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م٠

٥٦.تحرير المقالة من شرح الرسالة ، أحمد محمد القلشاني ، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، برقم ٦٠٤

٥٧.تحريم السماع ، تأليف أبي بكر محمد الطرطوشي (مع رسالة في تحريم الجبن الرومي) ، حققهما وقدم لهما ووضع فهارسهما عبد المجيد تركي ، ط١ ، بيروت : دار الغروب الإسلامي ، ١٩٩٧م ٠

٥٨.تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين ، تصنيف علاء الدين علي إبراهيم ابن العطار ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه : أبو عبيده مشهور بن حسن آل سليمان ، ط١ ، الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ ٠

٥٩.تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد إبراهيم محمد الباجوري ،ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ٠

٦٠.تحقيق كلمة الإخلاص ، تأليف الحافظ ابن حجر الحنبلي ، تحقيق وتخريج إبراهيم عبد الله الحازمي ، ط١ ، الرياض : دار الشريف ، ١٤١٣هـ ٠

٦١.تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ط٣ ، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ ٠

٦٢.التخويف من النار والتعريف بحال أهل دار البوار ، ابن رجب الحنبلي ، ط٢ ، دمشق ، بيروت :دار الرشيد ، ١٤٠٤٠ هـ ٠

٦٣.تذكرة الحفاظ ، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات ، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة ٠

٦٤.التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار دفاعاً عن ابن تيميه تصنيف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ، تقديم وتحقيق وتعليق علي حسن علي المجيد ، ط١ الأحساء : مكتبة ابن الجوزي ، ١٤٠٨هـ

٦٥.ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوي ، ط٢ ، عيسى الحلبي

٠
٦٦.ترجمان الأشواق ، ابن عربي ، بيروت : دار صادر ، ١٩٨٦م ٠
٦٧.التصوف ، بقلم ماسنيون ،ومصطفى عبد الرازق ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ١٩٨٤م٠
٦٨.التصوف بين الحق والخلق ، للشيخ محمد فهر شقفة ، ط٣ ، الدار السلفية للنشر والتوزيع ٠
٦٩.التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً ، د: محمد كمال جعفر ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠م٠
٧٠.التصوف منشؤة ومصطلحاته ، د: أسعد السحمراني ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٧هـ ٠
٧١.التصوف والصوفية ، ابن تيميه ، ترتيب وتحقيق ، محمد طاهر الزين ، ط١ ، مكتبة السندس ، ١٤١٣هـ ٠
٧٢.التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، ط١، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ ٠
٧٣.التعريفات ، للجرجاني ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٠م٠
٧٤.تفسير الخازن ، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السلام محمد علي شاهين ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ ٠
٧٥.تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ط٩ ، لبنان : بيروت دار المعرفة ، ١٤١٧هـ ٠
٧٦.تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٣هـ ٠
٧٧.تفسير سورة الإخلاص ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، ط٢ ، الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ،

١٤١٢هـ ٠

٧٨. التفسير والمفسرون ، د: محمد حسين الذهبي ، ط١ ، بيروت : دار القلم ٠

٧٩.تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمد أحمد لوح ، ط١ ، المملكة العربية السعودية : دار الهجرة ، ١٤١٧هـ ٠

٨٠.تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، دار الجيل ٠

٨١.التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تصنيف أبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ، تحقيق وتعليق يمان سعد الدين المياديني ، ط١، الدمام : الناشر رمادي للنشر ، والمؤتمن للتوزيع ، ١٤١٤هـ ٠

٨٢.

٨٣.تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، محمد أمين كردي ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٥هـ ٠

٨٤.تهافت الفلاسفة ، للغزالي ، قرأه وعلق عليه محمود بيجو ، ط١ ، سوريا دمشق: دار الألباب ، ١٤١٩هـ ٠

٨٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ جمال الدين المزي . حققه وضبط نصه وعلق عليه د: بشار عواد ، ط١، لبنان: بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ ٠

٨٦.تيسير مصطلح الحديث ، د: محمود الطحان ، ط٢ ، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ ٠

٨٧.جامع الأصول في أحاديث الرسول ، المبارك محمد بن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، ١٩٩٢م ٠

٨٨.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، تأليف الإمام ابن رجب الحنبلي ، تحقيق فؤاد علي حافظ ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ ، ودار المعرفة ٠

٨٩. جامع كرامات الأولياء ، يوسف النبهاني ، المكتبة الثقافية.

٩٠.الجامع لأحكام القرآن ، محمد أحمد القرطبي ، لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٩١.الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، د: حامد غنيم أبو سعيد ، ط٢، القاهرة : دار الثقافة ، ١٤٠٤هـ .

٩٢.جواهر المعاني ، علي برادة ، بيروت : دار الجيل .

٩٣.الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، إبراهيم محمد أديمر ، المعروف بابن دقماق ، تحقيق سعيد عاشور ، مكة المكرمة : طبع جامعة أم القرى .

٩٤.حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٣، ١٤٠٥هـ .

٩٥.حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تأليف الإمام جلال الدين السيوطي ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط١ ، لبنان : بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ .

٩٦.حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى ، ط٥ ، حلب : مكتبة العرفان ، ١٤١٤هـ .

٩٧.حكم السماع ، ابن تيميه ، تحقيق : حماد سلامة ، راجعة د: محمد عويضة ، ط١ ، الأردن ، الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٤٠٨هـ .

٩٨.حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم أحمد الأصفهاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٩٩.الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ، تأليف أحمد عبد العزيز الحصين ، ط١، القاهرة : مكتبة رياض الجنة ، ١٤٠٨ هـ .

١٠٠.دائـرة المعارف ، تأليف بطرس البستاني ، لبنان : بيروت ، دار المعرفة .

١٠١.دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، بيروت : دار

الفكر ٠
١٠٢.دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، قدم له فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، ط١ ، باكستان : لاهور ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٩هـ ٠
١٠٣.دراسات في التصوف ، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، يوسف زيدان ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ ٠
١٠٤.دراسات في التصوف الإسلامي ، د: محمد جلال شرف ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٤ هـ ٠
١٠٥.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٤ هـ ٠
١٠٦.ديوان ابن الفارض ، ط١ ، بيروت : المطبعة الأدبية ، ١٩٠٤م٠
١٠٧.ديوان الحلاج ، صنعة وأصلحه ، د: كامل الشيبي ، ط١ ، بغداد : مكتبة النهضة ، ١٣٩٤ هـ ٠
١٠٨.ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ابن عربي ، القاهرة : طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ٠
١٠٩.ذم الملاهي (مع كتاب العقل وفضله) تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، ويسري عبد الغني ، ط١ ، لبنان : بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٣هـ ٠
١١٠.ذيل تاريخ الإسلام ، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي ، اعتنى به : مازن سالم باوزير ، ط١ ، الرياض : دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ ٠
١١١.ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ، بيروت : دار إحياء التراث العربي٠
١١٢.الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ٠

١١٣.ذيول العبر في خبر من غبر ،لشمس الدين الذهبي ، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول ، ط١ ، لبنان : بيروت ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ .
١١٤.رؤية إسلامية للاستشراق ، د: أحمد عبد الحميد غراب ، ط٢ ، لندن : المنتدى الإسلامي ، ١٤١١هـ .
١١٥.الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ، جمعه وأعده عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني ، ط١ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٦ هـ .
١١٦.الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ، جمعه وأعده عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني ، ط١ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٦هـ .
١١٧.الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٦هـ .
١١٨.الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيميه شيخ الإسلام كافر ، تأليف ابن ناصر الدين الدمشقي ، حققه زهير شاويش ، ط٣ ، لبنان بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١١هـ .
١١٩.الرد على الإخنائي ، ابن تيميه ، تحقيق ودراسة الشيخ : أحمد مونس العنزي ، رسالة علمية لدرجة الماجستير ، مقدمة لكلية التربية ، بجامعة الملك سعود بالرياض ، ١٤١٧ هـ .
١٢٠.الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق د: عبد الرحمن عميرة ، ط٢ ، الفرياض : دار اللواء، ١٤٠٢ هـ .
١٢١.الرد على المخالف من أصول الإسلام ، بقلم بكر أبو زيد ، ط٢ ، دار الهجرة ، ١٤١١هـ .
١٢٢.رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق د: موسى بن سليمان الدويش ، ط١ ، الرياض : مطابع شركة الصفحات الذهبية

، ١٤١٠هـ ٠

١٢٣.الرسالة ، للإمام الشافعي ، بتحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار الفكر ٠

١٢٤.الرسالة القشيرية في علم التصوف ، عبد الكريم القشيري ، تحقيق ، معروف زريق وعلي عبد الحميد ، ط٢، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٠ هـ ٠

١٢٥.رسالة في السماع والرقص ، جمع الشيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي ، علق عليها وخرج أحاديثها محمد صبحي حسن الحلاق ، ط١ ، بيروت دار ابن حزم ، ١٤١٣هـ ٠

١٢٦.رشح الزلل في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال ، تأليف عبد الرزاق القاشاني ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٥هـ٠

١٢٧.رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، بهامش جواهر المعاني ، تأليف عمر سعيد الفوني ، لبنان : بيروت ، دار الجيل ٠

١٢٨.الرمز الشعري عند الصوفية ، د: عاطف جودة نصر ، ط١ ، بيروت : دار الأندلس ، ١٩٨٣م ٠

١٢٩.روضة التعريف بالحب الشريف ، لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب ، عارضة بأصوله وعلق حواشيه وقدم له : محمد الكتاني ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠م ٠

١٣٠.الزهر النضر تأليف أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر ، شرحه وعلق عليه : سمير حسين حلبي ، ط١ ، بيروت : دار عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ ٠

١٣١.سلاح المؤمن في الدعاء والذكر تأليف أبي الفتح محمد بن محمد ابن الإمام ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وقدم له : محي الدين ديب مستو ، ط١ ، دمشق : دار الكلم الطيب ، ١٤١٤هـ ٠

١٣٢.سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشي من فقهها وفوائدها ، محمد

ناصر الدين الألباني ، ط٤، لبنان بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .
١٣٣.السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي الجزء الأول والثاني ، تحقيق : محمد زيادة ، والثالث والرابع ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦م .
١٣٤.السنة ، لأبي بكر أحمد الخلال ، دراسة وتحقيق د : عطية بن عتيق الزهراني ، ط١ ، الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ .
١٣٥.السنة قبل التدوين ، د: محمد عجاج الخطيب ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٨ هـ .
١٣٦.سنن أبو داوود ، استبول : طبهة المكتبة الإسلامية .
١٣٧.سنن ابن ماجة ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجة ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : المكتبة العلمية .
١٣٨.سنن الترمذي ، لأبي عيس محمد بن عيسى الترمذي ، أشرف على التعليق والطبع عزت عبيد الدعاس ، تركيا استنبول : المكتبة الإسلامية .
١٣٩.سنن النسائي .، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه : عبد الفتاح أبو غدة ، ط٤، بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٤١٤هـ .
١٤٠.سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمي الدين محمد بن أحمد الذهبي ،تحقيق مجموعة من المحققين ، ط١١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ .
١٤١.شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، بيروت : دار إحياء التراث

العربي ٠

١٤٢.شرح الجلجوتية الكبرى ، لأبي العباس أحمد بن علي البوني ، مصر : طبعة مصطفى البابي الحلبي ٠

١٤٣.شرح العقائد النسفية ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق الدكتور الشيخ : أحمد حجازي السقا ، ط١ ، مصر القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٨هـ ٠

١٤٤.شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وعلق عليه ، وخرج أحاديثه ، وقدم له ، د: عبد الله التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ ٠

١٤٥.شرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم ، ط٢ ، مصر : شركة ومكتبة ومطبعة ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨٦ هـ

١٤٦.شعر عمر بن الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي ، د: عاطف جوده نصر ، عين شمس : مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٩٢م ٠

١٤٧.شفاء السائل لتهذيب المسائل ، ابن خلدون ، تحقيق ودراسة محمد بن تاويت الطنجي ، تركيا : استنبول ، ١٩٥٧م٠

١٤٨.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ، تحرير الحساني حسن عبد الله ، القاهرة : مكتبة دار التراث ٠

١٤٩.الشيعة وأهل البيت ، إحسان إلهي ظهير ، ط٦ ، باكستان : لاهور ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٤ هـ ٠

١٥٠.الصارم المنكي في الرد على السبكي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ٠

١٥١.صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلق عليه وقارن نصوصه : محمد حسن شمس الدين ، ط١ ،

لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ ٠
١٥٢.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، لبنان : دار العلم للملايين ٠
١٥٣.صحيح البخاري (الجامع الصحيح) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط١ ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٤٠٠هـ ٠
١٥٤.صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، تركيا استنبول : المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ٠
١٥٥.صحيح مسلم شرح النووي ، القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ ٠
١٥٦.صفوة الصفوة ، جمال الدين ابن الجوزي ، ضبطها وكتب هوامشها : إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، ط١ ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩ هـ ٠
١٥٧.الصوفية في نظر الإسلام ، سميح عاطف الزين ، ط٣ ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٥ هـ ٠
١٥٨.صيد الخاطر ، لابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن البر ، ط١ ، دار اليقين للتوزيع ، ١٤١٣هـ ٠
١٥٩.طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، مصر : دار إحياء الكتب العربية ٠
١٦٠.طبقات الشافعية لأبي بكر أحمد بن محمد أبن قاضي شهبة الدمشقي ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه د: الحافظ عبد العليم خان ، رتب فهارسه د: عبد الله أنيس الطباع ،ط١،بيروت : بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ ٠
١٦١.طبقات الصوفية ، تأليف أبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق: نورالدين شربية ، ط٢، سوريا : حلب دار الكتاب النفيس ، ١٤٠٦ هـ ٠

١٦٢.الطبقات الكبرى ، المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، تأليف أبي المواهب عبد الوهاب بن علي ، المعروف بالشعراني ، دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع٠

١٦٣.الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، بيروت : دار المكتب العلمية ، ١٩٩٠ م ٠

١٦٤. العبر في خبر من غبر، لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ٠

١٦٥.العبودية ،لشيخ الإسلام ابن تيميه ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، ط٣ ، دار الأصالة ، ١٤١٩ هـ ٠

١٦٦.العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ، شرح الدرة السنية في عقيدة أهل السنة المرضية ، أحمد بن حجر آل بوطامي ، ط١ ، بيروت : ١٩٧٠م ٠

١٦٧.عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمود المراكبي ، القاهرة : مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ١٩٩٦م ٠

١٦٨.العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تقي الدين أحمد الفاسي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ ٠

١٦٩.العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيميه ، محمد بن أحمد عبد الهادي ،تحقيق محمد حامد الفقي ، الرياض : مكتبة المؤيد ٠

١٧٠.العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري ، د: حياة ناصر الحجي ، ط١ ، الكويت : ١٩٨٠م٠

١٧١.العلم الشامخ في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ ، تأليف العلامة صالح بن المهدي المقبلي اليمني ، دمشق : مكتبة دار البيان ، ١٩٨١م ٠

١٧٢.عنقاء مغرب في ختم الولاية وشمس المغرب ، لابن عربي تحقيق

خالد شبل أبو سليمان ، مكتبة عالم الفكر للطباعة والنشر ٠

١٧٣.عوارف المعارف ، عبد القاهر بن عبد الله السهر وردي ، ط٢ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣ هـ ، ومكتبة القاهرة ، ١٣٩٣هـ ٠

١٧٤.غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، للشيخ بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق وتعليق : إبراهيم محمد الجمل ، جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤٠٢ هـ ٠

١٧٥.الغنية في مسألة الرؤية ، ابن حجر ، تحقيق وتعليق د: محمد عبد المحسن التركي ، دار اللواء للنشر والتوزيع ،١٤١٩هـ ٠

١٧٦.فتاوى الإمام الشاطبي ، تحقيق د : محمد أبو الأجفان ، ط٢، تونس : ١٤٠٦هـ ٠

١٧٧.الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيميه ، تحقيق وتعليق وتقديم : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤١٨هـ ٠

١٧٨.فتاوى في الغناء ، أحمد بن الحسن المعروف بان قاضي الجبل ، قدم له فضيلة الشيخ : عبد الله بن جبرين ، تحقيق : أحمد عبد العزيز الضويان ، ط١ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ

١٧٩. فتاوى ومسائل ابن الصلاح ، تحقيق د: عبد المعطي أمين القلعجي ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٧٦هـ ٠

١٨٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، ط١ ، القاهرة : دار إحياء التراث ، ١٤٠٧هـ٠

١٨١.الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني ، تأليف محمد عبد الله التجاني ، ط٣ ، القاهرة : شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٧هـ ٠

١٨٢.فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للإمام شمس الدين محمد عبد

الرحمن السخاوي ، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، الشيخ : صلاح محمد عويضه ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ.

١٨٣.الفتوحات المكية ، تأليف محي الدين ابن عربي ، إعداد مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٨هـ .

١٨٤.الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، حقق أصوله محمد محي الدين عبد الحميد ، لبنان : بيروت ، دار المعرفة.

١٨٥.فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، د: غالب علي عواجي ، ط٣ ، الناشر دار لينة للنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ.

١٨٦.الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، راجعه وفهرسه وقدم له : أحمد حمدي إمام ، جدة : دار المدني للنشر والتوزيع ، ١٩٨١م .

١٨٧.الفروع للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح ، تحقيق أبي الزهراء حازم القاضي ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ .

١٨٨.فصوص الحكم ، لابن عربي ، بقلم أبو العلا عفيفي ، ط٢ ، بيروت : الناشر دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠هـ .

١٨٩.الفصول في سيرة الرسول ﷺ ، تأليف الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق وتعليق : محمد العيد الخطراوي ، ومحي الدين مستو ، ط٤، دمشق : دار ابن كثير ، المدينة المنورة : دار التراث ، ١٤٠٥هـ .

١٩٠.فضل علم السلف على الخلف ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق يحي مختار غزاوي ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٣هـ.

١٩١.الفقه على المذاهب الأربعة ، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجزيري

، اعتنى بها عبد اللطيف بيتيه ، أعد فهارسها رياض عبد الله ، ط١ بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٧هـ ٠
١٩٢.الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، اليف يوسف زيدان ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ ٠
١٩٣.الفوائد والعوائد شهاب الدين حمد بن عبد اللطيف الشرحي ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ ٠
١٩٤.في التصوف الإسلامي وتاريخه ، رينولد أ نيكولسون ، نقله للعربية وعلق عليه : أبو العلا عفيفي، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ ٠
١٩٥.في علم الكلام ، د: أحمد محمود صبحي ، ط٥ ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥ هـ ٠
١٩٦.قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه ، ط٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ ٠
١٩٧. القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ ٠
١٩٨.قطر الولي على حديث الولي ، أو ولاية الله والطريق إليها ، للإمام الشوكاني ، تحقيق ، د: إبراهيم إبراهيم هلال، مكة المكرمة : توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، ١٣٩٧هـ
١٩٩.قواعد المنهج السلفي ، د: حلمي محمود ، ط١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٧٦م ، وط٢ ، الإسكندرية ١٤٠٥ هـ ٠
٢٠٠.قوانين حكم الإشراق ، جمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي ، ط١ ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٦١م٠
٢٠١.قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لأبي طالب المكي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠
٢٠٢.الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار بيروت للطباعة والنشر ،

١٣٨٦هـ ٠
٢٠٣.الكبائر وتبيين المحارم ، تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محي الدين مستو ، ط٣، دمشق ، بيروت : دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ٠
٢٠٤.كتاب حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ، تأليف الشيخ الإمام محمد بن محمد الموصلي ، دراسة وتحقيق وتعليق المستشار الدكتور : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط١ ، الرياض : دار الوطن ، ١٤١٦هـ
٢٠٥.الكشاف ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، رتبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شاهين ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ ٠
٢٠٦.كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، طهران : ١٩٤٩م٠
٢٠٧.كشف الغطاء عن حكم الغناء ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق ربيع خلف ، ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢هـ ٠
٢٠٨.كشف المحجوب للهجويري ، دراسة وتعليق د: إسعاد عبد الهادي قنديل ، راجع الترجمة ، د: أمين عبد المجيد بدوي ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م٠
٢٠٩.الكشف عن حقيقة الصوفية ، محمود القاسم ، ط٢ ، الأردن : عمان المكتبة الإسلامية ، توزيع دار طيبة ، مكة المكرمة ، ١٤١٣هـ ٠
٢١٠.الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، أو طبقات المناوي الكبرى ، تأليف عبد الرءوف المناوي ، حققها وقدم لها وعلق حواشيها ، د: عبد الحميد صالح حمدان ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٩٩٤م٠
٢١١.كيمياء السعادة ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ، – ملحق مع كتاب المنقذ من الضلال – بيروت : المكتبة

الثقافية ٠

٢١٢.لسان العرب ، محمد بن منظور ، لبنان : دار صادر ٠

٢١٣.لطائف الإشارات ، للقشيري قدم له وحققه وعلق عليه د: إبراهيم بسيوني ، ط٢ ، مصر: مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م ٠

٢١٤.لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، تأليف الإمام زين الدين بن رجب الحنبلي ، ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ ٠

٢١٥.لطائف المنن ، تأليف تاج الدين بن عطاء السكندري ، ط٢ ، مصر : عالم الفكر ، ١٤١٤ هـ ٠

٢١٦.اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، لسان الدين الخطيب ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها،١٣٤٧ هـ

٢١٧.اللمع في التصوف ، تأليف أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، مصر : دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٠ هـ ٠

٢١٨.لوامع الأنوار ، محمد السفاريني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، دار الخازن ، ١٤١١هـ ٠

٢١٩.مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، للقلقشندي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط١ بيروت : دار عالم الكتب ، ١٩٦٤م٠

٢٢٠.متصوفة بغداد ، عزيز السيد جاسم ، ط٢ ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٧م٠

٢٢١.مجلة البحوث الإسلامية ، المملكة العربية السعودية : رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ، العدد التاسع والخمسون ، ١٤٢٠ – ١٤٢١هـ ٠

٢٢٢.مجلة البلاغة المقارنة أَلِف ، القاهرة : الجامعة الأمريكية، العدد

الخامس ، ربيع ١٩٨٥م ٠
٢٢٣.مجمع الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، محمد طاهر الهندي ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩١هـ ٠
٢٢٤.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١٢هـ٠
٢٢٥.مجموعة الرسائل والمسائل ، للإمام العلامة تقي الدين ابن تيميه ، ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ ٠
٢٢٦.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق عطية ، ط١١ ، الدوحة : دار العلوم ، ١٤٠٣ هـ ٠
٢٢٧.مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، لبنان بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٩م٠
٢٢٨.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام أبي عبد الرحمن محمد ابن قيم الجوزية ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، القاهرة : دار الحديث ٠
٢٢٩.مدخل إلى التصوف ، د: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، ط٣ ، القاهرة : دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٣م٠
٢٣٠.مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ أبي علي بن الحسين المسعودي ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ٠
٢٣١.المسائل الفقهية ، لأبي علي عمر بن قداح الهواوي ، دراسة وتحقيق د: محمد بن الهادي أبو الأجفان ، منشورات: ELGA ، فاليتا ، مالطا : ١٩٩٦م
٢٣٢.المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، بإشراف د: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت : دار المعرفة ٠

٢٣٣.مسند الإمام أحمد ، (بيروت : دار صادر) ۰
٢٣٤.المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، عرضاً ونقداً ، تأليف صادق سليم صادق ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ ۰
٢٣٥. المصحف الميسر ، عبد الجليل عيسى ، ط٥ ، القاهرة : دار الفكر ، ١٣٩١هـ ۰
٢٣٦.مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل ، الرياض : مكتبة المؤيد ۰
٢٣٧.المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، مكة المكرمة ، توزيع عباس أحمد الباز ۰
٢٣٨.مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، تأليف أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس ، ط١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٩هـ ۰
٢٣٩.مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، تأليف أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس ، ط١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، ١٤١٩هـ ۰
٢٤٠.معارك المغول الكبرى في بلاد الشام ، أكرم حسن العلبي ، ط١ : دار المأمون للتراث ۰
٢٤١.معالم التنزيل – تفسير البغوي – أبو الحسن بن مسعود البغوي، ط٢ ، الرياض : دار طيبة ۰
٢٤٢.معجم ألفاظ العقيدة ، تصنيف أبي عبد الله عامر عبد الله فالح ، تقديم الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن بن حبرين ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧ هـ۰
٢٤٣.معجم اصطلاحات الصوفية ، تصنيف : عبد الرزاق الكاشاني ،

تحقيق وتقديم وتعليق ، د: عبد العال شاهين ، ط١ ، القاهرة : دار المنار ، ١٤١٣هـ ٠
٢٤٤.معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد إسماعيل إبراهيم ، القاهرة: دار الفكر العربي ٠
٢٤٥.معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تحقيق : فريد الجندي ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ٠
٢٤٦.المعجم الجغرافي لدول العالم ، هزاع بن عيد الشمري ، ط٣، الرياض : دار أمية للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ ٠
٢٤٧.معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي ٠
٢٤٨.معجم المصطلحات الصوفية ، أنور أبي خزام فؤاد ، ط١ ، لبنان : مكتبة لبنان ، ١٩٩٣م٠
٢٤٩.المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ونسنك ، استنبول : دار الدعوة ، ١٩٨٦ م٠
٢٥٠.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢، القاهرة : دار الحديث ، ١٤٠٨ هـ ٠
٢٥١.معجم المقاييس في اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، ط٢، لبنان بيروت : دار الفكر ، ١٤١٨هـ٠
٢٥٢.معجم المناهي اللفظية ، بقلم بكر عبد الله أبو زيد ، ط٣ ، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ٠
٢٥٣.المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ط٢ ، تركيا: استنبول ، ١٣٩٢، والمكتبة الإسلامية ، للطباعة والنشر والتوزيع ٠
٢٥٤.معجم لغة الفقهاء ، وضع ، أد: محمد رواس قلعة جي ، ود : حامد صادق ، ط٢ ، الرياض : دار النفائس ، ١٤٠٨هـ ٠
٢٥٥.معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن بن فارس ، تحقيق وضبط : عبد

السلام هارون ، ط٣، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٠هـ .

٢٥٦.المغني ، لابن قدامة ، تحقيق وتعليق محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة .

٢٥٧.المغني عن حمل الأسْفَار في الأسفَار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، بهامش إحياء علوم الدين للغزالي ، لبنان بيروت : دار الكتب العلمية .

٢٥٨.المفردات في غريب القرآن ، تأليف أبي القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، بيروت : دار المعرفة .

٢٥٩.المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، محمد عبد الرحمن المغراوي ، ط١ ، الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ .

٢٦٠.مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، عني بتصحيحه : هلموت ريتر ، ط٣ ، فيسبادن : دار النشر فرانز شتايز ، ١٤٠٠هـ .

٢٦١.مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د: ناصر عبد الكريم العقل ، ط٢ ، الرياض: دار الوطن ، ١٤١٧ هـ .

٢٦٢.مقدمة ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .

٢٦٣.المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، برهان الدين إبراهيم بن مفلح ، تحقيق ، د: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط١ ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤١٠ هـ .

٢٦٤.الملل والنحل ، محمد عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق ، عبد العزيز الوكيل ، لبنان : بيروت ، دار الفكر .

٢٦٥.المماليك ، تأليف ، د: السيد الباز العريني ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م٠
٢٦٦.من عقائد الشيعة ، جمع وترتيب عبد الله محمد السلفي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ٠
٢٦٧.من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة ، د : محمد السيد الجليند ، ط٣، الرياض : دار اللواء ، ١٤١٠ هـ٠
٢٦٨.المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، للإمام ابن قيم الجوزية ، حققه العلامة : عبد الرحمن يحي المعلمي ، أعده وأخرجه : منصور عبد العزيز السماري ، ط٢ ، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ ٠
٢٦٩.مناهج البحث العلمي ، د: عبد الرحمن بدوي ، طبعة ١٩٧٧م٠
٢٧٠.مناهج البحث العلمي أسس وأساليب ، د: عمار بوحوس ، ود : محمد الذنيبات ، ط١ ، الأردن : الزرقاء مكتبة المنار ، ١٤١٠هـ ٠
٢٧١.مناهج البحث العلمي في الإسلام ،د: غازي حسن عنابة ، ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٠هـ ٠
٢٧٢.مناهل العرفان في علوم القرآن ، بقلم الشيخ : محمد الزرقاني ، دار إحياء التراث العربي ٠
٢٧٣.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، ط١ ، حيدر أباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٩هـ ٠
٢٧٤.المنجد في اللغة والأعلام ، ط٣٣، دار الشروق ، ١٩٩٢م٠
٢٧٥.منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤، ١٣٨٤هـ ٠
٢٧٦.المنقذ من الضلال ، ومعه كيمياء السادة والقواعد العشرة في الأدب في الدين ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح محمد محمد جابر ،

لبنان : بيروت ، المكتبة الثقافية .

٢٧٧.منهاج السنة النبوية ، ابن تيميه ، تحقيق د: محمد رشاد سالم ، ط١ ، الرياض : طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ .

٢٧٨. المنهاج في شعب الإيمان ، لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .

٢٧٩.منهج الإمام الذهبي في العقيدة وموقفة من المبتدعة ، رسالة ماجستير ، إعداد سعيد عيضة الزهراني ، الرياض : كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ .

٢٨٠.منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة و الجماعة ، عثمان علي الحسن ، ط٤ ، الرياض : مكتبة الرشد ،١٤١٨ هـ .

٢٨١.منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ، إعداد علي بن عبد العزيز الشبل ، تقديم صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان ، الرياض : دار الصميعي ، ١٤١٤هـ .

٢٨٢.منهج وآراء الإمام ابن أبي العز الحنفي في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية ، رسالة ماجستير من إعداد الشيخ عبد الله بن عبيد العتيبي ، مقدمة لكلية التربية جامعة الملك سعود ، (الرياض : ١٤١٨هـ) .

٢٨٣.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بخطط المقريزي ، تأليف ، تقي الدين أبي العباس أحمد المقريزي ، بيروت : دار صادر .

٢٨٤.الموافقات ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تقديم الشيخ : بكر بن عبد الله أبو زيد ، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان ، ط١، الخبر : دار ابن عفان للنشر والتوزيع .

٢٨٥.الموسوعة الصوفية ، تأليف د: عبد المنعم الحفني ، ط١، القاهرة :

دار الرشاد ، ١٤١٢هـ ٠

٢٨٦.الموسوعة العربية العالمية ، ط١، الناشر : المملكة العربية السعودية : الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ٠

٢٨٧.الموسوعة العربية الميسرة ، بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٩٨٠م

٢٨٨.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة د: مانع بن حماد الجهني ، ط٣ ، الناشر : دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ ٠

٢٨٩.موسوعة فقه ابن تيميه ، تأليف د: محمد رواس قلعه جي ، ط١ ، لبنان : بيروت ، دار النفائس ، ١٤١٩ هـ ٠

٢٩٠. الموضوعات من الأحاديث المرفوعات : تأليف الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي حقق نصوصه وعلق عليه ، د: نور الدين بن شكري ، ط١ ، الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ١٤١٨هـ ٠

٢٩١.الموطـأ ، للإمام مالك ، إعداد : أحمد راتب عرموش ، ط٦ ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٢هـ ٠

٢٩٢.الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ، تأليف: الإمام كمال الدين أبي الفضل جعفر الأدفوي ، حققه وقدم له وعلق عليه ، د: محمد عيسى صالحية ، ط١ ، الكويت : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨ هـ ٠

٢٩٣.موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية ، د: أحمد البناني ، ط١ ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ٠

٢٩٤.موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية ، د: أحمد البناني ، ط١ ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ٠

٢٩٥.ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ، مكة المكرمة : دار المنار ، بيروت ودار

الكتب العلمية ١٤١٦هـ ٠
٢٩٦.النبوات ، ابن تيميه ، بيروت : دار القلم ٠
٢٩٧.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين بن تغري بردى ، ط١ ، القاهرة : دار الكتب العربية ، ١٣٤٨ هـ ٠
٢٩٨.ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، د: راجح الكردي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ندوة البحرين ، ١٤٠٥هـ ٠
٢٩٩.نزهة الأسماع في مسألة السماع ، ابن رجب الحنبلي ،تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان ، ط١ ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ ٠
٣٠٠.نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، تأليف د: عرفان عبد الحميد فتاح ، ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٣هـ ٠
٣٠١.نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، د: عرفان عبد الحميد فتاح ، ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٣هـ ٠
٣٠٢.نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ، إعداد سارة بنت عبد المحسن آل سعود ، ط١ ، جدة : دار المنار للنشر والتوزيع ، ١٤١١هـ ٠
٣٠٣.نكت الانتصار لنقل القرآن للإمام أبي بكر الباقلاني ، تحقيق د : محمد زغلول سلام ، الإسكندرية : الناشر : منشأة المعارف ، ١٩٧١م ٠
٣٠٤.النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك محمد الجزري ، ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية ٠
٣٠٥.نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي ، بهامش الديباج المذهب ، بيروت : دار الكتب العلمية ٠
٣٠٦.الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، جمعية المستشرقين

الألمانية ٠

٣٠٧.وسطية أهل السنة بين الفرق ، د: محمد باكريم عبد الله ، الرياض : دار الراية للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ٠

٣٠٨.اليمن عبر التاريخ ، بقلم أحمد حسن شرف الدين ، ط٣، القاهرة : ١٤٠٠هـ ٠

٣٠٩.اليواقيت والجواهر ، للشعراني القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٩م ٠

فهرس الموضوعات